



١٨٦

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة

تأليف: د. رشاد عبد الله السامي

ذو الحجة ١٤١٤ هـ - يونيو / حزيران ١٩٩٤ م

المشرف العام:

د. سليمان العسكري

هيئة التحرير:

د. فؤاد زكريا / المستشار

د. خليفة الوقيان

د. سليمان البدر

د. سليمان الشطي

د. سهام الفريح

عبدالرزاق البصير

د. عبدالرزاق العدواني

د. فهد الثاقب

د. محمد الريمحي

سكرتيرة التحرير:

سحر الهنيدي

مؤسس السلسلة

أحمد مشاري العدواني

١٩٩٠ - ١٩٢٣

المراسلات:

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

فاكس: ٤٨٧٣٦٩٤ ، ص.ب: ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الكويت 13100

القوى الدينية في إسرائيل

بين تكفير الدولة ولعبة السياسة

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبّر عن رأي كاتبها
ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلس

المحتويات

رقم
الصفحة

٧	مقدمة
١٣	الباب الأول : إشكالية العلاقة بين الصهيونية واليهودية في إسرائيل
١٥	الفصل الأول : إشكالية العلاقة بين الصهيونية واليهودية
٤٥	الفصل الثاني : الدولة والدين في إسرائيل
٨٣	الباب الثاني : الأحزاب الصهيونية الدينية الأرثوذكسية
٨٥	الفصل الأول : الصهيونية الدينية ، النشأة والمفاهيم
٩٥	الفصل الثاني : الأحزاب الصهيونية الدينية الأرثوذكسية
٩٥	١ - حزب «المزراحي» و«العامل المزراحي»
١٠٣	٢ - الحزب الديني القومي (المفدال)
١١٤	٣ - حزب «تامي» (قائمة تقاليد إسرائيل)
١١٥	٤ - «موراشا» (التراث)
١١٦	٥ - حزب «مباد» (معسكر الوسط الديني)
	الباب الثالث : الأحزاب الدينية المسيحانية المعارضة للصهيونية
١٢٣	(أحزاب تكفير الدولة)
١٢٥	مقدمة
	التوضيح الأول : المعارضة الدينية للصهيونية على ضوء
١٢٥	فكرة «المسيح المخلص»
	التوضيح الثاني : الآليات التاريخية لانتقال القوى الدينية الحريدية
١٣٠	للعبة السياسة في إسرائيل
١٣٩	الفصل الأول : الأحزاب الدينية المسيحانية الأشكنازية
١٣٩	١ - حزب «أجودات إسرائيل»
١٦١	٢ - حزب «عمال أجودات إسرائيل»
١٦٨	٣ - «أجودات إسرائيل» الأورشليمية
١٧٤	٤ - حزب «ديجيل هتوراه» (علم التوراة)

١٧٧	الفصل الثاني : الأحزاب الدينية المسيحانية السفاردية
	المبحث الأول : بروز الاستقطاب الطائفي في الواقع
١٧٧	الديني السياسي في إسرائيل
	المبحث الثاني : حزب «شاس» (حراس التوراة
١٩١	السفارديم)
	الفصل الثالث : الأحزاب الدينية في إسرائيل من
٢١٥	المساومة إلى الابتزاز
	الباب الرابع : القوى الدينية «الحريدية» المعارضة للصهيونية (جماعات
٢٣٩	تكفير الدولة والانعزال الجيتوي)
٢٤١	مقدمة
٢٤٥	الفصل الأول : الطائفة الحسيدية
٢٤٥	المبحث الأول : نشأتها واتجاهاتها
٢٥٨	المبحث الثاني : حركة «حبد»
٢٦٨	المبحث الثالث : الحاخام «مناحم شنورسون»
٢٩١	المبحث الرابع : الحسيدية في إسرائيل
	الفصل الثاني : «الحريديم» (المغالون في التشدد الديني وتكفير
٣٠١	الدولة والانعزال الجيتوي)
٣٠١	المبحث الأول : «الطائفة الحريدية»
٣١٣	المبحث الثاني : طائفة «ساظم» الحسيدية
٣١٥	المبحث الثالث : جماعة «نطوري كرتا»
٣٢٧	مراجع وهوامش الدراسة

مقدمة

تحددت العلاقة بين الصهيونية والدين اليهودي منذ بداية الحركة الصهيونية على أساس أن حيز السياسة كان هو المسيطر والموجه مستقلا عن الدين بصورة حاسمة مادام زعماء الصهيونية العلمانيون، كانوا هم الطليعة المحققة لحلم الصهيونية في الدولة .

و على الرغم من أن الصهيونيين تنبهوا إلى أهمية عنصر الدين اليهودي في حركتهم رغم علمانيتها، لكي يضيفوا عليها طابعا يهوديا لجذب المهاجرين ولاستقطاب اليهود غير العلمانيين، فإن العنصر الديني، بشكل عام، قبل بتضييق نفوذه وتقليص دائرته نحو الدائرة العائلية أو الخاصة، بحيث إنه لم يعد يبدو ملهما لتنظيم المجتمع الإسرائيلي، بعد قيام الدولة، إلا بصورة غير مباشرة، وكشماله متبقية من الماضي، في الإطار الذي سمحت به الدولة ومؤسساتها .

وقد جاهدت القوى الدينية في إسرائيل، لاحتواء نفور الجماهير من رجال الدين وعقائدهم، تحت ضغط الانجذاب نحو العلمانية، واجتهدت في تكيف مقولاتها وفقا لقيم المجتمع «الحديثة»، وبحث عن هذه القيم، وأظهرت مدى التقارب بينها وبين القيم الدينية .

وقد انقلب هذا المسعى نحو التكيف بأسره، اعتبارا من حرب ١٩٦٧، وبدأ خطاب ديني جديد يعزو هذا الانتصار إلى «المعجزة الإلهية» التي ساندت «شعب الله المختار» .

وهكذا، فإن لغة الخطاب الديني لم تعد تهدف إلى التكيف مع القيم العلمانية، بل إلى إعطاء تنظيم المجتمع أساساً قديماً، يهدف إلى تغيير مجمل القيم داخل المجتمع الإسرائيلي، وفقاً للشريعة اليهودية، وبما يتعارض مع الخطاب الغالب في «الدين الرسمي» (المؤسسي) ويخرج عليه ويسارع إلى تجريمه وتكفيره في بعض الأحيان.

وقد كانت بعض هذه القوى الدينية في إسرائيل، وخاصة «الحريدية» المعارضة للصهيونية، لا تهدف إلا إلى تكوين جماعات مؤمنين حقيقيين عن طريق «التهويد من أسفل» و«التوبة» (العودة للتقيد بأحكام الشريعة اليهودية أو «التشوقا») من خلال مقاطعة «العادات الدنيوية» وممارسة حياتها اليومية واتباع أحكام «الشريعة اليهودية» وأوامر الرب (المُتسِفوت).

وفي عام ١٩٧٧، على سبيل المثال، لم تسمح انتخابات الكنيست، وللمرة الأولى في تاريخ دولة إسرائيل، لحزب «العمل الإسرائيلي» بتشكيل الحكومة، وأصبح مناحم بيجن زعيم حزب «الليكود» اليميني المتطرف رئيساً للوزراء. وفي هذه المناسبة، استطاعت الحركات «الصهيونية الدينية القومية» الممثلة في حركة «جوش إيمونيم» أن تحقق اختراقاً غير مسبوق، وبصفة خاصة، في عملية إنشاء المستوطنات اليهودية في الأراضي المحتلة تحت شعار «العهد والميثاق بين الرب و«الشعب المختار».

وقد ساعد على شيوع هذا المناخ تلك الضربة التي تلقتها إسرائيل إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣، والتي حدثت في أعقابها ظاهرة تمثل شاهداً على تساؤل العديد من الإسرائيليين حول دلالة وحدود هويتهم اليهودية، ووضعت الصهيونية الاشتراكية، في موضع المقاضاة والاثام، ومهدت الطريق لانحيار «الطوباويات التقدمية» وانتهاء دور «الصهيونية».

ويمكن القول بأن القوى الدينية في إسرائيل تمثل مروحة واسعة من الاتجاهات تتراوح بين تأييد الصهيونية العلمانية فيما عرف بـ«الصهيونية الدينية» وبين «معاداة الصهيونية» («أحزاب الأجودات وعمال الأجودات» و«ديجل هتوراه» و«شاس»)، وبين السلفية المغالية في التشدد وتكفير الدولة والانعزالية (الحريديم)، إلا أنها تشترك جميعاً في طرح تعريف اليهودية لتكون مجرد انتماء أو لمجرد الانتماء. إن المعيار لدى هذه القوى سواء حزبية أو غير حزبية، هو التقيد الصارم بالعبادات والتأكيد على الالتزام «بالشريعة اليهودية» (الهالاخاه)، والتعبير عن الإيمان وسيادة الطقوس والتقيد بأحكام المذهب الديني الذي يتمسك به زعماءها الروحانيون فيما يتصل بقضايا الحياة.

وقد ازداد عدد وأهمية ووزن هذه القوى الدينية زيادة مطردة منذ ذلك الحين، حيث إنها لم تولد في السبعينيات، لكن بروزها وصعودها على المسرح السياسي يعود إلى هذه الحقبة. وكان لنجاح «الحريديم» بخاصة في دخول لعبة السياسة، دلالة اجتماعية سياسية، أتاحت لشرائح كانت حتى ذلك الحين على هامش الحياة السياسية، أن تشارك فيها، حتى لو حاولت تشغيل قواعدها لمصلحتها هي وحدها.

وقد كان رصد هذه القوى الدينية في إسرائيل، ومراقبة المد الظاهر في تنامي قوتها داخل إطار الحلبة الاجتماعية والشرائح الشعبية من ناحية، وعلى القرار السياسي من ناحية أخرى، هو محاولة لفهم ماتعنيه هذه الظاهرة الساعية «للتوراتكراسية» (حكم التوراة) بالنسبة للواقع الإسرائيلي الذي شهد هذا الانبعاث الديني، الذي واكب تاريخياً، الانبعاث نفسه لقوى دينية مماثلة في كل من العالمين الإسلامي والمسيحي، على حد السواء، اعتباراً من الحقبة التاريخية نفسها.

إن أحد المرتكزات الرئيسية التي توصل إليها الرصد والبحث هو أن هذه القوى الدينية اليهودية بدخلها إلى لعبة السياسة وسعيها للتسيخ الديني وتأكيده «من أسفل» في المجتمع الإسرائيلي، بعثت حياة جديدة في النموذج الطائفي اليهودي الذي كان شائعاً بين يهود شرق أوروبا وغربها (الجيتو) مقوضة لأحد الأسس الرئيسية للمجتمعات الحديثة، وهو الديمقراطية، باعتبارها نتاجاً لعصر التنوير اليهودي الذي دعا إلى اعتناق العقل من الإيمان، ونهاية الطاعة والتقيّد بالشريعة الخاصة «بالشعب المختار». وهذا النموذج «الجيتوي» يحظى بالتمجيد من غالبية مريدي معاودة التهويد الأرثوذكسية في إسرائيل.

والحقيقة القائمة الآن في إسرائيل، هي أن الأحزاب الدينية (مع تبادل الأدوار فيما بين الصهيونية الدينية وبين القوى الدينية المعارضة للصهيونية من «الحريديم» والمثثلة الآن في الإطار السياسي في حزب «شاس» شريك الائتلاف الحكومي) قد أصبحت جزءاً عضوياً من السلطة العلمانية، دون أن يحمل هذا أي مغزى ديني، لأن المبدأ التنظيمي للسلطة يهيم، في الأساس، وبغض النظر عن القوة الدينية التي يتحالف معها، هو أن يحافظ على الشكل أولاً، ثم على الائتلاف ثانياً، وليس المحافظة على الشرائع، لأنه في النهاية جزء من منظومة الحضارة الغربية العلمانية، ولا يمثل شعب التوراة. ولكن الأحزاب والقوى الدينية سواء منها المشاركة في الائتلاف الحكومي، أو تلك التي تقف في المعارضة، أو التي تمارس نفوذها في الشارع بين الجماهير، لا تتورع عن استغلال قوتها لتثبت وجودها وقدرتها على التأثير على الواقع السياسي، وعلى القرار السياسي، على الرغم من أن كل قوة دينية تعتبر أن تفسيرها للشريعة اليهودية - والذي قد يختلف مع تفسيرات القوى الدينية

الأخرى - هو المطلق الوحيد، الذي لا ينبغي لأحد أن يجرؤ على مناقشته أو الاعتراض عليه أو محاجاته .

وهذه الدراسة التي نقدمها للقارئ العربي، في هذه الظروف التاريخية الحساسة، مليئة بالكثير من التفاصيل عن تاريخ وجذور نشأة الأحزاب والقوى الدينية في إسرائيل، والعقائد التي تؤمن بها، والإيديولوجيات التي تتبناها، والصراعات التي تدور بينها وبين القوى العلمانية في الدولة، وكذلك حروب الخاخامات التي تصل إلى حد التشهير وتكفير كل منهم للآخر.

وكل هذه التفاصيل تقودنا في النهاية إلى طرح العديد من التساؤلات، حول مغزى المد الديني المتصاعد في إسرائيل، ودور القوى الدينية حالياً وفي المستقبل بالنسبة للعديد من القضايا الإشكالية ذات الطابع الديني في الواقع الإسرائيلي: هل سيؤدي تنامي نفوذ القوى الدينية إلى خلق «دولة يهودية» بدلا من «دولة اليهود»؟، وهل يمكن أن يحكم الخاخامات إسرائيل في المستقبل؟، وما هي المحاذير التي يمكن أن تقف في سبيل تحقيق مثل هذا الوضع بالنسبة لدولة مثل إسرائيل لها خصوصيات عديدة فيما يتصل بطبيعة تكوينها، وعلاقتها بالقوى الديمقراطية في الغرب وأمريكا؟. بالإضافة إلى العديد من الأطروحات التي تلقي الضوء على جوانب يمكن القول إنها غير معروفة للقارئ العربي، الذي يعنيه، بلا شك، معرفة الكثير عن خفايا هذا الواقع الإسرائيلي.

وقد كانت خطة البحث ترى ضرورة التعرض للمؤسسات الدينية الرسمية وللتيار الأصولي اليهودي المتطرف المتمثل في حركة «جوش إيمونيم» وحركة «كاخ» الكاهانية، ولكن لأسباب تتعلق بتضخم حجم البحث وجد أنه من الأفضل أن يصدر في جزء ثانٍ مكمل لهذه الدراسة.

وختاماً أرجو أن تكون هذه الدراسة إسهاماً علمياً حقيقياً يكشف النقاب
بموضوعية عن ذلك الجانب المعتم من الواقع الإسرائيلي .
والله الموفق

دكتور رشاد عبدالله الشامي
مصر الجديدة - أغسطس ١٩٩٣



الباب الأول
إشكالية العلاقة بين الصهيونية
واليهودية في إسرائيل

الفصل الأول

إشكالية العلاقة بين الصهيونية واليهودية

يرى المفكر الإسرائيلي إمنون روبنشتاين^(١) «أن هناك عاملين غزيا الصحوة القومية اليهودية في نهاية القرن التاسع عشر، وهما: الانجذاب نحو صهيون، ورفض الانصهار. وقد كان العامل الأول الذي جذب اليهود إلى فلسطين هو نبوءة عودة صهيون التي تحيا في الوعي المشترك للمحافظين على الوصايا، وفي كتب الصلوات، وفي احتفالات عيد الفصح، وفي الحزن على خراب الهيكل، بكل روح اليهودية الدينية التقليدية. ولكن هذه الأشواق لم تتزايد خاصة في نهاية القرن التاسع عشر، بل على العكس من ذلك، لأن أجزاء كبيرة من الشعب اليهودي استجابت لتحدي العصر الحديث وعزلت نفسها عن التقاليد اليهودية، أو وجدت أنها تفتقر إلى المغزى القومي. وقد ظهرت الصهيونية كحركة علمانية أساسا، بسبب العامل الثاني وهو: رفض الانصهار، الذي حدث ردا على أن الانعتاق لم تكن فيه الإجابة الشافية لليهود، ولأن الأوروبيين من أبناء دين موسى، لم يحصلوا على الحقوق المتساوية في المجتمع الذي أصبحت (معاداة السامية)* فيه بمثابة أساس ديني وثقافي وفولكلوري»^(٢).

«وبمعزل عن مناقشة الخلفيات التي قادت اليهود في تلك الفترة إلى الحكم بشكل متطرف على فشل حركة التنوير اليهودية (المسكالاه)*، ثم فشل

* معاداة السامية: اصطلاح يستخدم عادة للدلالة على «معاداة اليهود» وحسب.

** المسكالاه: كلمة عبرية تعني «التنوير»، وتطلق على الحركة الثقافية الاجتماعية اليهودية التي ظهرت خلال القرن الثامن عشر على يد موسى مندلسون متأثرة بعصر التنوير الأوروبي، وهي تميز بداية التاريخ الحديث لليهود في أوروبا. كانت تسعى لتقريب اليهود من ثقافة الشعوب الأخرى وإخراجهم من انغلاقهم على ذاتهم. لاقت معارضة شديدة من اليهود المتشدددين دينيا لدى انتقالها من غرب إلى شرق أوروبا.

الانصهار في الشعوب الأوروبية، نستطيع القول بأن واقع اليهود التاريخي أثبت، ومازال يثبت - وخاصة في غرب أوروبا وأمريكا - أن انعتاق اليهود وانصهارهم قد تم بسرعة ونجاح مذهلين، إلا أن الصهاينة لم يتقبلوا هذا النجاح التاريخي النسبي، لأنهم كانوا منشغلين بترقب نجاحهم في خططهم للعودة إلى (أرض الميعاد) والخلاص الأبدي»^(٣).

ومايعيننا هنا، في المقام الأول، هو أن نشير إلى أن المنصهرين كانوا بعيدين عن عالم التقاليد اليهودية، وكانت الصورة المثلى أمامهم هي أن يكونوا شعبا على غرار الشعوب التي انصهروا فيها.

ويقول المفكر الصهيوني جرشوم شوكن في معرض تحليله لمدى تحقيق الصهيونية لأهدافها حول هذه المسألة:

«لقد كان اليهود في نهاية القرن التاسع عشر مختلفين عن اليهود في سائر الأجيال السابقة. وقد مر كل اليهود الذين استهوتهم الفكرة الصهيونية بمرحلة الانعتاق. أو كانوا على الأقل في ذروة هذه المرحلة. وكان كل الزعماء اليهود الذين نادوا بالفكرة الصهيونية وكرسوا أنفسهم لتحقيقها، أشخاصا تخلصوا - وابتعدت غالبيتهم تماما - عن الإطارات التقليدية لحياة اليهود قبل عصر الانعتاق ويمكن أن نقول بالنسبة لكثيرين منهم - خاصة المهيمين من بينهم - أنهم انصهروا بين الشعوب. ولم تكن الفكرة الصهيونية عند أي منهم مرتبطة بتطلعات للعودة إلى صور الحياة التقليدية لليهودية، ولم يجيبوا عن المشكلة اليهودية وفقا لأنماط السلوك اليهودية التقليدية، بل وفقا لأنماط السلوك المعاصرة الخاصة بالشعوب التي عاشوا بينها»^(٤).

وهكذا، فإن العصر الحديث خلق منطقة خالية في السور الذي تم فتح ثغرة كبيرة فيه، واستطاع اليهود أن يخرجوا من خلالها، وأن يزجوا عن كاهلهم مجمل الشرائع الدينية (٦١٣ شريعة).

و«قد انقسم الجمهور اليهودي خلال فترة قصيرة بين أولئك الذين يحرصون على الشرائع ، وأولئك الذين لا يحرصون عليها . ولم تستطع فكرة (العهد بين الله وشعبه المختار) أن تظل راسخة بين أولئك الذين تبخر الأساس الديني في يهوديتهم ، وتراجعت سلسلة المفاهيم التي خلقها (الجيليتو اليهودي) في مواجهة العالم غير اليهودي ، حينما اتضح أن أبواب هذا العالم مفتوحة على مصاريحها أمام الجماهير المتدفقة إلى أسوار العلمانية والتحديث . وهكذا جاء مؤسسو الصهيونية ، من بين صفوف اليهودية العلمانية المنصهرة ، التي سعت إلى طرح حل علماني - دولة يهودية - لتلك الطائفة الجديدة»^(٥) .

ومن هذه الناحية ، فإن هرتسل يعتبر نموذجا لجيل كامل من اليهود المنصهرين الذين شقوا طريقهم إلى الصهيونية . وقد كانت «معاداة اليهود» بالنسبة لهرتسل ، كما كانت لدى بنسكر ونوردאו هي بمثابة الدافع ، ولكنها ما أن مارست فعلها حتى حدثت صحوة فخر «بالإرث اليهودي» ، لم تكن أسسها ومبادئها متدفقة بما فيه الكفاية لدى هؤلاء الزعماء .

ومن هنا نبغ الحل الذي اقترحه هرتسل بشأن الشعب الجديد الذي سوف يتشكل في دولة اليهود . إن اليهود الجدد سوف يخلقون مجتمعا مثاليا متميزا عن طريق التسامح والعدل الاجتماعي ، ولن ينسوا «توجهات العالم» . إنهم سوف يكتسبون العادات الدولية نفسها التي تتيح إقامة «فنادق إنجليزية في مصر ، وعلى رؤوس الجبال في سويسرا ، ومقاه فييناوية في جنوب أفريقيا ، ومسارح فرنسية في روسيا ، وأوبرات ألمانية في أمريكا ، والبيرة البافارية المشهورة بأنها أفضل الأنواع في العالم في باريس .

ويوضح هرتسل ماكتبه بقوله : «لدى خروجنا من مصر مرة أخرى ، لن

نسى خلفنا قدر اللحم»*. إن اليهود سيكونون أوروبيين . إن اليهود سوف يهجرون التجارة التافهة ، وهي المهنة التي أثار العمل فيها غضب المعادين للسامية . إن هرتسل لم يثر ضد نماذج المعادين للسامية ، لأن تجربة الحضارة الأوروبية المتطورة والمعاصرة ، من خلال المتاجر الضخمة ، قد أثبتت أنه يمكن الحيلولة دون قيام التجارة التافهة المكروهة في دولة اليهود : إن دولة اليهود سوف تخلص أوروبا من مشكلة اليهود فيها ، وسوف تخلص اليهود من مشكلتهم . . إن دولة اليهود سوف تصبح بمثابة سويسرا صغيرة في قلب الشرق الأوسط . والصفة المتميزة الرئيسية فيها سوف تكون سكانها ، لأنها سوف تكون «دولة اليهود»^(٦) .

وقد كانت «الأرض القديمة الجديدة» الخاصة بهرتسل ، عبارة عن دولة ليست ملامحها اليهودية واضحة . وقد عبرت هذه اليوتوبيا العاطفية والرومانسية تعبيرا أدبيا عن رغبة اليهودي الجديد ، في أن يرفع عن كاهله عبء ماضيه وأن يشق طريقا جديدا إلى أسرة الشعوب .

«ومن هنا نستطيع أن نفهم ذلك التأكيد الكبير الذي وضعه آباء الصهيونية على مصطلح «الطبيعية» normalization . . فإذا لم يكن هناك أمل في أن يكون اليهودي كأي إنسان في المجتمع الذي يعيش فيه ، فإن عليه أولا (أن يكون مثل سائر الشعوب) . ومن هنا أيضا التأكيد على قانون الشعوب ، وعلى ضرورة أن تكون (العودة إلى صهيون) معترفا بها من هذه الشعوب . وهكذا فإن الباعث الصهيوني الأول قبل أن تضاف إليه دوافع أخرى ، كان بالفعل ردا عمليا على رغبة (الانصهار في الشعوب) ، التي أجهضت»^(٧) .

* قدر اللحم : تعبير توراتي يدل على تحسر بني إسرائيل على أيام الرخاء التي نعموا بها خلال إقامتهم في مصر ، وقبل خروجهم منها على يد موسى : «وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا حتى الشبع» (الخروج ١٦ : ٢) .

وقد كانت هذه النتائج التي توصل إليها هرتسل ورفاقه تنطلق من تحليل ظروف الواقع اليهودي في غرب أوروبا، وهو ما طرحه في «الصهيونية الهرتسلية»، التي عرفت فيما بعد «بالصهيونية السياسية»، كحل لما يسمى «بالمشكلة اليهودية» في العالم. وقد كانت هذه النتائج لا تتفق مع الواقع اليهودي في شرق أوروبا، الذي كان مختلفا، إلى حد كبير عن واقع يهود غرب أوروبا، مما حدا بالمفكرين الصهاينة في شرق أوروبا لمهاجمة هرتسل ونقد ما ورد في كتابيه «دولة اليهود» و«الأرض القديمة الجديدة». وقد وصل الأمر إلى حد الصدام بين هرتسل من ناحية، وأحد همام المفكر الصهيوني الشرقي الأوروبي الذي هاجم صهيونية هرتسل بعنف، من ناحية أخرى، مما كشف عن الفروق الجوهرية في القضايا الصهيونية، بين صهيونية الغرب الأوروبي وصهيونية الشرق الأوروبي، وهي الفروق التي أفرزت، فيما بعد، منابع القومية اليهودية الحديثة^(٨).

«لقد هجر معظم اليهود من أسوار الجيتو في الغرب، التقاليد اليهودية التي صادفت العالم اليهودي بين جدران (الجيتو)، وسعوا لترسيخ جذورهم في بيئتهم: عن طريق الانصهار، وعن طريق إقامة معابد إصلاحية، وعن طريق الزواج المختلط وتغيير الدين»^(٩).

ولذلك لم يكن لعدد كبير من مؤسسي الصهيونية، أي اهتمام باليهودية، بل إنهم أظهروا عدااء ملحوظا لأفكارها ولممارساتها. ومن أمثلة ذلك أن تيودور هرتسل (١٨٦٠ - ١٩٠٤م)، مؤسس الصهيونية السياسية عندما زار القدس انتهك العديد من الشعائر الدينية اليهودية، ليؤكد تميز نظرتة اللادينية عن العقيدة الدينية. وكان ماكس نورداو (١٨٤٩ - ١٩٢٣م)، الكاتب الألماني والزعيم الصهيوني وصديق هرتسل المقرب، ملحدا يجهز بالإلحاد، كما كان مؤمنا بأن التوراة «تعتبر كعمل أدبي أقل من أعمال هوميروس والكلاسيكيات

الأوروبية»، وبأنها (طفولية كفلسفة، ومقززة كنظام أخلاقي)، بل إنه وصل إلى حد القول، بأنه سيأتي يوم يأخذ فيه كتاب هرتسل - دولة اليهود - وضعاً مساوياً لوضع الكتاب المقدس، حتى لدى خصوم المؤلف من المتدينين^(١٠)، و«حينما سئل عن مستقبل السبت وعن رأيه باستبداله بيوم الأحد، على عادة الشعوب الأوروبية، لم يرفض هذا الاحتمال»^(١١).

ويقول المفكر اليهودي جي نوويرجر، الذي أمضى حياته في مكافحة الصهيونية: «كانت الصهيونية منذ بداية عهدها نتيجة للأسامية ومنسجمة معها، ذلك أن لها هدفاً مشتركاً هو جمع يهود العالم في الدولة الصهيونية، أي استئصالهم من المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها مئات الأعوام ولربما ألوفها. وهكذا حل محل ولاء اليهودي لربه، ولاؤه للدولة الصهيونية. أما الإيمان بالتوراة وأداء الالتزامات والواجبات الدينية فهو في نظر الصهيونيين مسألة شخصية وليس واجباً مقدساً على كل يهودي، أو على الشعب اليهودي كمجموع»^(١٢).

أما في شرق أوروبا فقد تم اقتحام «حدود الاستيطان اليهودي»^{*}، عن طريق عدد آخذ في الازدياد من الشبان اليهود ممن تمردوا على عالمهم القديم ورفضوا راية التمرد ضد المؤسسة الحاكمة. ولكن الاقتحام لم يكتمل، نظراً لأنه لم تكن هناك بالفعل - على الرغم من اتجاهات التشبه بالروس - أية استعدادات لاستيعاب اليهود المتنورين والأحرار. ولذلك، وبلا خيار تقريباً، توجه جزء من جهد وإمكانات هؤلاء الشباب الديناميين إلى الحركات الثورية صاحبة البشري الاشتراكية والعالمية.

وعلى غرار هرتسل وأصدقائه، تأثر أيضاً يهود شرق أوروبا من رفض العالم

* حدود الاستيطان اليهودي: اصطلاح يطلق على المناطق التي كان يقيم فيها اليهود في روسيا، وتسمى بالعبرية «نحوم هموشاف».

غير اليهودي فتح أبوابه أمامهم . ولكن الرفض كان في شرق أوروبا مزدوجا : رفض حكم القيصر - على غرار ماحدث في رومانيا - منح اليهود المساواة في الحقوق على غرار ذلك الذي حظي به إخوانهم في الغرب ، ورفض قطاعات ليست قليلة في الحركة الثورية النظر إلى اليهود كشركاء متساوين وإخوة في النضال . وقد صاحب هذا الرفض - بخلاف ماحدث في الغرب - اضطرابات ومذابح ، وصلت بعد مقتل القيصر الكسندر الثاني (١٨٨١) ، إلى أبعاد هزت الطبقة المثقفة اليهودية من الأعماق ، ودفعتها إلى الحركة الصهيونية .

وبالإضافة إلى ما سبق ، فقد كان هناك فارق أساسي آخر بين الشرق والغرب : فبالنسبة لليهود في رومانيا وروسيا وبولندا - الاحتياطي اليهودي الكبير الذي سوف تستقي منه الحركة الصهيونية عنفوانها وقوتها فيما بعد - لم يكن المعبد عبارة عن ذكرى طفولة كثية ، بل واقعا تصارعوا معه ولم يقدرُوا عليه . لقد كانت الثقافة اليهودية معروفة بالنسبة لهم ، بكل أبعادها ، وتعبيراتها وصلواتها ، ولم تكن اللغة العبرية لغة غريبة على آذانهم ، وكانت الـيـديش* هي لغة غالبيتهم . وكانت فلسطين بالنسبة لهم هي مراد كل أولئك الذين لم ينسوا أو لم يشاءوا أن ينسوا ، ماتلقوه من دراسة في فترة طفولتهم (جيرسا دينكوتا) .

لهذه الأسباب فإن الفروق كانت كبيرة بين يهود الشرق ويهود الغرب في القضايا الأساسية للصهيونية . فبالنسبة للصهيوني في شرق أوروبا ، كانت مشكلة ماهية اليهودية قضية تحظى باهتمام خاص . لقد حدث في الشرق

* الـيـديش : لهجة أو رطانة ألمانية جنوبية كان يستخدمها يهود شرق أوروبا . وهي خليط من المفردات الألمانية (٨٥٪) والمفردات السلافية والعبرية (١٥٪) وتكتب بحروف عبرية . كانت لغة المثقفين اليهود في القرن التاسع عشر . أسهم الاندماج اليهودي في دول غرب أوروبا في القضاء عليها هناك ، ولكنها مازالت مستخدمة بين يهود شرق أوروبا واليهود المتشدددين دينيا من طائفة الحسيدية في أمريكا وفي بعض أحيائهم في القدس .

بداية ترسيخ الجذور في العالم غير اليهودي، وكانت ملموسة فيها كذلك - وعلى الأخص بين طبقة المتنورين (المسكيليم)* - تلك الرغبة الهائلة لأن يكونوا شعبا بالمعنى المزدوج للكلمة، وأن يتخلصوا من الإذلال عن طريق التحول إلى «شعب كسائر الشعوب». إن جابوتنسكي Jabotinsky، وكلاتسكين Klatzkin، وبرديتشيفسكي Berdichevski وبرينر Brenner وبنسکر Leo Pinsker كانوا جميعا من يهود شرق أوروبا، وقد عبرت أقوالهم تعبيرا قويا عن هذه الرغبة. وفي مقابلهم، أفرز يهود غرب أوروبا أشخاصا أمثال مارتن بوبر Martin Buber ويهودا ماجنس Judah Magnes، اللذين وضعوا في مقدمة اهتماماتها الجانب القيمي والثقافي للقومية اليهودية. وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك فارق موضوعي بين المجموعتين اليهوديتين، على الأقل بالنسبة للغالبية العظمى من اليهود.

والحقيقة هي أن صهيونية شرق أوروبا لم تكن ذات توجه واحد، حيث نشبت داخلها خلافات حول معظم القضايا. وكانت التوترات الداخلية والانشقاقات والاختلافات الإيديولوجية سمة مميزة دائما للتاريخ الصهيوني. لقد جاء من شرق أوروبا رجال «اليسار الصهيوني»، وكان من بينهم من نظر إلى الصهيونية باعتبارها الطريق اليهودي نحو الثورة العالمية. ومن هناك جاء أيضا رجال «الصهيونية العملية»، مؤسسو الاستيطان وبناء الدولة، وكذلك أيضا رجال «المركز الروحي» من مدرسة آحد هعام، وجاءت أيضا من شرق أوروبا «الصهيونية الدينية»، وكذلك التيار العلماني المعروف، الذي كفر بكل ما هو مقدس لدى المؤمنين بالدين اليهودي. لقد انقسم صهيونيو الشرق بين الإقليميين الذين كانوا يرون أن حل ضائقة اليهود في أي مكان متاح، هي

* المسكيليم: أتباع حركة التنوير اليهودي «الهسكالاه»، وتعني «المثقفون - المتنورون».

القضية العاجلة عن قضية «العودة إلى صهيون»، وبين أولئك الذين قدسوا اسم «فلسطين» (إيرتس إسرائيل) قولاً وعملاً، وكان من بين صفوفهم أنصار هرتسل ومواصلو طريقه، من ناحية ونقاده وأعداؤه العنيفون، من ناحية أخرى.

وبالفعل، فإنه وفقاً لهذا المفهوم فإن التقسيم على أساس الشرق والغرب لا يعكس بشكل صحيح المناقشة التي دارت بين الصهيونيين على اعتبار أن هناك جناحاً يرى أن الصهيونية هي الحل لمشكلة اليهودية، وجناحاً آخر في مواجهته ينادي بها على اعتبار أنها حل لضائقة اليهود، وأن الفارق بينهما يكمن في اختلاف القضية.

لقد اندفع يهود الشرق مباشرة من التقاليد اليهودية المغلقة إلى عالم الثورة من ناحية، وإلى الصهيونية من ناحية أخرى. ولذلك فإن الصهيونية، كان من شأنها منذ البداية أن تملأ الفراغ الذي نشأ نتيجة التمرد على التقاليد، من ناحية، ونتيجة خيبة الأمل من الثورة الاشتراكية، من ناحية أخرى. وقد كان الصدام مع المؤسسة الحاخامية ومع التقاليد اليهودية في شرق أوروبا متناقضاً تماماً مع ذلك الهدوء الذي ميز اليهود المنصهرين في فرنسا وإنجلترا وألمانيا والنمسا وهنغاريا. وبالفعل، فإن الصدام مع هذه المؤسسة لم يؤد فقط إلى نشأة أدب «المسكالا» وإلى ظهور الثوريين اليهود، الذين ضحوا بحياتهم في سبيل عالم الغد الوهمي، بل أعطى ثماره في الصهيونية. وقد كانت النتيجة التي ترتبت على ذلك، هي أنه لم يكن كافياً بالنسبة للصهيونيين من شرق أوروبا - أو على الأقل بالنسبة لجزء كبير منهم - ممن حصلوا على حريتهم بثمن غال من التمرد على التقاليد، نقل النموذج البعيد الأوروي الغربي، إلى المجتمع اليهودي الجديد، لأن مسألتهم المضمون والهوية كانتا على رأس اهتماماتهم.

كان هذا هو الفارق المضموني بين الصهيونية الغربية على طريقة هرتسل ، والتي تسعى إلى نقل أوروبا الليبرالية مع يهودها إلى منطقة إقليمية ، وبين الغالبية العظمى من صهيونيين الشرق الأوروبي ، الذين تصارعوا مع التقاليد ، والذين سعوا إلى هدم المجتمع اليهودي القائم على المؤسسات الدينية ، وتقديم بشرى اجتماعية جديدة عن طريق هجرة اليهود إلى فلسطين .

لقد ظهرت صهيونية شرق أوروبا من خلال الصراع مع إرث الماضي ، وولدت فيها ونمت التيارات التي أثرت فيما بعد على الاستيطان العبري في فلسطين وعلى دولة إسرائيل : «أرض إسرائيل العاملة» و«التوراة والعمل» ، و«دين العمل» ، و«المركز الروحي» ، و«إحياء اللغة العبرية» . وقد نشأت هذه الشعارات التي تبلورت في داخلها رؤى أيديولوجية ، بسبب التمرد اليهودي الذي هدم سور «التقاليد الشتاتية» سعياً نحو البحث عن هويته في عالم جديد .

وهكذا نرى كيف حدث في الأيام الأولى للصهيونية ، تناقض غريب على النحو التالي : لقد كان هناك من ناحية ، الصهيونيون في غرب أوروبا وعلى رأسهم هرتسل ، وكانت الخلفية اليهودية التقليدية لديهم ضئيلة للغاية ، ولا يرون أي صعوبة في التعايش مع الدينين ومع تقاليد الماضي ، حيث يوجد في المجتمع العلماني الغربي المتقدم مساحة مخصصة للدين وللتقاليد . ومن ناحية أخرى ، في المقابل ، الصهيونيون في شرق أوروبا ، وقد انقسموا بين أقلية دينية تقليدية ، وأغلبية متمردة على التقاليد اليهودية .

وقد تحرك موقف العلمانيين في شرق أوروبا تجاه اليهودية التقليدية ، من الرفض المطلق للتعليم الذي تلقوه في طفولتهم ، في محاولة لترجمة قيمها إلى لغة جديدة ، وإلى الاستعداد للتوصل إلى تسوية معها لأسباب سياسية مجردة . وقد

ثار الصهيونيون العلمانيون في الشرق ضد تسويات هرتسل مع الصهيونيين الدينيين . وعلاوة على ذلك ، فإنه اعتبارا من المؤتمر الصهيوني الثاني فصاعدا بدأت مسألة «العمل الثقافي» تثير عاصفة في الحركة الصهيونية ، وصلت إلى ذروتها بانسحاب أعضاء الجناح الديمقراطي «زعامة وايزمان وموتسكين من المؤتمر الصهيوني الخامس . وكان موضوع «الثقافة العبرية» الصهيونية الحديثة بالنسبة لوايزمان ورفاقه موضوعا حيويا وجزءا لا يتجزأ من النشاط الصهيوني ، على حين كان هذا الموضوع بالنسبة لهرتسل ، موضوعا هامشيا ، يمكن التوصل إلى اتفاق بشأنه مع الصهيونيين الدينيين من الشرق ، ممن كان يعتبر التعاون معهم أمرا حيويا من الناحية السياسية . وهذا التناقض على هذا النحو يمكن توضيحه على ضوء الموقف الأساسي للصهيونية الغربية الذي كان على النحو التالي :

حيث إن اليهود هم «شعب كسائر الشعوب» ، فإنه على غرار (إن لم يكن على النحو الأكمل) ، النموذج الأوروبي التقدمي ، يمكن منح كهنة الدين المكان الجدير بهم ، أي في النطاق المحدود الذي حدده لهم هرتسل على غرار الثكنات العسكرية ، والتعامل معهم باحترام وأدب على النحو الذي يستشف من شريعة التقدم الغربي^(١٣) .

وهكذا تصور عدد من أوائل المفكرين السياسيين للصهيونية ، اعتبارا من هرتسل ، أنه ما أن يكون بمقدور الدولة اليهودية أن تجمع كل أولئك اليهود الذين لا يريدون أو غير قادرين على أن يجدوا لأنفسهم مكانا في بلادهم الأصلية ، فإن سائر اليهود الآخرين سوف يندمجون في بيئتهم التي ولدوا وتربوا فيها . أما الدولة اليهودية ، التي لن يكون لها اهتمام باليهود خارج حدودها ، فإنها سوف تطور لنفسها هوية قائمة بذاتها ، مع الارتباط بمرحلة سابقة من الثقافة اليهودية ، أو ما قبل اليهودية . وقد ردد هذه الفكرة يعقوب كلاتسكين

(١٨٨٢ - ١٩٤٨)، وهو باحث وفيلسوف، وذلك خلال العشرينيات من هذا القرن، وكذلك أرثر كوستلر خلال أواخر الأربعينيات، وجورج فريدمان عالم الاجتماع الفرنسي اليهودي، خلال الستينيات^(١٤).

وعلى أية حال، فقد كان مؤسسو الصهيونية السياسية أساسا من اليهود العلمانيين، ولم يكن حلهم المطروح هو إحياء لنظام قديم، بل تأسيس لدولة عصرية لها سمات مفهوم القومية السائدة. وقد تأثرت الصهيونية بالتغيرات الكبيرة التي حدثت في أوروبا، مع تقلص دور الدين، وازدياد المفاهيم العلمانية.

«وقد لعب الدافع الديني دورا هامشيا في الفكر الصهيوني السياسي، فيما عدا الارتباط بـ«أرض إسرائيل»، الذي يعتبر أصله، بلا جدال، أصلا دينيا. وكان آباء الصهيونية من العلمانيين يرون أن «أرض إسرائيل» إنما هي ملاذ لليهود من الشقاء الذي يعانونه في البلاد الأجنبية، أي أنها خلاص دنيوي وقومي، ولم يكونوا ييغون أن تكون الدولة اليهودية قائمة على تعاليم «الهالاخاه» (الشريعة اليهودية)، أو أن تمهد الطريق لمملكة السماء على الأرض. وقد تبعت الصهيونية الدينية خطى الصهيونية العلمانية، وسعت إلى البحث عن الجوانب الإيجابية فيها، ولكنها لم تحاول توجيه المشروع الصهيوني نحو اتجاه معين، وفي أفضل الأحوال، كانت الأوساط الدينية تجد عزاءها في إمكان تنفيذ الدولة اليهودية لتعاليم «الهالاخاه» مع مرور الزمن، وربما تمهد الطريق لمجيء «المسيح المخلص» على الرغم من أنها ليست شرطا مسبقا أو مسببا لذلك»^(١٥).

و«من هنا، فإن إحدى القوى التي غذت الحركة القومية اليهودية كانت تقاليد «المسيحانية اليهودية». لقد كانت هذه القوة تتفجر من حين لآخر

خلال القرون السابقة، مع ظهور من كانوا يسمون «المسحاء الكاذبين»، الذين عبر نجاحهم عن الإيمان الذي لا يهتز لدى الجماهير اليهودية بنهاية «المنفى» الآن أو بعد فترة من الزمن، عن طريق الخلاص الإعجازي. ولكن التأكيد كان على كلمة «الإعجازي». وكان موعد الخلاص وفقا للتقاليد أمرا متروكا للإرادة السماوية، ويمكن استعجاله إذا كان هذا الأمر متاحا بالفعل، بالوسائل الروحانية فقط. وقد استبدلت العقيدة الإعجازية الخاصة بالخلاص في العصر الحديث بالعمل الإنساني من أجل الخلاص، ليس فقط على يد مفكرين علمانيين، بل أيضا عن طريق حاخامات أرثوذكسين معينين، انفعلو من الأحداث التي أدت إلى الانعتاق السياسي، واستنتجوا منها أن إرادة الرب تتطلب من اليهود أن يكون مصيرهم بيدهم هم أنفسهم^(١٦).

ولقد تصور الصهيونيون الدينيون وأملوا في أنه عن طريق العودة إلى الوطن اليهودي وإقامة مجتمع يكون يهوديا خالصا، سوف تتلاشى آليا كل الأمراض التاريخية التي التصقت بالشخصية اليهودية. وكانوا يأملون في إعادة بناء طائفة يهودية في فلسطين، لا تتعرض لتأثيرات الاندماج والإصلاح الديني. وقد دعا إلى هذه الفكرة الحاخام عقيبا يوسف شلزينجر من مدينة براسبرج الذي كان قد أصابه اليأس من الصراع ضد ما بدا في نظره أنه زوال مطلق للحياة اليهودية في أوروبا. وقد هاجر إلى فلسطين في عام ١٨٧٠، من أجل أن يقيم فيها طائفة تكون بمعزل عن الأخطار المعاصرة. وكان يسعى إلى ما هو بمثابة «مجتمع أخوة» (ميسدر) يزود نفسه باحتياجاته عن طريق العمل اليدوي والزراعة والصناعة، ولكنه يتمسك في كافة النواحي الأخرى بطريقة الحياة الدينية الأرثوذكسية.

وقد أثار شلزينجر معارضة بين زعماء الطائفة الدينية القديمة في فلسطين التي كان النموذج المثالي لها هو حياة الانغلاق، المكرسة للصلوات ودراسة

التوراة، وكانت تتلقى الدعم من اليهود المتدينين في أرجاء العالم، ولكن هذا الأمر لم يجعل شلزينجر أو الصهيونيين الدينيين الآخرين يتراجعون عن إيمانهم بأن حركتهم الجديدة - وإن كانت تبدو متناقضة مع أسس معينة من التقاليد - ستؤدي في نهاية الأمر إلى إصلاحها. وفي نظرية الحاخام إسحق هكوهين كوك كانت هذه العقيدة تستند إلى «المسيحانية» بالفعل.

لقد رأى الحاخام كوك، الذي كان تلموديا بارعا، ومن الصوفيين الأصوليين، أن الخلاص القومي اليهودي هو الخطوة الأولى من أجل الروحانية التي تنسبها التقاليد اليهودية إلى عصر «المسيح المخلص». وقد دعا الحاخام يهودا فيشمان ميمون، على النسق نفسه، إلى العودة لإقامة المؤسسة القضائية القديمة «السنهدرين»، وهو الاقتراح الذي أيده الحاخام كوك تأييدا بتحفظ. وعلى الرغم من أن هذا الاقتراح بدا وكأنه يرنو إلى غاية عملية، فقد كان من الواضح أن مقترحه كان مدفوعا إليه من خلال تطلعات شبه مسيحية، حيث إنه شعر بأن إعادة إقامة المجتمع اليهودي في فلسطين القديمة هو أمر لا يكتمل دون إقامة المؤسسات نفسها التي كانت تدير شؤون الطائفة في العصور القديمة.

وقد انضم كثيرون من هؤلاء المسيحيانيين إلى الحركة الصهيونية وعرفوا بـ«المسيحانية الجديدة» شبه العلمانية، وبمعزل عن الانتفاضات المسيحانية بين المسيحية الجديدة، فإن الصهيونيين الدينيين علقوا آمالهم في التجدد اليهودي على تقديرهم لتأثير الانعتاق السياسي على مواقف اليهود تجاه الدين والتقاليد. لقد كان الانعتاق السياسي يعني الاندماج، والاندماج معناه الهرب من الحياة اليهودية التقليدية في أرجاء الغرب. وقد طرح الصهيونيون الدينيون بدلا من الانعتاق السياسي، انعتاقا ذاتيا، أي اتجاها نحو التحرير الداخلي يعيد إليهم - بالإضافة إلى إعادة الاستقلال السياسي لليهود - طابعهم الديني

الأصيل . وبطبيعة الحال ، فإن تطلعات الدينين لم تكن إلا بمثابة أشواق رومانسية للماضي الذي انقضى ، وخاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أن الصهيونيين العلمانيين باعتبارهم من مثقفي جيل «المسكالة» (التنوير اليهودي) سابقا ، واشتراكيين ، وناقدين لاذعين للتقاليد اليهودية ، كانوا ينظرون إلى العودة إلى الوطن القديم على أساس أنها بداية جديدة تماما ، معناها هجر كل ما علق بالحياة اليهودية في الشتات اليهودي^(١٧) .

إن القارئ لفكر هرتسل ، ودعاة الصهيونية الآخرين ، يصطدم بين الحين والآخر ، بعبارات تنضح بالعواطف الدينية ، وتؤكد على الإيمان بطريق الآباء والأجداد ، والحنين إلى «أرض التوراة» ، كما تكثر في خطب هؤلاء الاقتباسات التلمودية ، مما يوحي ببعض التناقض واللبس مع ماتيين لنا من علمانية هؤلاء القوم دعاة الصهيونية . فإذا علمنا أن هذه الاقتباسات والتصريحات الرنانة كانت من أساليب دعاة الصهيونية التي تطلعت إلى الاستثمار الأقصى للدين ، واستغلال القيمة الدعائية ، والرصيد العاطفي الذي تمتلكه العقائد الدينية عادة ، في سبيل أهداف الصهيونية ، زال اللبس واختفى التناقض .

إن من يتتبع أفكار دعاة الصهيونية السياسية ، يجد أن هؤلاء كانوا يرون أن هناك دورا مرسوما للدين ورجالاته في الحركة الصهيونية عليهم القيام به^(١٨) . يقول هرتسل في كتابه «الدولة اليهودية» الذي صدر عام ١٨٩٦ م :

«سوف يقوم حاخامونا ، الذين تتوجه إليهم بنداء خاص ، بتكريس جهودهم وطاقاتهم لخدمة فكرتنا ، وسوف يغرسونها في نفوس الرعية اليهودية عن طريق الوعظ والإرشاد من فوق منابر الصلاة» .

«لن نسمح إذن بظهور أية نزعات ثيوقراطية لدى سلطاتنا الروحية ، وسوف نعمل على إبقاء هذه السلطات داخل الكنيس والمعبد . . .» .

«المتسلطون الدينيون ، إذا حاولوا التدخل في شؤون الدولة سوف يلقون مقاومة عنيدة وشديدة من جانبنا» (١٩) .

«إن المشكلة اليهودية ليست مشكلة اجتماعية أو دينية ، مع أنها في بعض الأحيان تتخذ هذين الطابعين وغيرهما ، أنها مسألة قومية ولإيجاد حل لها يجب علينا أن ننظر إليها كمشكلة سياسية دولية تجتمع الأمم المتحضرة لمناقشتها وإيجاد الحل لها» (٢٠) .

وإتماما للدور نفسه الذي رسمته الحركة الصهيونية للدين ، رفضت هذه الحركة كل المقولات الدينية التي تتعارض مع أهدافها ، فرفضت المضمون الصوفي الانطوائي للدين وفكرة انتظار مجيء «المسيح المخلص» ، وفكرة العودة إلى فلسطين عن طريق المعجزة ، وغيرها من الأفكار التي من شأنها أن تبقى اليهود قانعين بحياتهم انتظارا للمستقبل الموعد (٢١) .

وحينما واجهت الصهيونية ذات الطابع العلماني في جوهرها ، معضلة التوجه إلى الصهيونيين الدينيين من بين يهود شرق أوروبا المرتبطين بكل أسس التراث الديني اليهودي ، كان عليها أن تجد حلا يربط جسور التفاهم في النظرية الصهيونية ، بين إصرار يهود شرق أوروبا على الارتباط بكل ماهو وارد في العهد القديم بشأن «شعب الله المختار» و«الوعد الإلهي» و«الحق التاريخي» وغيرها من الادعاءات التي رسخت في الوجدان الديني اليهودي عبر العصور ، وبين الاتجاه العلماني في الحركة الصهيونية الذي نحا منحى القوميات الجرمانية والسلافية ، فوضعت الرموز والأشكال الدينية اليهودية ، التي جردت من محتواها الأخلاقي ، في خدمة القومية اليهودية . وهذه الرؤية اللا أخلاقية (التي تحل محل الإيمان الديني العميق على حين تستفيد به إلى أقصى حد) كانت دائما وسيلة شبه مؤكدة النجاح لتجميع الجماهير وقد صحت بصفة خاصة ، في

حالة الصهيونية وذلك على ضوء حقيقة أن قطاعا عريضا من أفراد الطوائف اليهودية في شرق أوروبا كانوا متدينين للغاية (حتى بالمعنى الصوفي للكلمة)، وتحقق الاندماج بين الرؤية القومية والحماس الديني العاطفي، عن طريق تحويل العقيدة الدينية الأصلية إلى أسطورة قومية .

وهكذا فإن الصهيونية، شأنها شأن الإيديولوجيات الأخرى، على الرغم من هربها من اليهودية والرفض لها سعت إلى اكتساب الشرعية وتجنيد الجماهير، باستغلال اليهودية لتضفي على نفسها صبغة دينية، ولتظهر وكأنها امتداد لليهودية وليست نقيضا لها . ومن هنا فقد لجأت الصهيونية إلى تبني الأفكار والرموز الدينية المألوفة لدى الجماهير وحولتها إلى رموز وأفكار قومية، في صياغة شبه دينية للبرنامج الصهيوني ليكون محل قبول من كافة التنوعات الاجتماعية والعرقية والحضارية والثقافية ليهود أوروبا .

ولكن كيف تكيفت الصهيونية العلمانية مع وجهة النظر اليهودية التقليدية، وبالتالي كيف قبلت اليهودية التقليدية هذا التفسير وكيفته مع عقائدها، بحيث أصبحت، هناك داخل الصهيونية العلمانية، صهيونية دينية، وصهيونيون دينيون، مما أدى إلى نشوء علاقة وثيقة بين الصهيونية والدين اليهودي .

لقد رأت الصهيونية العلمانية أن الشعب اليهودي، هو شعب في كل شيء وأن دينه هو أحد التعبيرات عن مضمون هذا الشعب، وأحد مظاهر شخصيته، أي أن الدين ليس هو رؤيا الجميع، لأنه لو كان كذلك لضاع ذلك الأساس القومي العلماني الذي قامت عليه الإيديولوجية الصهيونية، ولما كان من الممكن عرض الفكرة الصهيونية على المعسكر الكبير، العلماني في أساسه، والذي بفضلها تحولت الصهيونية إلى واقع سياسي . وهذه الرؤية للبعد

الديني على أنه أحد تعبيرات القومية اليهودية طورها ووضحها، من خلال مجادلته مع العلمانيين، المفكر الصهيوني آشير شعيانو جينزبرج المعروف باسم أحد هاعام، والتي شكلت بالفعل رؤيته الصهيونية جوهر نظريته المعروفة باسم «الصهيونية الروحية» أو «الصهيونية الثقافية»، وقد انعكست هذه النظرية في موقفه من كتاب «العهد القديم» حيث يقول:

«إن غير المؤمن، هو الآخر يهودي قومي، وليست علاقته بالكتاب المقدس علاقة أدبية فقط، بل أدبية وقومية... إن الإحساس الداخلي الذي يربطه بالعهد القديم، هو إحساس اقتراب خاص مغلف بالقداسة، أي إحساس تخرج منه آلاف الأوتار الدقيقة التي تأخذ في الاستمرار من عصر لآخر حتى أعماق الماضي البعيد»^(٢٢).

وقد تحدثت «الصهيونية الاشتراكية»، وهي التيار الرئيسي الذي فرض طابعه على «الاستيطان الصهيوني» ثم على دولة إسرائيل بصراحة عن الانعزال عن التقاليد اليهودية، على أساس أن اليهود يجددون استقلالهم عن طريق العودة إلى التاريخ القديم، مع تجاوز كل ما أنتجه الجيتو اليهودي في العالم. وقد كان هذا هو التناقض الأساسي لـ «الصهيونية الاشتراكية»، والذي تجلى في تبني فكرة «العودة إلى صهيون» التي رأت فيها «أرض اليهود» استناداً إلى «الوعد الإلهي» وهو العهد ذو المغزى الديني الواضح. وقد انحصر رد الصهيونيين العلمانيين على هذه القضية في السعي نحو إعطاء تفسير جديد للتاريخ اليهودي وجعله ذا مغزى قومي، بحيث يكون الدين إحدى صوره، والحديث عن دولة اليهود التي ستكون مختلفة عن طريق مظاهر جديدة مثل: «إحياء اللغة العبرية، وتجديد عالم المفاهيم «التناخية» (المتصلة بالعهد القديم)، والعدل الاجتماعي وفقاً لـ «نبوءة الأنبياء»، والثورة اليهودية على غرار «المكابيين» مع التخلي عن جانب التعصب الديني الذي احتوته. وهكذا

اعتبر «الصهيوني الاشتراكي» أنه وجد إجابة للمضمون الثقافي والاجتماعي للمجتمع الإسرائيلي الذي سيقام في صهيون . لقد تركوا جانباً ، يهودية الشرائع ، وحافظوا على «قيم اليهودية» ، وهو الاصطلاح الذي وصف بأنه هيولي ومحل خلاف من وجهات نظر كثيرة^(٢٣) .

ومن هنا أيضاً يأتي مفترق الطرق الذي واجهته الصهيونية : «هل ينوي شعب إسرائيل أن يعيش في دولته وفقاً لروحه الخاصة ، وأن يحى ويطور ممتلكاته القومية التي بقيت له إرثاً من الماضي ، أم ستكون الدولة مجرد مستعمرة ، أوروبية في آسيا ، مستعمرة تتطلع بعينها وقلبها فقط إلى العاصمة التي تسعى لتقليدها في كل طرق حياتها . .»^(٢٤) .

وعلى هذا الأساس فإن الفكر الصهيوني توصل إلى وجهة نظر تجمع العنصر الديني اليهودي بما في ذلك العلاقة بفلسطين «الأرض المقدسة» ، والعنصر العلماني ، بما يدعم مطالبة الصهيونيين بفلسطين ، من ناحية ، وبما يسمح بممارسة العقائد والطقوس اليهودية التقليدية من ناحية أخرى ، وبترجمتها إلى اصطلاحات قومية علمانية .

وقد عبر يعقوب سيركين ، المفكر الصهيوني عن هذا الاتجاه بقوله : «أن تكون يهودياً لا يعني اعتناق الدين أو القبول بالمعتقد الأخلاقي . إننا لسنا طائفة ولا مدرسة فكرية ، بل عائلة واحدة ولنا تاريخ مشترك . إن إنكار التعاليم اليهودية لا يضع الفرد خارج الجماعة ، كما أن قبولها لا يجعل الشخص يهودياً . وباختصار ليس من الضروري أن يؤمن الفرد بالدين اليهودي أو بالنظرة الروحية العامة لليهود لكي يصبح جزءاً من الأمة»^(٢٥) .

ومعنى هذا أن الصهيونية العلمانية نظرت إلى اليهودية باعتبارها «فولكلور الشعب اليهودي» المقدس الذي لا يمكن أن تخضع قيمه لأي نقاش أو

تساؤل . ففكرة العهد بين الله والشعب الذي منح الخالق بمقتضاه الشعب «أرض فلسطين المقدسة» ، كانت بمثابة الأسطورة الشعبية لبن جوريون، ولكنه مع هذا استخلص منها برنامجا سياسيا ، وقد قرر حدود دولته مسترشدا بمفاهيم العهد القديم التي لا يؤمن بها هو نفسه ، لأنه ملحد، ولكنه كان يتقبلها «كأساطير شعبية يهودية» (٢٦) .

إن بن جوريون ، على سبيل المثال ، لم يكن يهيمه ، إن كانت واقعة «الوعد الإلهي» حقيقة أم لا ، بل المهم أن تكون هذه الأسطورة مغروسة في الوجدان اليهودي ، ولذلك يجب أن تكون سارية المفعول ، حتى بعد أن ثبت أن الوعد المقطوع هو مجرد أسطورة شعبية ليس لها أي مصدر إلهي . وهكذا ارتكزت هذه الرؤية على أن الدين اليهودي هو التعبير عن الإجماع ، ولذلك فإنها لا ترى ضرورة لإثارة ما إذا كانت التوراة من أصل سماوي أو أرضي مادامت تعبر عن هذا الإجماع الذي يجب أن يبقى ساري المفعول .

ويشير إعلان قيام الدولة إلى هذا الاتجاه حيث ينص على مايلي :

«في (أرض إسرائيل) قام الشعب اليهودي ، ففيها شكلت صورته الروحية ، والدينية والسياسية ، وفيها عاش حياة استقلال رسمية ، وفيها أنتج تراث ثقافة قومية وإنسانية شاملة ، وأورث العالم كتاب الكتب الأبدي» .

وهكذا فإن هذه الرؤية لم تكن في حاجة إلى العلاقة التقليدية بالأرض المقدسة ، ولم تستند بشكل مباشر إلى «الوعد الإلهي» ، ولم تربط الخلاص بمجيء المسيح ، وجعلت التعبير الديني مجرد تجسيد واحد للوجود اليهودي القومي . لقد ركزت وجهة النظر هذه على المراحل ، والفترات والأحداث المرتبطة بالتاريخ اليهودي ، والتي تشغل حيزا هامشيا في الأدب اليهودي الديني ، حيث يمكن المطالبة بفلسطين عن طريق الشعب اليهودي ، كما

يمكن الاستناد من أجل ذلك على «العهد القديم» - حسبما فعل بن جوريون أمام لجنة بيل - دون أن يكون من المحافظين على شرائع الدين ودون أن يكون حتى متمسكا بإيمانه، لأنه كان يرى أن العهد القديم نفسه، هو كما ذكرنا من قبل، مجرد تعبير عن الروح القومية عند اليهود.

ومن الناحية الأخرى، نجد أن المعسكر اليهودي، بين اليهودية الدينية الصهيونية قد طور نفسه وسلم بالصهيونية العلمانية حيث اعتبر مُدُنِّي يوم السبت والكافرين بأسس العقيدة اليهودية معبرين شرعيين عن «العودة إلى صهيون» وعن شريعة توطين فلسطين، وأن المشروع الصهيوني يمكن اعتباره بداية الخلاص. وبتعبير آخر، فإنه كما أن القومية العلمانية رأت في الدين تعبيرا عن روحها، فإن الصهيونيين الدينيين رأوا في الصهيونية العلمانية تعبيرا عن اليهودية التقليدية.

وعلى هذا الأساس استطاعت الحركة الصهيونية رغم اتساع رقعة التنوعات الفكرية داخلها (دينية واشتراكية وشتاتية وسياسية وعملية وروحية مستخدمة شتى التفسيرات والتأويلات الفلسفية من الكاتنية المحدثه والوجودية والوصفية والماركسية. . إلخ) أن تصل إلى لغة مشتركة بين العلمانيين والدينيين، وأن تكسب جناحا من اليهود التقليديين في داخلها. وقد لعب هذا الجناح الديني دورا مهما في بداية الحركة الصهيونية في تشجيع هجرة الدينيين إلى فلسطين، كاحتياطي إنساني يشترك في الحركة الصهيونية، وظل حسب قول هرتسل: «السماذ الثمين الذي ينجذب البذرة الغالية للقومية ويحميها من القوى النهمه للاندماج»^(٢٧)، وقد واصل هذا الجناح دوره في الاتجاه نفسه داخل الدولة اليهودية، كشريك في كل الائتلافات الحكومية، التي قامت في إسرائيل منذ قيامها حتى الآن، مستغلا ذلك في فرض الكثير والمزيد من التنازلات من الأحزاب العلمانية.

«لقد أرادت «الصهيونية السياسية» أن تعيد إسرائيل إلى أحضان الأمم، وأن تجعل منها شعباً مثل سائر الشعوب، وكانت «الصهيونية الاشتراكية» التي وصلت إلى مواقع الصدارة في الحركة الصهيونية بعد جيل من قيامها، تريد أن تجعل شعب إسرائيل من خيرة الشعوب، وبدلاً من الاستيعاب الشخصي والقومي جاءت فكرة «اليهودية الجديدة» والزعيمة الروحية والقيمية. وبدلاً من «الاتجاه الديني» جاء «الاتجاه الاجتماعي»، وبدلاً من «العهد القديم» جاءت الفرضية الجديدة تجاه الإنسانية كلها. وأصبحت الصهيونية الاشتراكية هي البديل للرسالة اليهودية، وهي التي تحافظ على تقاليد «الاختيار المسيحاني» باصطلاحات «المسيحانية العلمانية»^(٢٨).

ولكن هل نجحت «الصهيونية الاشتراكية» - التي قادت الاستيطان الصهيوني في مرحلة الدولة في الطريق، ثم حكمت الدولة اليهودية منذ قيامها عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٧ - في تحقيق هذه الرسالة؟ إن إمنون روبنشتاين يفسر هذه المسألة بوضوح مؤكداً فشل «الصهيونية الاشتراكية» أو «حركة العمل» في تحقيق هذه الرسالة «المسيحانية العلمانية الجديدة، بقوله:

«يجب أن ننظر بعيون مفتوحة إلى فشل (حركة العمل) في خلق مجتمع مثالي، وشعب مختار وزعيم عالمي. إن حجم الفشل نابع كذلك، وربما أساساً، من حجم الطموح اليوتوبي، لأن يفعلوا ما لم تفعله أية دولة وأي مجتمع في العالم، وتحويل اصطلاحات (المسيحانية) و(نبوءة آخرة الأيام) من التقاليد الدينية إلى الواقع السياسي والاقتصادي، وتحويل الشعب المضطهد (بفتح الطاء) إلى مُخلص لأولئك الذين صلبوه. لقد فشلت حركة العمل في هذا^(٢٩).

ويحلل إمنون روبنشتاين فشل «حركة العمل الإسرائيلية» في تحقيق أهدافها وتساعد قوة الدينين في ضوء هذا بقوله:

«لقد حظيت إسرائيل بتأييد الأحزاب الاشتراكية في العالم، وظهر رؤساء حزب العمل في اجتماعات الاشتراكية الدولية، وحظوا بدعم مهم منها. ولكن بالنسبة للداخل كان هناك ابتعاد عن (دين العمل) في اتجاه الانسحاب المطلق. وتبددت نبوءة (حركة العمل) اليوتوبية في مواجهة الواقع الاقتصادي والاجتماعي الجديد. إن العمل اليدوي الذي كان من المفروض أن يكون ذروة تطور بناء الشعب الجديد، أصبح منحطا من الناحية الاجتماعية. وتبدد سحر (نبوءة العودة إلى الأرض) هو الآخر بوساطة العمل الأجير (للعمال العرب) في حقول (الاستيطان العامل). وتبدد كذلك (الحماس المسيحاني)، شبه الديني، الذي ميز حركات العمال في البلاد، وتبدد الإيمان بأن شعب إسرائيل سينقذ العالم الذي (صلبه). وبدأت تهب في معسكر (الصهيونية الاشتراكية) رياح جديدة. وقد كانت فترة ما بعد حرب ١٩٦٧ تعبيرا واضحا عن ذلك. إن صوت (الحركة من أجل أرض إسرائيل الكاملة) أصبح يدوي عاليا. وهرب كثيرون من خيرة أنصار (حركة العمل) من صفوفها وانضموا إلى (اليمن التنقيحي). ولم يعد الاستيطان يقوم بدور طلائعي وقائد، في ظل الواقع الجديد الذي نشأت فيه بروليتاريا مدنية مرتبطة بالمدينة، معظمها من أبناء الطوائف الشرقية. وانتهت بالفشل محاولة منح مضمون جديد اشتراكي لفكرة (الاختيار) و(رسالة شعب إسرائيل).

ومع غروب الإيمان الاشتراكي بدأ يحدث في المجتمع الإسرائيلي تغيير تدريجي في مجال الموقف من الدين والتقاليد. وقد تجلّى هذا التغيير، في أحداث الحرب، أو بدقة أكثر - في التفسير الذي منح لهذه الأحداث، والذي كانت أسسه موجودة بالفعل في الفترة التي سبقت الحرب»^(٣٠).

ويؤكد إمنون روبنشتاين تحليله هذا في موضع آخر فيقول:

«لقد جاء إضفاء «المغزى المسيحاني» على الصهيونية من جناحين : من الجانب الصهيوني الديني ومن اليسار الصهيوني . ولكن في الفترة التي سبقت حرب ١٩٦٧ كانت عقيدة هذين الجناحين متأثرة ومتشابكة مع وجهة النظر الواقعية واليقظة بشأن مكانة إسرائيل في العالم ، وأصبح الاهتمام بوجود الوطن ، وتقوية دعائمه وأسسهِ وإقامة سور من الأمن حوله ، على رأس اهتمامات زعماء الصهيونية بكل أجنحتها .

وقد تجلّى التغير العميق والأساسي ، الذي بدأ في الحدوث بعد قيام الدولة ، ووصل إلى ذروته في فترة مابعد ١٩٦٧ ، في غروب الفكر البراجماتي والواقعي ، وفي نمو ظواهر جديدة على هامش المجتمع الإسرائيلي هي : (المسيحانية الدينية الجديدة) ، والهرب إلى أحضان الأرثوذكسية القديمة ، وظاهرة «جيل الأنا» النفعية ، ورجال الورع الذاتي على طريقة (العالم كله ضدنا) . أما التيار المسؤول ، المتزن في علاقته بذاته ، والذي كان يعطي رأيه أيضا فيما يخص الآخرين ، فقد اختفى من الساحة وخلف وراءه صموتا ليس مفهوما» (٣١) .

ويمكن القول إن السبب الرئيسي وراء هذا التغير يكمن في تقلص الدوافع العقائدية مما جعل الاهتمام يتحول إلى الحياة اليومية التي بدت حافلة بالحرب وحوادث الحدود وخدمات الاحتياط والمصاعب الاقتصادية ، وهي عوامل أسهمت جميعها في حدوث انهيار في المجتمع الإسرائيلي ، مع ازدياد عدد اليهود النازحين إلى مختلف أنحاء العالم بحثا عن المال والحياة الهانئة ، بعد أن فقدوا ثقتهم بالصهيونية وبشعبهم .

وقد شعر بعضهم بالحاجة إلى عقيدة وأخذوا يبحثون عنها ونشأت فجوة كبيرة في عالمهم لا يملؤها إلا عقيدة بديلة سواء كانت تشكل استمرارا لسياسة

«الحركة العمالية» أو كانت عقيدة جديدة تتفق مع احتياجات إسرائيل في نهاية القرن العشرين . وخلال بحثهم هذا أعلن كثيرون منهم التوبة والعودة إلى التعاليم الدينية ، وكان القاسم المشترك لمعظمهم هو الحنين إلى الماضي والرغبة في التحرر من الشعور بالانهايار في المجتمع الإسرائيلي الحديث .

وفي مايو ١٩٧٧ ، انتهت فترة طويلة من حكم «حزب العمل» في إسرائيل واتضح بعد ذلك بأربع سنوات أن ما بدا في البداية أنه ظاهرة سرعان ماتزول أو محاولة ستبوء بالفشل ، إنها هو تغيير جذري وتحول بارز في توجه الشعب الإسرائيلي ، وكانت هزيمة «حزب العمل» في حملتين انتخابيتين (١٩٧٣ - ١٩٧٧) دليلا على أن الشعب أدار ظهره لهذا الحزب وقيمه ومبادئه^(٣٢) .

وهكذا ، فإن حرب ١٩٦٧ ، كانت بداية لظاهرة جديدة بدأت تعم المجتمع الإسرائيلي ، وهي ازدياد قوة الدينين ، الذي يمكن تفسيره ، على ضوء فشل «حركة العمل» حاملة لواء «الصهيونية الاشتراكية» في إسرائيل في تحقيق أهدافها من ناحية ، وفشل الحلف التقليدي بين الدينين والعلمانيين في إسرائيل في إطار إيديولوجية الصهيونية الاشتراكية ، من ناحية أخرى .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن هناك من يرى أن ازدياد قوة الدينين في إسرائيل إنما هي مسألة تخضع للعديد من الاعتبارات والأسباب التي من بينها التغيرات الديموجرافية التي تحدث بين السكان في إسرائيل والتي أدت إلى زيادة عددية في نسبة الدينين . ومن هؤلاء المفكر الإسرائيلي جرشوم شوكن ، حيث يقول :

«لقد ازداد القطاع الديني من السكان من الناحية العددية في أيام الدولة بسبب الهجرة الجماعية من البلاد الإسلامية الضعيفة . وفي الاتجاه نفسه أثرت كذلك الزيادة الطبيعية الكبيرة جدا لدى اليهود الدينين . ولا يمكن التنبؤ

حاليا بأنه سيحدث تغيير في هذا المجال في المستقبل . بل على العكس من ذلك ، حيث من المحتمل تماما أن تزداد الهوة اتساعا بين نسبة الزيادة الطبيعية العالية بين الدينين وبين الزيادة الطبيعية التي تقرب من الصفر لدى الغالبية غير الدينية .

ومن الممكن أن يؤدي كل هذا بمرور الوقت إلى تغيير وجه المجتمع الإسرائيلي ، ليس فقط بسبب الاستغلال الناجح للقوة السياسية عن طريق الأقلية الدينية بل بسبب التغيرات الديموجرافية التي تزيد من قوتها الكمية . ومن أجل ذلك يجب أن يؤخذ في الحسبان ، أنه على الرغم من أن مشروع الاستيطان في البلاد ، وإقامة الدولة بكل أجهزتها في المجال المادي والروحي كانت بشكل حاسم ، وفي حالات كثيرة ، ثمرة فكرة وجهود وعمل الأفراد والهيئات التي تخلت عن أطر اليهودية التقليدية وصيغت بوساطة تيارات فكرية غربية علمانية - على الرغم من كل هذا ، فإن إسرائيل قد تتطور إلى دولة تفرض فيها المؤسسات الدينية والدوائر الدينية طابعها بشكل حاسم في كل مجال من مجالات الحياة» (٣٣) .

ولكن إـمنون روبنشتاين يخالف جرشوم شوكن في هذه الرؤية فيقول :

«إن التغيير في الموقف من الدين داخل إسرائيل وبين قطاعات (الصَّبَّاريم)* لم يتجل في تغيير النسبة العددية بين الدينين المحافظين على

* الصباريم : كلمة في صورة الجمع مفردا «صَبَّار» (التين الشوكي) . وقد أخذت هذه الكلمة مدلولاً اجتماعياً في المجتمع الإسرائيلي يعني ذلك الجيل من اليهود الذي ولد أو تربى في فلسطين قبل قيام الدولة وبعده . ويمثل «الصَّبَّاريم» أو «السابرا» نحو ٣٥٪ من مجموع سكان إسرائيل ، وقد حلوا جزءاً من مشكلة تعدد الأصول الحضارية في هذا المجتمع ، حيث يشكلون كتلة منسجمة ثقافياً واجتماعياً . ويعتبرون بمثابة الامتداد الحضاري والسياسي والسيكولوجي للجيل الأشكنازي (يهود الغرب) ، ويمثلون احتياطي السلطة في إسرائيل الآن بعد انتهاء دور جيل المؤسسين ، ويشكلون نموذجاً يهودياً هو «العبري الجديد» المتخلص من كل أمراض وعيوب يهودية الشتات .

البلاد الإسلامية، والتي احتوت في داخلها على جمهور كبير من المحافظين على الشرائع، وعلى الرغم من نسبة التوالد العالية بين الأسر الدينية، فقد ظلت بوجه عام النسبة ثابتة بين هذه القطاعات. ويمكن أحد أسباب هذا الأمر - وأن لم يكن السبب الوحيد - في النسبة الثابتة التي تحصل عليها الأحزاب الدينية في الكنيسة، اعتبارا من الكنيسة الأولى وحتى الكنيسة الحالي. وعلاوة على ذلك، وعلى الرغم من كل الادعاءات بشأن (الصحة الدينية)، فليست هناك أية دلائل وحقائق تشير إلى ازدياد حجم القطاع الديني. كذلك فإن البيانات الخاصة بعدد التلاميذ في التعليم الديني لا تشير إلى هذا التحول» (٣٤).

وتكمن وجهة نظر روبنشتاين بشأن ازدياد قوة القطاع الديني في رفض الموقف العلماني للأحزاب الاشتراكية الصهيونية من ناحية، وتغير وجهة النظر من بعض المفاهيم الصهيونية مثل «رفض المنفى» وتقاليده وتاريخه، وهي من المضامين الرئيسية في «الصهيونية الاشتراكية»:

«إن التغيير التدريجي في الموقف من الدين لم يتجل في إحياء الإيمان، بل في الاتجاهات الشكوكية تجاه الكفر الذي عبرت عنه الصهيونية العلمانية، وبصفة خاصة أجنحتها الاشتراكية، تجاه الأساس الديني التقليدي وقوته الدائمة. وبالإضافة إلى الإيمان الذي تصدع في عالم الثورة ونبوءة العدل الاجتماعي، تقوضت كذلك الثقة في وجهة النظر العلمانية القومية حسبما عبر عنها زعماء الصهيونية.

وعلاوة على ذلك، فإن رفض ما يسمى «المنفى» ورفض التقاليد قد سارا مترابطين كل مع الآخر. ومع التحول الذي حدث في الموقف من (المنفى) حدث تحول في الموقف من القيم الأساسية للتقاليد اليهودية. فبدلا من رفض

(المنفى) حدث تحول في الموقف من القيم الأساسية للتقاليد اليهودية . وبدلاً من رفض (المنفى) ظهر الحزن والأشواق إلى العالم الذي خرب . وتحولت لغة «اليديش» من لغة منافسة للعبرية - ورمز لـ (البوند) المكروه، المنافس للصهيونية - إلى جذوة تم إنقاذها، ولابد من الحفاظ عليها، وشاهد على الأيام الغابرة . وهكذا فإن إن غروب قيم الصهيونية العلمانية والليبرالية والاشتراكية معا، قد دفعت (مواليد البلد) إلى البحث عن مضامين جديدة لثقافتهم» (٣٥).

ويفسر المفكر الإسرائيلي يعقوب عميت هذا الاتجاه بأنه تعبير عن خيبة الأمل لدى الشباب الإسرائيلي من سائر الحلول التي طرحت عليه الآن: «لقد سمعنا من أحدهم تفسيراً للدوافع التي تؤدي إلى السير في طريق التوبة . ورأيه، هو (إنه منذ مرحلة العتق فصاعداً خيبت كل الحركات آمال اليهود: حركة العتق، و(المسكالا)، والاشتراكية، والصهيونية آخذة هي الأخرى في تحييب الآمال . والنتيجة، هي أن عدداً ليس بقليل من التائبين، يهجرون الصهيونية وتحقيق وصاياها، ويعودون إلى خلف جدران الجيتو الروحي، ولم يعد لهم بعد دور في بناء المجتمع الإسرائيلي المجدد للقيم، ويعفون أنفسهم حتى من واجب الدفاع عنه، ولذلك فإذا كان هناك نزوح من البلاد، فإن هناك نزوحاً من الصهيونية أيضاً» (٣٦).

وهكذا يمكن اعتبار أن اقتباس فقرات من العهد القديم، وجمع مقالات «الحكماء مباركي الذكر»، والاحتفال ببعض الأعياد التقليدية قد شكل، ما هو بمثابة السور الدفاعي، الذي أراد به «الصبّاريم» أن يحيطوا به أنفسهم كسياج من نوع ما . ولم يعد يسيطر عليهم مرة أخرى الدافع - الذي عبرت عنه خلال الأربعينيات والخمسينيات جماعة «الكنعانيين» - بأن يكونوا شعباً من متحدثي العبرية على أرض كنعان .

ويلقي إمنون روبنشتاين المزيد من الضوء على هذه التوجهات الجديدة في
الرؤى تجاه القيم اليهودية فيقول :

«إن هذا الاتجاه الجديد لا يعكس (اتجاهها إيمانيا) جديدا . إن أسسه تكمن
في الشك والريبة اللتين فرضتهما الصهيونية تجاه (اليهودي التقليدي) وقيم
اليهودية التقليدية، وعبء الماضي، وضرورة حدوث تناسخ الأرواح الذي
يؤدي إلى خلق (الصَّبَّار) أو (العبري الجديد) . لقد حلت (التقاليد الصبارية)
وأدب حرب ١٩٤٨ ، وأدب جيل (البالمح)* ، واحتقار الماضي اليهودي ، في
الأدب الاسرائيلي محل كل قيم (الشتات اليهودي) . ولكن في ظل هذا
التحول ، لم يعد (الشتات اليهودي) كله سلبيا ، بل أصبح مركزا للأشواق ،
وفي بعض الأحيان ، مصدرا للغيرة . وتحول (البطل الصَّبَّاري) ، والفتى
الأبدى ، والفلاح ثقيل اللسان المشحون بالعاطفة الخرساء ، إلى أبطال يهود
حقيقيين . وبدأت موضحة تغيير الأسماء اليهودية إلى أسماء عبرية تتراجع
بالتدريج . إن ما كان يعتبر موضحة وقوميا خلال سنوات الاستيطان ، وخلال
السنوات الأولى للدولة قد فقد سحره . إن عاموس إيلون صاحب الاسم
العبري الجديد ، قد امتدح مدير عام وزارة الخارجية السيد يوسف تشحنوفر ،
لأنه نقض هذا التقليد القديم ولم يختَر لنفسه اسما عبريا . والقرية اليهودية
(هاعيارا) في شرق أوروبا - التي صبت عليها اليهودية القومية في شرق أوروبا
في الأيام الغابرة جام غضبها - أخذت هي الأخرى مغزى جديدا وإيجابيا في
الوعي الإسرائيلي ، وصدرت كتب وصور ومعارض لتخليد ذكرى فرادتها

* البالمح : اختصار للكلمات العبرية «بلوجوت همحتس» (سرايا الصاعقة) ، وهي تشكيل
عسكري ، كان يمثل القوة الضاربة لقوات «الهاجاناه» الصهيونية ، وكان أفرادها على درجة عالية من
التثقيف السياسي الذي يركز على «الصهيونية العالية» . من أبرز قادتهم يَحَّال آلون وإسحاق رابين
وحيم برليف وغيرهم ممن لعبوا أدوارا رئيسية في المؤسسة في المؤسسة العسكرية الإسرائيلية وفي الحياة
السياسية في إسرائيل . ينسب إليهم إنتاج جيل الأربعينيات من أدباء إسرائيل لأن معظمهم كانوا
أعضاء في هذا التشكيل .

الثقافية . وفي الحركة (الكيوتسية) بدأت مراجعة، انعكست جيدا على صفحات مجلة (شدموت) (حقول الخنطة)، المجلة الناطقة بلسان الشبان من أتباع هذه الحركة، وجرت مناقشة بين هؤلاء الشبان حول مضمون أعياد إسرائيل . وبعد جيل من ترجمة أعياد إسرائيل التقليدية إلى أعياد طبيعية وقومية، أصبحت لهذه الأعياد مرة أخرى مغاز مستمدة مباشرة من التقاليد اليهودية .

وفي (كيوتسات) كثيرة، لم تعد المعابد كما كانت بمثابة (متاحف) خاصة بشيوخ المستعمرة . وبالإضافة إلى مقالات التخبط العلنية أخذت تظهر في الاستيطان التعاوني محاولات هادئة من أجل التوصل إلى طريقة حقيقية، تربط وتقيم جسرا بين عالمها وعالم التقاليد اليهودية»^(٣٧) .

ويلحق الأديب الإسرائيلي آهارون ميجد، وعضو حركة العمل على هذه الظاهرة بقوله :

«إذا كان الأمر كذلك فإننا نعود رويدا رويدا إلى الخلف . وإذا استمر هذا الاتجاه وتم تحريكه (الاتجاه الذي يتغلب فيه ، بشكل عام حسبنا تعلمنا التجربة التاريخية، المتطرفون على المعتدلين) فإننا سوف نعود إلى ما قبل عصر (المسكالا) قبل عصر العتق . إن كل فراغ لابد أن يمتلئ . هكذا علمتنا الفيزياء . لقد ذهبت نظرية (دين العمل) إلى سبيلها ، وجاء دين آباءنا ليملاً المكان الخالي . هل هذا سيء للغاية؟ هل هذا أسوأ من الفراغ المطلق؟ ففي ليلة عيد الغفران، على الرغم من كل هذا، ستكون الشوارع هادئة ونظيفة، والسيارات لن تصرخ، وتغلق المطاعم أبوابها ولن يدوي التلفزيون من كل نافذة، وسيسود الإحساس بالعيد كل شيء . وبدلاً من أن تتجول العصابات في المدينة، فإنه سيكون من الأفضل لها أن تدخل إلى المعابد لتستمع إلى الصلاة»^(٣٨) .

الفصل الثاني

الدولة والدين في إسرائيل

يقول جون لافين في كتابه «العقلية الإسرائيلية» لدى تعرضه لقضية «الطابع اليهودي لدولة إسرائيل» :

«توجد في العالم الحديث أربعة اتجاهات أساسية واضحة عند تحديد العلاقة بين الدين والدولة . إن الدولة يمكن أن تكون إما معارضة للدين ، أو أن تقوم باتخاذ موقف محايد إزاءه أو تشجعه أو تفرضه . ويسود في إسرائيل حالياً الاتجاه الأخير . ويرجع هذا في جانب منه ، إلى أن هناك مسائل تتعلق بالوضع العام ، بوضع العائلة ، تقوم الدولة بفرضها ، بالإضافة إلى وجود «حاخامية رسمية» ، ومجالس دينية رسمية ، وأماكن لكل هؤلاء الذين يريدون المشاركة في الحياة الدينية اليهودية تحت سيطرة نظام واحد للسلطة . ولقد أصبح من المسلم به أنه من واجب دولة إسرائيل فرض قواعد القانون الديني في أمور مثل التحول إلى عقيدة أخرى ، والزواج والطلاق . وعلى مستوى ثقافي أوسع توجد مشكلة التحديد الأساسي للجماعية الإسرائيلية من ناحية علاقتها بالتقاليد اليهودية ، ومدى الحرية والتجديد في تفسير هذه التقاليد الثقافية» (٣٩) .

ويقول المفكر اليهودي يعقوب كتس لدى تعرضه للقضية نفسها :

«يمكن لمن تشكل سيادة الدين على كل مجالات الحياة ، المثال الرئيسي عنده ، على النحو الذي كان قائماً منذ أجيال في المجتمع المرتبط بالتقاليد ، أو

وفق منهج دراسي معين ، أن يرى أن المجتمع الإسرائيلي قد نفّض عن كاهله تماماً نير الدين ، ويتضح هذا الأمر بجلاء من خلال تصريحات الحاخام من ساطمار، أو من خلال إعلانات الحائظ الخاصة بجماعة (نظوري كرتا) في حي «مائة شعاريم». أما من كان يريد أن يرى المجتمع الإسرائيلي مجتمعاً علمانياً خالصاً، مثل بقايا (الكنعانيين) وآخرين من ذوي الاتجاه المائل لهم ، فإن المجتمع الإسرائيلي يبدو بالنسبة لهم ، مكبلاً بأغلال التقاليد اليهودية ، ومجنّداً ومستعبداً للمؤسسات الدينية وحملتها. وهذه التقديرات وما على شاكلتها متأثرة في رؤية الواقع وفقاً لما ترغب فيه . ولكن البحث الموضوعي العلمي يتطلب الفصل بين الاثنين فصلاً كاملاً»^(٤٠).

ويقول موشيه شميث لدى تعرضه بالبحث حول قضية «الطابع اليهودي لإسرائيل»: «هناك من يزعمون أن الدين والدولة في إسرائيل هما شيء واحد، بينما هناك آخرون يعتقدون أن الدولة علمانية في جوهرها. وقد اعتاد البروفيسور يشعياهو ليفوفيتش أن يصوغ الأمور على النحو التالي :

«إن الدولة ليست دينية وليست لا دينية ، ولكنها معروفة بين الجمهور على أنها لا دينية . ومن الناحية الوظيفية ، فإن الدولة ، ومؤسساتها ، وخدماتها تدار بشكل عام بما لا يتوافق مع شرائع الدين اليهودي . والجدير بالذكر ، أنه ليس في الشريعة ولا لدى أصحاب الشريعة (حتى الآن) طريقة لإدارة خدمات الدولة المعاصرة بأسلوب فعال وصحيح ، مثل الجيش ، والشرطة ، والخدمات الخارجية ، والمواصلات والبريد الدولي وغيره . كما أنه ليس لدى قطاع كبير من علماء الدين أي اهتمام بهذه الأمور»^(٤١).

وهكذا ، فنحن أمام وجهات نظر ثلاث : ترى الأولى أن دولة إسرائيل محايدة تجاه الدين وتطبيق الشريعة ، وترى الثانية أنه يمكن الحكم على علمانية الدولة أو دينيتها وفقاً لوجهة نظر المراقب من حيث كونه علمانياً أو دينياً ، وترى الثالثة أنها دولة لا دينية .

وإذا حاولنا رصد إرهابيات تحول القضايا الدينية إلى بؤرة للجدل السياسي، منذ قيام إسرائيل حتى الآن، في محاولة من الدينين لفرض الطابع اليهودي على المجتمع الإسرائيلي في الإطار الرسمي للدولة، فإننا نعثر على هذه الإرهابيات في الأيام الثلاثة السابقة لإعلان دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨، من خلال الأحزاب الدينية التي كانت قائمة قبل إعلان الدولة («المزاحي»، و«العامل المزراحي»، و«أجودات يسرائيل» و«عمال أجودات يسرائيل»)، في «إدارة الشعب» (هيئة شكلها بن جوريون من ١٣ شخصا من المقربين إليه من الناحية الفكرية والشخصية) حول صيغة الإعلان عن قيام دولة إسرائيل.

لقد كان موشيه شيرا هو مندوب «العامل المزراحي»، والحاخام فيشمان هو مندوب «المزراحي» والحاخام «إسحاق مائير لفين» عن «أجودات إسرائيل»، في مجلس «إدارة الشعب». وقبل إعلان الدولة بثلاثة أيام، في ١٢ مايو، اجتمعت «إدارة الشعب» (هنهالات هاعام) على امتداد اليوم كله لبحث المسائل المتصلة بإعلان قيام الدولة. وقد أثارت المناقشات حول صياغة مسودة إعلان قيام الدولة صعوبة خاصة بين الدينين والعلمانيين في المجلس. ويقول مندوب السفارديم الحاخام سعديا كوفشي إنه طلب في المناقشات المبكرة أن يتضمن النص فقرة توضح أننا حصلنا على الاستقلال «بمساعدة الرب وبقوته الكبرى». وطلب كذلك مندوبو سائر الأحزاب الدينية أن يتضمن النص الأخير اسم الرب، وطلبوا التصريح والتأكيد على أن «أرض إسرائيل» خاصة بالشعب اليهودي بمقتضى الدين اليهودي ووعد الرب لإبراهيم أبينا، وطلبوا كذلك الإشارة إلى الطابع الديني للدولة التي في طريق التكوين.

وقد عارض مطالب الدينين بصورة عنيفة، معظم أعضاء الإدارة، وعلى رأسهم مندوبو حزب «المبام»، الذين طلبوا ألا يذكر اسم الرب صراحة،

لأنهم لا يمكنهم أن يوقعوا على تصريح يناقض ضميرهم وعقيدتهم . وقد برز في هذا الموضوع دور بن جوريون الذي أدى إلى التسوية بين المتنازعين ، وكان النص النهائي على النحو التالي :

«بثقتنا في رب إسرائيل نوقع بأيدينا كشهود على إعلاننا هذا في دورة أعضاء مجلس الدولة المؤقت ، بمن فيهم أعضاء الحكومة المؤقتة ، هنا في المدينة العبرية تل أبيب ، في هذا اليوم مساء السبت ١٤ مايو ١٩٤٨» .

وقد اقترح الدينيون كتابة «رب إسرائيل ومنقذه» ، من أجل تفسير المقصود بشكل أوضح ، ولكن رجال «المبام» لم يوافقوا على ذلك .

وقد أرى هذا النص ، ولو بصورة جزئية ، رجال الأحزاب الدينية ، وذلك لكونه مأخوذا من البركة الأخيرة لصلاة الخالق : «يا حامي إسرائيل قم بمساعدة إسرائيل وامنح عطيتك ليهودا وإسرائيل» . وقد قبل رجال «المبام» هذا النص ، وقبلوا تفسير بن جوريون ، بأن كل واحد يمكنه أن يفهم «رب إسرائيل» حسب رغبته . وقد ختم بن جوريون المناقشة في هذه المسألة بقوله : «يبدو لي أن كل واحد ، ونحن جميعا ، نؤمن كل حسب طريقته ، وكل حسب فهمه . إن اليهودية فيها افعَل هذا ، ولا تفعل هذا ، أما كيف نؤمن فهذا لسانا مأمورين به» .

وبعد ذلك أثارت مسألة اسم الدولة خلافا آخر ، حيث كانت هناك اقتراحات مختلفة : «صهيون» ، و«يهودا» ، و«الدولة اليهودية» ، و«إسرائيل» .

وقد وجه اهتمام كبير لمسألة كيف سيبدو الاسم في الترجمة العربية ، رغبة في ألا يكون للاسم مغزى مثير بالنسبة للعرب . وقد كان هناك من اقترح تسمية الدولة الجديدة بالعربية «فلسطين الغربية» ، ولكن هذا الاقتراح لم يقبل . وأخيرا تقرر تسمية الدولة باسمها الحالي «إسرائيل» .

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه الواقعة مؤشرا لعملية التوفيق والمساومة التي أصبحت تميز في معظم الأحيان العلاقات بين الدين والدولة في إسرائيل (٤٢).

وقد كان «اليشوف القديم» (الاستيطان اليهودي في فلسطين قبل بدء الهجرات الصهيونية) في أساسه ومعظمه (٤٣) غير صهيوني، وكان مركبا على غرار الطوائف اليهودية في شرق أوروبا أو في العالم الإسلامي.

وقد كانت الخطة البريطانية في بداية العشرينيات، هي إضفاء الطابع الديني الطائفي على «اليشوف»، وذلك بهدف المحافظة على استمرار أنماط الحكم التي كانت قائمة في الفترة العثمانية، وتقليل التوتر القومي الذي كان قد بدأ في الظهور بين السكان العرب حول مسألة «الوطن القومي» لليهود. ولم تصادف هذه الخطة معارضة من معظم الصهيونيين، باستثناء «حركة العمال». ويمكن تفسير موافقة الصهيونيين على هذه الخطة بأنها كانت بسبب الرغبة في إضعاف العداء العربي.

وهناك شك، في أن مثل هذه الخطة، الخاصة بوضع «الحاخامية الرئيسية» على رأس مؤسسات الزعامة في «اليشوف»، كان من الممكن أن تنجح، على ضوء التغيير في التركيب السكاني في فلسطين بعد هجرة «الطلّاعين» في تلك السنوات وازدياد قوة حركة العمل. وعلى أي حال، فإن هذه الخطة فشلت أيضا بسبب عدم استعداد الحاخام كوك الذي كان مرشحا لمنصب الحاخام الأكبر الأشكنازي للتساهل مع وجهة النظر البريطانية - الصهيونية بشأن تحديث القانون العبري، وبشأن إدخال عنصر غير حاخامي في القيادة الدينية. وبعد ذلك فقدت الحاخامية الاختيار السلطوي وأصبحت عنصرا ضعيفا لا تأثير له من الناحية السياسية.

وفي نهاية فترة الانتداب، كانت الوكالة اليهودية والإدارة الصهيونية، هما اللتين تشكلان العنصر المعبر عن «اليشوف» وأصحاب القوة السياسية. وبالرغم من أن مندوبي الأحزاب الصهيونية الدينية اشتركوا فيهما، فإن طابعهما السياسي كان هو الأبرز. ولم تنجح اللجنة القومية، التي ضمت مندوبين تقليديين في الاستيطان الصهيوني في مرحلة الانتداب، في التحول إلى مؤسسة وكعنصر صاحب سلطة، وكانت لها مكانة ذات قيمة رمزية فقط.

واعتبارا من منتصف العشرينيات، وحتى قيام الدولة كان «المستدروت» هو العنصر السياسي الحاسم في المجال الداخلي. وقد تميز هذا العنصر خلال العشرينيات بالعداء الصريح للدين، ثم استبدل هذا العداء في بداية الأربعينيات باللامبالاة حيث لم يكن لأعضاء المستدروت أي اهتمام بالدين، بالإضافة إلى أن «المستدروت» لم يلق بالالمسألة تعبئة المحافظين على التقاليد. كذلك فإن المؤسسات التعليمية الخاصة بتيار العاملين في ملكية المستدروت كانت بيد الذين لا يهتمون بالتقاليد، وتميزت نظرهم لدراسة العهد القديم بإبراز القيم العلمانية^(٤٤).

والتفسير الرئيسي، وربما كان الوحيد، الذي يمكن إعطاؤه لارتباط الدولة بالدين، هو علاقات القوى السياسية بين الأحزاب في الدولة. لقد تم النظر إلى تحول القيم اليهودية إلى إطار مؤسسي، على أنه إنجاز سياسي للأحزاب الصغيرة التي أصبحت تشكل - نتيجة لأسلوب الانتخابات النسبي - لسان الميزان السياسي بين اليسار واليمين في إسرائيل، مما جعل إشراكها في الحكم أمرا حتميا استلزم نوعا من الاستسلام لمطالبها، حتى ولو كان الأمر ينطوي على فرض قيم الأقلية على الأغلبية.

وقد نحت زوكر zucker أخيرا اصطلاحا خاص هو «Theo-Politics» (السياسات الخاضعة لسلطة الدين) من أجل وصف ظاهرة تحويل قيم الدين

إلى إطار مؤسسي تحت ضغط سياسي . وهذا التفسير ينطوي على تبسيط زائد للظاهرة . ومن السهل إثبات أنهم لم يحتاجوا إلى «الدينيين» في كل الانتخابات من أجل أغلبية في الكنيست . ولكن ، بالرغم من هذا ، تم إشراكهم في الحكم في هذه الحالات ، وحتى حينما كانوا يحتاجون إليهم ، كان التساؤل يدور حول ما الذي رآه الحزب الحاكم ، أي اليسار المعتدل ، لكي يفضلهم على اليسار المتطرف ، وهو الآخر شريك تاريخي ، أكثر من أحزاب «المزراحي» ، باعتبار أنه شريك أيضا في «المستدروت» ، وليس فقط في الإدارة الصهيونية ، وخاصة على ضوء أن حزب «ماباي» كان يفضل دائما المشاركة بينه وبين اليسار المتطرف عن المشاركة مع أحزاب «المزراحي»^(٤٥) .

ومنذ أن أصبحت الصهيونية العمالية ، هي المسيطرة على مقاليد الأمور في الحركة الصهيونية ، أصبح هناك صراع دائم بين الاتجاه العلماني الذي يميزها ويقودها نحو فرض التحديث على المجتمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، وبين التقاليد اليهودية الدينية التي كانت مطالبة بتطوير نفسها دائما وفقا لروح العصر . وفي المراحل الأولى من بناء الاستيطان الصهيوني في فلسطين كان من الواضح أن هناك بديلا جديدا ، دينيا أو شبه ديني ، في نطاق اليهودية ذاتها أخذ في التشكل . ويهمننا في هذا الصدد أن نشير إلى أن الصهيونية عندما ظهرت على مسرح الأحداث ، كان المجتمع اليهودي التقليدي بأسسه الدينية التي كانت مقبولة آنذاك ، يمر بمرحلة التفكك . وقد قبلت الصهيونية هذا التفكك باعتباره حكما نهائيا وعادلا من التاريخ ، وسعت إلى بناء مجتمع جديد ، وهي تعتبر أن الدين اليهودي بمبادئه ، وعباداته ومؤسساته هو من أنماط الوجود التي ميزت مجتمع الطائفة التي تسعى إلى تحويله إلى شعب ينبغي أن تحل فيه محل الدين مثاليات اجتماعية مثل : المشاركة الجماعية ، ودين العمل ، والتفاني المطلق في سبيل الجماعة وما شابه

أن تربطها بمصادر البدايات الأولى للتاريخ اليهودي وتضفي عليها مغزى دينيا .

وبعد قيام دولة إسرائيل ، لم تتحدد علاقة الدولة بالدين بشكل واضح ، ولم يكن هناك تصور شامل لآلية عمل الدين وتطبيقاته في هذا الكيان الجديد ، وقد انعكست هذه الضبابية على وثيقة استقلال إسرائيل ، حيث وردت العبارات التي تتطرق إلى الدين بصيغ عمومية ، تحتل أكثر من تأويل وتفسير .

ولا شك أن العبارات العمومية التي احتوتها الوثيقة جاءت بعد نقاش طويل حول طبيعة دولة إسرائيل ورسالتها ، ولم تنه هذه العبارات الجدل والصراع بين المتدينين والعلمانيين في المجتمع الإسرائيلي ، الذي مازال محتدما حتى اليوم ، وسوف يستمر لفترة طويلة لأنه يمس جوانب حساسة نتجت عن مواجهة الدين اليهودي في إسرائيل لمشاكل لم يألفها من قبل ، ويمكن القول إنه بقدر ما كان الدين مشكلة لدولة إسرائيل ، كان قيام هذه الدولة بمثابة مشكلة كبرى للدين اليهودي . وممكن الإشكالية هنا أن الدين اليهودي - لأكثر من ألفي سنة - لم يعتد إلا على حياة الطائفة اليهودية المستقلة ذاتيا في شؤونها الدينية والقضائية والتعليمية ، ولم يعد نفسه ، بشكل أو بآخر ، لمقتضيات الدولة ، بالإضافة إلى أن الشريعة اليهودية نفسها لم تكن تحتوي على إجابات شافية لكل ما تحتاجه الدولة العصرية من مقتضيات متعددة في مجال العلاقات الخارجية وتسيير الأمور الداخلية للدولة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي^(٤٦) .

ويمكن القول إن دافيد بن جوريون مؤسس دولة إسرائيل ، كان هو الذي قام بتحديد معالم وصياغة الأسس التي قامت عليها العلاقة بين الدين والدولة

في إسرائيل ، حيث إنه رأس حكومتها منذ عام ١٩٤٨ ثمان مرات وقادها قرابة ثلاثة عشر عاما .

لقد كان بن جوريون ذا وعي علماني واضح ، ويسعى إلى تجاوز كل المرحلة الحاخامية في الثقافة الإسرائيلية ، وإرساء قيم الدولة على «المقرا» (العهد القديم) والصهيونية فقط . وقد كان وعيه هذا هو الذي جره إلى التورط في صراعات سياسية حول موضوع الدين ، الذي كانت أهميته بالنسبة له رمزية أكثر منها ضرورية^(٤٧) .

ولم يكن بن جوريون ملحدا ، بل كان يؤمن بالله على طريقته الخاصة . وقد سئل مرة عما إذا كان يؤمن بالله فأجاب : «السؤال هو مَنْ الله ؟ إن معظم اليهود يتصورونه رجلا عجوزا ، ذا لحية طويلة ، يجلس على مقعد وثير ، ويعتقدون أنه تحدث إلى موسى . لقد سمع موسى صوت إنسان في قلبه ، وبذلك عرف أن عليه أن يفعل ما يفعل ، بيد أنني أؤمن بوجود قوى مادية فحسب في العالم»^(٤٨) .

وبالرغم من هذه النظرة السلبية إلى الدين ، فقد كان بن جوريون يدرك أهمية استغلال الدين في سبيل تدعيم الفكرة الصهيونية ، واجتذاب المهاجرين إلى فلسطين ، فأعلن ذات مرة : «أن خلود إسرائيل يتميز باثنتين : دولة إسرائيل والتوراة» . وفي مناسبة أخرى قال : «على دولة إسرائيل أن تعتمد على نفسها ، وعلى إلهنا الذي في السماوات» . وهذه العبارة في الحقيقة تعبر عن دبلوماسية سياسية أكثر من تعبيرها عن اعتقاد ديني شخصي ، حيث كان بن جوريون يتطلع إلى الربط بين الدولة ككيان سياسي منظم ذي سيادة ، وبين القومية العبرية التوراتية . ولذلك فإن بن جوريون ، رغم علمانيته ، أخذ في الحسبان الاعتبارات السياسية والحزبية ومسؤولية الدولة ونحى آراءه الشخصية جانبا عندما بدأ في وضع أسس التعايش بين المتدينين والعلمانيين^(٤٩) .

لقد كان بن جوريون يتطلع إلى بناء دولة عصرية ، حتى لو خالف ذلك كل ما ورد في التوراة ، وكان يؤمن بأن العمل الصهيوني هو الكفيل ببناء الدولة والمحافظة عليها وليست الغيبيات ، لأنه كان يعتقد أن الغيبيات انتهى دورها في حياة اليهود منذ قيام الدولة^(٥٠) .

وقد كتب بن جوريون بعد قيام الدولة يقول : «على اليهودي من الآن فصاعدا ، ألا ينتظر التدخل الإلهي ، لتحديد مصيره ، بل عليه أن يلجأ إلى الوسائل الطبيعية العادية مثل الفانتوم والناپالم» . وأعلن في مناسبة أخرى : «أن الجيش الإسرائيلي هو خير مفسر للتوراة» . وقال بعد اعتزاله العمل السياسي : «كنت مصمما على أن تكون إسرائيل دولة علمانية ، تحكمها حكومة علمانية ، وليست دينية ، وحاولت أن أبقى الدين بعيدا عن الحكومة والسياسة بقدر المستطاع»^(٥١) .

إذن كان بن جوريون يرى أن للدين وظيفة ، عليه القيام بتأديتها وكفى ، وهو ماعبر عنه بوضوح عندما قال : «إن الدين هو وسيلة مواصلات فقط ، ولذلك يجب أن نبقى فيها بعض الوقت ، لا كل الوقت» . ولم يكن يرتاح للمتدينين والحاخامات ، فكان يقول : «إن حياة اليهود لو تركت لحاخامات اليهود لظلوا حتى الآن كلابا ضالة في كل مكان ، يضرهم الناس بالأقدام ، ويحتمي اليهود من أقدام الأغلبية الساحقة لهم في كل مكان بأحلام العودة إلى أرض الميعاد والأجداد ، وانتظار المسيح ، الذي سيهبط عليهم من السماء ، لينقذهم ويقوم لهم بكل العمل ، بينما هم يصلون الفجر والعشاء ، ويكون ليلا ونهارا»^(٥٢) .

وهكذا فإنه بالرغم من التوافق بين الدين والقومية في اليهودية ، فإن الغالبية العظمى من الحركة الصهيونية لم تكن دينية . وعلاوة على ذلك ، فإنه بين عدة

أجنحة من هذه الحركة ، مثل اليسار الصهيوني ، زادت بشكل واضح النغمتا الصريحة المعادية للدين . وحتى تلك التيارات الأيديولوجية ، التي لم ترغب في عزل نفسها تماما عن الارتباط بالتقاليد اليهودية ، لم تستطع أن تقوم بعمل تسوية بين فرضياتها الأيديولوجية الأساسية ، وبين وجهة النظر الدينية ، وحتى مع أكثر الأجنحة اعتدالا في الصهيونية الدينية ، وذلك لأن تلك لا يمكنها أن تسلم بسيادة عليا على سيادة الشريعة ، وبناء على ذلك ، فإن التسليم بالصلاحية السياسية أيا كانت هو تسليم مشروط ، وهو الأمر الذي لا يمكن أن تسلم به الأحزاب غير الدينية صراحة على المستوى الأيديولوجي^(٥٣) .

ويرى ي . إنجلارد «أن وحدة الدين والأمة ذات جذور عميقة في الرؤية الخاصة باليهودية . وأن جمع شتات المنفيين ، وعودة الشعب اليهودي إلى «أرض إسرائيل» وإقامة حكم مستقل فيها هي من العلامات الرئيسية للخلاص في عصر المسيح . وقد استتقت الصهيونية الحديثة ، التي أدت إلى قيام دولة يهودية في هذا العصر ، دون شك ، من الإرث اليهودي ، ولكنها حولت التأكيد إلى الإحياء القومي . وكانت الرغبة هي إقامة دولة ذات سيادة ديمقراطية والانضمام كأمة متساوية الحقوق إلى سائر أمم العالم . ولكن الدولة الحديثة لم تقبل مبدأ الوحدة بينها وبين الدين اليهودي ، وتم إدراك الفكرة الصهيونية بوساطتها في صورتها العلمانية . ولهذا فإن نظام الحكم السياسي الذي توجهه مبادئ التسامح والمساواة بين الأديان ، يعتبر نفسه فوق الأديان»^(٥٤) .

وقد كان من المحتم أن تتصادم وجهة النظر العلمانية بشأن ماهية الدولة اليهودية الحديثة ، مع تلك الخاصة باليهودية الدينية^(٥٥) . ويكمن الفارق الموضوعي بين وجهات النظر العلمانية والدينية أساسا في إشكالية العلاقات بين الدين والدولة في إسرائيل . وقد أصبح هناك في إسرائيل منذ قيامها توتر أخذ في الازدياد ، ويتجلى من حين إلى آخر في صورة عواصف سياسية .

وقد أدى التناقض في وجهات النظر حول ماهية الدولة إلى إرباك كل من رؤساء الدولة والتمسكين بالتقاليد . فالدولة من ناحيتها لم تجد في نفسها الجرأة على الانفصال التام عن التراث ، وسعت من جانبها لأن تكون دولة يهودية ، ولكنها لم تكن تعرف كيف تترجم «يهوديتها» إلى لغة الواقع دون أن تمس ماهية العلمانية . ولكن مع هذا ، فإنه لا يمكن تجاهل دور الدين في دعم ما يسمى «الحق التاريخي لليهودية» على «أرض إسرائيل» .

و«الحريديم» (المتشددون دينياً) من جانبهم لا يعرفون كيف يتعاملون مع الدولة التي تعلن أنها دولة علمانية ، ومن يتجرأ على أن يفسر الوجود التاريخي الحديث تفسيراً دينياً ، فإنه يفشل في النظر إلى دولة إسرائيل على أنها تجسيد لمفهوم المسيحية الدينية ، كما أنه لا يجد في مفهوم «بداية الخلاص» (أتحلتا رجئولا) ثمة حل لمشكلة العلاقة بين الدين والدولة . وأولئك الذين حاولوا من بين المحافظين على التقاليد البحث عن حل في «الهالاخاه» من أجل معرفة كيفية توجيه خطواتهم نحو الدولة بشكل عملي ، واجهوا الصعوبة الخاصة بأن «الهالاخاه» لم تبحث حتى الآن الواقع الجديد ، لأن الحكم اليهودي العلماني في فلسطين هو حالة لم ترد صراحة في «الهالاخاه» . وتبرير ذلك ، هو أن تسلم بوجهة النظر العلمانية كأساس لدولة يهودية ، لأنه موقف غير شرعي في نظرها .

ولكن بالرغم من ذلك ، فإن معظم الجمهور الديني ، بما في ذلك كافة زعمائه كانوا يسعون إلى الانحياز إلى الدولة والإسهام في قيادتها . ومن هنا : فإن التناقضات الداخلية التي تحفل بها كل من وجهة النظر العلمانية ووجهة النظر الدينية ، تعتبر من سمات الموقف الحالي في علاقات الدين والدولة في إسرائيل ، وذلك لوجود تناقض مبدئي بين الدين اليهودي والإطار العلماني لدولة إسرائيل ، حيث يريد كل طرف أن تكون له الغلبة ، بينما من الصعوبة بمكان

مد جسور التفاهم بين التناقضات الجامدة التي تؤدي عادة إلى نوع من الصراع بين القيم .

إن «الهالاخاه» اليهودية لها طابع خاص ، حيث إنها عبارة عن مجموعة من الأحكام والأوامر والنواهي تتطلب إذعاناً كاملاً للشرائع . ويعتبر الإيمان أساساً مهماً في الدين اليهودي ، ولكن «الهالاخاه» لا ترفض مبدأ الفرض أو «الإكراه الديني» (هكفيا هدايت) من أجل التوصل إلى السلوك المطلوب من جانب الكافرين بالدين . ويستمد مبدأ «الإكراه الديني» دعماً زائداً من مبدأ المسؤولية الجماعية الذي ينطبق على الشعب اليهودي ، وخاصة في حالة إقامته في «أرض إسرائيل» . وبشكل مبدئي فإن «الهالاخاه» لا تعترف بالتقسيم بين الموضوعات الدنيوية الخاضعة من حيث المبدأ لتنظيم مستقل بوساطة السلطة السياسية ، وبين القضايا «السمائية» التي تخضع للسلطة الوحيدة للزعامة الدينية ، حيث إن كل قضية تمس حياة الإنسان لها حل في «الهالاخاه» . ولكن «الهالاخاه» لا ترفض تماماً الاستقلال الذاتي عن الحكم السياسي ، حيث أقرت بها في عدة مبادئ مثل «دينا دي ملخوتا دينا» (قانون الدولة يجب تنفيذه) والصلاحيات الممنوحة للطائفة لأن تضع قوانينها الخاصة (تقنوت هقهل) .

كانت هذه بعض نقاط تمهيدية ألقينا من خلالها الضوء على موقف الدين اليهودي كما تجسده «الهالاخاه» تجاه العلاقة بالفرد اليهودي وبالنظام السياسي . وقبل أن نتطرق إلى الوضع الحالي ينبغي أن نشير إلى أن هذا الوضع كان محصلة لوضع ساد خلال فترة الانتداب البريطاني في فلسطين ، ولكن مع إقامة الدولة أصبح له مغزى آخر . لقد كان اليهود أثناء فترة الانتداب مجرد طائفة يهودية ، واستخدمت الطائفة اليهودية وتنظيماتها الرسمية كأساس لتنظيم كل القوى اليهودية من قومية ودينية على اعتبار أنهم علمانيون . وبعد إقامة الدولة انتهى الوضع الطائفي اليهودي ، ومعه كذلك المؤسسات العلمانية

التابعة له، والتي حلت محلها مؤسسات رسمية تابعة للدولة لها مهام دينية وصلاحيات تجاه كافة السكان من اليهود، ولم يكن الوضع على هذا المنوال بمثابة فصل مابين الدين والدولة، لأن الدولة أخذت على عاتقها تنظيم الشؤون الدينية، ومنحت صلاحيات قانونية للتنظيمات الدينية وأعطت فاعلية لأوامر الدين المختلفة، وتجلت المبادئ الأساسية لهذه التسوية في النقاط التالية:

(١) تعترف الدولة بالقضاء الديني في قضايا الزواج والطلاق الخاص باليهود من مواطني الدولة أمام المحاكم الربانية (الحاخامية)، وتلتزم هذه المحاكم بالحكم وفقا لأحكام «الهالاخاه».

(٢) في القضايا الأخرى المرتبطة بالأحوال الشخصية يتم الالتزام بأحكام «الهالاخاه»، ويتم الأخذ بها أمام المحاكم المدنية.

(٣) تمنح الدولة «الحاخامية الرئيسية» صلاحيات، لتحديد تنظيم وتشكيل هذه المؤسسة التي تدعمها الدولة ماديا.

(٤) تمنح الدولة في المجال المحلي صلاحيات للمجالس الدينية، لتحديد تنظيمها وتكون مسؤولة عن ميزانياتها.

(٥) تهتم الدولة بالتعليم الديني، وتقيم شبكة من المدارس الرسمية الدينية.

(٦) تنشئ الدولة وزارة حكومية للأديان، لها ميزانية للخدمات الدينية.

(٧) تشرع الدولة قوانين تستمد من الشريعة الدينية فيما يتصل بالسبت والأعياد، و«الكشירות» (الطعام الشرعي).

(٨) يتم إنشاء حاخامية عسكرية في الجيش تكون لها صلاحيات في مجال الجيش.

والملاحظة الرئيسية التي نخرج بها من هذه التسوية هي وجود تطعيم للمؤسسات الدينية في نطاق الدولة، حيث إن جهاز القضاء الحاخامي يعتبر من مؤسسات الدولة، ويطبق أحكامه عن طريق أجهزة الدولة الرسمية. وتعتبر «الحاخامية الرئيسية» هيئة عامة، كما أن الدولة بشكل مبدئي، لا ترى أن هناك موضوعا دينيا له حصانة خاصة في مواجهة تدخلها. وقد أيدت الأحزاب الدينية في إسرائيل هذه الرؤية، كل وفق تبريرات خاصة به تماما. إن هذه الأحزاب، بالرغم من رفضها للطابع العلماني للدولة، تنظر إليها ليس باعتبارها الجهة المناسبة لفرض مبادئ الدين على سكانها من اليهود فحسب، بل باعتبارها الجهة الموكلة بالعمل وفقا لأحكام «الهالاخاه». ولكن بالرغم من ذلك فإن هذا التسليم من جانب الأحزاب الدينية للوضع القائم لم يحل دون حدوث صدامات نذكر من بينها:

(١) يؤدي تطبيق أحكام «الهالاخاه» في شؤون الزواج والطلاق على مجمل السكان اليهود إلى غليان بسبب الأحكام الحالية التي تنطوي عليها مثل: تحريم زواج الكاهن والمطلقة، وتحريم الزواج المختلط، وأحكام الطلاق، وأحكام «اليوم» (زواج الأخ من زوجة أخيه المتوفى)، و«الحليتسا» (قيام زوجة الأخ المتوفى بضرب شقيقه بحذائها والبصق في وجهه في حالة رفضه الزواج منها).

وفما عدا الصراع السياسي من أجل اتباع الزواج للمدني، فإنه تبذل محاولات دائمة من أجل إفراغ الشريعة الدينية من مضمونها، مثل عقد الزواج المختلط في جزيرة قبرص القريبة، وعقد الزواج الخاص دون اشتراك حاخام في حالة المنع الديني، أو في حالة رفض عقد طقوس الزواج الدينية. وتقوم المحاكم المدنية بدور مهم جدا في هذا الصراع، حيث تتعرض أحكام «الهالاخاه» للانتقاد ويتم التساهل مع كل محاولات الالتفاف حولها وتجنبها.

والمثال الواضح على ذلك ، أن «محكمة العدل العليا» أقرت بمبدأ تسجيل من تزوجوا زواجا مدنيا أو مختلطاً ، أو في احتفال مدني في سجلات الزواج . وإن كانت المحكمة لم تحسم بالفعل مدى سريان مفعول مثل هذه الزيجات ، إلا أن عملية التسجيل بوساطة جهة رسمية تشكل في حد ذاتها اعترافاً معيناً بها ، وتتيح لهؤلاء الأزواج الظهور علانية كزوج وزوجة ، بما ينطوي على اعتراف من المشرع بهذه الحالات التي تمت بما لا يتوافق مع أحكام «الهالاخاه» .

(٢) حدد المشرع في عدة قوانين من تلك المتصلة بالأحوال الشخصية أن أحكامه ملزمة لكل من المحاكم المدنية والمحاكم الدينية ، مثلما حدث بالنسبة لقانون «المساواة في الحقوق بالنسبة للمرأة» الذي صدر عام ١٩٥١ ، حيث لم يلتفت إلى حكم المحكمة الربانية التي أقرت بعدم توافق هذا القانون مع أحكام الشريعة اليهودية .

(٣) لم تحدد صلاحيات «الخاصية الرئيسية» بالتفصيل ، حيث كان الهدف هو إقامة مؤسسة رسمية عليا تكون هي الجهة المهيمنة دينياً بالنسبة للسكان اليهود ، ولكن هذا الهدف لم يتحقق للأسباب التالية :

أ - هناك قطاع من الجمهور الديني نفسه لا يعترف بالصلاحيات الشرعية اليهودية لهذه المؤسسة الدينية بصورة نسبية ، حيث أقامت دوائر حزب «أجودات إسرائيل» مؤسسة مستقلة باسم «مجلس كبار علماء التوراة» ويخضعون لها من الناحية التشريعية ، وحزب «شاس» الحريدي (المتشدد دينياً) السفاردي له مجلس خاص هو «مجلس حكماء التوراة» .

ب - يتسم موقف الدولة من هذه المؤسسة بالازدواجية ، فمن ناحية ، تنظر إلى «الخاصية الرئيسية» باعتبارها الهيئة التشريعية الدينية العليا التي مهمتها توجيه الجماهير في القضايا الدينية ، ومن ناحية أخرى ، تتوجه إليها دوائر مختلفة بمطالب من أجل تكييف «الهالاخاه» مع «روح العصر» ، أي تعديل أحكام مختلفة من الأحكام الدينية .

جـ- ينظر إلى اعتراف الدولة «بالخاخامية الرسمية» على أنه نوع من تحويلها إلى تنظيم تابع للدولة، وبالتالي فهي خاضعة لإشراف محكمة العدل العليا التي تتدخل كثيرا في أحكام «الخاخامية» وفي انتخابات «الخاخام الأكبر». وتخضع أعمال مجلس «الخاخامية الرئيسية» لإشرافها حتى تتأكد من عدم وجود مخالفات تتعارض مع صلاحياته، وهو ما يتعارض مع كون هذه الهيئة «هيئة هلاخية» عليا.

(٤) بالنسبة للقوانين التي تتصل بأحكام منع وفقا لشرائع الدين اليهودي - مثل أحكام يوم السبت وتربية الخنازير - توجد قوانين للدولة تسمح بتجاوزها^(٥٦).

وقد قامت الأحزاب الدينية إثر قيام إسرائيل بضغط متواصل من أجل إضفاء الطابع الديني الصريح على الدولة اليهودية. وقد أخذت مطالب الأحزاب الدينية صورا كثيرة نذكر فيها يلي بعضها منها:

أولا: تشريع قانون يحرم تربية الخنازير في المناطق اليهودية.

ثانيا: تشريع قانون بشأن ساعات العمل والراحة وتحديد سلسلة كاملة من الأحكام - ولاسيما المحلية - بشأن المحافظة على يوم السبت علنا. ومن بين تلك الأحكام: عدم تشغيل المواصلات العامة (فيما عدا حيفا)، وإغلاق المحال العامة (فيما عدا المطاعم والملاهي)، وعدم القيام بأي عمل، مهما كان، في مشروعات حيوية كثيرة مثل الموانئ وغيرها.

ثالثا: المحافظة على الطعام «الكاشير» في المؤسسات العامة، وفي المشروعات الرسمية أو شبه الرسمية (على سبيل المثال في بواخر شركة «تسيم» حيث لم يسمح المتدينون بوجود مطبخين فيها - واحد «كاشير» والثاني غير «كاشير»). وقد وصلت هذه المطالب إلى ذروتها في عام ١٩٦٥، عشية

انفضاض الكنيست الخامس ، ومع الإعداد للكنيست السادس ، حيث طرح مطلب بتشريع قانون ليوم السبت الشامل ، الذي وإن كان لا ينطوي على ماهو أكثر من إعطاء شرعية للوضع الراهن ، إلا أنه عن طريق منح هذا الوضع الراهن القوة القانونية وتوسيع مجاله أصبح يشكل أخطر القيود على قضية العمل يوم السبت .

رابعاً : وكان المطلب الرابع للدوائر الدينية في هذا المجال موجهاً إلى إحداث تغيير كبير إلى حد ما في قانون التشريع وعلم الأمراض ، والذي ينظم الظروف التي يجب عليها تشريع جثث الموتى . ووفقاً لهذا المطلب تفرض قيود كبيرة للغاية سواء على الهيئات القضائية (في حالة ضرورة تحديد سبب الوفاة) أو على الهيئات الطبية ويحدد اشتراطات بعيدة المدى إلى حد ما بشأن إمكان القيام بالتشريع بناء على موافقة الأسرة . وقد اعترضت الدوائر الطبية على هذه المطالب التي اعتبروها بمثابة مساس بمستوى البحث والخدمات الطبية^(٥٧) .

وبالعد الثاني لمسألة مدى الطابع الديني للدولة ومؤسساتها هو مشكلة وضع الهيئات الدينية القضائية - وعلى الأخص الحاخامية .

وقد ترتب على تفجر هذه المشاكل التي تناولناها فيما سبق حدوث توترات حادة ذات مغزى خاص فيما يتصل بصورة إسرائيل من الناحية الدينية :

(١) كانت نقطة الخلاف الأولى مرتبطة بسيطرة الحاخامية الرئيسية على المجال القضائي المتصل بقوانين الأحوال الشخصية . وقد أدت هذه الحقيقة إلى إثارة عدة مطالب مضادة :

أولاً : المطالبة بالبحث عن طريق للتسهيل في شؤون الزواج في تلك الحالات التي لا يستطيع فيها الطرفان أن يتزوجا وفقاً لأحكام الشريعة (مثل زواج الكاهن بالملقة) .

ثانياً: أدى التصلب الشديد من جانب الحاخامية في هذا المجال، كسائر المجالات الأخرى، إلى إثارة مطالب أكثر تطرفاً لاتباع الزواج المدني والفصل بين الدين والدولة.

وقد أثرت في هذا المجال قضية «الإكراه الديني»، المرتبطة بفرض أحكام الشريعة على الحياة العامة أيام السبت وفي الأعياد الدينية، من ناحية، وعلى حياة الفرد بصفة خاصة فيما يتصل بصلاحية الطعام شرعياً ومسائل الزواج والطلاق والأمور المختلفة المتفرعة منها، من ناحية أخرى.

ولقد كانت هذه الأمور العملية التي تمس بشكل مباشر أو غير مباشر حياة كل فرد في إسرائيل، هي المحرك لإثارة المطلب الذي يطرح من حين إلى آخر - وإن كان بوساطة أقلية ضئيلة - «للفصل بين الدين والدولة». وهذا المطلب يريد، بشكل عام، ليس الفصل الرمزي بين دولة إسرائيل كدولة يهودية، وبين التقاليد الدينية اليهودية، بل يطالب أساساً بالفصل على المستوى الرسمي والقضائي. والتحفز هنا هو ضد وجود مؤسسات دينية احتكارية تزود المواطنين بالخدمات الحيوية. وهذه المؤسسات راسخة في قانون الدولة وتعملها سواء بسواء أو بتضييق، وذلك وفقاً لقوة المندوبين الدينيين في الائتلاف الحكومي (٥٨).

وقد انعكس ازدياد التوتر في المجال الديني، ونتيجة لازدياد تدخل الحاخامية الرئيسية في شؤون الأفراد وفي حياتهم اليومية، في إقامة رابطة لمنع «الإكراه الديني». وقد أسست الرابطة في يونيو ١٩٥٠، أثناء انتخابات بلدية القدس. وقد أقامت هذه الرابطة فروعا في المدن الثلاث الكبرى، وتزعمها بصفة خاصة مثقفون من أصل ألماني ومن وسط أوروبا. وبعد ذلك أصبح رؤساء هذه الرابطة جامعيين شبانا وطلاباً من مواليد إسرائيل (الصباريم) ومن مواليد بلدان مختلفة.

وقد كانت المطالب الرئيسية للرابطة هي : الزواج المدني وتقليل القيود الدينية و«الإكراه الديني» في الحياة العامة . وقد حاولت الرابطة من حين إلى آخر أن تؤثر على الرأي العام عن طريق نشر المطبوعات ، والخطابات للسلطات والمقالات في الصحف عن مشكلة «الإكراه الديني» . وقد مارست كذلك نشاطا في السعي من أجل صالح الأفراد، الذين كانوا يصطدمون بالقيود المختلفة لأسباب دينية ، مثل من يريد الزواج وتحول الشريعة دون إتمامه .

وفي عام ١٩٦٠ جددت الرابطة نشاطها بعد سلسلة من الأزمات الدينية بين الجمهور، وعلى الأخص بعد طرح مشكلة «من هو اليهودي؟» . وقد كثفت الرابطة نشاطها في خريف ١٩٦٣ حيث نظمت مظاهرة في القدس ضد العنف المتزايد من قبل المتدينين ، وسارت في هذه المظاهرة جماعات كثيرة من الشباب «العلماني» ، وهم مسلحون بالعصي إلى حدود الأحياء الدينية . وإذا كان نشاط هذه الرابطة قد تعرض لاهتزازات كثيرة ، إلا أن تأثيرها كان كبيرا ، وكانت رمزا ، إلى حد ما ، للاتجاه المتزايد من أجل خلق ثغرات عميقة بين المعسكرين الديني واللا ديني في إسرائيل (٥٩) .

(٢) أما نقطة الخلاف الثانية فقد تكونت على أساس عمل التيارات اللا - أرثوذكسية في اليهودية (الإصلاحيون والمحافظةون) . إن هذه التيارات التي توجد قوتها الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية ، قد قبلت ، حينما أرادت العمل في إسرائيل ، بمحاولات كثيرة من المؤسسات والمنظمات الدينية لإبعادها . وهكذا ، على سبيل المثال ، أثرت في بداية الستينيات أزمة بين وزارة الأديان وجمعية الحاخامات (المنظمة الحاخامية للحركة المحافظة في الولايات المتحدة الأمريكية) ، بشأن فاعلية الزواج الذي تم عقده خارج إسرائيل بواسطة حاخامات محافظين . وقد أدت هذه الأزمة ، إلى تراجع الجمعية عن

مشروعها الخاص بعقد مؤتمرها في إسرائيل . وقد حاولت دوائر المجالس الدينية في بعض الأماكن كذلك منع تأجير قاعات عامة للدوائر الإصلاحية ، من أجل الصلاة ، إلى أن اضطر هؤلاء إلى الحصول على الأوامر المطلوبة عن طريق التوجه إلى « محكمة العدل العليا » (٦٠) .

وتأتي المطالبة بإتاحة الفرصة للتيارين المحافظ والإصلاحي لممارسة نشاطهما في إسرائيل ضمن محاولة كسر احتكار اليهودية الأرثوذكسية ، وإتاحة الفرصة لهم ، ليس فقط من أجل تدعيم إطاراتهم التنظيمية ، بل كذلك لطرح الحلول التشريعية المتجددة للمشاكل المعقدة الخاصة باليهود كأفراد ولإسرائيل كمجتمع في العصر الحديث . والمقصود بالطبع ، هو المزيد من المرونة في عمليات التحريم الخاصة بالزواج والطلاق ، وصدام الشريعة اليهودية مع المشاكل التكنولوجية والاقتصادية والطبية وما شابه ذلك ، وهي المشاكل التي تمس بشكل مباشر حياة الإنسان والمجتمع في الربع الأخير من القرن العشرين (٦١) .

(٣) ونقطة الخلاف الثالثة – وربما الرئيسية والمبلورة – هي مشكلة مدى خضوع الحاخامية للسلطة القضائية العليا للدولة ، أي حق الاستئناف على قرارات الحاخامية أمام المحاكم العادية في إسرائيل بصفة عامة ، والمحكمة العليا باعتبارها محكمة العدل العليا ، بصفة خاصة . إن الحاخامية والدوائر الدينية المختلفة ، ومن بينها كذلك الدوائر المتطرفة ، التي ترفض الاعتراف بالحاخامية الكبرى كصلاحية عليا – قد زادت من مطالباتها من أجل إعطاء الحاخامية وضعاً استقلالياً وعدم إخضاعها لأي سلطة .

وقد تجاوزت الاتجاهات لإعطاء سلطة استقلالية للمؤسسات الدينية الحدود في مجالات رئيسية تمس صورة الدولة والمشاركة في حياتها ، وعلى الأخص

في مجال الخدمة العسكرية . وقد تجلّت هذه الاتجاهات بشكل بارز في حقيقة أن دوائر معينة من الشبان والشابات الدينين أعفوا من الخدمة العسكرية . والنوع الأول يشمل الفتيات الدينيات ، اللاتي يسمح لهن القانون بالإعفاء من الخدمة العسكرية ، إذا ما أعلن أن الأسباب الدينية لا تسمح لهن بالخدمة . وكانت الحالة بعيدة المدى والأكثر جدية هي إعطاء الإعفاء من الخدمة العسكرية ليس وفقاً لحكم صريح في القانون ، بل بناءً على تعليقات داخلية من وزارة الدفاع .

ووفقاً لهذه التعليمات يمنح شباب «الشيّفوت» (المعاهد التلمودية) حق الإعفاء بدعوى أن الخدمة في الجيش تعرقل تماماً دراسة التوراة في «الشيّفوت» . وقد أكد تبرير كهذا ، غربة دوائر دينية معينة عن صورة الدولة الحديثة المستقلة ، من ناحية ، كما أبرزت هذه التسوية ، من ناحية أخرى ، أن المؤسسات الرئيسية في إسرائيل قد منحت وضع هذه الدوائر الدينية قدراً معيناً من الشرعية . وكل هذه الاتجاهات التي تتغذى من إضعاف الأسس المعتدلة والصهيونية في المعسكر الديني ومن تطور الاتجاهات المتطرفة في داخله ، أبرزت بمزيد من الشدة الاتجاه الذي تميل إليه الجماعات الدينية بشأن المطالبة بوضع استقلالي متميز لمؤسسات القضاء الديني . وهذا المطلب هو نتيجة الازدواجية القيمية التي تتصرف بموجبها دوائر كثيرة من هذه الدوائر الدينية تجاه الدولة وقوانينها . ولا تكمن جذور هذه الازدواجية القيمية فقط في وجهة النظر السائدة حتى بين دوائر كثيرة من الجماعات الدينية المعتدلة ، بأن القانون المقدس هو قانون ذو صلاحية أكبر من القانون العلماني الرسمي ، بل كذلك في استعداد ضئيل نسبياً للصدام مع مشاكل وجود دولة يهودية مستقلة ، يشكل فيها الجمهور الديني أقلية ، ومحاولة إضفاء السمات التي كانت مميزة للأقلية المنغلقة في المجتمع اليهودي التقليدي في أوروبا ، على المجتمع

الإسرائيلي . ومن هنا يبرز مطلب الدوائر الدينية بوضع غير متساو واضح داخل المجتمع الإسرائيلي ، أي المطالبة بأن يحصلوا على حق أن يفرضوا المؤسسات الدينية وقوانينها على كافة الجمهور ، دون أن يكون عليهم أن يقبلوا مع هذا كل عبء الإطار السياسي المشترك»^(٦٢) .

واستنادا إلى ما سبق يمكن القول إن العلاقة بين الدين والدولة في إسرائيل ظهرت في ثلاثة مجالات أساسية هي : مجال الرموز ومجال الخدمات ومجال التشريع ، في إطار سعي واضح إلى طمس الحدود بين رموز الانتماء القومي والديني ، بالرغم من محاولات الصهيونية في بدايتها للتخلص من الرموز الدينية :

١ - مجال الرموز الدينية : ويتجلى فيما يلي :

أ - الأعياد الدينية^(٦٣) : لقد كانت الأعياد التي يتضمنها التقويم السنوي أعيادا دينية تحتفل بها أقلية من المتدينين الذين يحافظون على التقاليد ، تمسكا بتعاليم الدين ، مما كان يضيف على هذه الأعياد جوا من القدسية والصلاحية الدينية . وفي المراحل الأولى من محاولة التكيف القومي بذلت الجهود من أجل تخليص الأعياد القديمة من طابعها الديني ، وتحويلها إلى أعياد ذات مضامين قومية فحسب ، ولكن هذا الاتجاه أخذ في التراجع ، وبدأت الاحتفالات العلنية ، وخاصة تلك التي تتم في إطار جيش الدفاع الإسرائيلي تأخذ الطابع الديني التقليدي . وبالرغم من أن هذه الترتيبات تخلق أحيانا احتكاكات بين المتعصبين الدينيين وأولئك الذين لا يقيمون الشرائع - حينما يحاول المتعصبون فرض إقامة الشرائع على اللا دينيين - فإن الاحتفال التقليدي بهذه الأعياد أصبحت له وظيفة موحدة . وعن طريق تضمين الأعياد الدينية في الوعي القومي يكشف الإسرائيليون عن علاقتهم باليهودية وبيهود العالم تماما مثلما

أصبحت الأعياد القومية الإسرائيلية (عيد الاستقلال ، وعيد الذكرى النازية) جزءا ثابتا في تقويم معظم الطوائف اليهودية في العالم .

ب - المناسبات الدينية العائلية : ويقصد بها تلك المناسبات الاحتفالية ذات الطابع الديني ، مثل احتفال «بَرْمُتْسفا» (الاحتفال الذي يتم بمناسبة بلوغ الفتى سن الثالثة عشرة من عمره حيث يصبح مسؤولا عن إقامة الشرائع الدينية والالتزام بها ويسمى في هذه الحالة «بَرْمُتْسفا» أي «ابن الشريعة») ومناسبات الحداد وما شابهها ، حيث كان الشائع هو أن قراءة التوراة في مثل هذه الاحتفالات والاستعدادات المرتبطة بها مقصورة على المحافظين على الشرائع فقط ، بينما هي شائعة الآن في دوائر أوسع حتى من بين العلمانيين . وللتفرقة بين السرور والحزن ، فإن تلاوة صلاة «القاديش» (صلاة تتلى على الموتى) بوساطة الابن أو سائر أقارب الأسرة ، وهي طقس ديني بارز ، لم تعد تغيب عن جنازة الميت في إسرائيل تقريبا . وإذا ماحدث رفض من إحدى الأسر في «الكيبوتس» لإجراء الحاخامية العسكرية جنازة دينية لأحد القتلى في المعارك ، فإن هذا الأمر ينظر إليه على أنه شيء غريب وغير مألوف^(٦٤) .

ج - رموز الدولة وأعلامها : مثل نجمة داود السداسية والشمعدان ، التي تتخذ رمزا للعديد من مؤسسات الدولة الرسمية ، وألوان العلم «الأبيض والأزرق السماوي» وهي ألوان «الطاليت» (شال الصلاة) ، والعديد من الطوابع الرسمية التي تصدرها الدولة ، حيث تحرص على إضفاء المسحة الدينية عليها . . إلخ .

ويمكن أن نشير في هذا المجال أيضا إلى أحد الرموز التي ترتبط بالوعي الديني التاريخي عند اليهود ، ألا وهو اللغة العبرية . لقد كان إحياء اللغة العبرية ، بلا شك ، أحد إنجازات الحركة الصهيونية ، وكان شرطا حتميا

لنجاحها، وهو أمر ما كان من الممكن أن يتحقق اعتماداً على المحصول اللغوي الوارد في كتاب العهد القديم فقط، والذي لا يتجاوز ثمانية آلاف كلمة، كما كان يفضل بعض غلاة الصهيونيين. لقد استوعبت اللغة العبرية الحديثة أسساً من كل المراحل التاريخية التي مرت بها اللغة العبرية: المرحلة «التاناخية» (الخاصة بالعهد القديم)، والمرحلة التلمودية، ومرحلة العصور الوسطى، ومرحلة أجيال «الجيتو»، كما استعانت بكل صور الاستخدام اللغوي التي ظهرت في كل الصور الأدبية.

ويرى موشيه سميث «أن رؤساء دولة إسرائيل (باستثناء الأول وهو حيم وايزمان)، ما أن تولوا مهامهم حتى بدأوا يبدون ارتباطاً بالتقاليد. إن يتسحاق بن تسفي، الذي دافع بحماس عن حق حركة العمال في إقامة مجتمع علماني في البلاد المتجددة، في المؤتمر الصهيوني عام ١٩١٠، بدأ بعد انتخابه رئيساً في الانحياز إلى التقاليد وإقامة معظم شرائعها علناً. وزلمان شازار، الرئيس الثالث طرح طلباً بشأن إقامة معبد في مقر رئيس الدولة، وإفرايم كاتسير، الذي كان على عكس سابقيه مفتقداً للخلفية المرتبطة بالتقاليد، مر بمرحلة تغيير في علاقته العامة بقيم التقاليد. ومن هنا فليس من قبيل المصادفة أن يطالب «الحزب الديني القومي» بتقوية مكانة وصلاحيات رئيس الدولة في القانون»^(٦٥).

٢ - مجال الخدمات :

حيث إن احتياج الدولة للرموز الدينية، سواء فرضاً أو طواعية، يستلزم خدمات تقوم بها هيئات وأفراد، يزودون المجتمع باحتياجاته في المجال الديني، فإن الدولة تقوم بمد المواطنين في إسرائيل، بالخدمات الدينية المختلفة والمتنوعة في مجال قوانين الأحوال الشخصية ومجال التعليم الديني،

سواء للمعنيين بذلك أو لغير المعنيين ، كما توجد وزارة للأديان مهمتها الرئيسية توفير هذه الخدمات والإشراف عليها .

والدولة في إسرائيل توفر جهازا كاملا من الحاخامات ، والقضاة الدينيين ورجال الدين الصغار، ينتمي جزء منهم إلى جهاز الدولة والمؤسسات العامة الأخرى وعدد منهم يمارس مهامه ويحصل على مكافأة مقابل القيام بالخدمات الدينية .

والجدير بالذكر في هذا المجال أن المجتمع لا شأن له بأسلوب الدولة ، أو بأي أسلوب آخر يتبع في إعداد الحاخامات وممارسي الطقوس . إن هؤلاء الحاخامات لا يخرجون من المجتمع الذي سوف يقدمون له خدماتهم ، بل هم ثمرة الجماعات الهامشية ، التي تعيش في جو من الثقافة الدينية المتحفظة تجاه المجتمع الإسرائيلي بأسره . ومركز التربية الرئيسي للمؤهلين للخدمات الدينية هو «اليشيفوت» (المعاهد التلمودية) . وتشكل هذه «اليشيفوت» ، ما هو بمثابة حلقة اجتماعية روحانية قائمة بذاتها . ويتحول التلاميذ الذين يتمون إلى المجتمع الإسرائيلي - من الدوائر الدينية المعتدلة - خلال سنوات دراستهم في «اليشيفوت» إلى جزء حقيقي من عالم «اليشيفوت» . وحتى إذا كانوا لا يستوعبون تماما في هذا العالم ، فإنه يصبح بالنسبة لهم بمثابة دائرة انتهاء ، وخاصة إذا ما أصبحت الخدمة الدينية هي مهنتهم ، وعملوا كحاخامات أو قضاة وما شابه ذلك (٦٦) .

وفي إطار قانون التعليم الإلزامي المجاني الذي تقدمه الدولة ، يوجد تياران أرثوذكسيان مختلفان : التيار الأول تيار معتدل ، وهو التيار الرسمي الديني ، والثاني متطرف ، وهو التيار المستقل . ومع تشريع قانون التعليم الإلزامي عام ١٩٥٣ والذي أقر بأغلبية صوت واحد في الحكومة ، دُعِم التعليم المستقل بنسبة ٦٠٪ من مرتبات المدرسين . وبعد عدة سنوات رفعوا نسبة الدعم إلى ٨٥٪ ، وحاليا تقوم الدولة بتمويل أجور المدرسين بالكامل من ميزانياتها .

وتوجد في وزارة التعليم شعبة خاصة وذات استقلال ذاتي مسؤولة عن التعليم الرسمي الديني الذي أصبح بمرور السنين ، مع توسيع صلاحياته مملكة قائمة بذاتها . ويعتبر الإشراف على التعليم المستقل من قبل الدولة إشرافا شكليا فقط . كذلك فإنه يوجد في هذه الوزارة قسم «لثقافة التوراتية الأرثوذكسية» وقسم للعناية بموضوع «الوعي اليهودي» في التعليم الرسمي . وقد تم في السنوات الأخيرة فتح أبواب مدارس رسمية كثيرة أمام مبعوثي «حَبَد» (أتباع الحسيدية) وغيرهم ، بتصديق ومباركة من وزارة التعليم ، وفي عام ١٩٧٧ ، تم افتتاح أول مدرسة رسمية في القدس ، تقوم مناهجها على التعليم التقليدي غير الأرثوذكسي .

كذلك فإن التعليم العلماني ، لم يعزل نفسه عن الأدب التلمودي ، أو عن الشعر العبري في العصور الوسطى ، حيث أصبحت نماذج مختارة من هذه الأنماط جزءا حيويا من مناهج الدراسة في كل مراحل التعليم والثقافة في إسرائيل المعاصرة .

وقد حدث تحول مشابه ملموس في النظرة إلى التاريخ اليهودي وتدريسه وتقديره ، فإذا كان من الناحية النظرية ، ليس هناك مجتمع مستقل ذاتيا أو دولة مستقلة يمكن أن تولي اهتماما لتاريخ طائفة دينية ، فإن تواريخ الطوائف الدينية اليهودية التي كانت ترتبط في حياتها ارتباطا وثيقا بالدين وتقاليده ، لم يكن من الممكن أن تكون مصدر وحي لدولة إسرائيل العلمانية ، التي كانت تسعى للتخلص من التصاق هذه المرحلة التاريخية بتاريخها المعاصر . وقد أشار الأديب الإسرائيلي حليم هزاز (١٨٩٨ - ١٩٧٣) على لسان اثنين من «الحالوتسيم» (الطلّاعين) في حوار بينهما إلى أنه لا وجود لتاريخ يهودي ، وأن «الجويسم» (الشعوب غير اليهودية) هي التي صنعت التاريخ ، ولم يكن اليهود إلا ضحاياهم . وقد أبدى الجيل الأول من «الصباريم» معارضة معينة للانحياز

لتاريخ الطوائف اليهودية، وللتعاطف مع يهود الشتات، وكانت فترة «المُقَرَّ» (العهد القديم) وأحداث الاستقلال اليهودي في فترة الهيكل الثاني (الحشمونائيم) هي الفترات التي كانت محل تقدير واهتمام في التاريخ اليهودي. ولكن بعد أحداث النازية نشأ في الوعي العام اليهودي نوع من إضفاء المثالية على العالم الذي انقضى، عالم «الجيتو» و«الشتيتل» الشرق أوروبي، وأصبح تاريخ الطوائف اليهودية الدينية يحظى بالتدريس في المدارس.

وفي إطار رعاية الدولة للتعليم الديني تقوم وزارة الضمان الاجتماعي بالمساعدة في إعالة أبناء «الشيْفوت» في إطار القانون، وتبادر وزارة الداخلية بإقامة «شيْفوت» تحت اسم «حركة نشر التوراة» (تنوعاً لهفَّتسات توراه «ثلاث»)، وعلى الأخص في مناطق التنمية. كذلك فإن جيش الدفاع الإسرائيلي يكرس وسائل هائلة لتزويد الجنود بالخدمات الدينية ويخصص مكانة محترمة للتقاليد في المناخ العسكري، وفقاً لأوامر رئاسة الأركان. ويخصص جزءاً من ميزانية وزارة العدل لدراسة القانون العبري، كما تعنى وزارة الخارجية عند إعداد الدبلوماسيين الشبان بدراسات الوعي اليهودي. والمجالس الدينية التابعة للهيئات المحلية هي الأخرى خاضعة لرعاية الدولة التي تقوم بتغطية ثلث العجز في ميزانيتها الجارية (الثلثان الباقيان يتم تغطيتهما من صندوق الهيئة المحلية وفي أماكن كثيرة، بشكل غير مباشر، يتم تغطية هذا العجز من ميزانية الدولة). وتقوم وزارة الأديان بإعطاء منح لميزانيات التنمية، مثل بناء المعابد ومغاطس التطهر وما شابه ذلك. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن هيئات من تلك التي تعتبر بمثابة دولة داخل الدولة، مثل «الوكالة اليهودية» أو «المستدروت» تشارك في هذا الاتجاه، حيث يوجد في الوكالة قسم للثقافة التوراتية في «المنفى»، وتقوم المستدروت بمد أعضائها باحتياجاتهم الدينية^(٦٧).

٣- مجال التشريع :

يعتبر مجال التشريع من أبرز المجالات التي يتجلى فيها الطابع اليهودي الموضوعي لدولة إسرائيل، وهو التشريع الذي يقوم في أساسه على الدين، وليس على أي طابع اجتماعي آخر. ولذلك فإن هذا المجال يشكل مصدرا لنزاعات واحتكاكات كثيرة من الناحية السياسية والاجتماعية. وهنا ينبغي التمييز بين مجالين في إطار تحويل القوانين الدينية إلى قوانين مؤسسية في دولة إسرائيل. والموضوع الذي يحتل أهمية حاسمة في هذا المجال هو الإطار الخاص بمؤسسات القضاء الحاخامية، ومكائنها كمؤسسات حكومية رسمية، وصلاحياتها المطلقة في مجال الأحوال الشخصية والصلاحيات المقابلة للمحاكم العادية. لقد كان هذا المجال موضوعا لمطالب المؤسسة الأرثوذكسية (الأحزاب الدينية والحاخامية الكبرى) من ناحية، ومعارضة العنصر «العلماني» من ناحية أخرى. وقد حظي الأرثوذكسيون بعدة مكاسب مذهلة.

٤- أما المجال الرابع، وهو المجال الذي لا يعرف عنه الكثير، فهو إدخال أجزاء قانونية من القانون العبري إلى قوانين الدولة في مراحل مختلفة من مراحل إعداد القوانين. وهذا الموضوع لا ينطوي على اضطرابات سياسية، وتم إجراؤه بموافقة كل المعسكرات. وبالرغم من أن أعضاء الكتل الدينية في الكنيست كانوا في بعض الأحيان يتدخلون في إجراءات هذا التشريع بصورة فعالة، فإن هذا الأمر لم يكن هو مجال نشاطهم الوحيد، وكانوا يبدون في بعض الأحيان معارضة لبعض القوانين المطروحة (مثلا حدث عندما عارض دكتور فرهفتيج «احترام الأب والأم» الذي طرحه الكنيست للمناقشة).

«الوضع الراهن» (ستاتوس كو) في إسرائيل

مازالت الأوضاع فيما يتصل بالعلاقات بين الدينيين والعلمانيين في

إسرائيل ، حتى الآن ، قائمة على الأساس القانوني السياسي المعروف باسم «ستاتوس كو» (الوضع الراهن Status quo) . فمتى بدأ العمل بهذا الاتفاق؟

في عام ١٩٤٧ أرسل بن جوريون (الذي كان آنذاك رئيس إدارة الوكالة اليهودية) خطابا إلى «أجودات إسرائيل» ، وعد فيه ، بأن تحفظ للدين عدة مبادئ رئيسية هي :

أ - يوم السبت - تحديد السبت باعتباره يوم راحة في قوانين الدولة .

ب - «الكشروت» - ضمان «الكشروت» في المطابخ الرسمية .

ج - قوانين الأحوال الشخصية - وضع الصلاحيات المطلقة في مجال شؤون الزواج والطلاق في يد مؤسسة القضاء الحاخامي .

د - التعليم - الاعتراف بمنظومة التعليم الديني المستقل ذاتيا .

وقد كانت هذه هي مبادئ «الوضع الراهن» التي وافقت كل الاتفاقيات الائتلافية الصهيونية (منذ عام ١٩٥٥) ، والتي وقعت بين حزب «الماباي» والأحزاب الدينية ، وبعد ذلك بين حزب «الليكود» والأحزاب الدينية في الاتفاق الائتلافي عام ١٩٧٧ ، عام الانقلاب السياسي الكبير، حيث خصصت معظم بنود الاتفاقية لتوضيح «الوضع الراهن» .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما الذي دفع القيادة العلمانية بقبول تسوية «الوضع الراهن»؟

والإجابة عن هذا السؤال هي :

١ - أن التسوية أقيمت في يدها السيطرة على الجهاز الديني باسم «مبدأ الرسمية» ، ولم يكن الاستقلال الذاتي ، الذي حظي به الدينيون ، في المجالين التعليمي والقضائي ، ينطوي على ما ينتقص من السيطرة العلمانية .

٢ - قوى حزب «الماباي» من موقفه عن طريق الاتفاق مع الدوائر الدينية، لأنه كان يعنيه، ألا تبقى الشؤون الدينية في يد الأحزاب الدينية وحدها، وأن تبقى سياسة الأمن والاقتصاد في يده، وعلى هذا النحو فإن الإبقاء على «الوضع الراهن» كان مريحا للقيادة العلمانية.

والوجه الآخر للسؤال هو، ما الذي دفع الدينيين للموافقة على «الوضع الراهن»؟ والإجابة هي:

١ - الرغبة في المحافظة على المكاسب التي تم تحقيقها في فترة الانتداب البريطاني.

٢ - الخوف من أنه في حالة عدم وجود اتفاق، أن تسعى السلطة العلمانية إلى سحق المصالح الدينية.

٣ - إدراك الجمهور الديني وبصفة خاصة الصهيوني، أن «الوضع الراهن» ينطوي على مميزات لبلورة الجمهور الإسرائيلي إزاء التحديات الصعبة من الداخل والخارج.

مميزات وعيوب «الوضع الراهن»:

يرى من يمتدحون اتفاق «الوضع الراهن» أن لهذا الاتفاق ميزتين:

الأولى: أن «الوضع الراهن» يتيح تعايشا سلميا بين الجمهور الديني والجمهور العلماني، ويقول مؤيدو اتفاق «الوضع الراهن»، إن هذا الاتفاق بالرغم من كونه ليس مثاليا فإنه يشكل «فترة زمنية» مهمة في التوتر بين المعسكرين.

الثاني: أنه تحديدا بفضل «الوضع الراهن» يمكن تشكيل ائتلافات بين الحزب العلماني الكبير («الليكود أو «المعراخ») مع الأحزاب الدينية، شريطة

أن يحترم كل طرف الاتفاق . ويرون كذلك أنه في حالة عدم وجود اتفاق «الوضع الراهن» يستحيل التوصل إلى تسوية مع الأحزاب الدينية . . . وفي هذه الحالة سيكون الجمهور كله هو الخاسر .

أما أولئك الذين يرفضون اتفاق «الوضع الراهن» فإنهم يقدمون تبريرين رئيسيين :

الأول : أن مبادئ «الوضع الراهن» تم تحديدها في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات ، وأنها لم تصمد في مواجهة واقع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات .

الثاني : أن مجرد وجود اتفاق «الوضع الراهن» يشكل عاملا في «التوتر الاصطناعي» بين الأحزاب الدينية والأحزاب العلمانية .

اليهودية الأرثوذكسية

لفظة الأرثوذكسية ذات أصل يوناني ، ومعناها العقيدة القوية أو الملتزمة أو المستقيمة . ولكن الإصلاحيين اليهود عندما وصفوا أصحاب العقيدة اليهودية التلمودية بهذه الصفة كانوا يقصدون أنهم أصحاب العقيدة المتطرفة أو الملتزمة ، وقد استعملت هذه الصفة لأول مرة في الأدب الديني اليهودي عام ١٧٩٥م على يد الإصلاحيين اليهود قاصدين بها معارضيهم من التلموديين الذين قبلوا هذا الاسم ، وأطلقوه على أنفسهم ، إلا أنهم في الوقت الحاضر يفضلون أن يطلق على مدرستهم اسم «اليهودية المصدقة للتوراة» . ويفرق الأدب الديني اليهودي في الوقت الحاضر بين الأرثوذكسية Orthodox و«الأرثوذكسية المتطرفة أو المشددة» Ultra - orthodox وبالعبريّة «هَـخَرِيدِيم» ، حيث يطلق اللقب الأول على اليهود الأرثوذكس الذين يعترفون بالصهيونية وبدولة إسرائيل ، وأغلب هؤلاء من أنصار «الصهيونية الدينية»

مثل حزب «المقدال» (الحزب الديني القومي)، بينما يطلق اللقب الثاني على غلاة الأرثوذكس الذين لا يعترفون بالحركة الصهيونية العلمانية، مثل حزب «أجودات إسرائيل» وحركة «نظوري كرتا» وحزب «شاس» وغيرهم، كما سنرى فيما بعد.

وقد ظهرت اليهودية الأرثوذكسية، كرد فعل على اليهودية الإصلاحية، لدرء الخطر الذي يمكن أن يهدد اليهود بالذوبان إذا ما استجابوا إلى دعوة الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها، الأمر الذي يمكن أن يعصف بسلطتهم إلى غير رجعة. ولذا هبوا للدفاع عن تراث الجيتو اليهودي، وعن فكرة الانغلاق والاختيار الإلهي، وحذروا من مخاطر مخالفة القوانين والتقاليد الدينية اليهودية، وحثوا اليهود على رفض كافة الإغراءات التي أفرزتها دعوة التحرير والمساواة، والتي اندفع إليها اليهود في حماس شديد هدد خصوصية اليهودية.

وقد كان الحاخام شمشون رفائيل هيرش (١٨٠٨ - ١٨٨٨) من أوائل الحاخامات الذين عرضوا أفكار اليهودية الأرثوذكسية بصورتها الحديثة، وحدد موقفها من مستحدثات العصر الحديث. وقد تركزت دعوته حول أن قيم التوراة خالدة، بينما قيم الحضارة المعاصرة وقتية ومتغيرة، ودعا إلى الانفصال عن شعوب العالم أخلاقيا وروحيا، وإلى أنه يمكن التوفيق بين المواطنين اليهود في الدول التي يعيشون فيها وبين تحقيق رسالتهم اليهودية، واتخاذ التوراة معيارا تقاس به قيم وأفكار الحضارة المعاصرة.

وتقوم الأسس العقائدية الأرثوذكسية على الأسس التالية :

(١) أن الدين اليهودي ليس عقيدة كالمسيحية والإسلام، بل دين عملي ونظام حياة.

(٢) أن لليهود ستائة وثلاثة عشر واجبا عليهم أن يعملوا بها، وأن «الشريعة المكتوبة» (التلمود) مصدرها الله .

(٣) أن القوانين الدينية اليهودية (الهالاخاه) تصلح للدين والدنيا، وهي نظام حياة، وهي غير قابلة للتغيير أو التبديل، واتباعها لا يعني استحالة التعايش بين اليهود وغيرهم .

(٤) أن الطقوس الدينية لا يقوم بها إلا المؤهلون لذلك من خريجي المدارس الدينية، وهم فقط المخولون للقيام بكافة الطقوس كالزواج، والطلاق، والتهود والذبح المحلل، وغيرها .

(٥) أن الخلاص لا يتم إلا بعودة المسيح المنتظر، وأن اليهود هم «شعب الله المختار»، الذي يجب أن يعيش منعزلا عن غير اليهود حتى يمكنه تحقيق رسالته .

(٦) استخدام العبرية فقط في الصلوات، وعدم جواز اختلاط الجنسين أثناء الصلاة، أو زيارة النساء لحائط المبكى .

وقد حققت اليهودية الأرثوذكسية نجاحا كبيرا في إسرائيل، بحيث أصبحت تضم أكبر تجمع يهودي أرثوذكسي في العالم . وعندما يقال «يهودي إسرائيلي متدين» فهذا يعني يهودي أرثوذكسي، بالرغم من وجود جيوب صغيرة لتيارات يهودية أخرى لا يتجاوز عددها خمسة آلاف نسمة . ويصنف ٤٠٪ من الإسرائيليين أنفسهم بأنهم يهود «أرثوذكس»، أما البقية فترى نفسها في حل من أي تيار ديني، وخاصة أن نسبة كبيرة منهم هم من العلمانيين الذين لا يولون الدين أهمية كبيرة في حياتهم .

وقد ساعد تخوف اليهود الأرثوذكس في أوروبا من الذوبان في

المجتمعات التي يعيشون فيها على الهجرة إلى فلسطين كجزء من معتقداتهم الدينية، وقد نشطت الصهيونية داخل هذا التيار ووجدت فيه مجالا خصبا لدعوته، بسبب نظرتها إلى اليهودية باعتبارها ديناً وقومية، وخاصة بين صفوف الأرثوذكسية اليهودية الصهيونية.

وبالرغم من علمانية دولة إسرائيل فإن للأرثوذكسية اليهودية فيها نفوذا كبيرا، من مظاهره وجود أربعة أحزاب دينية أرثوذكسية، وانتشار عدد من «الكيوتسات» (المستعمرات الاشتراكية) الدينية، ووجود أكثر من سبعة آلاف معبد ديني أرثوذكسي، والسيطرة على «الحاخامية الرئيسية» التي تهيمن على توجيه الأمور الدينية في إسرائيل، وعلى المحاكم الحاخامية، وعلى أغلب المجالس الدينية في المدن و«الكيوتسات» و«الموشافوت» (المستعمرات التعاونية)، وإشرافها على منظومة كاملة من النظام التعليمي الديني، وإنشائها للعديد من «اليشيفوت» (المعاهد التلمودية).

ويمكن أن نرصد ثلاثة توجهات داخل الأرثوذكسية اليهودية في موقفها من المجتمعات اللا أرثوذكسية وخاصة بعد قيام دولة إسرائيل هي:

(١) التوجه الأول، ويدعو إلى الانسحاب من المجتمع غير الأرثوذكسي حرصا على نقاء الأرثوذكسية والتزاما بتعاليم «الهالاخاه». ويمثل هذا التوجه «الطائفة الحريدية» وحركة «نطوري كرتا» الحسيديتين اللتين تعيشان داخل دولة إسرائيل وترفضان الاعتراف بها أو المشاركة في أية نشاطات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية فيها.

(٢) والتوجه الثاني (برغم عداوته للصهيونية وعدم اعترافه بدولة إسرائيل) يتأرجح بين السعي لوحدة الشعب اليهودي، وبين الخشية من

توجيه الأمور إلى غير صالح الأرثوذكسية وتعاليمها . ويمثل هذا التوجه حزب «أجودات إسرائيل» الذي رفض بعد قيام دولة إسرائيل المشاركة في انتخابات الكنيست ، ولم يعترف «بالخاخامية الرئيسية» ، ولكنه عدل موقفه بعد ذلك وخاض الانتخابات وشارك في عدد من الحكومات الائتلافية ، وخاصة مع اليمين الصهيوني المتطرف بعد عام ١٩٧٧ ، بالرغم من استمرار عدم اعترافه بالدولة . وهكذا فإن هذين التوجهين يشتركان في عدم الاعتراف بالدولة والتنكر لشرعيتها والعداء للصهيونية ، ويعرفون في إسرائيل باسم «الحريديم» (اليهود المتشددون أو السلفيين) .

(٣) والتوجه الثالث ، يبدي استعدادا للاعتراف بشرعية الصهيونية ، ولديه أسانيد دينية على ذلك . وقد لقي كل الدعم والمساندة من الحركة الصهيونية وعرف باسم «الصهيونية الدينية» وقد مثلته في البداية حركة «المزراحي» ثم بعد ذلك حزب «المفدال» ، وتبنى موقفا متعاطفا مع التعليم والثقافة العلمانية ، وشارك مشاركة فعالة في الحياة السياسية بعد قيام دولة إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٩٢ .

وتجدر الإشارة إلى أن التيار الأرثوذكسي اليهودي بسبب تقليديته وتنوع عناصره ، وتباين ثقافته ، يضم في داخله العديد من القوى المتصارعة التي لدى كل منها من القوة والتنظيم ما يمكنه من إحباط أية محاولة هيمنة من القوى الأخرى . وبعكس التيارات اليهودية الأخرى ، فإن الأرثوذكسية هي التيار الوحيد الذي لا يوجد له تنظيم مركزي واحد ، وقيادة واحدة ، وتصل النزاعات بين الحاخامات الكبار المهيمنين على كل قوة من هذه القوى ، إلى حد الاتهام بالكفر والضلال والهرطقة والجنون . ولهذا السبب فإن الحرب التي تخوضها القوى الأرثوذكسية أصبحت حربا

داخل أعماق المعازل الأرثوذكسية ذاتها، أكثر منها حرباً ضد الجبهات الخارجية، سواء كانت من اليهود الذين لا يؤمنون باليهودية الأرثوذكسية، أو من غير اليهود (الجوييم). وقد وصلت ذروة هذه الأزمة التي تعيشها «الأرثوذكسية اليهودية» إلى حد عجزها عن إطفاء لهيب هذه الحرب التي تبدل أثوابها من حين إلى آخر حسب طبيعة وظروف كل معركة.



الباب الثاني

الأحزاب الصهيونية الدينية الأرثوذكسية

الفصل الأول

الصهيونية الدينية

(النشأة والمفاهيم)

انطلقت الصهيونية الدينية من فكرة أساسية، تتمثل في معارضة الفكرة التي يؤمن بها عامة اليهود، والداعية إلى الاعتماد على «المسيح المنتظر» كي يقودهم صوب فلسطين، من أجل إقامة «مملكة إسرائيل». وقد رأت الصهيونية الدينية أن هذا الاعتقاد الذي ساد بين اليهود قرابة ستين جيلا، وأدى بهم إلى الابتعاد عن اتخاذ أي عمل سياسي يعيدهم إلى «أرض الميعاد»، قد شجع على انتشاره وضع اليهود نفسه. وهكذا وقفت الصهيونية الدينية ضد ذلك الرأي الذي ساد بين اليهود على مدى ثمانية عشر قرنا، واستندت إلى تلك الفترة التي ثار فيها اليهود مرارا وتكرارا بين عامي (٥٣٩ ق.م - ١٣٥ م)، معتبرة أن سياسة التهدة والمسالمة ربما كانت مفضلة في الظروف المعاكسة لليهود، وأن سياسة البعث والتنشيط يمكن ألا تكون مستحسنة لدى الرب^(١).

وقد استغلت الصهيونية الدينية، مقولتين أساسيتين يؤمن بهما عامة اليهود، وجعلتهما دعامة فكرية لمفاهيمها وهما: الشعب المختار، وأرض الميعاد.

وقد أضفى الحاخام موشيه بن نحمان الملقب «رمبان» (١١٩٤ - ١٢٧٠ م) في تفسيره للتوراة طابعا من القداسة على «أرض فلسطين»، فاعتبر أنها «مركز العالم»، وأن «أورشليم» هي مركز «أرض إسرائيل»، وأن هذه الأرض هي

المكان المناسب والوحيد لتأدية الوصايا الدينية المنصوص عليها في التوراة، وفيها يصل الإنسان وكذلك الحيوان إلى قمة كماله . وقد اعتبر بن نحمان أن الاستيطان في «أرض إسرائيل» واجب ديني، بل إنه اعتبر أن استيطان «أرض إسرائيل» يوازي كل فرائض التوراة . وتم تفسير هذه الفريضة فيما بعد كواجب مزدوج يلزم اليهود كمجموعة، كما يلزم كل فرد يهودي بالهجرة إلى «أرض إسرائيل» والعيش فيها تمهيدا لمجيء المسيح المخلص . وتم لاحقا - بناء على هذه الاجتهادات - توسيع هذا الالتزام وإدخاله إلى حيز الأحوال الشخصية، بحيث أصبح مثلا رفض أحد الزوجين الذهاب إلى «أرض إسرائيل» والعيش فيها مبررا كافيا، حسب الشريعة، للزوج لطلب الطلاق . ومثل هذه الاجتهادات كانت من الأسباب التي دفعت بعض اليهود من حين إلى آخر للهجرة إلى فلسطين والعيش فيها^(٢) .

وقد انطلقت البداية الحقيقية للصهيونية الدينية في العصر الحديث من أفكار الحاخام يهودا القلعي (١٧٩٨ - ١٨٧٨ م)، الذي دعا إلى خلاص اليهود بالعودة إلى التلمود، وأساطير «القبّالاه» . واقترح في كراسته : «اسمعي يا إسرائيل» (شِمعِي إسرائيل) التي نشرها عام ١٨٣٤ م، العودة إلى فلسطين تحت قيادة زعامة بشرية، دون أي انتظار للمسيح المخلص، كما دعا إلى إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين كي تكون مقدمة لظهوره . وبناء على حسابات كان قد أجراها اعتمادا على «القبّالاه» توقع القلعي أن يظهر المسيح عام ١٨٤٠ م . ولما لم يحدث ما توقع فقد غير رأيه، وأعلن أن الخلاص لا يمكن أن يأتي فجأة ومرة واحدة، وإنما ينبغي العمل بجهد في سبيله، وأن هذا الخلاص الذاتي سيتم بالدعوة إلى عقد «جمعية كبرى» (كنيست جدولا) وقيام صندوق قومي لشراء الأراضي، وهي الأفكار نفسها التي تبناها هرتسل فيما بعد . وقد فسر في كتابه «الخلاص الثالث» الخلاص الجديد على أساس الاستيطان في فلسطين، بقصد تعمير الأرض «الخراب» وإحياء اللغة العبرية^(٣) .

ولم يكتف الحاخام القلعي بالدعوة نظرياً إلى آرائه ، بوساطة الكتب والكراريس التي كان ينشرها من حين لآخر ، بل حاول تطبيق آرائه عملياً ، فقام بوضع كتب لتدريس اللغة العبرية ، والتوصية باستعمالها ، وقام بزيارات عدة إلى دول أوروبية للترويج لأفكاره بين اليهود ، كما حاول القيام بنشاط استيطاني في فلسطين ، لكنه لم يوفق ، وهاجر عام ١٨٧٤ م إلى فلسطين حيث توفي فيها^(٤) .

وقد استطاع القلعي التأثير في أحد زملائه ، وهو الحاخام البولندي ، تسفي هيرش كاليشر (١٧٩٥ - ١٨٧٤ م) حاخام الطائفة اليهودية في مدينة تورين بألمانيا ، الذي دعا لمثل ما دعا إليه القلعي . وقد تصدى كاليشر بضراوة لحركة الإصلاح الديني اليهودية ، واعتبر في كتابه «البحث عن صهيون» (درشت تسيون) (١٨٦٢ م) أن عذاب اليهود وشقاءهم هما امتحان لإيمانهم ، وأن بداية حلول الخلاص تكمن في التطوع للذهاب إلى فلسطين بقصد الاستيطان وشراء الأراضي ، لأن استيطان البلاد المقدسة هو من أهم وصايا التوراة^(٥) .

ولم يكن تمرد الحاخامين القلعي ، وكاليشر على فكرة انتظار المسيح عملاً سهلاً ، إذ إن غالبية الحاخامات ورجال الدين اليهود كانوا حتى ذلك الوقت ، يعتبرون هذه الدعوة نوعاً من الهرطقة ، وزاد من صعوبة موقف كاليشر بالذات أنه نشر اجتهاداته في مجتمع يهودي متدين ، كان يشك في أية دعوة لإقامة دولة يهودية . لذا لجأ في كتابه «البحث عن صهيون» إلى الاقتباس المكثف من التلمود ، وكتابات كبار الحاخامات الذين سبقوه ، والتي تؤيد وجهة نظره . ومهما يكن الأمر فإن آراء هذين الحاخامين بالرغم من أنها لم تحظ بالتأييد الكامل من قبل أغلب حاخامي العصر ، فإنها شكلت في النهاية المقدمة المطلوبة لبروز تيار الصهيونية الدينية داخل التجمعات اليهودية^(٦) .

وقد أعطت أفكار هذين الحاخامين ثمارها بعد حين، فبدأ تأثيرها واضحاً في المؤتمر الصهيوني الأول، حين شارك مجموعة من المتدينين المؤمنين بأفكار الحاخامين في أعمال المؤتمر، وكان على رأس هؤلاء الحاخام الروسي شموئيل موهيليفر (١٨٢٤ - ١٨٩٨ م)، الذي كان من المتعمقين «بالقبالة» والحسيدية وأحد زعماء حركة «أحباء صهيون»، ومن المتأثرين بأفكار كاليشر. وتنفيذا لهذه الأفكار هاجر في نهاية الأمر مع جماعة من أتباعه إلى فلسطين وأسهم في تأسيس مستوطنة «رحوفوت» هناك، وكان من أوائل المتدينين الذين تعاونوا مع العلمانيين وعملوا على دمج الأرثوذكسية الدينية، بالقومية اليهودية الحديثة. وقد استطاع موهيليفر إقناع روتشيلد، بالإسهام في تمويل ومساعدة الاستيطان اليهودي لفلسطين. وحينما واجه المستوطنون اليهود لأول مرة مشكلة «سنة التبورير» (شنيات هشמיטה)، وهي السنة السبتية السابعة، كان موهيليفر من ضمن الحاخامات الذين أفتوا بوجوب زراعة الأرض في السنة السبتية بعد بيعها «للأغيار» بيعاً صورياً^(٧). وقد ركز هذا الحاخام كل جهوده على التوفيق بين العلمانية والمتدينين بناء على القول الوارد على لسان أحد العلماء في التوراة: «إن الله يفضل أن يعيش أبنائه في أرضهم، حتى ولو لم ينفذوا تعاليم التوراة، على أن يعيشوا في المنفى وينفذوا تعاليمها». وبرزت جهوده واضحة في الإعداد للمؤتمر الأول مع هرتسل، وقد بعث برسالة إلى المؤتمر بشر فيها باقتراب قدوم المسيح المخلص الذي سوف يجمع شمل «شعب إسرائيل» في فلسطين^(٨).

وكان من المؤمنين بتلك الأفكار الحاخام مردخاي الياشبيرج كبير منظري «أحباء صهيون» والحاخام عزرائيل هيلد سهايمر حاخام مدينة برلين الذي ساعد على نشر الدعوة بين الفئات المتدينة من يهود ألمانيا، والحاخام نفتالي برلين والد الحاخام مائير برلين «بر - إيلان» (سميت على اسمه الجامعة الدينية القائمة في بئر سبع)، أحد مؤسسي حركة «مزراحي»، وأسهمت هذه

الاجتهادات والآراء في بزوغ منظمة «المزراحي» المتدنية على يدي الحاخام يتسحاق راينس^(٩).

وقف قفزت الصهيونية الدينية، قفزة كبيرة إلى الأمام بأفكار الرابي أفراهام إسحق كوك^(١٠) (Kook)، فتبلورت بفضل أفكاره ولأول مرة، فلسفة شاملة للصهيونية الدينية، وعمل هو بنفسه على نشر هذه الأفكار وترجمتها إلى واقع عملي، عبر تأسيسه عام ١٩٢٤م مدرسة «مركز هراف»، الدينية، التي تعتبر أول مدرسة صهيونية دينية في إسرائيل، والتي تخرج فيها الآلاف من دعاة الصهيونية الدينية، وعلى رأسهم زعماء حركة «جوش أيمونيم»^(١١).

ويمثل الحاخام أفراهام كوك في كتاباته وأفكاره تلك الصهيونية الدينية التي تعمل على جمع شمل مختلف الاتجاهات في الدين والسياسة. وقد استطاعت آراؤه استيعاب كل وجهات النظر، والبرامج السياسية، وفلسفات الأحزاب الدينية، حتى تلك الاتجاهات المناوئة للدين، وقد استمد منظوره هذا من تبحره في عقيدة «القبّالاه» التي سخرها لخدمة الأهداف الصهيونية^(١٢).

وانسجاماً مع هذه النظرة الانفتاحية على غير المتدينين، كرس كوك حياته للتوفيق بين الصهيونيين الدينيين واللادينين، وكان على يقين من أن جيل المستوطنين الصهاينة في فلسطين، هو الجيل الذي ينتمي إلى عصر «المسيح المخلص»، وأن الرواد بالرغم من لا دينية قسم كبير منهم، إنما ينفذون تعاليم الدين باستيطانهم في فلسطين. وقد حاول كوك الوصول إلى صيغة دينية يمكن أن تجمع بين الدينيين واللادينين، كما حاول أن يصبغ الصهيونية بالشرعية الدينية التي كانت تفتقر إليها في نظر الأرثوذكس على الأقل. ودعا إلى التحالف مع العلمانيين لأنه كان على ثقة بأن الجميع سيدعون في النهاية لأمر الدين اليهودي، وأصدر عدة فتاوى دينية كان القصد منها تسهيل الحياة على

المستوطنين اللادينيين . فأفتى سنة ١٩٠٩م بأنه يمكن زراعة الأرض في «سنة التبورير» (شنت هشميطاه)، على أن تباع الأرض بشكل صوري «للأغيار» كما أنه أفتى بجواز لعب كرة القدم يوم السبت، على أن تباع التذاكر يوم الجمعة، مما جعل الأرثوذكس غير الصهيونيين يتهمونه بالهرطقة والفسوق^(١٣).

ومما لا شك فيه أن أفكار كوك تمثل أوضح محاولة لجعل مسألة «أرض إسرائيل» مسألة مركزية في التقاليد الدينية اليهودية، وكان يرى أن هناك ثلاثة مبادئ رئيسية تنظم العلاقة بين التقاليد الدينية، والقومية اليهودية الحديثة، هي:

(١) إعطاء معنى ديني حقيقي لمركزية «أرض إسرائيل» في الحياة اليهودية .

(٢) تنمية الإدراك الحسي للعلاقة بين الدين اليهودي ونشاط الصهيونية العلمانية .

(٣) إعطاء أهمية عالمية للنهضة اليهودية من خلال نظام الفلسفة الدينية^(١٤) .

وتطبيقاً لهذه المبادئ شن كوك هجوماً عنيفاً على التقاليد الدينية التي تبيح للإنسان أن يعيش في «الشتات»، واعتبر أن ارتباط التعاليم اليهودية «بأرض إسرائيل»، وآمال العودة هي التي حفظت اليهودية من الضياع، وأن شعب إسرائيل، والتوراة، وأرض إسرائيل هم مزيج واحد^(١٥). وعليه فإن اليهودية في الشتات «ليس لها وجود حقيقي إلا على اعتبار أنها تتغذى بقطرات الحياة من «أرض إسرائيل» المقدسية»^(١٦).

ويعتقد كوك أن التخلي عن كل ميزات اليهود والكف عن الاعتراف بعقيدة الاختيار الإلهي التي تجسدها جملة (أَتَا بُحْرَتَيْنِ)، هو خطأ فادح. ويقول إننا لا نختلف فقط عن باقي الشعوب، بل نختلف ونتميز بحياة ذات قيمة دينية

ممتازة لا مثيل لها لدى أي شعب في العالم ، لأننا أسمى وأعظم جدا من باقي الشعوب ، ولا تظهر حياة قدسية اليهودية الحقيقية إلا بعودة الأمة لبلادها»^(١٧) .

وعند كوك فإن «العقل البشري في أسمى مراتبه لا يستطيع أن يدرك معنى قدسية «أرض إسرائيل» ، ولا يستطيع أن يحرك الحب الكامن في أعماق شعبنا نحو هذه الأرض . وأن الإبداع اليهودي الأصيل ، إن كان في عالم الأفكار أو في حلبة الأعمال الحياتية اليومية ، لا يمكن تحقيقه إلا في أرض إسرائيل . واليهودي لا يستطيع أن يكون مخلصا وصادقا في أفكاره وعواطفه وخيالاته في أرض الشتات كما يكون في أرض إسرائيل ، فالوحي المقدس بأي درجة كان ، يكون نقيا في أرض إسرائيل فقط ، بينما يكون في خارجها مشوشا ، ملوثا وغير نقي»^(١٨) .

ويرى كوك أيضا «أن جميع حضارات العالم ستجدد بولادة شعبنا من جديد وستحل جميع النزاعات . وتجددنا هذا سيجعل الحياة تشع ببهجة تشبه بهجة ولادة الطفل ، وسترتدي كل الأديان حلة جديدة ثمينة بعد أن تنزع عنها كل ماهو موحل وغير نظيف وكريه ، وسوف تشرب هذه الأديان قطرات الندى المتساقطة من الأنوار المقدسة ، والتي كان أصلها من بئر إسرائيل عند بدء الخليقة»^(١٩) .

أما الحاخام صموئيل حايم لاندאו^(٢٠) أحد قادة الصهيونية الدينية العاملين ، فقد انخرط في حركة «مزراحي» بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وكتب العديد من المقالات التي هاجم فيها موقف اليهود الأرثوذكس السلبي من الصهيونية ، وأكد أهمية الاستيطان في «أرض إسرائيل» ، لأن الإقامة في الأرض المقدسة هي أحد الأوامر الدينية وأن «القبس الإلهي لا يؤثر في الشعب

اليهودي إلا وهو في أرضه»، وعليه «لا يمكن اعتبار إسرائيل أمة حية وهي تعيش في المنفى»^(٢١). وقد رفع لاندאו شعار «التوراة والعمل»، وأكد أنه «لا يمكن أن تولد التوراة من جديد من دون العمل، وكذلك لا يمكن أن يولد العمل كقوة مبدعة في بناء الأمة من جديد دون التوراة التي هي جوهر الانبعاث»^(٢٢).

وعلى نهج من سبقوه برز أيضا الحاخام مائير بر إيلان^(٢٣)، الذي يعتبر أحد زعماء «المزاحي» الكبار، وقد حارب بر إيلان النزعات المعادية للصهيونية بين الأرثوذكس، كما حارب الاتجاه العلماني لدى الكثيرين من الصهيونيين. وقد كتب عام ١٩٢٢م مقالة بعنوان «أي نوع من الحياة علينا أن نخلق في أرض إسرائيل» عالج فيها مسألة العلاقة بين المعبد والدولة التي أصبحت فيما بعد مدار صراع عنيف بين الدين والعلمانية في إسرائيل^(٢٤).

ويرى بر إيلان أن الشعب والدين اليهودي يختلفان كل الاختلاف عما عداهما من الشعوب والديانات. فالتوراة والتقاليد الدينية ليست من صنع الإنسان، بل هي قوانين إلهية، وكما يهتم الدين اليهودي بشؤون العبادة، فإنه ينظم شؤون الدولة أيضا فليس هناك في اليهودية فصل بين الدين والدولة، واليهودية تحتوي كل الشرائع المطلوبة لتسيير شؤون الدولة، لذا يجب أن يلحق أبناء الشعب صغارا وكبارا احترام التوراة ومعرفتها عن طريق التعليم الديني في المدارس الابتدائية التي يجب أن تمزج بين تدريس العلوم الحديثة والدراسات الدينية التلمودية^(٢٥).

ويقرر بر إيلان أنه «ليس هناك من بديل للتوراة، ولا توجد أية وسيلة لتوحيد جميع مذاهب وفئات الشعب اليهودي في دولة متجانسة سوى إعادة إحياء كل جانب من حياتنا على أساس تراثنا من التوراة. لكن هذا لا يعني

أننا يجب أن نتجاهل قيم وعادات هذا الجيل ، أو أن نسخر منها ، حتى لو كانت هذه القيم والعادات ، مناقضة للتوراة ، فيجب أن نحاول تغييرها شيئاً فشيئاً . يجب أن نبدأ عملنا ليس بتشريع القوانين ، ولكن بتربية شبابنا ، والتأثير على الكبار منا ، علينا أن نعلم شعبنا أن يقبل بشرائعنا ، وأن نمد نفوذنا ، حتى باستعمال أساليب غير مباشرة إذا ما اقتضت الضرورة ، وذلك من خلال المدارس والكتب المدرسية والصحف وكتب الآداب ، لكي يتغير تفكير شعبنا ونظراته إلى الأمور شيئاً فشيئاً ، إلى أن يصبح هذا التفكير من شرائع توراتنا . إن مثل هذا التغيير سينتج عنه ، قبول لشرائع توراتنا من أجل قيمها الذاتية ، بشكل اختياري واعتراف داخلي بقيمتها الجوهرية ، وليس عن طريق الضغط الجسدي أو المعنوي» (٢٦) .

وقد أعطى قيام إسرائيل دفعة قوية للصهيونية الدينية ومفاهيمها ، وتعززت دعواها في جعل «أرض إسرائيل» هي النقطة المركزية في حياة اليهود ، خاصة أن قيامها ، جاء بعد فترة قصيرة من أحداث النازية ضد اليهود من جانب ، وأعقبها انتصارات عسكرية بلغت قممتها في حرب يونيو ١٩٦٧ جعلت جمهور اليهود في داخل إسرائيل وخارجها يشعرون بالنشوة من جانب آخر . وبالرغم من أنها جاءت دولة علمانية ، فإن دعاة الصهيونية الدينية ، اختاروا — على عكس المتدينين «الحريديم» — طريق التكيف مع الوضع القائم ولخصوا موقفهم قائلين :

«نحن لم نتوقع قيام دولة يهودية ، ذات طابع علماني ، لكنها على أية حال ، وفي وضعها القائم ، تمثل من وجهة نظرنا هدية معجزة من الله ، على الرغم من بعض النواقص التي تتصف بها ، وينبغي أن نفهم جيداً ، أن وظيفتنا التاريخية ، تتمثل الآن في المشاركة في بناء الدولة ، ودفعها نحو مستويات روحية أعلى» (٢٧) .

وهكذا قدمت الصهيونية الدينية، بنية تحتية دينية، تدعم الدولة القائمة مثلها مثل أيديولوجية أي حزب علماني آخر، وقامت علاقة شبه تكافلية بينها وبين الصهيونية السياسية العلمانية.

والواقع أنه حتى عام ١٩٦٧، كانت الصهيونية الدينية معتدلة سواء في السياسات الداخلية، كالمطالبة بتطبيق تعاليم «الهالاخاه» في قوانين وتشريعات البلاد، أو فيما يتعلق بالشؤون الخارجية وبالرغم من تنفيذ المشروع الصهيوني، فقد استمرت الصهيونية الدينية في ممارسة التقاليد اليهودية المتسمة بالحرص والاعتدال، فيما يتعلق بغير اليهود ودول العالم، وفقاً لوصية التوراة: «لا تستفزوهم» (سفر التثنية ٢: ٥). ولذلك كان يميل حزب «أجودات إسرائيل» المتطرف في العقيدة، إلى الاعتدال في مواقفه المتعلقة بالسياسات الخارجية.

وطوال تلك الفترة، كانت الصهيونية الدينية مرتبطة سياسياً بالصهيونية الرئيسية، حتى أنه كان ينظر إلى ذلك الارتباط بأنه تحالف تاريخي. وقد تغير ذلك الوضع بصورة راديكالية بعد أحداث حرب ١٩٦٧ العاصفة، التي أدت في نهاية الأمر إلى التغيرات الهائلة في الصهيونية الدينية، ثم إلى تغير مواقعها من الائتلاف مع «حزب العمل الإسرائيلي» (ممثل الصهيونية الرئيسية)، وتشكيل ائتلاف مع أنصار فكر جابوتنسكي - بيجن - شامير، ممثلي «الصهيونية التنقيحية» أو «التصحيحية» (اليمين الصهيوني المتطرف) (٢٨).

الفصل الثاني

الأحزاب الصهيونية الدينية الأرثوذكسية

١ - حزب «المزراحي» و«العامل المزراحي» :

تعتبر الأحزاب الدينية الموجودة اليوم على الساحة السياسية في إسرائيل من الأحزاب التي نشأت، كغيرها من الأحزاب الإسرائيلية، خارج فلسطين، في شرق أوروبا. وبالرغم من الدور المحدود الذي قامت به الصهيونية الدينية، مقارنة بالصهيونية العمالية والصهيونية التصحيحية، فإنها تبقى مع هذا من أقدم القوى الحزبية في إسرائيل.

ويمكن القول إن جذور الصهيونيين الدينيين تركز على أقوال ربي موسى بن ميمون، الفيلسوف اليهودي في العصور الوسطى، الذي تحكي التقاليد اليهودية أنه عندما زار القدس عام ١٣٢٧ م وجد بها يهوديين فقط، وقرر آنذاك الدعوة للاستيطان اليهودي في فلسطين. ويرى البعض أن ربي إسرائيل بعل شيم طوف (ربي إسرائيل ذو السمعة الطيبة) مؤسس الحركة الحسيدية في بولندا في القرن الثامن عشر والحاخام تسفي هيرش كاليشر والحاخام الياهو جو تماخر (١٨٧٤ - ١٩٧٦ م من كبار رجال التصوف اليهودي في القرن التاسع عشر)، هم المبشرون الأوائل بالنسبة لهم لأن بناء فلسطين احتل مكانة مهمة للغاية في فكرهم الديني.

كذلك فإنه كان من بين مؤسسي حركة «محيي صهيون» (صهيونية شرق

أوروبا) عدد من الحاخامات اليهود أمثال الياشبرج وشموئيل موهيلفر. ولكن التنظيم اليهودي الديني، الذي عرف باسم «مزراحي» (اختصار الكلمات «مركز روحاني» أي «المركز الروحي»)، بناء على اقتراح من الحاخام أبراهام سلوتسكي، ظهر للوجود بعد ذلك بعدة سنوات بعد أن أعطى هرتسل دفعة جديدة للصهيونية.

وقد كان العنصر المحرك لمؤتمر فيينا الذي عقد عام ١٩٠٢، هو مؤسس «المزراحي» إسحاق يعقوب راينس (١٨٣٩ - ١٩١٥)، حاخام ليد (٢٩)، الذي عرف عنه أنه لم يكن يعرف أي لغة غير اللغة العبرية، ويفتقر إلى الثقافة العامة، ولكنه كان رجلا صاحب حكمة ومعرفة كبيرة، وخبيرا في التلمود، و«جاؤونا» (من كبار رجال التوراة) وداعية من أندر الدعاة، شق الطريق أمام أدب «الهاجاداه» (الشق الأسطوري من التلمود).

وقد شجع راينس «محبى صهيون»، ولكنه قرر بعد تفكير طويل أن ينضم إلى صهيونية هرتسل. وبعد أن درس الدعاوى المثارة ضد الصهيونية من جانب الحاخامات المتطرفين ورفضها وصل إلى استنتاج، بأن كل من يتوصل إلى أن المثالية الصهيونية لها علاقة بالإلحاد، يمكن أن يكون هو نفسه محل شك كمدنس للقداسة.

وفي مؤتمر فيينا، وفي الاجتماع الذي عقد بعد ذلك في مينسك في أغسطس ١٩٠٢ وساده الصدام بين الصهيونيين العلمانيين، من ناحية، والصهيونيين الدينيين، من ناحية أخرى، حول توجيه الأعمال الثقافية والأهداف الروحانية للصهيونية، تم الاتفاق على تشكيل لجتين للثقافة والتعليم إحداهما علمانية والثانية دينية، ولكن لم يتم الاتفاق بين أولئك الذين قالوا إن «المزراحي» يجب أن يعمل ككلب حراسة داخل الحركة الصهيونية، أي يحول دون سقوطها في

يد «الملحدين»، وبين أولئك الذين قالوا بأن التعامل السلبي الصرف لن يكون له تأثير على المدى الطويل، وأن «المزاحي» ينبغي لذلك أن يقوم بعمل بناء، مثل التعليم والاستيطان. وقد كانت هذه الاختلافات اختلافات تكتيكية أكثر منها مبدئية. والدليل على ذلك أن أعضاء «المزاحي» كانوا على اتفاق دائم، بأن الهدف الرئيسي «للمزاحي» هو «الاستيلاء على المؤسسات الصهيونية» وخلق أغلبية دينية بين يهود فلسطين.

وقد استطاع أتباع وجهة نظر العمل البناء الانتصار، وتقرر أن يقوم «المزاحي» بجمع الأموال اللازمة من أجل إقامة «يشيفا» (معهد تلمودي عال) حديثة في ليدة، ومدرسة في تل أبيب ومعهدا للمدرسين في القدس. وقد تم نقل مقر إدارة «المزاحي» من ليدة إلى فرانكفورت، وبعد ذلك إلى هامبورج - ألتونا، وذلك بسبب الصعوبات التي واجهت الحركة الصهيونية في روسيا.

وقد كان «المزاحي» حتى ذلك الحين مجرد اتحاد ضعيف من الجماعات المحلية، يجمعها الإيمان بالعقائد الدينية والقومية والرغبة في العمل كجماعة ضغط ضد «الكتلة الديمقراطية» (كتلة حليم وايزمان وليو يهودا موتسكين)، وأرادت أن تعمل الحركة في الأنشطة الثقافية والتعليمية، وكذلك أيضا في العمل السياسي والاستيطاني في فلسطين. وحيث إن النشاط التعليمي من جانب غير الدينيين كان مجالا غير مقبول من «المزاحي»، فقد وقعت أزمة حينما تقرر في المؤتمر الصهيوني العاشر (أغسطس ١٩١١) قبول مشروع «الكتلة الديمقراطية» بتضمين النشاطات الثقافية في البرنامج الصهيوني.

وقد أدى هذا القرار إلى بروز تيارين داخل «المزاحي»، أحدهما يدعو إلى البقاء في إطار المنظمة الصهيونية العالمية والنضال ضد القرار المذكور، وآخر يضم العناصر المتدينة الأكثر تشددا، وعلى الأخص من يهود ألمانيا والمجر، يدعو إلى الانسحاب من الحركة الصهيونية.

وقد تم حسم الخلاف بين التيارين في المؤتمر العالمي الخامس لحركة «المزراحي» الذي عقد مباشرة بعد المؤتمر الصهيوني العاشر، لصالح التيار الداعي للبقاء. لكن رافضي القرار لم يلتزموا به، وانسحبوا من الحركة ملتحقين بحركة دينية أخرى تشكلت آنذاك، وهي «أجودات إسرائيل» (مايو ١٩١٢)^(٣٠)، بغية الوقوف في وجه الحركة العلمانية التي وجدت من يؤيدها في أوساط اليهود بأوروبا الشرقية والوسطى.

وقد قرر أتباع «أجودات إسرائيل» التقليل من أهمية مركزية فلسطين في الحياة اليهودية، من أجل التمييز بينهم وبين الصهيونيين المتدينين، والتزموا بأن تقوم منظمة «أجودات إسرائيل» بدور فعال في جميع الشؤون المتعلقة باليهود والشؤون اليهودية «على أساس التوراة، ومن دون أي اعتبارات سياسية»، كما أقاموا مجلس «كبار علماء التوراة» (جدولي هتوراه) كي يضمّنوا بقاء الاعتبار التوراتي فوق كل اعتبار^(٣١).

ويمكن القول على ضوء ما سبق، إن حركة «المزراحي» كانت طوال تاريخها مشغولة بالخلافات بين أولئك الذين يرون أنفسهم صهيونيين أولاً وقبل كل شيء، وأولئك الذين كانوا يضعون الدين فوق الصهيونية. وعلى ضوء هذا، فإن أيديولوجية «المزراحي» كانت بمثابة خط وسط بين تيارين: فهي من ناحية، ترفض الصهيونية كحركة علمانية خالصة بدعوى أن القيم الروحانية والأخلاقية في أوروبا هي قيم ذات قيمة محدودة، وكانت ترى أن الشعب اليهودي دون دين هو جسد بلا روح، وأن الدين والشعب يشكلان وحدة لا فصام فيها، وأن الدين يجب أن يكون هو دليل الصهيونية، كما أن التقاليد الدينية يجب أن تصبح قانون الدولة في إسرائيل. ومن ناحية أخرى، وبما يتناقض مع «أجودات إسرائيل»، كانت «المزراحي» تقول دائماً إن الإيمان الديني دون روح قومية هو مجرد «شبه يهودية». وأصرت مرة أخرى، بما

يتناقض مع غلاة الدينيين، على أن تكون اللغة العبرية هي لغة الحياة الروحية واليومية على حد السواء^(٣٢).

ويعتبر صدور وعد بلفور (٢ نوفمبر ١٩١٧) نقطة انطلاق مهمة في تطور منظمة «المزراحي»، حيث انطلق تنظيم اليهود الأرثوذكس من أجل «إعادة بناء فلسطين»، وأقام حركات شبيهة في دول أوروبية عديدة، وأنشأ «حركة دينية قومية تربوية» تضمنت شبكة مدارس دينية أطلقت عليها «شبكة مدارس يفنه»^(٣٣).

وانسجاماً مع قرار المؤتمر العالمي الأول، بالدعوة للعودة إلى «أرض الأجداد»، بدأت منظمة «المزراحي» توجه أنظارها إلى فلسطين لافتتاح فرع لها هناك. ولهذا الغرض بدأت المنظمة تتصل بدوائر «اليشوف القديم» (قدامى السكان اليهود في فلسطين)، وشكلت مركزاً مؤقتاً للمنظمة في يافا عام ١٩١٨، ثم عقدت أول مؤتمر لها في فلسطين في سبتمبر من السنة نفسها، وتبع ذلك نقل المركز العالمي للمنظمة إلى القدس في عام ١٩٢٠. وكان أول إنجاز للمنظمة «مزراحي» في فلسطين تشكيل مؤسسة «الخاصية الرئيسية» (محاموت هاراشيت) في القدس عام ١٩٢١ بمبادرة من الخاصام أفراهام يتسحاق كوك^(٣٤).

ويقول البروفيسور زئيف لأكوير حول هذه المرحلة من تاريخ «المزراحي»:

«كان اثنان من الزعماء الشبان والنشيطين، وهما الخاصام مائير برلين والخاصام ي. ل. فيشمان في أمريكا في فترة الحرب العالمية الأولى وساعدا على إقامة المنظمة هناك. وقد كان عام ١٩٢٢ بمثابة علامة طريق في تاريخ الحركة، حيث تم نقل مقر الإدارة إلى القدس وتم تأسيس «العامل المزراحي» (هوعيل همزراحي)، وهو الجناح العمالي للمزراحي»^(٣٥).

ما الظروف والملابسات التي أدت إلى قيام هذا الجناح العمالي لمنظمة المزارحي؟

في أعقاب الحرب العالمية الأولى أخذت تتوافد على فلسطين مجموعات من يهود أوروبا الشرقية ضمن مايسمى في القاموس الصهيوني «الهجرة الثالثة» (١٩١٩ - ١٩٢٣). وكان بين هؤلاء الوافدين شبان ينتمون إلى منظمة مزارحي، ولاسيما حركة الشبيبة التابعة لها: «هتسير همزراحي» (الفتى المزارحي). وكان هؤلاء المهاجرون متأثرين بالتيارات الاشتراكية في أوروبا الشرقية فرفعوا شعار «التحقيق الذاتي» (ههجشاما هعتسميت) للصهيونية بوساطة «التوراة والعمل» (توراة فيعفودا)، كمحاولة للدمج بين «الفكر الديني القومي والفكر الاشتراكي» في فلسطين^(٣٦). وفي عام ١٩٢٢، أعلن تأسيس منظمة «هبعيل همزراحي» (العامل المزارحي)، التي بدأت مع مرور الوقت تشدد على أهمية «الدين» و«القومية»، بينما احتلت «الاشتراكية» منزلة ثالثة و«متدنية»، على الرغم من أن هذه المنظمة تعاونت مع الاشتراكيين وتبنت الكثير من الأنماط الاشتراكية في فلسطين، مثل «الكيوتس»... وهدفت إلى تحقيق رفاهية العمال وممارسة الاستيطان والتربية^(٣٧). وفي البداية لم يكن في نية قادة «العامل المزارحي» إنشاء حزب سياسي، لكن استياء هؤلاء القادة من منهج منظمة «المزارحي» في تمثيل مصالحهم في المؤسسات والمنظمات الصهيونية، ازداد مع الوقت، وأخذوا يميلون نحو المزيد من الاستقلالية عن منظمة «المزارحي»، وبالتالي أخذت حركة «العامل المزارحي» تظهر بقوائم مستقلة في انتخابات المؤسسات اليهودية في فلسطين، حتى أنها انضمت إلى «المستدروت» (اتحاد عمال أرض إسرائيل) في أواخر العشرينيات^(٣٨).

وفي عام ١٩٢٥ تأسس «الاتحاد العالمي لحركة التوراة والعمل» في «الدياسبورا» (الشتات اليهودي). وبينما كانت «العامل المزارحي» تعمل في

إطار المنظمة الصهيونية العالمية، كجزء من «مزراحي»، أخذت تلعب بالتدريج دورا مستقلا عنها في مؤسسات «اليشوف» (الاستيطان اليهودي الجديد في فلسطين). وخلال فترة «اليشوف» لم تكن العلاقة بين المنظمين حسنة، لأن منظمة «مزراحي» كانت محسوبة على المعسكر غير العمالي، بينما توصلت منظمة «العامل المزراحي» إلى اتفاق تعاون مع الهستدروت. كذلك فإن النزعات العمالية الاشتراكية لدى «هبوعيل همزراحي» شكلت سببا آخر من أسباب التوتر^(٣٩).

وفي المؤتمر الذي عقد في انتفارن عام ١٩٢٦، صيغت أيديولوجية مزراحي في صيغة موجزة تقول: «المزراحي عبارة عن اتحاد صهيوني قومي وديني يسعى إلى بناء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وفقا لقوانين التوراة والشريعة»^(٤٠).

وقد كان «المزراحي» في أساس تكوينه حزبا للطبقة الوسطى، ولذلك عارض سيطرة اليسار على المنظمة الصهيونية في عام ١٩٣١. وقد أدت هذه السياسة إلى خلافات، حيث عارض أعضاء «العامل المزراحي» الذين انضموا بعد ذلك إلى الهستدروت هذا التوجه اليميني، وقاموا بالدفاع عن «الاشتراكية اليهودية» زاعمين أن الاشتراكية لا ينبغي بالضرورة أن تكون مادية وإلحادية الطابع، بل على العكس من ذلك، لأن الاشتراكية القائمة على مفاهيم العدل الاجتماعي كما تجلت في العهد القديم، هي اشتراكية شرعية ومرغوب فيها في آن واحد. ولم يتأثر «المزراحي» كثيرا في البداية من أصوات الخلاف هذه، بل على العكس من ذلك، حيث إن عدم نجاحه في التأثير على السياسة الصهيونية بروح الدين اليهودي أدى إلى المزيد من التشدد في موقفه.

وفي مؤتمر كاركوف الذي عقد في عام ١٩٣٣، قرر «المزراحي» تصعيد

نضاله ضد غير المتشددين دينيا ، سواء في الحركة الصهيونية أو في المؤسسات المنتخبة ليهود فلسطين . وقد أدى هذا الأمر إلى المزيد من الشقاكات في صفوفه حيث انتهى بانفصال «المزاحي» الألماني الذي ترك الاتحاد العالمي في عام ١٩٣١ (إلى حد ما بسبب الخط المعارض لوايزمان) كما كانت هناك معارضة للخط الجديد في بريطانيا والنمسا وسويسرا ، وكذلك أيضا بين يهود فلسطين . وقد ذكر «العامل المزراحي» ، أنه عن طريق السعي من أجل المصالح الطبقية الضيقة عزلت الحركة نفسها عن الجماهير الذين تريد الحركة أن تؤثر فيهم بروح التقاليد اليهودية . وقد تمت إعادة الاتحاد بعد عدة سنوات من الخلاف ، ولكن «المزاحي» خرج من النزاع أكثر قوة وأكثر استقلالية في وجهة نظره وفي سياسته^(٤١) .

وهكذا فقد انسحبت منظمة «المزاحي» الأم من المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٣٣ ، احتجاجا على التنكر للتقاليد الدينية في مستوطنات «الكيرن كيميت» (الصندوق القومي) ، ثم عادت إليها عام ١٩٣٥ . وقد تبنى «المزاحي» من ناحية أخرى ، في مؤتمره الذي عقد عام ١٩٣٤ الدعوة إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين ، وكان بذلك الحزب الثاني بعد «الصهيونيين التصحيحيين» الذي رفع ذلك الشعار في هذا الوقت المبكر . وعندما عرض مشروع لجنة «بيل» لتقسيم فلسطين عام ١٩٣٧ ، عارضه «المزاحي» لتعارضه مع حدود «أرض إسرائيل» المذكورة في التوراة^(٤٢) .

وعلى امتداد فترة الانتداب البريطاني ، وحتى منتصف الخمسينيات ، حافظت المنظمتان على أطرها المستقلة في فلسطين وفي الكيان الصهيوني . وخلال تلك الفترة تعاظمت قوة «العامل المزراحي» ، حيث أصبحت أبرز الحركات الدينية العاملة في فلسطين وأعظمها تأثيرا . ويعود ذلك إلى طابع «العامل المزراحي» كحركة عمالية ، وإلى نشاطها الاستيطاني (كان لها حتى عام

١٩٦٧ عشرة كيبوتسات تضم نحو أربعة آلاف عضو)، وبالتالي قدرتها على استيعاب المهجرات والأعضاء عبر الخدمات والعناية التي كانت توفرها للمهاجرين الجدد على غرار الأحزاب العمالية غير الدينية (أسست منظمة للشباب عام ١٩٢٧) باسم «بني عقيفا» (أبناء عقيفا). وبعد الإعلان عن قيام إسرائيل، تحولت كل من منظمتي «المزراحي» و«العامل المزراحي»، كغيرهما من الحركات والمنظمات إلى أحزاب وحركات سياسية^(٤٣).

وقد كان لدى حركة «العامل المزراحي» إمكانيات تنظيمية فتحوّلت إلى حزب سياسي، وأصبحت قادرة على كسب المهاجرين الجدد الذين يتمسكون بالتقاليد الدينية، أكثر مما كان لدى منظمة «المزراحي»، وقد تجلّى ذلك في الانتخابات العامة سنة ١٩٥١، إذ حصل «العامل المزراحي» على ٨ مقاعد في الكنيست وفاز «المزراحي» بمقعدين فقط^(٤٤).

٢ - «الحزب الديني القومي» (المفدال):

بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ برز اتجاه قوي لتوحيد الحزبين «المزراحي» و«العامل المزراحي»، وكان لكل منهما أسبابه الذاتية والعامة في ذلك. فعلى الصعيد العام، يمنح التوحيد الحزبين وزنا ونفوذا أكبر، وعلى الصعيد الذاتي كانت عملية التوحيد توفر لزعامة «المزراحي» التاريخية قاعدة جماهيرية منظمة، و«للعامل المزراحي» الإمكانيات المادية المتوافرة لحزب «المزراحي» من تنظيمه العالمي. وكانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه توحيد الحركتين العالميتين لهذين الحزبين في الخارج عام ١٩٥٥. وبعد التوحيد على الصعيد العالمي، دعي إلى عقد مؤتمر مشترك في إسرائيل في صيف ١٩٥٦، حيث تقرر تشكيل «الحزب الديني القومي»^(٤٥) (مفلاجا داتيت لثوميت) أي «الحزب الديني القومي» الذي يعرف اختصارا باسم «مفدال».

وقد عكست هذه التسمية «العنصر القومي» الذي أخذ «العامل المزارحي» يشدد عليه في أيديولوجيته، و«العنصر الديني» الذي شدد عليه «المزارحي»^(٤٦).

وقد تشكلت داخل «المفدال» مجموعة من الكتل هي: «الكتلة المركزية»، و«كتلة الشباب» و«الكتلة من أجل توحيد الحركة»، وكتلة «المُفني» (من أجل التحول)، وكتلة «ليكود أو تمورا» (التكتل والتغيير)، و«كتلة الموشافيم» (كتلة المستوطنات التعاونية)، وكتلة «الكيوتس الديني»، وكتلة «السفارديم» (اليهود الشرقيون)، وكتلة «التجدد الديني» التي تشكلت من (كتلة الشباب والكتلة المركزية سابقا) بعد انتخابات عام ١٩٧٧، وكتلة «المرأة المتدينة».

وقد ظهرت فكرة الريادة الصهيونية «هحلوتسيوت» مرة أخرى، ولكن على أساس ديني، بعد حرب يونيو ١٩٦٧، حيث تكونت حركة استيطانية من شباب المتدينين الأعضاء في «المفدال»، ممن تلقوا تعليمهم في مدارس «اليشيفا». وقد نضجت هذه الحركة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، وأطلق عليها «جوش أيمونيم» (كتلة الإيمان) بقيادة الحاخام حיים دروكرمان الذي قاد الحركة الاستيطانية في الأراضي المحتلة. وقد انعكس هذا الأمر في مؤتمر الحزب عام ١٩٦٩، الذي كان تمهيدا لانتخابات عام ١٩٦٩، حيث انقسم الحزب على نفسه بين مؤيدين لضرورة الاحتفاظ بالأراضي المحتلة من «كتلة الشباب» بزعامة دروكرمان، بينما كان زعيم الحزب آنذاك موشيه شيرا ويتسحاك رفائيل من المؤيدين لفكرة الأرض مقابل السلام، وكان لكل فريق حججه. فقد رأى أنصار الضم أن ذلك يأتي ضمن تطبيق أحكام «هالاخاه» (الشريعة اليهودية)، التي تؤكد على أن «يهودا والسامرة» (الضفة الغربية) هي جزء من «أرض إسرائيل الكبرى» وتحريرها يمثل تطبيقا للوصايا اليهودية التي ترى أنه يجب عدم إعادة هذه الأراضي للحكم الأجنبي.

وعلى الجانب الآخر أسس أنصار عدم الضم نظريتهم على الحجج التالية :

(١) يعد الوجود اليهودي والحياة اليهودية القيمة العليا . ولو تعرض ذلك الوجود أو تلك الحياة للخطر نتيجة لاحتفاظ بالأراضي التي تحررت ، حتى ولو كانت يهودية ، في هذه الحالة يجب مبادلة الأرض بالأمن .

(٢) يري معظم الصهاينة المتدينين أن الدولة الإسرائيلية دولة علمانية ، ومن ثم فالسيادة الإسرائيلية على هذه الأراضي هي مسألة سياسية وليست قضية دينية .

(٣) أن تنفيذ الوعد الإلهي بأرض الميعاد ، لابد أن يتم من خلال اتباع الوصايا الدينية ، وليس عن طريق الاعتداء على الآخرين . ومن هنا فإن نتائج حرب ١٩٦٧ هي نتائج سياسية عسكرية وليست مقدمة للخلاص المسيحياني .

ولم يكن هذا الموقف الحمايمي من زعامة «المفدال» دعوة إلى التخلي عن الأراضي المحتلة ، بقدر ماكان بمثابة تعرية لموقف هؤلاء الذين أضفوا شرعية دينية على ذلك العمل العسكري .

وقد توصل الطرفان إلى حل وسط في إطار ذلك المؤتمر في البرنامج الانتخابي عام ١٩٦٩ تمثل في الحل التالي :

(١) استمرار الحزب في حكومة الوحدة الوطنية وعدم الاستقالة في حالة انسحاب الليكود .

(٢) الاعتراف بالحقوق التاريخية الإسرائيلية في أرض إسرائيل داخل حدودها الآمنة .

(٣) الدعوة إلى استيطان سريع للمناطق الجديدة خصوصا منطقة القدس .

وقد تكررت المواقف نفسها في مؤتمر الحزب الرابع بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بين أنصار مبدأ الأرض مقابل السلام وبين أنصار الضم الكامل^(٤٨) .

وقد تمكنت «كتلة الشباب» في إطار الصراعات الداخلية التي وقعت داخل الحزب من السيطرة على الحزب ومؤسساته . ولم يكن تعاضم قوة الشباب على صعيد مؤسسات الحزب ، مجرد صراع شخصي على النفوذ ، بل كان له أبعاده السياسية والأيدولوجية على أكثر من صعيد . ويربط بعض المراقبين بين تعاضم نفوذ «كتلة الشباب» داخل «المفدال» ، وبين انتقال هذا الحزب كليا إلى معسكر اليمين البرجوازي ، وهو الانتقال الذي تجسد في مشاركة «المفدال» في حكومة «الليكود» بعد انتخابات عام ١٩٧٧ . وقد كانت كتلة الشباب داخل «المفدال» ، أكثر الكتل حماسا وتمسكا بالدعوة إلى حكومة «تكتل وطني» أيام حكم «المعراخ» (التشكيل العمالي) . وعلى هذا النحو شكل تعاضم نفوذ هذه الكتلة ، نقطة تحول حاسمة في نهج «المفدال» الذي تميز سنين طويلة بالبراجماتية وبتحالفه مع أحزاب العمال ، إبان فترة «اليشوف» وفي العقدين الأولين من تاريخ إسرائيل^(٤٩) .

وبشكل عام فإنه توجد داخل «المفدال» ثلاثة أجنحة رئيسية ، حيث يمثل «العامل المزارحي» أقصى التطرف اليساري ويقرب بل ويكاد يختلط من حيث مفاهيمه مع مفاهيم حزب «الماباي» ، وتأتي بعد هذا كتلة الوسط التي تمثل نحو ٤٥٪ من الحزب ، وهي أقل اعتدالا وأكثر تصلبا في مفاهيمها الدينية ، ثم تأتي بعد ذلك عصب مختلفة منها عصب المزارعين ، و«عصب السفارديم» ، وهي أقرب عناصر «المفدال» إلى اليمين المتطرف . وقد شارك «المفدال» في كل الائتلافات والحكومات ، وكانت وزارة الأديان دائما من نصيبه .

وبالنسبة للكنيست فقد بلغ أكبر عدد من المقاعد حصل عليه هذا الحزب (خلال الفترة ١٩٥١ - ١٩٨١) اثني عشر مقعدا وأقلها عشرة مقاعد. ففي الكنيست الأول، حصل المفدال على عشرة مقاعد من أصل ستة عشر مقعدا حصلت عليها «الجهة الدينية الموحدة»، بناء على الاتفاق الذي تم بين المعسكرين الدينيين بهذا الشأن، والذي بمقتضاه تتوزع المقاعد بينهما بنسبة ٦٢,٥٪ إلى ٣٧,٥٪ لصالح «المعسكر الديني القومي» (المزراحي، والعامل المزراحي). وفي انتخابات الكنيست الثاني (١٩٥١)، حصل حزبا «المزراحي» و«العامل المزراحي» على عشرة مقاعد أيضا توزعت بينهما كالتالي: مقعدان لحزب «المزراحي» وثمانية مقاعد لحزب «العامل المزراحي». وفي الكنيست الثالث (١٩٥٥) قبل التوحيد، حصل الحزبان على ١١ مقعدا. وفي الكنيست الرابع (١٩٥٩) حصل «المفدال» على ١٢ مقعدا، وحصل على العدد نفسه في الكنيست الخامس أيضا (١٩٦١)، بينما فقد مقعدا في الكنيست السادس (١٩٦٥).

والجدير بالذكر أنه في عام ١٩٦٨ تخبطت أحزاب المعسكر الديني حول ما إذا كان قد حان الوقت للتضامن والوحدة للوصول إلى تأثير أكبر بين الجمهور، وفي الكنيست، وفي مؤسسات الدولة أم لا.

وانطلقت الدعوة لبلورة جبهة دينية تصد بالقوى المشتركة هجوم الدوائر العلمانية على قيم الدين، وعلى الأخص على الشريعة (الهالاخاه) والقوانين الشخصية. وظهرت على صفحات صحيفة «شعاريم» (منافذ) نداءات لهذا الغرض استغلت تصريحات الدكتور ناحوم جولدمان (رئيس المنظمة الصهيونية العالمية)، وموشيه شاريت (من زعماء حزب «الماباي» سابقا) تدعو إلى إيجاد مخرج من مشاكل زواج الكاهن والزواج المطلقة، وغيرها من المشاكل التي لم تعد تحتملها الحياة الحديثة، وذلك كدليل على أن الجبهة

الخاصة بالزعامة العلمانية لأبد لها من «جبهة دينية متحدة» لتحافظ على الموجود وعلى الشريعة^(٥٠).

ولكن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح بسبب تضارب وجهات النظر بين هذه الأحزاب وتمسك كل منها بوجهة نظره. وقد كانت الصخرة التي تمطمت عليها محادثات هذه الوحدة الدينية، هي اشتراط حزب «الأجودات» أن يكون «لمجلس كبار التوراة» الذي يتولى توجيه وقيادة الحزب المذكور، السيادة في الموضوعات الأساسية. ولم يوافق «المفدال» و«عمال الأجودات» على هذا الطلب، لأنهم ليس لهم تأثير في تعيينات هذا المجلس.

وخلال عام ١٩٦٨ أثير من جديد موضوع «الجبهة الدينية المتحدة»، أو التشكيل الحزبي بين الأحزاب الثلاثة بمناسبة انتخابات الكنيست السابع، ولكن رجال «الأجودات» أبدوا موقفا فاترا من الفكرة^(٥١).

وقد خاض «المفدال» انتخابات الكنيست السابع (١٩٦٩) منفردا وحصل على ١٢ مقعدا، ولكنه انتكس في انتخابات الكنيست الثامن (١٩٧٣)، وحصل على عشرة مقاعد بسبب آثار حرب أكتوبر على هذه الانتخابات، حيث إن أعدادا لا بأس بها من ناخبي هذا الحزب في المستوطنات في الضفة الغربية، وفي الجيش أعطت أصواتها للتكتل اليميني (الليكود). لكن هذا الحزب استعاد قوته البرلمانية في انتخابات الكنيست التاسع (١٩٧٧) حيث حصل على اثني عشر مقعدا، وعلى ٩,٢٪ من أصوات الناخبين. ولعل هذه الزيادة في عدد المقاعد، راجعة إلى أن الأوساط المتطرفة في الحزب بزعامة «كتلة الشباب» أخذت في أعقاب انتخابات الكنيست الثامن، تعزز مواقعها داخله، الأمر الذي ترك أثرا واضحا في سياسة الحزب في شؤون الخارجية والأمن^(٥٢).

وقد علق آريه تسيموكي على هذه التطورات داخل «المفدال» الذي بدأ يبيدي تشددا ملحوظا في قضايا المناطق المحتلة والسلام وغيرها ووصفها بقوله : «إنها انقلاب يفرض سيطرة الشباب على الحزب حيث يقتربون سياسيا من «حيروت» وزعمائه ويتعاونون بصورة وثيقة مع بيجن ومع رجال «جوش إيمونيم» ، وتحذثوا بصراحة أكثر من مرة عن ضرورة الانفصال عن التشارك مع حزب العمل»^(٥٣) .

وذكر آريه أفيري أن «المفدال يتبنى اليوم نظرة أكثر إيجابية بالنسبة للموضوعات القومية وهو متحرر من الالتزامات الائتلافية»^(٥٤) .

ولذلك فإن «المفدال» قد عارض في برنامجه الانتخابي أي مشروع «يتضمن تنازلا عن أجزاء من أرض إسرائيل التاريخية، أرض أجدادنا، ولا يمكنهم أن يكونوا شركاء في أي مشروع تقدمه إسرائيل ، ولا يشتمل على بقاء «يهودا والسامرة» (الضفة الغربية)»^(٥٥) .

وهكذا بقي «المفدال» يحافظ على وحدته خلال السنوات ١٩٥٦ - ١٩٨١ ، وبالتالي على قوته التمثيلية البرلمانية التي تراوحت بين ١٠ مقاعد و١٢ مقعدا . ولكن في عام ١٩٨١ (عام انتخابات الكنيست العاشر) حدث انشقاق في حزب «المفدال» عندما انسحب أهارون أبوحصيرا ، أحد قاداته الشبان ، وسعى لتأييد الطوائف الشرقية التي كانت تحظى بتمثيل متدن في الحزب . وهكذا فإنه بالرغم من وجود نظام الكتل داخل «المفدال» منذ تأسيسه ، . وبالرغم من الصراع بين هذه الكتل ، فإن الأمر لم يصل إلى حد الانشقاق كما حدث في عام ١٩٨١ ، إذ انخفضت قوة «المفدال» البرلمانية من ١٢ مقعدا إلى ٦ مقاعد (٥ للمفدال ومقعد واحد لـ «متساد» هو مقعد حليم دروكمان الذي انضم لـ «المفدال» في إطار تفكك كتلة «موراشا» التي حصلت

على مقعدين^(٥٦) . وعلى الرغم من ذلك ، فقد بقي «المفدال» يحافظ على دوره كشريك ائتلافي يتهافت عليه الحزبان الكبيران (المعراخ والليكود) . وبفضل مقاعد «المفدال» استطاع مناحم بيجن تشكيل حكومة ائتلافية ، على الرغم من التعادل بين «الليكود» و«المعراخ» .

وعشية انتخابات الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤) بدا «المفدال» ضعيفا يستحوذ على زعامته يوسف بورج^(٥٧) وزفولون هامر^(٥٨) بعد تنحية قائد مهيم من قاداته هو يتسحاق رفائيل ، وانسحاب الحاخام المتطرف حיים دروكمان^(٥٩) .

وقد فشلت جميع المحاولات لإعادة توحيد «المفدال» كي يخوض الانتخابات في قائمة واحدة ، وخصوصا بعد فشل مسعى أفراهام شيرا الحاخام الأكبر لإسرائيل ، الذي اقترح وضع ثلاثة مرشحين من اليهود الشرقيين في المراتب الستة الأولى من القائمة ، وأربعة في المراتب العشر الأولى ، والمحافظة على زعامة يوسف بورج ، غير أن معظم الكتل رفضت هذا الاقتراح ، وبقي الانقسام في «المفدال» قائما . وثمة خلاف آخر نشب بشأن البرنامج الانتخابي للحزب ، إذ تحفظت كتلة «لفنيه» بزعامة بورج ، و«كتلة الشباب» بزعامة هامر ، تجاه طلب الحاخام دروكمان إدراج بند يلزم الحزب بالسعي لضم الضفة الغربية إلى إسرائيل^(٦٠) .

وهكذا خاض «المفدال» الانتخابات بزعامة يوسف بورج ، والرجل الثاني زفولون هامر ، وبذلك فقد «المفدال» قسما كبيرا من قوته الانتخابية . وثمة اعتقاد أن قادة «المفدال» ارتكبوا خطأ تكتيكيا جسيما عندما انضموا إلى الليكود «الليكود» عام ١٩٧٧ لتشكيل الحكومة . وفي عام ١٩٨١ عندما كان الحزب مشكلا من «العناصر الصقرية» ، وعد بأنه لن ينضم إلا إلى حكومة بزعامة

«الليكود» بعد الانتخابات . وكان هذا خطأ دفع بأنصار «المفدال» إلى التصويت لليكود مباشرة^(٦١) .

وقد حصل «المفدال» في انتخابات الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤) على أربعة مقاعد فقط . وفي انتخابات الكنيست الثاني عشر (١٩٨٨) ، كان الانشقاق داخل التيارات والأحزاب السياسية الدينية قد وصل إلى ذروته ، وبدأ تماماً أن حزب «المفدال» بدأ يفقد قوته التقليدية سواء في الشارع السياسي أو في الكنيست ، واتسمت قائمته بالطابع الطائفي حيث كان الأشخاص الأربعة ، من بين الستة الأوائل في قائمة الحزب ، من اليهود الشرقيين ، مما دفع البعض إلى الإقرار بأن «المفدال» تغير تماماً لدرجة أنه لم يعد هو «المفدال» المعروف ، كما أشارت افتتاحية جريدة «عل همشار» بتاريخ ١٩/٤/١٩٨٨ ، إلى أن نتائج الانتخابات تشير إلى دلالات خطيرة في بؤر سياسية واجتماعية مختلفة^(٦٢) .

وقد حصل «المفدال» في هذه الانتخابات على خمسة مقاعد فقط من بين ١٨ مقعداً حصلت عليها الأحزاب الدينية ، مما عكس اختلالاً واضحاً في التوازن داخل المعسكر الحزبي الديني في إسرائيل لصالح الجناح الديني «الحريدي» السلفي الأكثر تشدداً في قضية العلاقة بين الدين والدولة ، بشقيه «الإشكنازي» و«السفاردي» .

وقد كان من التطورات البارزة في نطاق استعداد المعسكر الديني لخوض المعركة الانتخابية للكنيست الثالث عشر ، حدوث الانتخابات الداخلية في حزب «المفدال» ممثل التيار الديني القومي في أوساط المتدينين ، والمنافس الرئيسي للأحزاب الحريدية . وقد أسفرت الانتخابات الداخلية عن انتخاب زفولون هامر رئيساً للحزب بدلاً من أفنير شاكي وإحلال النواب الخمسة في

الكنيست الثاني عشر في الأماكن الخمسة الأولى في قائمة مرشحي الحزب للكنيست الثالث عشر، وقيام صفقة بين هامر والعناصر الشديدة التطرف في الحزب، تعهد هامر بموجها بتأييد برنامج سياسي أكثر تطرفاً من البرنامج الحالي في مؤتمر الحزب المقرر عقده قبل الانتخابات^(٦٣).

وقد استمر الاختلال في التوازن بين «المفدال» والأحزاب الدينية الأخرى خلال انتخابات الكنيست الثالث عشر التي جرت في ٢٣ يونيو ١٩٩٢، والتي أصر خلالها «المفدال» على إعلان السير قدما مع حزب «الليكود» ضد حزب «العمل الإسرائيلي»، حيث حصل على أربعة مقاعد فقط من بين ١٤ مقعداً حصلت عليها الأحزاب الدينية مجتمعة (٦ مقاعد لشاس، ٤ مقاعد لـ «جبهة يهودية التوراة الموحدة»: الأجودات وموريا وديجل هتوراه)^(٦٤).

وقد أدى هذا الموقف من جانب «المفدال» إلى عدم دخول الائتلاف الحكومي بزعامة حزب العمل الإسرائيلي حيث شكل يتسحاق (إسحاق) رايبين حكومة ائتلافية ضم إليها من بين الأحزاب الدينية حزب «شاس» الذي يمثل اليهود السفارديم من «الحريديم». ولم يعهد إسحاق رايبين بوزارة الأديان، وهي الوزارة التي ظل «المفدال» يتولى أمرها منذ عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٩٢، إلى أي من شخصيات الأحزاب الدينية في أول تشكيل معلن لحكومته في أوائل يوليو ١٩٩٢، وظل يحتفظ بأمر تسيير دفتها بين يديه من خلال نائب وزير من حزب «شاس».

ويقوم الموقف الفكري والأيديولوجي لحزب «المفدال» من القضايا السياسية والدينية على المحاور التالية:

١ - لا تقوم بين البحر ونهر الأردن إلا دولة واحدة هي دولة إسرائيل، أي رفض إقامة دولة فلسطينية، وعدم تسليم أي جزء من «أرض إسرائيل» إلى سلطة أو سيادة أجنبية.

٢ - القدس هي من الآن، وستبقى إلى الأبد، عاصمة لدولة إسرائيل وشعب إسرائيل .

٣ - استمرار حركة الاستيطان في كل أجزاء أرض فلسطين، بما في ذلك الضفة الغربية (يهودا والسامرة) وقطاع غزة . وهضبة الجولان جزء من دولة إسرائيل غير قابل للسلخ عنها، وفي أي عملية تهدف إلى السلام ينبغي عدم التفاوض في شأنها من زاوية الأراضي .

٤ - تأييد اتفاقية «كامب دافيد» .

٥ - الخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي هي واجب على كل فرد في إسرائيل ، ولا مبرر لانتهااء الخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي بسبب الدراسة في «الشيغوت» (المعاهد التلمودية) .

٦ - لابد من تقوية مكانة «الخاصية الرئيسية» ودعم أعمال «المجالس الدينية» .

٧ - تأييد التشريع الديني مع المحافظة على اتفاقية «الوضع الراهن» .

٨ - التأييد الكامل لقانون «من اليهودي؟»

٩ - تأييد إقامة «حكومة وحدة وطنية» (٦٥) .

١٠ - شجب الحكم الذاتي الفلسطيني واعتباره خطرا على دولة إسرائيل ، ويمكن أن يؤدي إلى نشوء دولة فلسطينية (٦٦) .

ومن الأمور التي يجدر ذكرها بشأن مواقف «المفدال» من قضايا العلاقة بين الدين والدولة ، أن طلبة المدارس الدينية التابعة «للمفدال» ، وخصوصا طلبة «مركز هراف كوك» في القدس ، ومدارس حركة «بني عقيفا» يذهبون إلى الخدمة العسكرية طوعية خلال إجازاتهم السنوية ، أو ينقطعون عن دراستهم

لمدة معينة ثم يعودون إليها بعد إنهائهم لخدمتهم العسكرية. وفي سبيل تشجيع طلبة المدارس الدينية على أداء الخدمة العسكرية بادرت مدرسة «أور عتسيون» الدينية الصهيونية عام ١٩٧٩، وبالتنسيق مع الجيش الإسرائيلي ووزارة المعارف إلى إنشاء كلية عسكرية خاصة بالمتدينين أطلق عليها «كلية أور عتسيون العسكرية الدينية»، وهذا بخلاف موقف سائر الأحزاب الدينية اللاصهيونية التي يتحایل شبابها على التهرب من الخدمة العسكرية، ويصر زعماءها على الحفاظ على مكسب تأجيل الخدمة لأبناء المدارس الدينية التابعة لها وعدم تجنيد الفتيات.

٣- «تامي» (قائمة تقاليد إسرائيل):

اشتركت هذه القائمة أول مرة في انتخابات الكنيست العاشرة (١٩٨١)، في إثر انسحاب أهارون أبوحصيرا من «المفدال». وقد حاول أبوحصيرا أن يستقطب المتدينين من اليهود الشرقيين (يهود المغرب في الأساس) وفاز بثلاثة مقاعد، وانضم أبوحصيرا إلى الحكومة الائتلافية برئاسة بيغن، وزيرا للعمل والرفاهية، إلى أن استقال في ٣٠ أبريل ١٩٨٢ في إثر إدانته بفضيحة مالية.

وقد خاض أبوحصيرا انتخابات الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤) في ظل ظروف مختلفة تماما عن تلك التي كانت سائدة في عام ١٩٨١. ففي ذلك الحين طرحت «تامي» نفسها على اعتبار أنها قائمة طائفية تسعى لاستقطاب اليهود المهاجرين من شمال أفريقيا. غير أن قوة أبوحصيرا أخذت في التراجع بسبب الفضيحة المالية التي تورط فيها، كما ظهرت خلال انتخابات ١٩٨٤. قائمتان دينيتان جديدتان نافستا «تامي» على المقترعين أنفسهم تقريبا (اليهود الشرقيون المتدينون)، هما «موراشا» و«شاس» اللتان سird عنهما الحديث لاحقا. وعلى ضوء هذا فإن «تامي» لم تحصل إلا على مقعد واحد فقط، في

انتخابات الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤) (٦٧)، بينما لم تحصل على أي مقعد في الكنيست الثاني عشر (١٩٨٨) (٦٨). وكذلك أيضا في الكنيست الثالث عشر (١٩٩٢).

وبالنسبة لمواقف «تامي» من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فإنها تعكس مواقف «المفدال» نفسها، حتى أنه شاع عنها أنها «مفدال شمال أفريقيا» (٦٩).

٤ - «موراشا» (التراث):

قائمة انشقت عن «المفدال» بزعامة الحاخام المتطرف حיים دروكمان. وهي تتكون من «متساد» (مَحْنِيه تسيوني داتي) أي (المعسكر الصهيوني الديني) برئاسة دروكمان، ومن «أوروت» (أضواء) بزعامة حنان بن بورات أحد قادة حركة «جوش إيمونيم» الأصولية الاستيطانية المتطرفة المعروفة، ومن حزب «عمال أجودات ישראל»، الذي مني بفشل ذريع، في انتخابات الكنيست العاشر (١٩٨١). وقد جاء هذا التحالف نتيجة تبدد الأمل في «توحيد المعسكر الديني القومي» بعد أن رفض زعيم «المفدال» يوسف بورج، اعتزال رئاسة الحزب، كما كان يطالب بذلك دروكمان وبن بورات (٧٠).

وقد تعرضت قائمة «موراشا» لانتقادات عنيفة، واتهمت بأنها كانت السبب في نشوء «شراذم أحزاب دينية»، كما اتهم الحاخام دروكمان بالتسبب في «المزيد من التفكيت» (٧١).

وقد توقع دروكمان أن تحصل قائمة «موراشا» على أصوات من الجمهور «الديني القومي»، ومن الجمهور المتدين في أوساط «المفدال» و«عمال أجودات إسرائيل» و«تامي» و«هتجيا» و«الليكود». وتمثل قائمة «موراشا»، كما يقول دروكمان «تراث الأجيال الذي سترك آثاره في دولة إسرائيل كلها، وأن

المشكلات تثقل كاهل الدولة في مجالات مختلفة، وضمنها المجال الاجتماعي والمجال الخلقي، وعندنا الحلول من ينبوع التوراة والعقيدة المتأثرة بمحبة إسرائيل الحقيقية»^(٧٢).

وتجدر الإشارة إلى أن قائمة «موراشا» تعتبر من أكثر الأحزاب الدينية تطرفا وتعصبا، إن على الصعيد الديني أو على الصعيد السياسي، إذ إن مواقفها تلتقي مع مواقف «الليكود» وحركة «حيروت» بالذات.

وقد تحدث إبراهيم فيديجر، زعيم حزب «عمال أجودات إسرائيل»، عن سبب التحالف مع «متساد» وليس مع «أجودات إسرائيل»، فقال: «إن أجودات إسرائيل» غارق في الخلافات والنزاعات الداخلية، ولذلك فإن هذا وقت عصيب لمحاولة الاتحاد معه. . ونحن نعتقد أن الاتحاد مع «متساد» خطوة متواضعة نحو تحاشي تشرذم الأحزاب الدينية. .».

والمعروف أن حزب «عمال أجودات إسرائيل» حزب غير صهيوني وينتمي إلى «المعسكر التوراتي»، ولا يشارك في انتخابات المؤتمر الصهيوني، وقد أصر على حذف كلمة «صهيونية» من برنامج قائمة موراشا، ووافق «متساد» على ذلك بالرغم من أنه يعتبر نفسه حزبا صهيونيا.

وقد فسر الحاخام فيديجر ذلك بأن حزبه يؤمن أيضا «بتكامل التوراة» و«تكامل البلد» و«تكامل الشعب». . . وبالنسبة للصهيونية، فإن «متساد» ينتمي إلى الصهيونية الدينية في حين ننتمي نحن إلى المعسكر الأرثوذكسي المتشدد (الحريدي)، لكننا سنتعاون مع «متساد» في الكنيست بالتأكيد»^(٧٣).

٥ - «ميماد» (معسكر الوسط الديني) أو «اليهودية العقلانية» :

أنشئ هذا الحزب الديني الجديد «ميماد» (مَحَنِيه مركز داتي) أي (معسكر الوسط الديني) بزعامة الحاخام يهودا عميطل الذي يرتبط بحزب «العمل».

ويعتمد هذا الحزب على اليهود من أصل أوروبي ، لاسيما الناطقين باللغة الإنجليزية ، لينافس «المفدال» و«شاس» ، اللذين كانا يتنافسان على أصوات اليهود الشرقيين . وقد وصف الصحفي موتي باسوك هذا الحزب بقوله «إن حزب «ميماد» ، عبارة عن قائمة أكثر «أشكنازية» وأقل تطرفا»^(٧٤) . ولم يحصل هذا الحزب على أي مقاعد في انتخابات الكنيست الثاني عشر (١٩٨٨) .

وهناك اتجاه لعرض هذا الحزب الجديد كبيت لكل الدينيين القوميين الذين لا يوافقون على الاستقطاب اليميني كما تجلّى في «المفدال» . والحاخام يهودا عميطل ، رئيس «يشيفا هر عتسيون» في «إيلون شافوت» في «جوش عتسيون» ، هو بمثابة الروح الحية وراء مبادرة إقامة هذا الحزب ، ويتمسك بالرأي الخاص بمعارضة أي تشريع ديني على أساس اتفاقيات ائتلافية . ومن رأيه أن التشريع الديني لم يزد عدد الورعين ، وأن أية إضافة لتشريع كهذا ستزيد فقط من التراجع الموجود لدى جزء من الجمهور العلماني في البلاد تجاه الدين .

وهناك اتجاه آخر يسيطر على الحاخام عميطل وأتباعه ، يرى أن الموقف السياسي المتطرف المدعوم بالمزاعم الدينية يحول الدين إلى موضوع للاستقطاب والكراهية . ويناضل الحاخام عميطل ضد الانطباع القائل إن الخط السياسي المتطرف هو جزء حيوي من الجمهور الصهيوني الديني ، ويعتقد أن الموقف السياسي المعقد في المنطقة ، يجعل من كل خط سياسي خطأ شرعيا . ويخشى عميطل من احتمال أن يظهر في المستقبل جيل جديد من السياسيين لا تكون لديه حساسية تجاه الطابع الديني للدولة ، ولذلك فإنه يعتقد أنه ينبغي تغيير كل المناخ السائد في العلاقات بين الدينيين والعلمانيين ، وهو لا يريد أن يفرض الدين ، ويريد أن يقنع الجمهور العلماني بأن هناك مجالا للحفاظ على الطابع اليهودي لإسرائيل .

ويعتقد الحاخام عميطل ، بأنه على الحزب الديني الجديد أن يكون حزبا وسطا ، يقيم جسرا بين الكتل . وكان يريد أن يصبح لسان ميزان في حكومة وحدة وطنية واسعة ، تؤثر في القضايا المهمة بدلا من ممارسة الابتزاز في التشريع الديني . وإذا لم يقبل أحد الأحزاب بمواقفها ، يمكنها في هذه الحالة التهديد بإقامة حكومة محدودة مع الكتلة الثانية . وعميطل لا يؤيد طريقة «نتيفوت شالوم» ، الجناح اليساري للصهيونية الدينية ، وتزعجه الصورة التي انطبعت عنه وعن حزبه الجديد باعتبارهم عناصر تميل لليسار . ويميل عميطل إلى عرض أفكاره ومواقفه السياسية على أنها متشابهة مع مواقف إسحاق راين ، وإن كان قد عبر في مناقشاته الداخلية مع أعضاء حزبه عن أمله في أن يكون لدى حزب العمل مافيه الكفاية من العقل بحيث لا يحتضنون رجاله أكثر من اللازم ، كما عبر عن رغبته في أن يكون إسحاق راين رئيسا للحكومة . ويعلق حزب العمل الآمال على هذا الحزب ، ويرى أنه أداة لتحسين علاقاته مع سائر الأحزاب الدينية^(٧٥) .

والحاخام عميطل كان حتى حرب لبنان ١٩٨٢ معروفا فقط داخل دائرة «يشيفا هرعتسيون» ، وكان كتابه التأملي «أفكار من الأعماق» (معالموت ميعماكيم) الذي نشره بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ كتابا حماسيا . وقد ذاعت شهرة الحاخام عميطل بعد أحداث مذبحة صبرا وشاتيلا ، حيث علق في «اليشيفا» منشورا حظي بالانتشار ، حدد فيه أن المذبحة التي تمت في مكان يحتله جيش الدفاع الإسرائيلي ، أدت إلى تدنيس اسم الرب ، ولن يغتفر لهؤلاء حتى في عيد الغفران القادم ، واستنكر الوزراء الدينيين الذين فضلوا شرف رئيس الحكومة على شرف السماء .

و«يشيفا هرعتسيون» معروفة بأنها «يشيفا» متفتحة وليبرالية ، تتسم في مناهجها بالاعتدال . وقد حرم الحاخام عميطل على تلاميذه المشاركة في

المستوطنات والاشترك في مظاهرات «جوش إيمونيم»، وكذلك المشاركة في أعمال معارضة إخلاء مستعمرة ياميت في سيناء .

وعندما قرر عميطل خوض انتخابات الكنيست الثاني عشر عام ١٩٨٨ ، وقدم نفسه كزعيم سياسي ، أنشأ حزب «ميهاد» كحزب ديني قومي معتدل ، وحصل على سبعة عشر ألف صوت ، ولكنه لم يحصل على النسبة التي تؤهله لعضوية الكنيست . وكانت وجهة نظره بشأن إقامة هذا الحزب ، أنه لم يجد حزبا يمكن أن ينحاز إليه كلية ، ولكنه كان متعاطفا مع إسحق رابين . وكان ما يزعجه هو أن الجمهور الديني انحاز كلية إلى اليمين ، وكانت لديه خشية من أن يكون هناك انطباع من أن هناك توافقا بين رأي التوراة وبين وجهة النظر المتطرفة اليمينية ، مما حدا به إلى حتمية أن يظهر صوت آخر ، حتى يدرك الجمهور أن هناك خلافات في اليهودية الدينية ، وتتغير وجهة النظر التي سادت الدولة في سنواتها الأولى ، بأن الدين هو أمر متخلف لابد من محاربته . ويرى عميطل أن الهدف الأيديولوجي للأحزاب الدينية ، وهو إقامة دولة وفقا للشريعة لا يمكن تحقيقه إلا إذا أصبح نفوذ الأحزاب الدينية مباركا ، وأن تحقيق هذا الهدف لا يمكن أن يتم من خلال الأحزاب الحالية مما يستدعي إقامة حزب ديني جديد . وهو يرى أن هناك فارقا بين «الصهيونية الدينية» و«الحزب الديني» ، حيث إن «الصهيونية الدينية» هي فكرة تنظر إلى «بعث دولة إسرائيل» على أنه عبارة عن عمليات تطور تاريخية من العناية الإلهية ، ستكون نهايتها الخلاص . ويرى أن المشكلة الآن ، تكمن في أن اصطلاحات مثل «المسيح والمسيحانية» ، قد تحولت إلى مرادفات لأشياء غير مفهومة ، وإلى شيء صوفي يثير المعارضة . والمسيحانية عند عميطل معناها أن الفرصة قد حانت لشعب إسرائيل لكي يمسك زمام مصيره بيده ، ولكي يبني الدولة ويعمل وفقا لترو سياسي مسؤول ، وأن المسيحانية ليس معناها أن كل شيء قد

أصبح مؤكداً: «لقد تحدثنا طوال السنين عن صهيونية الخلاص وصهيونية المسيحانية، ولم يربط أحد المسيحانية بالقيام بأعمال تتعارض مع التروي ومع الاعتماد على المعجزات. لقد حدث هذا خلال العشرين سنة الماضية.

ويرى عميطل أن «جوش أيمونيم» هي مسيحانية كاذبة، لأنها مشكّلة من كافة أنواع العناصر والأشخاص، حيث يوجد فيها الدينيون، والعلمانيون، وأصحاب وجهات النظر السياسية وأصحاب وجهة النظر المسيحانية الذين يروجون لفكرة أن نجاحهم مضمون في كل ما يتم في مجال الدولة. ويرد عليهم عميطل بقوله: «إن تلاميذ الحاخام «هجر» (الياهو بن شلوموزمان - جاؤون فيلنا) قد تحدثوا عن «بداية الخلاص»، وتحدثوا بالنعمة نفسها كذلك في مدرسة الحاخام كوك. وبعد كل هذا جاءت «أحداث النازية». ومعنى هذا، أنهم عندما يتحدثون عن «بداية الخلاص» فليس معنى هذا أن كل ما يحدث لنا هناك ضمان بالألا يحدث مرة أخرى. لذلك فإن كل قرار لنا يجب أن يتم معتمداً على التروي مع المسؤولية، وهي المسؤولية التي تضاعفت في أعقاب «أحداث النازي». والقول إنه لا ينبغي الالتفات إلى ما يحدث، لأننا في مرحلة «بداية الخلاص» أو المسيحانية والنجاح مضمون في كل ما نفعله، هو وجهة نظر تنقصها المسؤولية.

ويتفق الحاخام عميطل مع التفسير الذي يرى أن النجاح النسبي الذي حققه «الحزب الديني القومي» (المفدال) في انتخابات يونيو ١٩٩٢ للكنيست الثالث عشر معناه أن الجمهور الديني الصهيوني في إسرائيل هو جمهور يميني صقري في توجهاته. ولكنه يرى، من ناحية أخرى، أن هذا خطأ، وأن هذه ظاهرة سلبية في حاجة إلى تعديل. ويرى أن عدم دخول «المفدال» في حكومة إسحاق رابين هو بمثابة رسالة سلبية إلى الجمهور الديني، وبالذات الشباب، الذين يتحدثون طوال الوقت على أن «أرض إسرائيل» هي الأساس بالنسبة

لهم ، وأن كل الأشياء هي قيم ثانوية ، لأن معنى هذا أنهم على استعداد للتنازل عن مكاسب في مجال التعليم والخدمات الدينية في مقابل الحفاظ على «أرض إسرائيل» . وييدي عميطل تعجبه من سماع مثل هذه الأمور من حاخامات مهمين ، لديهم استعداد للمغامرة بخوض حرب إبادة مدمرة في سبيل الحفاظ على «أرض إسرائيل» . وإن كان هناك حاخامات من داخل «المفدال» يؤمنون بما يؤمن هو به إلا أنهم لا يجدون في أنفسهم الشجاعة لكي يقولوا هذا صراحة .

وبشأن إعادة المناطق المحتلة في هضبة الجولان ، والمطروحة خلال محادثات السلام الجارية (نوفمبر ١٩٩٢) ، يرى عميطل أن الجولان هي من حيث قدسية «أرض إسرائيل» جزء من البلاد ، ولكن في حالة النجاح في التوصل إلى سلام حقيقي ، فإنه يمكن أن يكون هناك مجال للتسوية الإقليمية ، وأن هذا الأمر ينطبق أيضا على الضفة الغربية وغزة . . ويرى كذلك أن الحكومة ينبغي أن تعمل وفقا للمصالح العليا لإسرائيل ، فإذا كانت هذه المصالح تستلزم عدم التحرك من الجولان ، فعليها ألا تتحرك حتى ولو لم تكن الجولان جزءا من أرض الميعاد . وإذا استلزمت المصالح تقديم تنازلات ، فعليها أن تتنازل حتى ولو كانت الجولان أرضا مقدسة . ولكنه أبدى تحفظا تجاه التنازل الكامل عن الأراضي المحتلة ، ودعا إلى ضرورة أن يكون هناك خط أحمر ، لأن عدم وجود مثل هذا الخط يخلق مشكلة من ناحية الروح المعنوية ومن ناحية العلاقة بين الشعب والبلاد .

ويرفض الحاخام عميطل أن يكون للحاخامات دور في رسم الخرائط السياسية أو إصدار فتاوى شرعية بشأن عدم الانسحاب ، لأن مثل هذه الفتاوى مضللة ، وعلل هذا بقوله : «إنني أرى توجها إليها في كل ما يحدث الآن ، ولكن لأنه ليس لدينا نبي ، فإنه محذور العمل بما يتناقض مع الاعتبارات

العقلانية». والحاخام عميطل يهاجم الأحزاب الدينية القائمة ويرى أنها المسؤولة عن توسيع شقة الخلاف بين العلمانيين والدينيين لشيوع انطباع عام بأنها متهمه بالإكراه الديني، بالإضافة إلى شيوع انطباع بأن هذه الأحزاب تستغل الدولة في بناء مؤسساتها ولا تسهم بنصيب في بناء الدولة، وهو الأمر الذي ينعكس في أن المظهر الديني للدينيين لا يحظى بالاحترام والتقدير.

ومن المقترحات التي يقترحها الحاخام عميطل في مجال تنظيم المؤسسات الدينية في إسرائيل، إلغاء مناصب الحاخامات الرئيسية في إسرائيل، وأن تنقل اختصاصات الحاخامين الرئيسيين إلى مجلس «الحاخامية الرئيسية»، الذي يشكل من أعضاء المحكمة الكبرى وحاخامات المدن الثلاث الرئيسية (تل أبيب - حيفا - يافا)، وأن يكون كل واحد منهم رئيساً «للحاخامية الرئيسية» بالتناوب. ويرجع سبب اقتراحه هذا إلى أن الصفات الرئيسية التي يجب أن يتصف بها «الحاخام الرئيسي»، وهي المرونة في الفتوى الشرعية، والقبول الجماهيري الذي يتيح له توصيل صوت التوراة ونقل الرسائل في مجال الإيمان والأخلاق والشرائع لمجموع الناس، هي صفات نادرة وغير متوافرة فيمن يتبوأون هذا المنصب^(٧٦).

والجدير بالذكر أن حزب «ميهاد» لم يخض انتخابات الكنيست الثالث عشر، خوفاً من تكرار تجربة الفشل التي تعرض لها في انتخابات الكنيست الثاني عشر، ولأن نسبة الأصوات المطلوبة لدخوله الكنيست لم تكن مضمونة.

الباب الثالث

الأحزاب الدينية المسيحانية المعارضة للصهيونية

(أحزاب تكفير الدولة)

مقدمة

التوضيح الأول : المعارضة الدينية للصهيونية على ضوء فكرة المسيح المخلص :

تنطلق اليهودية الأرثوذكسية المتشددة (الحريدية) المسيحانية المعارضة للصهيونية وللدولة إسرائيل في رفضها للصهيونية ، ردا على استخدام الصهيونية للدين اليهودي ، من أن الصهيونيين يخفون الملابس الصهيونية القذرة والفجة تحت ثياب طاهرة ومقدسة ، ولذلك فإنهم لا يسرون على هدي تعاليم الدين والشريعة اليهودية الحقة . ويرى هؤلاء اليهود الأرثوذكس المسيحيون المعادون للصهيونية ، أنه كما أن النبي إرميا قد تنبأ بالمكروه لمعاصريه ممن استسلموا لخدعة الأنبياء المزيفين ، فإن ما يحدث في العصر الحديث ، هو تكرار لتجربة إرميا ، حيث إن الكثيرين من اليهود انجرفوا وراء أمواج الكلمات وخطب الدعاة الصهاينة الذين يمثلون الأنبياء المزيفين . إن دعاة الصهيونية في نظر هؤلاء الحاخامات اليهود هم بشر لم يقبلوا السيادة السماوية ولا الإرادة الإلهية ولا يتبعون طريق التوراة ، ويتفاخرون بأنهم قادرون على تحقيق السلام لليهود وإنقاذهم من محتهم الحالية ، وهي مزاعم تنكرها جذريا نصوص متعددة من التوراة والتلمود والمדרش ، لأن الخلاص المسيحاني لا يمكن أن يتم بوسائل بشرية سواء كانت هذه الوسائل المال أو السلاح : «هكذا قال الرب لقد باعوكم بدون مقابل لذلك لن يفك أسركم بالمال» (إشعيا ٥٢ : ٣) ، وكذلك أيضا : «لا بالعنف ولا بقوة الجيش ولكن بروحي» (زكريا ٤ : ٦) ، وكذلك أيضا : «سوف أخلصهم بقوة رب الخلود إليهم ولن أنقذهم بالقوس ولا بالسيف ولا بالحروب ولا بالخيول ولا بالفرسان» (هوشع ١ : ٧) .

وقد أدرك الزعماء الدينيون اليهود منذ ظهور الحركة الصهيونية أنها حركة قومية علمانية، وتصدى أغلب هؤلاء للفكرة والحركة الصهيونية ليس بسبب طابعها العلماني فقط، ولكن لإيمانهم أن بناء مملكة إسرائيل لا بد أن يتم على يد المسيح المنتظر^(١).

ولقد رأى هؤلاء أن مساعي الذين يسمون أنفسهم بالصهيونيين، وهي المساعي الرامية إلى تأسيس دولة قومية يهودية في فلسطين، تتنافى مع العقائد المتعلقة بانتظار مجيء المسيح في اليهودية، وذلك كما وردت هذه العقائد والتعاليم في أسفار العهد القديم وفي المصادر المتأخرة للديانة اليهودية.

وقد كان الدينيون المعارضون للحركة الصهيونية، ينطلقون في معارضتهم هذه من اعتقادهم الثابت بوجود فرق بين الدين والسياسة. وقد كتب الحاخام يوسف حليم سونفلد زعيم الطائفة اليهودية الأشكنازية في القدس، عام ١٨٩٨م رسالة إلى صديق له تضمنت هجوما شديدا على هرتزل وصفه فيها بأنه قادم من «الجانب الملوث». واعتبر الفيلسوف اليهودي الأمريكي موريس س. كوهين عام ١٩١٩م أن الصهيونية «تحاول دون جدوى استعادة فترات قصيرة من التاريخ اليهودي القومي التي تلاشت منذ وقت بعيد»^(٢).

وامتدادا لهذه المعارضة عقد في مدينة أتلانتيك سيتي الأمريكية عام ١٩٤٣م اجتماع ضم اثنين وتسعين حاخاما في محاولة لعرقلة تيار الصهيونية كما عبر عنه برنامج بيلتيمور. وقد جاء في مقررات المجتمعين:

«إننا لا نستطيع أن نسهم في التوجيه السياسي الذي يسيطر على البرنامج الصهيوني الحالي، ولا نؤيده، وذلك على هدي مفهومنا العالمي لتاريخ المصير اليهودي، ولأننا مهتمون بوضع اليهود وأمنهم في الأجزاء الأخرى من العالم، ونحن نعتقد أن القومية اليهودية تعمل على خلق الحيرة والغموض لدى

ويعتبر مفهوم انتظار المسيح المخلص ، بمثابة الوسيط بين مفهوم الاختيار ، وبين نحن «المنفى» التي تتناقض مع هذا المفهوم . والمسيح المخلص الذي يطلق عليه اليهود اسم «هَمَّا شِيَا ح بن دافيد» ، يشكل اعتقادا راسخا عند عامة اليهود ، منذ السبي البابلي (٥٨٦ ق . م) . ويعزو بعض الباحثين هذه الظاهرة إلى إحساس اليهود آنذاك بحاجتهم إلى من يخلصهم من أسر البابليين ، لذا اقترن انتظار المسيح عند اليهود بترقب عموم الخير ، حيث ستقلب حالهم عند قدومه إلى أحسن حال ، وسيحقق لهم المسيح كل آمانيهم ، فيجمع لهم «شتات المنفيين» ، ويعود بهم إلى صهيون ، ويحطم أعداء شعب «إسرائيل» ، ويتخذ أورشليم عاصمة له ، ويعيد بناء الهيكل ويحكم بالشرعية المكتوبة (التوراة) والشفوية (التلمود) ، ثم يبدأ الفردوس الذي سيدوم ألف عام (من هنا جاءت تسمية «الأحلام الألفية») . وبقدومه أيضا سيسود السلام في العالم ، ويزول الفقر ، وستحول الشعوب أدوات الحرب إلى أدوات بناء ، ويصبح الناس كلهم موحدين ، أحياء ، متمسكين بالفضيلة ، أما «صهيون» فستكون مركز هذه العدالة الشاملة ، وستقوم كل الأمم على خدمة «المسيح» ، أما الأرض فتخصب وتطرح فطيرا وملابس من الصوف وقمحا حجم الحبة منه كحجم الثور الكبير ، ويصير الخمر موفورا^(٧) .

وهناك خلاف بين الحاخامات حول المدة التي سيبقى المسيح خلالها على الأرض ، فيقول بعضهم إنه سيبقى أربعين عاما ، والبعض الآخر : سبعين عاما ، وفريق ثالث : ثلاثة أجيال ، وآخرون يزعمون أنه سيبقى آلاف السنين ، ومن علامات قرب ظهوره عندهم ، انتشار الفساد والفواحش والعقوق ، ونزول المصائب على بني إسرائيل ، وظهور مسيح آخر قبله يمهد له يسمى المسيح بن يوسف^(٨) .

ومما لا شك فيه أن فكرة «المسيح المخلص» كانت إحدى العوائق الفكرية

التوضيح الثاني : آليات انتقال القوى الدينية الحريدية للعبة السياسية في إسرائيل

لقد عرف العالم اليهودي في كل من غرب وشرق أوروبا «عصر التنوير اليهودي» (المسكالا) (١٧٨٠ - ١٨٨٠)، حيث وجه المثقفون اليهود كل سهامهم المسنونة نحو تحجر الدين ووصاية الحاخامات، ومهدوا الأرض للخروج من أسوار «الجيتو» اليهودي في غرب أوروبا، ومن منطقة «تخوم الاستيطان» في شرق أوروبا. وقد أدان اليهود الأرثوذكس هذه التوجهات إدانة بالغة، ورأوا فيها ابتعاداً آثماً عن الشريعة والوصايا اليهودية. وعندما ورثت الصهيونية «المسكالا» بفعل عوامل وظروف تاريخية وفكرية متعددة، أصبح هذا الجدل بين اليهودية الأرثوذكسية والصهيونيين العلمانيين جدلاً متهافتاً تجاوزه الزمن. وقد بدأ نظام «القهيلوت»، أي نظام الجماعات اليهودية التقليدية في الشتات، والذي يلعب فيه الحاخام دوراً رئيسياً في الرقابة الاجتماعية الدينية، في التفكك اعتباراً من هذا التاريخ بفعل قوتين متناقضتين هما: حركة التنوير اليهودية، من ناحية، والحركة الدينية غير الأرثوذكسية «الحسيدية» من ناحية أخرى.

وقد قضت أحداث النازية خلال الحرب العالمية الثانية على المراكز التقليدية لليهودية الأرثوذكسية من ليتوانيا وبولندا إلى بيساربيا. وغداة الحرب العالمية الثانية صار الصهاينة يشيرون إلى الحاخامات الأرثوذكس المعادين للصهيونية في وسط أوروبا بأطراف الأصابع ويتهمونهم بأنهم يتحملون مسؤولية كبرى في الهجوم الذي بلغته أحداث النازية ضد اليهود، وذلك أنهم سهلوا — بمنعهم المؤمنين بالصهيونية من الهجرة إلى فلسطين، وبإهمالهم تنظيم هؤلاء لمقاومة «الحل النهائي» الهتلري — اقتياد اليهود إلى المذابح النازية.

ووفقا للمنظرين الصهاينة فإن موقف الخضوع للنازيين كان بمثابة النهاية الحتمية لليهودية في الشتات ، تلك اليهودية العاجزة عن الكبرياء ، والمستعدة ، على العكس من ذلك ، لأكثر التسويات إذلالا ، مع المجتمع غير اليهودي المحيط . وكان رمز هذا الإذلال هو شخصية «اليهودي الجيتوي» الممقوت والمكروه ، تلك الصورة الذائعة الصيت لليهودي «لاحق الأحذية» ومهرج السيد البولندي الذي يغني أمامه ترانيم يوم السبت لتسليته وتسلية صحبته . وصاغت الصهيونية في المقابل صورة «العبري الجديد» النقيض التام «ليهودي الجيتو» المحني الظهر المتملق . طريد الأحداث النازية (وهو من الموضوعات التي شاعت في الأدب العبري الحديث في فلسطين ثم إسرائيل اعتبارا من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى نهاية الستينيات ، و تم من جديد بعد حرب ١٩٦٧ إعادة تقييم ليهود الشتات وإعادة الاعتبار لهم) . وهكذا نجد أن أحداث النازية أخذت في الأيدولوجية الصهيونية لما بعد الحرب العالمية الثانية موضعها في جدل انتقص من شأن «الحريديم» الأرثوذكس ، وبرر السعي من أجل إقامة دولة يهودية علمانية في فلسطين . وكان لهذه المبررات مفعولها الأكيد والفعال في سياق تلك الفترة التاريخية ، مما ساعد على تهميش العالم اليهودي الأرثوذكسي (الحريديم) سواء داخل إسرائيل أو خارجها في مناطق التجمعات اليهودية الكبرى في أوروبا وأمريكا .

واعتبارا من نهاية الخمسينيات بدأ تأويل جديد لأحداث النازية في الظهور في الأوساط الأرثوذكسية كرد فعل على الجدل الصهيوني . ووفقا لهذا التأويل فإن الصهيونية أصبحت هي المسؤولة عن استفزاز أحداث النازية ضد اليهود ، وذلك حين ابتعدت عن الموقف الشتاتي التقليدي لليهود . وهو الموقف «الجالوتي» (نسبة إلى «المنفى» في المصطلح اليهودي

الديني والذي يقوم على السعي إلى التسوية، والحل الوسط مع غير اليهود رجوعاً إلى موقف يوحنا بن زكاي في «يفنه» في الفترة الرومانية). وكان ردهم على أن قوام هذا الموقف كان، في غالب الأحيان، التذلل أمام غير اليهود أو شراء مسألتهم، وأن ذلك ليس بالأمر المستنكر لأنه أتاح استمرار اليهودية في الشتات. وبالمقابل فإن سعي اليهود «المنعتقين» بعد عصر «التنوير اليهودي» (المسكالاه)، للاندماج في المجتمع ككل، والشراسة التي أتاحها نجاحهم المتباهي أحياناً، ثم ضراوة الخطاب الصهيوني في مواجهة القومية الاشتراكية، كان هو الذي سارع بأحداث النازية ضد اليهود كردة فعل.

ووفقاً لأحد غلاة الأرثوذكس من الحاخامات المتطرفين فإن «التوراة تحذر اليهود وتطلب إليهم «المفاصلة» الكاملة في كافة وجوه حياتهم، مع الشعوب المحيطة بهم... غير أن يهود عصر التنوير لم يصغوا وشاءوا أن يتصرفوا على هواهم وأن يتشبهوا بغير اليهود... والنتيجة أن الضربات الأكثر فظاعة التي تلقاها اليهود من غير اليهود حدثت في البلاد التي اندمجوا وانصهروا فيها أكثر من أي مكان آخر وهي ألمانيا».

وتبدو أحداث النازية هنا وفقاً لهذا المنظور بمثابة عقاب من الرب وقصاص من أولئك الذين انتهكوا وصايا التوراة وأوامرها وسعوا للتشبه «بالأمم» والانصهار بها، أولاً، ثم بالتصميم على إنشاء دولة يهودية على غرار الدول الأخرى «جوى كِشَّار هجوييم» (شعب كسائر الشعوب) وهو شعار الصهيونية العلمانية الاشتراكية، ثانياً.

وعلى هذا فإن الإيديولوجية الأرثوذكسية قلبت المنهج الصهيوني رأساً على عقب وجعلت من «أوشفيتز» عقاباً لكل مشروع سياسي يهودي لا يستمد إلهامه الوحيد من التوراة ويحترمها احتراماً صارماً دقيقاً.

وحتى نهاية الستينيات ، وطالما ظلت الإيديولوجية الصهيونية تحتل مركز الغلبة في الواقع السياسي الإسرائيلي ، ظلت التيارات الدينية الأرثوذكسية في إسرائيل تتمتع بنفوذ متواضع نسبيا ، وظلت القراءة غير المؤاتية للأرثوذكسية هي السائدة . لكن التأويل المعادي للصهيونية بدأ يتنامى اعتبارا من السبعينيات (وبالتحديد بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣) ، وذلك بقدر ما كانت «المعاهد التلمودية» (اليشيفوت) تتكاثر عددا ويزداد معها نفوذ «الحريديم» الأرثوذكس في إسرائيل وفي مواقع التجمعات اليهودية في أوروبا وأمريكا على حد سواء .

وعندما أشاع هؤلاء «الحريديم» روايتهم الخاصة بأحداث النازية ، فإنهم عادوا للانخراط في التاريخ في الوقت نفسه الذي أعادوا فيه إدراج مستقبل اليهود كتاريخ مقدس ، محركة هو الله ، يعاقب فيه الخارجين على شريعته عقابا لا رأفة فيه . وهذه القراءة للتاريخ هي التي أتاحَت لهم تأمين الصلة مع الأجيال الشابة من اليهود في إسرائيل الغارقين في الثقافة العلمانية ، وألحقهم بالأرثوذكسية اعتبارا من السبعينيات بتوسط «التوبة» (تشوفا) .

وبعد احتلال الضفة الغربية وغزة في حرب يونيو ١٩٦٧ طرأ تحول على مواقف معظم الأحزاب الدينية الصهيونية وغير الصهيونية ، حيث اعتبرت هذه الحرب معجزة وإشارة ربانية لبداية الخلاص المسيحاني . وفي الأوساط الدينية غير الصهيونية انطلق صوت زعيم حسيدي «حَبَد» الحاخام شنيورسون الملقب «بالحاحام من لوفافيتش» ليؤكد أن دولة إسرائيل ككيان صهيوني هي تعبير عن الكفر والتمرد على إرادة الله ، ولذلك فهي بالتأكيد ليست تعبيرا عن الخلاص . ولكن من ناحية أخرى فإن «أرض إسرائيل» تحت السيادة اليهودية تنطوي على مغاز دينية ذات أهمية ، ولذلك تدعو

الحركة إلى عدم التنازل عن أي من الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ ، وذلك من منطلق أحكام الشريعة الدينية . وفي المقابل فإن إحدى الجماعات الحسيدية وهي جماعة «ساطمار» عارضت هذا التفسير «الجبدي» ، وتساءل حاخامها : كيف يقف الرب بجوار دولة كافرة وملحدة لتنتصر في الحرب ، ورفض كل التفسيرات الإعجازية والربانية لانتصار إسرائيل .

وقد اعتمد قسم من هذا التيار الديني المعادي للصهيونية ، في تأكيده عدم قدسية إسرائيل على الفارق بين «دولة إسرائيل» و«أرض إسرائيل» . فدولة إسرائيل حتى عام ١٩٦٧ قامت على جزء من «أرض إسرائيل» وعلى ذلك الجزء عينه الذي لا يمثل قيمة مهمة في التقاليد الدينية اليهودية . ولكن بعد احتلال عام ١٩٦٧ زال هذا الفارق عمليا وأصبح هناك تطابق بين «أرض إسرائيل» وهي ذات مفهوم ديني ، وبين «دولة إسرائيل» وهي ذات مفهوم سياسي علماني ، ووقعت الحجة القديمة في مأزق وجد له حلا في اقتراب اتباع هذا التيار بالتدريج من الأوساط اليمينية في إسرائيل ومن «حركة إسرائيل الكاملة» ، كما كانت تلك الأوساط تطلق على نفسها . ولم يكن اتباع الحاخام من لوفافيتش ، مثلا ، مستعدين بعد ذلك لدعم برنامج سلام «معراخي» يقوم على التنازل عن أجزاء من الأراضي المحتلة . وعلى الرغم من استمرار لاصهيونية هذا التيار ، فإن تحول «أرض إسرائيل» إلى قيمة دينية في نظره جعله يقترب كثيرا من مواقف حركة أصولية يهودية مثل «جوش إيمونيم» .

أما التيار الثاني ، وهو تيار قديم جديد ، فهو تيار تمثله المدارس الدينية اللتوانية بزعامة الحاخام الأشهر اليعيزر مناحم شاخ ، الذي يعتبر شخصية متميزة في عالم المتدينين اليهود من «الحريديم» . وقد أسهم

بعد انشقاقه عن «مجلس كبار التوراة» (السلطة الروحية لأجودات إسرائيل)، في إقامة حزينين هما حركة «شاس» التي يقاسمه زعامتها الروحية الحاخام عوفاديا يوسف، وحركة «ديجل هتوراه» (علم التوراة) التي لا ينافسه أحد في زعامتها.

وينظر الحاخام شاخ إلى دولة إسرائيل نظرة براجماتية مغالية في براجماتيتها، لأنه ينزع أي قيمة مقدسة عن إسرائيل، فلا هي «بداية الخلاص» كما تعتقد «جوش إيمونيم»، ولا هي «مقدمة لبداية الخلاص إذا أحسن استخدامهما» كما تدعي أوساط «أجودات إسرائيل»، وليست «أرض إسرائيل» مقدسة في حد ذاتها.

ويؤمن الحاخام شاخ بقدوم المسيح المخلص، أي أن هناك جانباً مسيحانياً في تدينه، إلا أنه لا يرى أي عنصر مسيحاني في الواقع، لأن الواقع التاريخي يتطور وفقاً لمنطقه الداخلي، والتوراة حافظت على الشعب اليهودي آلاف السنين فهل نستبدل بها شيئاً آخر؟ وما هو؟ إن التوراة هي التي تحافظ على شعب إسرائيل وليس الدولة.

وتثير مواقف الحاخام شاخ في إسرائيل اهتماماً واسعاً لأنه المرشد الروحي لأحزاب دينية ترجح كفة هذا الائتلاف الوزاري على ذاك.

وباستثناء جماعة «نطوري كرتا» (حراس المدينة) المعادية للصهيونية ولوجود الدولة، يتضح أن الاتجاهات الدينية التقليدية الأرثوذكسية (الحريدية) تنقسم إلى ثلاثة تيارات أساسية يجمعها العداء للطبيعة العلمانية للدولة (تكفير الدولة) واعتبار إسرائيل نوعاً من أنواع «المنفى». (المقصود «بالمنفى» هنا ليس البعد الجغرافي، بل البعد الروحي، أي أن المصطلح هنا ليس سياسياً بل ثيولوجياً ميتافيزيقياً، لا يغيره قيام الدولة،

ما لم لا يتم عن طريق الخلاص المسيحاني). وقد اختلفت هذه التيارات فيما بينها في مواقف تتدرج من التعايش مع إسرائيل كدولة غريبة، يجب التعامل معها كما يتعامل اليهود مع الدول الأجنبية، إلى إضفاء صبغة دينية مجددة على دولة إسرائيل وإعطاء شيء من الأهمية الدينية لمفهوم الاستقلال الديني السياسي لليهود من خلال الدولة، كون قيامها كان نوعا من أنواع العناية الإلهية لإنقاذ أرواح اليهود رافقته معجزات متكررة أهمها انتصار ١٩٦٧ (الدولة بداية الخلاص ومجيء المخلص)، حيث يظل مفهوم الخلاص هدفا وليس واقعا، إلى أضفاء صبغة القدسية على الوجود اليهودي على «أرض إسرائيل»، وذلك بصورة مجردة دون دخول في نقاش بشأن وجوب أو عدم وجوب الاستيطان كفرصة يهودية دينية، وهي نقاشات محتدمة في الأوساط الدينية الصهيونية حتى الآن.

إن هذه التيارات اليهودية الأرثوذكسية «الحريدية» لا تتحرك وفقا لهدف تحويل إسرائيل إلى دولة شريعة، لأن دولة «الهالاخاه» (الشريعة اليهودية) لن تقوم إلا بمجيء المسيح المخلص، لكنهم يطالبون باحترام الدولة للشريعة اليهودية، ويحاولون استغلال الدولة لدعم مشاريعهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والتعليمية.

ولا يسعنا هنا إلا أن نضيف أن قيام دولة إسرائيل قد وضع هذه الفئة من الجماعات الدينية أمام مأزق ليس بالسهل، وهو أنهم واجهوا ظاهرة غير متوقعة من السيادة اليهودية على «أرض إسرائيل» قبل قدوم المسيح، وبزعامة منتهكي الحرمات من العلمانيين، وهو أمر لم تعالجه المصادر الدينية اليهودية التي تستند إليها اليهودية الأرثوذكسية.

ومن هنا فإن بعض هذه الحركات الدينية الأرثوذكسية (الحريدية) المعارضة للصهيونية لا تهتم كثيرا بالتوجه إلى المجتمع اليهودي العلماني في

إسرائيل ، وتكاد تكون مجتمعا «جيتويا» منغلقا على نفسه ، ومن بينها حركات مثل «حسيدي ساطمر» و«جبد» . وفي مقابل هذا توجد مدارس دينية أرثوذكسية تهتم اهتماما خاصا باليهودي العلماني ، وتواجه إشكالية الكيفية التي ينبغي بها أن تتوجه إلى هذا اليهودي العلماني من أجل إعادته إلى جادة الصواب الديني والتوبة . معتمدة في ذلك على أن المجتمع العلماني قد فقد جزءا كبيرا من الثقة بالذات الإيديولوجية التي كان يتمتع بها في ذروة فترة «التحقيق الصهيوني» ، وعلى الافتقار للهدف القومي ، بعد أن أعلنت الصهيونية السياسية إفلاسها وعدم قدرتها على تقديم رؤية جديدة تتجاوز الأهداف والغايات التي حددتها في بداية ظهورها ، الأمر الذي أدى إلى حدوث تراجع ملموس في التمسك بالصهيونية كعقيدة لدى قطاعات واسعة من الجمهور الإسرائيلي ، وخلق فراغا يرون أنهم الأجدر بأن يملأوه .

ويمكن القول ، بأنه خلال الفترة من عام ١٩٧٤ ، عام إنشاء حركة «جوش إيمونيم» المتطرفة في «كفار عتسيون» ، وحتى اكتشاف المؤامرة السرية التي دبرها أعضاء ينتمون لهذه الجماعة لنسف المسجد الأقصى عن طريق شبكة سرية إرهابية ، كان العالم السياسي الديني «الجوش إيمونيم» هو أحد مراجع المجتمع الإسرائيلي المتدين الرئيسية .

وبعد اكتشاف مؤامرة ساحة المسجد الأقصى ، التي أثارت ذهولا حتى في صفوف المتعاطفين مع «جوش إيمونيم» هذه ، فإن هذه الحركة مرت بمرحلة توقف طوعي عابر أتاح لحركات معاودة تهويد أخرى أن تحتل مقدمة المسرح الديني ، في إسرائيل ، وكانت هذه الحركات هي الجماعات والأحزاب «الحريدية» الأرثوذكسية .

وقد كانت استراتيجية هذه الجماعات الحريدية حتى هذا التاريخ تقوم

على استراتيجية «معاودة التهويد من تحت»، وهي الاستراتيجية التي كانت تفضي بآتباعهم إلى «الانعزالية» في الحياة اليومية عن المجتمع المحيط والحياة في «جيتو» متحد سواء في إسرائيل أو خارجها في الشتات اليهودي . ولكن هذه القوى والجماعات الحريدية توصلت بعد استجلاء لاتجاهات اللعبة السياسية إلى أن تعي مقدار قوتها فدخلت اللعبة السياسية بقوة، وبدأت في ممارسة نفوذ حاسم في دولة إسرائيل اعتباراً من عام ١٩٩٠، وذلك بتحكّمهم في الائتلافات الحكومية وإجبارها على الاستجابة لمطالبهم المتعلقة بتطبيق الشريعة اليهودية في المجتمع وتمويل أنشطتها الدينية والثقافية والتعليمية، وذلك بما يشبه المعجزة سواء لمريديها القدامى أو الجدد .



الفصل الأول

الأحزاب الدينية المسيحانية الأشكنازية

١ - «أجودات إسرائيل»

«أجودات إسرائيل»، هي منظمة عالمية، دينية وسياسية لليهود المتشددین مبدأهم الرئيسي هو حل كل القضايا اليهودية وفقا لروح التوراة^(١٠).

وقد طرحت فكرة تأسيس «أجودات إسرائيل» لأول مرة عام ١٩٠٩، ولكن الإعلان الرسمي عن التأسيس، تم بعد ثلاث سنوات من ذلك. ففي عام ١٩١٢، وفي أعقاب قرار المؤتمر الصهيوني العاشر (١٩١١) بتضمين البرنامج الصهيوني النشاطات الثقافية، انسحب بعض الأعضاء من منظمة «مزراحي» الدينية، التي كانت قد تشكلت في وقت سابق، احتجاجا على رفض طلبهم بالانسحاب من المنظمة الصهيونية العالمية. وقام هؤلاء معا إلى جانب مجموعات أخرى من اليهود المتدينين من التيار الأرثوذكسي بالإعلان عن تأسيس «أجودات إسرائيل»، في مؤتمر عقد لهذا الغرض في كاتوفيتس ببولندا عام ١٩١٢^(١١).

ولعل أهم إنجازات المؤتمر هو ما كان يتعلق باختيار «مجلس كبار علماء التوراة»، كأعلى سلطة مرجعية لتنظيم حياة الجماعات اليهودية وتوجيهها. وهذا المفهوم لم يميز «أجودات إسرائيل» عن المنظمات اليهودية غير الدينية، وخاصة عن المنظمة الصهيونية العالمية فحسب، بل أيضا عن منظمة «مزراحي» الدينية. وكان هذا المفهوم بمثابة المرتكز الأساسي لمعارضة «أجودات إسرائيل» لسلطات «اليشوف» (الاستيطان اليهودي في فلسطين قبل قيام الدولة) ومؤسساته ولاحقا لدولة إسرائيل.

وبعد الاحتلال الألماني لبولندا، وقدم العديد من زعماء «أجودات إسرائيل» في ألمانيا مع جيش الاحتلال، كمستشارين، أصبح حزب «أجودات إسرائيل» أكبر حزب منظم بين يهود بولندا البالغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة. وقد تمكن الحزب من تشكيل منظمات جماهيرية عديدة في تلك الفترة، منها التنظيم العمالي، وحركة «نساء أجودات إسرائيل»، إضافة إلى شبكة واسعة من المدارس الدينية.

أما في فلسطين، وفي أعقاب الاحتلال البريطاني لها، وميل السلطات البريطانية للاعتراف بسلطة المؤسسات الصهيونية كإطار لتنظيم حياة الجماعات اليهودية هناك، فقد برز خطان داخل الجماعات اليهودية الأرثوذكسية: الخط الأول، وقد أنضوى تحت لواء منظمة «المزراحي» التي آثرت الاندماج في حياة «اليشوف» اليهودي ومؤسساته، على حين آثر الخط الثاني النهج الانفصالي المغلق «لأجودات إسرائيل» التي كانت قد بدأت نشاطاتها بفعالية هناك في عام ١٩١٩ (١٢).

لقد رفضت أجودات إسرائيل خلال فترة الانتداب البريطاني في فلسطين سلطة مؤسسات «اليشوف» العبري المنظم، وقاطعت «كنيست إسرائيل» وحاربت المؤسسات التعليمية العبرية وفرض اللغة العبرية كلغة حديث (١٣).

وقد اعتبرت غالبية «اليشوف» اليهودي، هذا النهج، بمثابة خيانة وتكرار للوحدة القومية اليهودية، الأمر الذي أدى من حين إلى آخر، إلى صدامات عنيفة بين «أجودات إسرائيل» والمعسكر الصهيوني (١٤).

وقد وصلت الصدامات إلى ذروة التوتر حينما قتل في القدس الحاخام يعقوب دي هان (١٩٢٢ - ١٩٢٤) المتحدث السياسي باسم «دوائر المتشددين الدينيين والمقربين من «أجودات إسرائيل»، والذي كان على علاقة

وثيقة بالعرب، وقاد معركة ضارية ضد «اليشوف» العبري ومؤسساته حتى في مؤسسات الانتداب البريطاني^(١٥).

وكغيره من الأحزاب اليهودية، فقد تأثر حزب «أجودات إسرائيل» بموجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين. فعلى حين كانت جماعات «اليشوف» (الاستيطان اليهودي القديم) تسيطر على الحزب في فلسطين منذ تأسيسه هناك، فإن قدوم موجات المهاجرين من بولندا وألمانيا، في أعقاب صعود النازية إلى الحكم، أدى إلى الإخلال بموازن القوى داخل الحزب. فهذه الجماعات الجديدة من المهاجرين، سعت إلى تحقيق المزيد من الاندماج اقتصاديا وإلى حد ما سياسيا مع «اليشوف» الجديد. وقد أدى هذا بدوره إلى تغيير أساسي في تركيب «أجودات إسرائيل» ونشاطاته وأهدافه السياسية في فلسطين. ففي فبراير ١٩٣٥، وصل إلى فلسطين وفد من رئاسة الحركة في بولندا، قام بإعادة تنظيم إدارة «أجودات إسرائيل» في فلسطين، وأسس وكالة للعناية بشؤون الهجرة والاستيعاب وللتفاوض مع الهيئات اليهودية الأخرى. وقد أدت هذه التغييرات إلى انفصال القسم الأكبر من الجالية الأرثوذكسية المتعصبة من «اليشوف» القديم عن «أجودات إسرائيل»، وإلى تأسيس حركة «نطوري كارتا» (حراس المدينة).

وقد تجلت هذه الخلافات في الآراء بشكل واضح في «الجمعية الكبرى» (هكنيست هجدולה) التي عقدت في مدينة مارينبد عام ١٩٣٧.

وكانت «أجودات إسرائيل» مشكلة من ثلاث جماعات رئيسية هي:

١ - الأرثوذكسيون في ألمانيا، الذين كانوا متأثرين بنظرية حاخامهم وزعيمهم الإيديولوجي، الحاخام شمعون رفائيل هيرش (١٨٠٨ - ١٨٨٠). وقد اتخذ هؤلاء لأنفسهم عادات الغرب، والزي واللغة الألمانيتين.

٢ - الأرثوذكسيون في هنغاريا .

٣ - الأرثوذكسيون في بولندا ولتوانيا ، ولم يأخذ هؤلاء بعادات غرب أوروبا ، ولا بوجهة نظر الأرثوذكسية اليهودية في ألمانيا .

من أجل ذلك فإن «الجمعية الكبرى» الثانية التي عقدت في فيينا عام ١٩٢٩ ، استقرت على الوضع الراهن لكل بلد من البلدان التابعة «لأجودات إسرائيل» .

وفي أعقاب الأحداث النازية في أوروبا حدثت تغييرات في المؤسسات والهيئات الإدارية لأجودات إسرائيل . وفي اجتماع المجلس العالمي الذي عقد في مدينة مرايند ، اقيمت ثلاثة مراكز رئيسية في كل من نيويورك ولندن والقدس .

وتحت ضغط الموقف في أوروبا والتغيرات التي حدثت في المعسكر المتشدد دينيا ، بدأت «أجودات إسرائيل» العمل في استيطان فلسطين ، وأقامت مستوطنة زراعية باسم «مخيه إسرائيل» في وادي يزرعئيل (وقد اندثرت بمرور الوقت) ، وأقامت المدارس ، والمؤسسات الاقتصادية وبدأت كذلك في التعاون مع المؤسسات الصهيونية .

وعند إعلان إسرائيل ، عام ١٩٤٨ ، كان حزب «أجودات إسرائيل» قد قطع شوطا طويلا في عملية تقبل فكرة الاندماج في إطار الدولة اليهودية بعد سنوات طويلة من النهج الانعزالي عن مؤسسات «اليشوف» اليهودي في فلسطين ، وهكذا ففي عام ١٩٤٨ ، تحول «أجودات إسرائيل» إلى حزب إسرائيلي يعمل في إطار مؤسسات الدولة ، عبر موافقته على المشاركة في مجلس الدولة المؤقت . وقد تم ذلك ، بعد مناقشات داخلية طويلة بشأن الموقف من الدولة اليهودية ، وبعد التوصل جميعا مع باقي الأحزاب الدينية ،

إلى اتفاق مع الأحزاب الصهيونية الأخرى، بشأن بعض الشروط المتعلقة بتمكين التيار اليهودي الأرثوذكسي من الحفاظ على أنماطه الحياتية في إطار الدولة الجديدة^(١٦).

والسلطة العليا الفعلية والمرجع الديني الأعلى، في «أجودات إسرائيل» تتركزان في أيدي ما يسمى «مجلس كبار علماء إسرائيل» (موعيتسيت جدولي هتوراه)، المشكل من حاخامات من أصل لتواني و«أدمورائيم» (لقب يطلق على كبار رجال الدين اليهودي من الحسيديم، وهو اختصار للكلمات «أدونينو» [سيدنا]، و«مورينو» [معلمنا]، و«رينو» [مولانا]) من «الحسيديم» (أتباع الحركة الحسيدية)^(١٧)، مع مراعاة الحفاظ على التوازن بين التيارين اللتواني والحسيدي. ويوجد حالياً في «مجلس كبار علماء التوراة» خمسة عشر عضواً، من بينهم سبعة «أدمورائيم»، وسبعة من رؤساء «اليشيفوت»، والعضو الثامن هو رئيس «يشيفا سيفات إيميت» (لغة الحقيقة) الحاخام مناحم بنحاس ألتر، وهو شقيق «الأدمور» من جور، وهو يشكل بالفعل لسان الميزان في علاقات القوى داخل المجلس.

وهذا المجلس كباقي مؤسسات «أجودات» له ثلاثة مراكز (أشرنا إليها من قبل)، منها إسرائيل. وينعقد المجلس فقط عندما تكون هناك حاجة للبت في القضايا المتعلقة بسياسة الحزب. وعلى العموم لاتنشر قراراته إلا إذا كانت تتعلق بقضايا سياسية مهمة، مثل مسألة الانضمام إلى الائتلافات الحكومية. ومن بين القضايا الأخرى، التي ناقشها القسم الإسرائيلي في «مجلس كبار علماء التوراة» قضايا الخدمة العسكرية للنساء، وتشكيل «الجبهة الدينية المتحدة» في انتخابات الكنيست الأول، وتأسيس النظام التعليمي المستقل «بأجودات إسرائيل»، وانضمام حزب «عمال أجودات إسرائيل» للائتلاف، والنشاط التبشيري في إسرائيل، وكافة القضايا المتعلقة بالدين والدولة^(١٨).

ورؤساء المعسكرين اللتواني والحسيدي في «مجلس كبار علماء التوراة» حاليا هما الأدمور من جور الحاخام سمحا بونيم ألتر^(١٩)، والحاخام اليعيزر مناحم شاخ^(٢٠) رئيس «يشيفا بوينباچ»، وهما يشكلان الرئاسة بالاشتراك مع الحاخام الذي ضم إليهما مؤخرا، وهو «الأدمور» من فينيكس الحاخام موشيه يهو شوع هامر من بني براك^(٢١). وقد تم ضم الحاخام بنحاس مناحم ألتر للمجلس عام ١٩٨٥ بعد أن قام بإجراء انتخابات ناجحة في «أجودات إسرائيل». وتختلف وجهات النظر داخل «أجودات إسرائيل» وفقا للاهتمامات التي يعنى بها أعضاء الحزب من المتشددين دينيا. فمثلا مايمهم الذين من أصول هنغارية هو الفصل التام بين «الحريديم» والعلمانيين، ومايمهم الذين من أصول بولندية (غالبيتهم من الحسيديم) هو التنظيم والتعليم، و«بيت يعقوب» والمحافظة المتعصبة على الإطار التنظيمي الذي يدعى «أجودات إسرائيل»، ومايمهم «اللتوانيين» هو دراسة التوراة، وكل ما هو غير ذلك يعتبر ثانويا في نظرهم لا يستحق إضاعة الوقت. وتضم هذه الطائفة ٣٠ ألف شخص. ومن اللافت للنظر في «أجودات إسرائيل» أنهم لا يعطون «اللسفاريديم» أي إطار تمثيلي، حيث لا يوجد أي حاخام سفاردي في «مجلس كبار علماء التوراة» من بين أعضائه الخمسة عشر، كما لا يمثلهم أحد في الكنيست عن «أجودات إسرائيل».

وبعد وفاة الأدمور سمحا بونيم ألتر في يونيو ١٩٩٢ بعد مرض عضال استمر معه لسبع سنوات (١٩٨٥ - ١٩٩٢) كان من المتوقع أن تنتقل زعامة طائفة جور إلى ابنه ووحيدده الحاخام يعقوب ألتر الذي يبلغ من العمر ٥٢ عاما، والمقيم في بني براك، ولكن وصية الأدمور المتوفى لم تحدد من يخلفه، ورفض ابنه الشاب بشدة خلافة أبيه، وتم تعيين الأدمور بنحاس مناحم ألتر شقيق الأدمور المتوفى (٦٦ عاما)، وهو من الشخصيات النافذة في «أجودات

يسرائيل» وذلك بحكم رئاسته لمركز الحزب، وإدارته لمدرسة «سفات ها إيمت» (لغة الحقيقة) الدينية. ووفقا للعقيدة الحسيدية، فإن إحساس التضامن الحسيدي حول الأدمور هو «مصدر الصلاحية» التي يتمتع بها. وهي التي تمنحه القوى الميتافيزيقية لمساعدة أتباعه بالمشورة أو بالبركة، حيث إن كل حسيدي يربط «جذره الروحي» بعلاقة متبادلة مع روح الأدمور. والأدمور بنحاس خطيب مفوه بكل من العبرية والييديش، وأديب ذو أسلوب جذاب ومقنع، وله سلسلة من المقالات التوراتية نشرت في الصحيفة الحريدية «همو ديع». وزوجة الأدمور الحاخامة تسبورة، تعتبر من الشخصيات المعروفة بين أسرة أدمورائي جور، وقد درست في المدرسة الثانوية الدينية الأورشليمية المعروفة باسم «فيلنادي روتشيلد». وهي تجيد اللغة الإنجليزية وتعمل حتى الآن مدرسة في «سمنار بيت يعقوب» الحسيدي في بني براك، وتتمتع بشخصية قوية وذات تأثير من وراء الستار في الحياة العامة لزوجها. ويتوقعون لها أن تلعب دور زوجة الأدمور بكفاءة، وهو دور مهم، لأنه حسب التقاليد في جور - على عكس ما هو شائع في الطوائف الحسيدية الأخرى - لا يستقبل «الأدمور» النساء للتحديث معهن. وقد أصيب «الأدمور» الجديد وزوجته بمأساة منذ خمس سنوات (١٩٨٧) عندما مات ابنهم آريه (٢٧ عاما) في حادثة طريق، أدت إلى إحساسهما الشديد بالألم والحزن لأنه كان أبرز أبنائهم الستة، وكان الابن الواعد لهذه الأسرة الحسيدية. ويعتبر الابن شاول هو الوريث المنتظر للأدمور الحالي. والمعروف عن الأدمور بنحاس أنه من المتبحرين في بحر التلمود، ولديه القدرة على أن يتلو من الذاكرة فقرات كاملة، سواء من التلمود البابلي أو الأورشليمي أو المدراشيم. ومن هنا فإن موضوع التعليم سوف يكون شغله الشاغل الرئيسي، وخاصة أنه أعلن عقب انتهاء طقوس دفن الأدمور السابق أنه «على الشباب أن يعودوا الآن لدراساتهم».

وبعد تعيين الأدمور الجديد لطائفة جور بدأت الإشاعات والتوقعات حول التأثير السياسي لهذا التعيين ، وخاصة أنه من غير المؤيدين لليسار، بعد فوز حزب العمل في انتخابات يونيو ١٩٩٢ للكنيست الثالث عشر. ومن المعروف أن الأدمور بنحاس هو الذي قاد «أجودات إسرائيل» في عام ١٩٧٧ إلى التحالف مع مناحم بيجن والتي استند إليها الليكود في تدعيم توليه للسلطة في إسرائيل على امتداد خمسة عشر عاما (١٩٧٧ - ١٩٩٢). ومن ناحية أخرى، فإن الأدمور الجديد لن يدع كلا من الحاخام شاخ والأدمور من فيجنيتس، أن يمليا عليه خطواته في «مجلس كبار علماء التوراة» بما يتعارض مع رأيه، وخاصة بعد أن قال كلمته بشأن رفض الانضمام للاتلاف الحكومي بزعامة حزب العمل (٢٢).

وخلافا «للمفدال»، فإن كافة زعماء ومؤسسي «أجودات إسرائيل» هم من الحاخامات اليهود ومن أشهر الزعماء المؤسسين: يتسحاق ايزاك هليفي (١٨٤٧ - ١٩١٤) أول من بادر إلى تأسيس «أجودات إسرائيل» في الخارج، وهو من أصل بولندي وضليع في العلوم الدينية، والحاخام سولومون بروير (١٨٥٠ - ١٩٢٦) الذي كان زعيما لليهود الأرثوذكس في ألمانيا، والحاخام يتسحاق مئير لفين (١٨٩٤ - ١٩٧١).

أما أشهر زعماء «أجودات إسرائيل» حاليا فهم الحاخام شلومو لورانس (ولد في عام ١٩١٨ في هنغاريا، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٩، وتلقى تعليمه في «المعاهد التلمودية» (اليشيفوت) خلال الأعوام ١٩٣٢ - ١٩٤٤)، والحاخام يهودا مئير أفروموفيتس (ولد في بولندا عام ١٩١٣، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٥، وأصبح عضوا في الكنيست عن «أجودات إسرائيل» منذ عام ١٩٧١. وفي عام ١٩٦٩ كان نائبا لرئيس بلدية تل أبيب، وشغل منصب السكرتير العام للحزب، وله مقالات عديدة في

الشؤون الدينية والسياسية . وفي أعقاب تولي «الليكود» للسلطة أصبح نائبا لرئيس الكنيست^(٢٣) .

وقد شارك حزب «أجودات إسرائيل» في كافة الانتخابات العامة التي جرت في إسرائيل منذ تأسيسها حتى الآن ، كما مثل الحزب في مجلس الدولة المؤقت مع «عمال أجودات إسرائيل» بثلاثة أعضاء^(٢٤) .

وقد خاض حزب «أجودات إسرائيل» انتخابات الكنيست الأول في إطار «الجبهة الدينية المتحدة» (المشكلة من الأحزاب الدينية الأربعة) . وحصلت الأحزاب الدينية مجتمعة على ١٦ مقعدا . وقد تم الاتفاق بين الأحزاب الدينية آنذاك على أن توزع المقاعد بين المعسكرين الدينيين أي «المزراحي» و«العامل المزراحي» من جهة ، و«أجودات إسرائيل» و«عمال أجودات إسرائيل» من جهة أخرى ، بنسبة ٦٢,٥ ٪ للمعسكر الأول و ٣٧,٥ ٪ للمعسكر الثاني . وعلى هذا الأساس جرى تقسيم المقاعد على النحو التالي : عشرة مقاعد لحزبي «المزراحي» و«العامل المزراحي» وستة مقاعد بالتساوي لحزبي «أجودات إسرائيل» و«عمال أجودات إسرائيل» . وفي انتخابات الكنيست الثاني التي خاضها حزب «أجودات إسرائيل» منفردا حصل الحزب على ثلاثة مقاعد ظل محتفظا بها خلال انتخابات الكنيست الثالث والرابع .

وفي انتخابات الكنيست الخامس والسادس والسابع تمكن الحزب من رفع عدد مقاعده إلى أربعة مقاعد ، بعد أن خاضها منفردا ، ثم انخفض هذا العدد إلى ثلاثة في انتخابات الكنيست الثامن نتيجة لتحالفه مع «بوعالي أجودات إسرائيل»^(٢٥) . وفي انتخابات الكنيست التاسع استعاد مقعده الرابع . وفي الكنيست العاشر حافظ على هذه المقاعد الأربعة . وفي الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤) حصل على مقعدين^(٢٦) . وقد تعرض العالم الحردي الأشكنازي قبل انتخابات ١٩٨٨ إلى هزة قوية أحدثت تصدعا عميقا في

صفوفه، ونجمت عنها خصومات وعداوات سياسية مريرة. وكان مصدر الهزة تجدد الخصام العقيدي، وإن كان على نطاق محدود وضيق بين الطوائف الحسيدية والطوائف اللتوانية في العالم الحريدي، وهو خصام قديم رافق نشأة الحسيدية في القرن الثامن عشر، وكان قد خبا بمرور الوقت وحل محله، منذ أوائل القرن الحالي، نمط من التعايش والتعاون السياسي في إطار حزب «الأجودات» و«مجلس كبار علماء إسرائيل». ومن الغريب في الأمر أن هذا الانقسام في صفوف التيار الحريدي الأشكنازي بدلا من أن يضعفه برلمانيا، أدى إلى زيادة قوته (أجودات إسرائيل ٥ مقاعد، وديجل هتوراه مقعدان) في مقابل مقعدين فاز بهما في انتخابات عام ١٩٨٤. وقد فسر بلاط الحاخام من لوفافيتش الزعيم الروحي والسياسي لطائفة «حبد» الحسيدية هذا الفوز بأنه «معجزة» أخرى من معجزات الحاخام^(٢٧).

وقد مثل «أجودات إسرائيل» في الكنيست الثاني عشر وحتى ١٠ أبريل ١٩٩٠، خمسة أعضاء هم: الحاخام موشيه زئيف فيلدمان، والحاخام مناحم باروش (أحد ممثلي المتدينين اللتوانيين في الأجودات)، والحاخام أفراهام فرديجر، والحاخام شموئيل هلبرت، والحاخام اليعيزر مزراحي (انسحب من الحزب في ١٠/٤/١٩٩٠ رافضا اتفاق حزبه من حزب العمل للمشاركة في ائتلاف حكومي لاعتقاده بأن حكومة برئاسة شمعون بيرس ستؤدي إلى قيام حكومة فلسطينية، وهو ما يرفضه بشده، وهو الأمر الذي أدى إلى فشل حزب العمل في تشكيل حكومة ائتلافية ضيقة برئاسته، وقد أدى هذا الأمر إلى فقدان «الأجودات» لأحد مقاعدها في الكنيست^(٢٨).

وقد خاض حزب الأجودات انتخابات الكنيست الثالث عشر (يونيو ١٩٩٢) في قائمة موحدة تحت أسم «يهדות هتوراه» (يهودية التوراة) ضمت ثلاثة أحزاب هي: «أجودات إسرائيل» و«ديجل هتوراه» و«موريا». وقد فاز

في هذه الانتخابات بأربعة مقاعد مثلهم فيها : أفراهام شبيرا (الأجودات) وإسحق بيرتس (ديجل هتوراه) ومناحم باروش (الأجودات) وشموئيل هلبرت (الأجودات) .

وقد شارك حزب الأجودات في الحكومات الإسرائيلية الثلاث الأولى خلال الفترة من ١٩٤٩ - ١٩٥٢ ومنذ ذلك الحين، ولأسباب تتعلق برفض مرجعه الديني «مجلس كبار علماء التوراة» المشاركة في الحكم وشغل مناصب وزارية، من ناحية، وعدم موافقة الأحزاب العمالية، وعلى رأسها حزب «المباي» على شروط الحزب المتعلقة بالشؤون الدينية، من ناحية أخرى، أصبح حزب «الأجودات» في صفوف المعارضة . ومنذ تشكيل حكومة «الليكود» في يونيو ١٩٧٧، أصبح «أجودات إسرائيل» يشارك في الائتلاف الحكومي دون أن يمثل في الحكومة تماشيا مع قرار «مجلس كبار علماء التوراة» بعدم السماح لأي من زعمائه السياسيين بتولى منصب وزاري .

وخلال مشاركته في الحكومات الثلاث الأولى تسبب حزب «أجودات إسرائيل» في عدة أزمات وزارية، سويا مع بقية الأحزاب الدينية، بسبب قضايا مثل : التعليم الديني في معسكرات اللاجئين، وتجنييد الفتيات في الخدمة العسكرية (٢٩) .

ولكن حزب «الليكود» دفع الثمن غاليا، بسبب حصوله على تأييد نواب «الأجودات» الأربعة الذين كان ييجن في حاجة إليهم لتشكيل حكومة ائتلافية (نوفمبر ١٩٩٠)، وذلك في صورة دعم مكثف للمؤسسات الدينية الخاصة، البعيدة عن نفوذ «الحزب الديني القومي»، على الرغم من أن هذه المؤسسات ظلت لفترة طويلة، وحتى الآن ترفض الاحتفال بيوم استقلال إسرائيل . ويقوم موقف الحزب حاليا من إسرائيل على أنها مثل أي دولة علمانية أخرى في العالم يعيش فيها اليهود، كلما ارتفعت المبالغ التي يمكن لهم انتزاعها منها،

كلما كان ذلك أفضل ، كما أنه يجب الإسهام بأقل قدر ممكن في هذه الدولة ، سواء فيما يتعلق بدفع الضرائب أو الخدمة العسكرية . وهكذا فإنه ، وعلى الرغم من أن كافة الإسرائيليين ملزمون بأداء الخدمة العسكرية الإجبارية لمدة ثلاث سنوات ، فإن أعضاء المدارس الدينية التابعة «لمجلس كبار علماء التوراة» معفون من أداء الخدمة العسكرية ، وكان ذلك أيضا ثمنا لتأييد نواب الحزب في الكنيست لحكومة اليمين (الليكود) . ومن الجدير بالذكر أن عدد أعضاء هذه المدارس يبلغ تسعة عشر ألفا ، وهو آخذ في التزايد ، ويحدث هذا الاستثناء أثرا سيئا على الروح المعنوية للمواطن الإسرائيلي الذي ينظر إلى القانون على أنه يجب أن يطبق على الجميع دون استثناء^(٣٠) .

ويتركز موقف حزب «أجودات إسرائيل» من القضايا الرئيسية في إسرائيل في المحاور التالية :

١ - تأييد حل سياسي للمشكلة الفلسطينية حتى ولو كان بثمن «المناطق مقابل السلام» .

٢ - النضال ضد تدخل الجهات العلمانية في الأحوال الشخصية .

٣ - الحرب من أجل الطهارة وصلاحيّة المأكولات وفقا للشريعة (الكشويروت) .

٤ - تأييد قانون «من هو اليهودي؟» .

٥ - النضال ضد تجنيد النساء في الجيش واستمرار إعفاء شباب «اليشيفوت» .

٦ - الحصول على دعم من أجل استمرار التعليم المستقل^(٣١) .

و«أجودات إسرائيل» التي تمثل القطاع الأكبر من معسكر «الحريديم» في

إسرائيل، لا تتعاطف مع الكثير من مظاهر دولة إسرائيل كدولة علمانية. ومن الأمثلة التي تبرهن على ذلك: عدم احتفال «الحريديم» بيوم استقلال الدولة، فلا يرفعون العلم الإسرائيلي، ولا يعطون طلاب المدارس الدينية إجازة في ذلك اليوم، بل إن بعض زعماء «الحريديم»، وخاصة «نطوري كرتا» (التي سيأتي الحديث عنها فيما بعد)، يطبعون تقويما خاصا يستثنون منه «عيد الاستقلال»، وبعضهم الآخر يقوم بالصيام والتوبة في ذلك اليوم. ومنها أيضا تجاهلهم ليوم ذكرى «الجنود الذين سقطوا» (هحياليم آشير نفلوا) وعدم وقوفهم دقيقتي الحداد المشهورتين اللتين يقفهما أغلب سكان إسرائيل اليهود في ذلك اليوم. ومنها حظر كثير من المدارس الدينية اللاصهيونية استعمال كتب الصلوات التي تشمل صلوات من أجل مصلحة الدولة، وحظر ترديد دعوات من أجل «الجنود الذين سقطوا» أو صلوات توسل ودعاء من أجل شفاء الجنود الجرحى (٣٢).

ويتشدد هؤلاء الحريديم جدا في مسألة الالتزام بالزي التقليدي الذي اعتادوا ارتدائه منذ أن كانوا في شرق أوروبا حتى الآن. ولهذا السبب فإن الغضب قد ساد قطاعات الحريديم عندما قرر أعضاء كتلة يهودية التوراة (الأجودات + ديجل هتوراه + موريا) أن يخلعوا غطاء الرأس الليتواني التقليدي المعروف باسم «شطر ايمل» (عمامة منخفضة من الفرو وتسمى «سبوديك» إذا كانت شطرايمل مرتفع، وتشيع أساسا بين حسيدي جور) في الأيام غير المقدسة. وقد تعرض أعضاء الكتلة لموجة من السخرية والاستهزاء عندما ذهبوا لمقابلة إسحق رابين وهم يضعون على رأسهم قبعات عادية، وهم الحاخام مناحم باروش والحاخام رافيتس والحاخام شموئيل هلبرت والحاخام أفراهام شبير (٣٣).

وبالنسبة للطريق السياسي، فإن «أجودات يسرائيل» يسير مع من يعطي أكثر، سواء في ذلك «المعراخ» أو «الليكود» (٣٤).

والجدير بالذكر أن الحاخام مناحم باروش الذي عين نائبا لوزير العمل في حكومة «الليكود»، قد قام بحملة في سلسلة جهوده الدؤوبة من أجل فرض أحكام الشريعة اليهودية في المجتمع الإسرائيلي، للمطالبة بوقف العمل في إسرائيل في يوم السبت، وهدد بإغلاق مطار بن جوريون أيام السبت، بما سترتب على ذلك من منع نقل المهاجرين اليهود السوفيت في هذا اليوم، ووقف صرف الحوافز التي يصرفها العمال في شتى القطاعات الاقتصادية والخدمية مقابل العمل في هذا اليوم.

وقد تعرض الحاخام باروش لحملة إعلامية عنيفة هاجمته بشدة لأنه يعرض للخطر بهذا القرار اتفاق، «الوضع الراهن» (ستاتوس كو) في إسرائيل بين الدينيين والعلمانيين. . وقد قال عضو الكنيست دورون: «إن أعمال باروش تخرج عما هو مألوف منذ سنوات، ويشكل تغييرا «للوضع الراهن» ويمس العلاقات الطيبة والكريمة بين الدينيين والعلمانيين».

أما عضو الكنيست عوفديا عالي من حزب «الليكود» فقد قدم اقتراحا لجدول أعمال الكنيست، حدد فيه أن باروش سيؤدي إلى نشوب «حرب أهلية» دوافعها سياسة وشخصية خاصة بنائب الوزير.

وقد استنكرت كتلة «المعراخ» تصرفات الحاخام باروش، وقال رئيس الكتلة عضو الكنيست حيسم رامون «إن باروش أعلن الحرب على العلمانيين». واستطرد قائلا: «إذا كان يريد لها حربا فنحن لها».

وقال عضو الكنيست ايلي ديان: «إن باروش ملحد، ويستغل القانون بصورة تشككية في دوافع البشر، ويؤدي إلى نشوب حرب ثقافية»^(٣٥).

والغريب في الأمر أن الصحف الحريدية اليومية: «همود يياع» التابعة لحزب «أجودات ישראל» وصحيفة «ياتيد نثمان» (الوتد المؤمن) التابعة للحاخام

شاخ، عارضتا تلك «الحملة الصليبية التي شنها الحاخام باروش». وقد صرح وزير الزراعة رفائيل إيتان قائلا: «إن غالبية الجمهور في إسرائيل غير معني بأن تدار حياته وفقا لطريقة «أجودات إسرائيل»، وعلى باروش أن يعي أن في إسرائيل جمهورا كبيرا يتصرف في حياته وفقا لأسلوب مختلف عن الجمهور الذي خرج منه باروش، وإن محاولة فرض طابع حياة على هذا الجمهور ليس من شأنه، وسيؤدي إلى مزيد من الاستقطاب في المجتمع الإسرائيلي. ومن الأفضل للحاخام باروش أن يوجه جهوده - بدلا من تجنيد مراقبين ليوم السبت - إلى تجنيد جزء كبير من الجمهور الذي يمثل في جيش الدفاع الإسرائيلي»^(٣٦).

وقد هوجم الحاخام باروش أيضا على اعتبار أن استعانتة بالدروز من أجل مراقبة تنفيذ قدسية يوم السبت تعتبر مخالفة للشريعة اليهودية، وذلك استنادا للفتوى التي أصدرها «الرمبام» (ربي موشيه بن ميمون) من أنه لا يجوز أن يستخدم غير اليهودي (الجوي) يوم السبت لمراقبة من لا يلتزمون بشريعة السبت. ففي الفصل السادس من شرائع السبت حدد «الرمبام»: «محظور على الأجنبي أن يصنع لنا عملا يوم السبت، وحتى لو كان غير مقيد بشريعة السبت، وحتى لو كان قد كلف بذلك قبل قدوم السبت، وحتى لو كان ملزما بهذه المهمة بعد يوم السبت. . فمن شأن أعمال كهذه أن تؤدي إلى تدنيس السبت بشكل أكبر».

وفي حالة باروش فإنه يستعين بغير اليهود لكي يجبر اليهود على الالتزام بقدسية السبت، وكتابة تقارير ضد كل من يضبط متلبسا بتدنيس السبت، والكتابة بالنسبة لليهودي في يوم السبت تعتبر في حالة عدم الرقابة الذاتية، خروجاً خطيراً عن التوراة.

وقد ذكر بعض الحاخامات «أن الحاخام باروش لكي يحقق هدفه لديه الاستعداد لتدنيس يوم السبت بشكل جماهيري على يد غير اليهود، وأن يؤدي

بذلك إلى كراهية اليهودية الدينية الحريدية لدى اليهود العلمانيين . . وتساءلوا عن مصدر تلك الفتوى الشرعية الجديدة التي تسمح باستعمال غير اليهود ضد اليهود يوم السبت وعن الحاخام الذي أجاز هذه الفتوى^(٣٧) .

وقد كانت من بين الجوائز الكبرى ، والتي أشرت إليها من قبل ، والتي حصل عليها حزب «أجودات إسرائيل» مع سائر الأحزاب الدينية الحريدية ، جائزة إعفاء طلبة المعاهد الدينية من الخدمة العسكرية .

وقد كانت هذه الجائزة مثار اعتراض ومقاومة دائمة من الأحزاب العلمانية ، وبصفة خاصة اليسارية في الكنيست ، في محاولة دؤوبة من أجل إلغاء العمل بها ، وقد تمت ثماني محاولات في هذا الصدد ، كان آخرها ما جرى في جلسة الكنيست بتاريخ ١١ / ٣ / ١٩٩٢ ، والتي كانت وقائعها بحق بمثابة بانوراما صادقة لتلك الحرب الدائرة في إسرائيل بين الدينين والعلمانيين والتي استعر أوارها في السنوات العشر الأخيرة ، ووصلت إلى مداها خلال العامين ١٩٩١ ، ١٩٩٢ ، بعد الدور الابتزازي الذي لعبته «أجودات إسرائيل» والحاخام شاخ ، والحاخام شنيورسون في تصعيد «الليكوود» للحكم ، فيما عرف ، بأنه «الانقلاب الثاني» .

والحقيقة أنه مهما حاولت وصف وقائع تلك المعركة البرلمانية بين هذين المعسكرين ، فإنني لن أستطيع نقلها بأمانة كاملة بما تنطوي عليه من مغاز ودلالات ، ولذلك فإنني سأنقل للقارئ بعضا من وقائعها .

لقد بدأ نواب اليسار الإسرائيلي الهجوم ، وقام «الحريديم» بالرد ، وأطلقت عبر المعركة بعض السهام السامة .

وقد قدم عضو الكنيست أفراهام بورج (حزب العمل) بحثا شاملا عن تهرب شباب «اليشيفوت» (المعاهد الدينية) من الخدمة في جيش الدفاع

الإسرائيلي، ذكر فيه: أن نحو ٢٢ ألف شخص في سن التجنيد، يتهبون حالياً من جيش الدفاع الإسرائيلي، وأن هذا العدد يشمل تلاميذ «الشيقات» في سن الخدمة للتجنيد الإجباري، وأن هناك مثلهم في سن الخدمة في الاحتياطي، وأن من بين مؤجلي التجنيد يحصل ٩٧٪ على إعفاء كامل، على حين يخدم ٣٪ بشكل جزئي، في الاحتياطي. وقد ذكر بورج أن بن جوريون وافق في عام ١٩٤٨ على إعفاء من ٤٠٠ - ٦٠٠ شخص في السنة وحتى عام ١٩٦٧ زاد عدد المعفيين، ولكن مع مراجعة دقيقة ومع الاستثناءات. وقد حدث التجاوز الكبير في فترة مناحم بيجن. وذكر كذلك أنه فيما عدا المتهربين «الرسميين»، توجد في كل عام عدة مئات من تلاميذ «الشيقات» المتطرفة، مثل «تولدوت أهارون» في «مئة شعاريم» لا يدخلون في الإحصاء الخاص بالمتهربين لأنهم لا يتقدمون للتسجيل ولا للفحص الطبي^(٣٨).

ولقد بدأ المعركة عضو الكنيست إمنون روبنشتاين «شينيوي» (التغيير)^(٣٩) قائلاً: «إنها ظاهرة مذهلة. إنه توجد هنا مخالفة إجرامية عندما نموه على هذه الظاهرة تحت عنوان «تأجيل التجنيد».

ورد عليه جفني (أجودات): لا وجود للشعب اليهودي دون دراسة التوراة.

حיים رامون (العمل): كم يحتاجون لدراسة التوراة؟ إذا لم تخدموا في الجيش فسوف تكونون في «الجيتو».

أفراهام بورج (العمل): أنتم تبددون أموال الدولة. كيف لا تحجل؟ جفني: أنت الذي يجب أن تحجل. (رئيس الجلسة يوقف الجلسة ثم تستأنف).

أفراهام بورج: أنتم تعرفون أنه لا يوجد نصب تذكاري واحد في المقابر العسكرية مدفون تحته شخص قتل نفسه في خيمة التوراة.

شموئيل هلبرت (أجودات): كيف تجرؤ على الكذب في الكنيسة . إن شقيق الوزير مزراحي كان من تلاميذ الشيفا وقتل في حرب يوم الغفران .

مناحم باروش (أجودات): أنت كاذب . إن ابن الحاخام لوريا ، أحد رؤساء «أجودات إسرائيل» ، قتل هو الآخر في الحرب .

يائير ليفي (أجودات): إن هذه ديماجوجية رخيصة .

بورج : فلتصرخوا كما تشاءون ولتزعقوا كما تشاءون .

باروش (أجودات) : وأنت فلتنبح كما تشاء مثل الكلب .

يوسف عزران : إنه يقطر سما (يقصد بورج)

فرديجر (أجودات) : ويل لحزب العمل الذي يمثله هذا بعد بن جوريون وإشكول .

بورج : من هذا الذي هناك . السراب . فرديجر؟

فرديجر : فلتخجل ، أيها المعادي للسامية .

بورج : إنك وصمة في جبين مؤسسة الحاخامية . (رئيس الجلسة يوقف الجلسة ثم يستأنفها) .

بورج : إنهم يوردون لإسرائيل العقلية الجالوتية بكل خزيها . تلك العقلية التي تتاجر بالأموال وب حياة البشر ، وتعرف فقط كيف تعيش حياة هامشية ، وتهرب من المسؤولية ، ومن التضحية بالذات ، ومن المشاركة في المصير ، وأنا لا أتحدث عن تلاميذ الشيفا الحقيقيين بل عن الهاريين ، الذين يتصنعون ، والذين يجعلون أنفسهم مجانين ، أولئك الذين يسيلون لعابهم ويهينون أنفسهم ، والذين يضعون بقعة كبيرة على اليهودية بأكملها .

جفني : وفقا للشريعة ينبغي عمل حداد على أقوالك التي تتطابق مع معاداة السامية .

بورج : لماذا لم تخدم في الجيش؟

جفني : ليس لك الحق في الوعظ بالأخلاق .

بورج : كيف تجربؤ على التصرف بصفافة؟ إنك تمثل سبة في جبين اليهودية .

(هدد رئيس الجلسة بوقف الجلسة إذا لم يتوقف الأعضاء عن تبادل البذاءات اللفظية ، واستؤنفت الجلسة وتبادل الأعضاء الاتهامات حيث وجه الدينيون إلى اليساريين اتهامات بالنازية ومعاداة السامية . . واستمرت الجلسة . .)

ميخائيل برزوه (العمل) : إنكم لو كنتم توجهون هذه الطاقة إلى الدفاع عن الوطن لكنا حققنا إنجازات أحسن . كيف شعرتم أثناء الحروب ، على حين كان إخوة لكم يسقطون في الحرب؟

العيزر مزراحي : كنا نصلي لخالق العالم .

بورج : إنكم لستم جديرين بقدوم المسيح^(٤٠) .

وبطبيعة الحال ، فإن الحريديم نجحوا ، رغم كل هذه الحملة من جانب العلمانيين ، في الإبقاء على القانون .

والغريب بشأن هذه المعركة التي دارت رحاها داخل الكنيسة بين الدينيين والعلمانيين أن حركة دينية تدعى «المؤمنون بالتوراة والعمل» (ثماني توراة فيعفودا) ، أعلنت رفضها لوجهة نظر الدينيين الحريديم بشأن عدم تجنيد تلاميذ «اليشيفوت» وذلك في بيان ذكرت فيه : «استنادا للمناقشة التي جرت

أمس في الكنيست حول موضوع تجنيد أبناء اليشيفوت نعلن أن هناك تناقضا أساسيا ومبدئيا بين الموقف اليهودي الديني القومي وبين موقف القطاعات الحريدية تجاه الخدمة العسكرية، فعلى حين نخدم أبنائنا وكل أبناء الدولة في كل الوحدات العسكرية، سواء في الإطار العادي، أو في إطار «يشيفوت هسدير»، فإن معظم أبناء اليهودية الحريدية يتهربون بالفعل من واجب الخدمة العسكرية الذي هو واجب على كل أبناء الشعب.. ولم يحصل الجمهور من خلال الأقوال التاريخية للحريديم في الكنيست على إجابة عن السؤال الخاص: لماذا دمهم أكثر احمرارا من دمننا»^(٤١).

«الأجودات» والخدمة في الجيش الإسرائيلي :

بعد قيام إسرائيل وسن قانون الخدمة الإلزامية عام ١٩٥٠، الذي فرض الخدمة العسكرية على كل مواطن يهودي في إسرائيل يبلغ الثامنة عشرة من عمره، توجه عدد من زعماء «أجودات إسرائيل» بطلب إلى دافيد بن جوريون الذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع، لإعفاء طلاب «اليشيفوت» من الخدمة العسكرية، وذلك بهدف إعداد جيل من الحاخامات، عوضا عن الذين قتلوا إبان الفترة النازية في أوروبا، ولأن طلبة هذه المعاهد الدينية ليس لديهم الوقت الكافي للخدمة العسكرية لانهاكهم في العلوم الدينية ودراسة التلمود والتوراة. ولاعتبارات سياسية وحزبية، وافق بن جوريون على هذا الطلب الذي كان يشمل في ذلك الوقت بضع مئات من الطلبة المتدينين (نحو ٤٠٠ طالب)، وخاصة أنه كان يتطلع إلى جذب أكبر عدد ممكن من اليهود بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية والدينية، ويحرص على تجنب الاصطدام مع المتدينين، مع أنه أبدى مخاوفه آنذاك، من أن يستغل هذا الإعفاء للتهرب من الخدمة العسكرية بحجة الدراسة في «اليشيفوت»، وهو ما حدث فيما بعد، وكان يردد دائما: «إننا نريد أمة من الجنود لا أمة من الكهنة».

ولم تكن الرغبة في التعمق في الدراسات الدينية هي السبب الوحيد للتأجيل ، بل إن لهذه الظاهرة عدة أسباب أخرى أكثر عمقا منها :

أولا : عدم استعداد المتدينين لتحمل مخاطر الحرب ، وحرصهم على الحياة ، لأن من معتقداتهم الأساسية أن استمرارية الحياة يجب أن توضع فوق كل اعتبار آخر ، كما جاء في التلمود : « تعاليم التوراة تعني استمرارية الحياة لا إطفاءها » . لهذا يعتبر إعفاء الطلبة المتدينين من الخدمة أحد أسباب زيادة عدد طلبة المدارس الدينية في إسرائيل ، وهي من أعلى النسب في العالم مقارنة بعدد السكان .

ثانيا : عدم تعاطف المتدينين الأرثوذكس اللا صهيونيين (الحريديم) مع الفكرة الصهيونية ودولة إسرائيل لقيامها على أساس علماني . ومن هنا فإن أغلب أتباع المعسكر الحريدي لا يؤدون الخدمة العسكرية باستثناء حركة «حب» الحسيدية التي تشجع أتباعها على أداء هذه الخدمة .

ثالثا : ادعاء المتدينين (الحريديم) أنهم يؤدون واجهم تجاه الوطن بمواظبتهم على التعبد والصلاة ودراسة التوراة والتلمود لاستنزال الحماية الإلهية على الشعب اليهودي وحماية الوجود الروحي والأخلاقي للدولة . فإذا كان الجنود يحاربون بالسلاح ، فالمتدينون يحاربون بقوة الدين .

رابعا : عدم وجود البيئة النظيفة في الجيش ، وخشية المتدينين من أن يؤدي انخراطهم في الخدمة العسكرية إلى الابتعاد عن التعاليم الدينية ، وانحلال أخلاقهم في ظل وجود فتيات غير محتشمات هناك^(٤٢) .

وأمام الفتى من الحريديم طريقتان للتملص من الخدمة في الجيش : الأولى ، هي الإعفاء من الخدمة لأسباب صحية وغيرها حسب الأنظمة المعمول بها في الجيش ، وهؤلاء لا يثيرون في الحقيقة أية مشكلة ، والثانية ،

هي أن يتم تأجيل خدمتهم (لا إعفاؤهم) لانهاكهم في دراسة الدين والتوراة، وحول هؤلاء يدور النقاش والجدل، لأن هذا التأجيل الذي يتجدد سنويا طيلة فترة الدراسة التي تمتد سنوات طويلة، يتحول في النهاية إلى إعفاء بصورة أو بأخرى.

«وعملية الإعفاء من الخدمة لأسباب صحية تتم بأن يقنع الحريدي سلطات التجنيد بأنه مجنون أو منحرف أو متخلف عقليا لا يصلح للخدمة. والمتشددون من الحريديم غالبا ما يستعملون هذه الطريقة بأساليب بسيطة وشائعة، حيث يقومون في مكاتب التجنيد بتمثيل جميع أوضاع الجنون الممكنة، كأن يتركوا اللعاب يسيل من أفواههم أو يتصنعوا حركات غريبة بأيديهم أو أرجلهم أو أعينهم، أو يرتدوا ثيابا ممزقة وما إلى ذلك. ولا ينظر الحريدي الراغب في التملص من الخدمة العسكرية إلى هذه الأمور كشيء مستهجن، لأنه لديه قناعة بأنه لا يعيب المرء أن يلجأ لشتى الحيل للتخلص من هذا العبء.

وهناك قصة معروفة عن تملص الحاخام عزرا بصري من الخدمة العسكرية حيث شهد على نفسه بأنه يتبول في ثيابه أثناء نومه، وأنه يسمع أصواتا غريبة ويخلط بين الحقيقة والأوهام. وقد دفع هذا الحاخام رشوة لطبيب نفسي من القدس لكي يؤيد كلامه. والعجيب في الأمر أن هذا الحاخام كان يعمل قاضيا في المحاكم الحريدية، ولم يمنعه ما شهد به على نفسه من الترقى في مهنته، كما أن سائر الحريديم لم يستهجنوا هذا التصرف، لأن الخدمة في الجيش هي فساد مابعد فساد» (٤٣).

أما عملية التأجيل لأسباب دراسية، فإنها تبدأ حين يحضر الطالب المتدين إلى مكتب التجنيد الإجباري، عند بلوغه سن الخدمة العسكرية الإجبارية، من أجل الفحص الطبي، حيث يقدم الطالب وثيقة موقعة من مدير

ولم تكن الرغبة في التعمق في الدراسات الدينية هي السبب الوحيد للتأجيل ، بل إن هذه الظاهرة عدة أسباب أخرى أكثر عمقا منها :

أولا : عدم استعداد المتدينين لتحمل مخاطر الحرب ، وحرصهم على الحياة ، لأن من معتقداتهم الأساسية أن استمرارية الحياة يجب أن توضع فوق كل اعتبار آخر ، كما جاء في التلمود : «تعاليم التوراة تعني استمرارية الحياة لا إطفاءها» . لهذا يعتبر إعفاء الطلبة المتدينين من الخدمة أحد أسباب زيادة عدد طلبة المدارس الدينية في إسرائيل ، وهي من أعلى النسب في العالم مقارنة بعدد السكان .

ثانيا : عدم تعاطف المتدينين الأرثوذكس اللا صهيونيين (الحريديم) مع الفكرة الصهيونية ودولة إسرائيل لقيامها على أساس علماني . ومن هنا فإن أغلب أتباع المعسكر الحريدي لا يؤدون الخدمة العسكرية باستثناء حركة «حبد» الحسيدية التي تشجع أتباعها على أداء هذه الخدمة .

ثالثا : ادعاء المتدينين (الحريديم) أنهم يؤدون واجهم تجاه الوطن بمواظبتهم على التعبد والصلاة ودراسة التوراة والتلمود لاستنزال الحماية الإلهية على الشعب اليهودي وحماية الوجود الروحي والأخلاقي للدولة . فإذا كان الجنود يحاربون بالسلاح ، فالمتدينون يحاربون بقوة الدين .

رابعا : عدم وجود البيئة النظيفة في الجيش ، وخشية المتدينين من أن يؤدي انخراطهم في الخدمة العسكرية إلى الابتعاد عن التعاليم الدينية ، وانحلال أخلاقهم في ظل وجود فتيات غير محتشمات هناك^(٤٢) .

وأمام الفتى من الحريديم طريقتان للتملص من الخدمة في الجيش : الأولى ، هي الإعفاء من الخدمة لأسباب صحية وغيرها حسب الأنظمة المعمول بها في الجيش ، وهؤلاء لا يثيرون في الحقيقة أية مشكلة ، والثانية ،

وشرائعها^(٤٦). ويذكر «المعجم الصهيوني» أنها تأسست في بولندا عام ١٩٢٢^(٤٧)، على حين تذكر دائرة المعارف اليهودية «جودايكا» أنها تأسست في بولندا عام ١٩٢٣، كمنظمة عمالية في إطار حركة «أجودات إسرائيل»^(٤٨)، والأرجح هو التاريخ الأول.

وقد كانت «عمال الأجودات» منظمة عمالية في صدام مع الحركة الأم، التي كانت تمثل الشرائح البورجوازية الدينية اليهودية في بولندا بسبب مطالباتها بتحسين أوضاع وشروط عمل العمال اليهود. ولهذا السبب كانت علاقتها بحركة «أجودات إسرائيل» تمر بفترات مد وجذر طبقا للظروف، رغم أن الحركتين كان يجمعهما موقف موحد من الحركة الصهيونية وتوجهها العلماني.

أما في فلسطين فقد انتظم «عمال أجودات إسرائيل» كتنظيم عمالي عام ١٩٢٣، مع تدفق الهجرة اليهودية من بولندا نتيجة لسياسة التمييز الاقتصادية التي انتهجتها السلطة هناك ضد اليهود. وقد اشتملت تلك الهجرة على أعداد كبيرة من اليهود الأرثوذكس من الطبقتين المتوسطة والعمالية. وكان الفرع المحلي «لأجودات إسرائيل» في فلسطين عاجزا عن استيعاب تلك الهجرة وخصوصا عناصرها العمالية، إذ لم يكن تنظيم «أجودات إسرائيل» هناك يمتلك الوسائل والإمكانات المادية والتنظيمية لذلك. وبالتالي فقد اضطرت العناصر العمالية من هذه الهجرة إلى انشاء تنظيمها المستقل عن «أجودات إسرائيل»، لمعالجة ورعاية مصالح العمال من اليهود الأرثوذكس، الذين لم يجدوا في التنظيمات العمالية القائمة، الدينية منها وغير الدينية، إطارا صالحا لاستيعابهم. وفي عام ١٩٢٥ عقدت منظمة «عمال أجودات إسرائيل» مؤتمرها الوطني التأسيسي، وفي السنة نفسها هاجر إلى فلسطين من بولندا أحد القادة السياسيين «لعمال أجودات إسرائيل» هناك، هو الحاخام بنيامين مينتزر. ولكن بعد فترة وجيزة انحل التنظيم، وتأسس ثانية في تل أبيب عام ١٩٣٣،

«اليشيفا» التي يدرس بها تثبت انتبائه لهذه المدرسة ، كما يقدم وثيقة أخرى من لجنة مختصة تسمى «لجنة يشيفوت أرض إسرائيل» ، وهذه الوثيقة هي التي يعتمدها الجيش الإسرائيلي ، وبعد أن يتم فحص المتقدم يعطى شهادة طبية ، ووثيقة تسجيل خاصة بالجيش ، ويمنح تأجيلا لخدمته العسكرية لمدة عام ، يتم تأجيله سنويا ، بعد أن يقدم الطالب وثائق تثبت استمراره بالدراسة ، وانتمائه لمدرسته الدينية .

ومع أن هذه العملية لا تعفي المتدينين ظاهريا من الخدمة العسكرية (حيث يعطى طلاب الجامعة المتفوقين وثيقة تأجيل لفترة الدراسة الجامعية ٤ سنوات ، ثم يتوجب عليهم أداء الخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات بالإضافة لفترة إضافية عن مدة الدراسة) فإن ما يحدث عمليا ، أنهم يتخرجون من «اليشيفا» عندما تكون أعمارهم في نهاية العشرينيات ، وربما أكبر من ذلك ، حيث يكون أبناء جيلهم قد أنهوا الخدمة العسكرية الكاملة ومدتها ثلاث سنوات بالإضافة التي قضائهم مدة شهر سنويا في الخدمة العسكرية كاحتياط في الجيش^(٤٤) .

واستنادا إلى إحصائيات شعبة القوى البشرية في الجيش الإسرائيلي ، يحصل ٧٪ من الذكور (متدينين وغير متدينين) ممن يصلون إلى سن الخدمة العسكرية (١٨ عاما) على تأجيل الخدمة ، وتبلغ حصة المتدينين من هؤلاء ٥٪ من مجموع الشبان المطلوبين للخدمة العسكرية . وهناك توقعات أن تصل حصة المتدينين هذه إلى ١٠٪ في السنوات القليلة القادمة^(٤٥) .

٢ - «بوعالي أجودات يسرائيل» (عمال أجودات يسرائيل) :

منظمة عمالية دينية في إطار الحركة العمالية «لأجودات يسرائيل» هدفها إرساء الحكم الاجتماعي والاقتصادي على أسس التوراة وقوانينها

الأجوداتي أو التوراتي» (أجودات إسرائيل وعمال أجودات إسرائيل). وعلى حين أدى التقارب بين حزبي «المعسكر الديني القومي» إلى دمج الحزبين وتأسيس «الحزب الديني القومي» (المفدال)، فإن المعسكر التوراتي بقي قائما على أساس التحالف وليس الاندماج^(٥٠). ولذا فإن العلاقة بين «الأجودات» و«عمال الأجودات»، ظلت على الدوام في حالات متوالية من المد والجزر^(٥١).

ومن أشهر زعماء حزب «عمال أجودات إسرائيل» بعد مؤسسة ميتز الذي توفي في بداية الستينيات، الحاخام كالمان كهانا (ولد عام ١٩١٠، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٨، وكان عضوا في مجلس الدولة المؤقت عام ١٩٤٨، ثم عضوا في الكنيست منذ بدايته حتى الآن) رئيس الحركة العالمية «لعمال أجودات إسرائيل»^(٥٢). والزعيم الحالي للحزب هو الحاخام أفراهام فريديجر.

وبالنسبة لتمثيل «عمال أجودات إسرائيل» في الكنيست، فإن هذا الحزب تقاسم المقاعد الستة التي حصل عليها في الكنيست الأول في إطار «الجبهة الدينية الموحدة» مع «أجودات إسرائيل»، وفي الكنيست الثاني (١٩٥٣) حصل على مقعدين، وفي الكنيست الثالث والرابع حصل على ٣ مقاعد في إطار «الجبهة الدينية التوراتية» التي شكلها مع حزب «أجودات إسرائيل».

وقد حصل على مقعدين خلال الكنيست الخامس والسادس والسابع، والثامن. وفي الكنيست التاسع حصل على مقعد واحد فقط، وفي الكنيست العاشر (١٩٨٠) لم يحصل على أي مقعد، وفي الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤) حصل على مقعدين^(٥٣). وفي الكنيست الثاني عشر (١٩٨٨) حصل الحزب على مقعد ضمن القائمة الموحدة مع حزب «أجودات إسرائيل» تحت اسم «أجودات إسرائيل الموحدة»، وكان من نصيب زعيمه الحاخام فريديجر. ولم يحصل الحزب في الكنيست الثالث عشر (١٩٩٢) على أي مقعد

تحت زعامة مитز البولندي ويعقوب لنداو الألماني، وانضم إلى التنظيم الجديد «اتحاد العمال الارثوذكسيين» الذي كان قد تأسس في «بيتح تكفا»، وفي عام ١٩٣٦ ونتيجة لتدفق الهجرة من ألمانيا وبولندا بعد صعود النازية للحكم، توسعت صفوف «أجودات إسرائيل». وحتى عام ١٩٤٦، كانت منظماتها في الخارج تشكل جزءا من «الاتحاد العالمي للأجودات»، حيث تأسس في العام نفسه «الاتحاد العالمي لعمال أجودات إسرائيل»، واعتبر ذلك بمثابة انسحاب من الاتحاد العمالي «لأجودات إسرائيل».

ويوجد تمايز على الصعيد المحلي بين الحركتين، حيث كان «عمال الأجودات» أكثر استعدادا للتعاون مع مؤسسات «اليشوف» اليهودي في فلسطين، فالتحق أعضاؤه بمنظمة «الهاجاناه» العسكرية، وأصبح زعيمهم ميتز عضوا في اللجنة الأمنية «لاليشوف».

وقد تحولت منظمة «عمال الأجودات» إلى حزب سياسي مع الإعلان عن قيام الدولة، وشارك الأحزاب الدينية الأخرى في انتخابات الكنيست الأول (١٩٤٩) في إطار قائمة «الجهة الدينية المتحدة» وهو التحالف الذي انفرط عقده في انتخابات الكنيست الثاني.

وهكذا فإن الأمل الذي كان معقودا على توحيد الأشقاء المتنازعين سرعان ما اختفى إزاء تصلب «أجودات إسرائيل» حول ما أسماه بالمشاكل الدينية مثل : تجنيد المرأة في الجيش، بل ووصل به الأمر إلى رفض السماح للمرأة باستعمال حمامات السباحة المشتركة، وذلك على عكس جناحي «المزراحي»، على سبيل المثال، اللذين كانا على استعداد لتقبل مثل هذه المفاهيم^(٤٩).

ومنذ ذلك الحين أصبحت الأحزاب الدينية في إسرائيل عبارة عن معسكرين: المعسكر الديني القومي «المزراحي والعامل المزراحي»، و«المعسكر

وخلفه أخوه الحاخام سمحا بونيم ألتر الذي كانت علاقاته سيئة مع الحاخام شاخ، وكان من مؤيدي ضم «العمال» إلى «الأجودات» واستمرت العلاقات متدهورة بسبب هذه القضية إلى أن تفجرت نهائيا في بداية الثمانينيات، وأدت إلى انسحاب الحاخام شاخ نهائيا من «مجلس كبار علماء التوراة» عام ١٩٨٣^(٥٤).

وقبل انتخابات الكنيست الحادي عشر قام حزب «عمال أجودات» بالتحالف، في خطوة غير اعتيادية، ضمن قائمة «موراشا» مع قائمتين منشقتين عن حزب «المفدال» هما: «أوروت» بقيادة حانان بن بورات أحد قيادات حركة «جوش إيمونيم» و«متسادا» بقيادة الحاخام حיים دوركمان، وهي القائمة التي فازت بمقعدين احتل «العمال» المقعد الثاني فيها^(٥٥).

والمواقف السياسية لحزب «عمال أجودات إسرائيل» ليست ثابتة، وهو يخضع في كافة مواقفه السياسية، في تأييد الخط الحكومي السائد أو معارضته، لمدى استجابة الحكم لمطالبه في الشؤون الدينية وللمعونات المالية التي تخصص لمدارسه الدينية. أما بالنسبة للطابع العام للدولة اليهودية فهو يسعى لكي يكون طابعا دينيا صرفا وفقا لتعاليم التوراة وأحكامها ويسعى الحزب بشتى الوسائل لزيادة نفوذ المؤسسة الدينية وإلى فرض تعاليم التوراة وفقا للتيار الأرثوذكسي في الديانة اليهودية على جميع سكان إسرائيل. ويؤيد الحزب الاستيطان في المناطق المحتلة، من خلال تعاون وثيق مع حركة «جوش إيمونيم» (كتلة الإيمان)^(٥٦).

وعلى المستوى العقيدي السياسي من قضايا مثل «أرض إسرائيل» وقطاعها، وملكيته، واستيطانها ومعاملة «الأغيار» فيها، فإن حزب «عمال الأجودات» يتشابه في برنامجه السياسي مع برنامجي «هتحيّا» (البعث) اليميني المتطرف و«المفدال». وهناك عناصر قوية فيه تعارض التخلي عن أي شبر من

والجدير بالذكر أن قضية انضمام حزب «عمال أجودات إسرائيل» لحزب «أجودات إسرائيل» ظلت محل صراع متصل بسبب قرب «العمال» من الصهيونية وأدت هذه الصراعات إلى خلافات داخل «مجلس كبار علماء التوراة» أدت إلى انسحاب الحاخام مناحم اليعيزر شاخ من المجلس عام ١٩٨٣ وتأسيس حزب «شاس» أولاً، ثم تأسيس حزب «ديجل هتوراه» بعد ذلك .

وترجع أسباب هذا الصراع إلى أن اللتوانيين داخل «أجودات إسرائيل» وعلى رأسهم الحاخام شاخ كانوا يعارضون هذا الانضمام، على حين كان الحسيديم وعلى رأسهم رئيس «مجلس كبار علماء التوراة» آدمور طائفة جور، إسرائيل ألتر، ممن يرون وجوب تحقيق هذا الانضمام . وقبيل انتخابات الكنيست الرابع، انتصر خط الحسيديم، وشكل الحزبان قائمة واحدة مشتركة، بعد أن تعهد حزب «العمال» بالالتزام بجميع القرارات التي يصدرها «مجلس كبار علماء التوراة» . بيد أن حزب «العمال» لم يحترم هذا التعهد، فطلب الحاخام شاخ فض هذه الشراكة، وأذعن المجلس لهذا الطلب إرضاء للحاخام شاخ، على الرغم من حالة التوتر التي تميز علاقة اللتوانيين والحسيديم .

وفي عام ١٩٧٣ أثارت مسألة ضم «العمال» مرة أخرى، حيث رأى آدمور جور أن الوقت قد حان لهذا الضم، فيما رأى الحاخام شاخ شريك الأدمور في قيادة المجلس غير ذلك . . مما اضطر الحاخام شاخ لمقاطعة جلسات المجلس حتى عام ١٩٧٧، مع عدد من الأعضاء المؤيدين له، ولم يعد له إلا بعد أن تنازل المجلس عن الوحدة مع حزب «عمال أجودات إسرائيل» قبيل انتخابات عام ١٩٧٧ .

وبعد انتخابات عام ١٩٧٧ توفي آدمور جور الحاخام إسرائيل ألتر

ويتضمن برنامج الحزب اعتبار «أرض إسرائيل» مركزا للشعب اليهودي،
وتأييد تطبيق السيادة الإسرائيلية الكاملة على كل جزء من «أرض إسرائيل»،
ومعارضة إعادة الأرض المحتلة، أو إزالة المستوطنات اليهودية، ومعارضة قيام
دولة فلسطينية .

«والنخبة القيادية في هذا الحزب هي من الطائفة الأشكنازية، وقد
تعاقت على زعامته منذ تأسيسه حتى الآن ٣ شخصيات هم : الحاخام
بنيامين مينتز مؤسس الحزب (١٩٢٥ - ١٩٦١)، والحاخام كالمان كهانا
(١٩٦١ - ١٩٨١)، والحاخام أفراهام فريديجر الذي يقود الحزب منذ
١٩٨١ حتى الآن» (٥٨) .

٣ - «أجودات إسرائيل الأورشليمية» :

من الجماعات التي تغالي في تشدها الديني تلك الجماعة «الأجودائية»
الجديدة، التي وإن ارتدت ثوبا جديدا «للأجودات» إلا أنها تشترك مع
«أجودات إسرائيل» القديمة من الناحية الخارجية والمضمونية على حد سواء .
وكل من القديم والجديد في هذه الجماعة هو عبارة عن طبعة جديدة للصيغة
السائدة للأرثوذكسية الدينية في إسرائيل، أو بعبارة أخرى، طراز متطرف
شمولي للصهيونية، وبصفة خاصة للصهيونية الدينية .

وقد نمت هذه الصيغة المغالية في التشدد الأجودائية (أولترا أجودات)
داخل «اليشوف» القديم في القدس في بداية سنوات الانتداب . وقد أطلق
عليها في البداية اسم «أجودات إسرائيل الأورشليمية»، وبعد ذلك عرفت
باسم «شباب أجودات إسرائيل» (تسعيري أجودات إسرائيل)، وأخيرا عرفت
باسم «الطائفة المتشددة دينيا» (هعيداه هحريدت) وباسم «نطوري كرتا» .
وقد تناول عالم الاجتماع اليهودي مناحم فريدمان هذه التطورات بالتفصيل في
كتابه «المجتمع والدين» (٥٩) .

«أرض إسرائيل». لكن نظرتة الدينية الشاملة تشدد على أن خلاص الشعب اليهودي، وجمع شتاته، واستعادته أرضه المقدسة، ستم فقط على يد «المسيح المنتظر»، وأن أي محاولة لاستعجال الخلاص، ومصادرة دور المسيح هي بمثابة كفر وهرطقة. وهذه النظرة تجعل كثيرين من زعمائه النافذين على استعداد للقبول بالتخلي عن أجزاء من «أرض إسرائيل» في الوقت الراهن على اعتبار أنه لا يوجد في الوقت الراهن ما يشير إلى أن عملية الخلاص الإلهية قد بدأت. ويشذ عن هذا الاعتقاد داخل أوساط «الأجودات» أتباع طائفة «حبد» الذين يعتقدون أن زعيمهم الحاخام من ليوفافيتش هو «المسيح المنتظر»، وأن عملية الخلاص جارية فعلا الآن، وبالتالي فمن المحذور دينيا التخلي عن أي جزء من «أرض إسرائيل» أو التساهل مع أعداء إسرائيل^(٥٧).

وعلى الرغم من أن حزب «العمال» حزب غير صهيوني، إلا أنه كان منفتحا في نظرتة إلى الصهيونية، وكانت علاقاته مع الصهيونية والمؤسسات الإسرائيلية سببا في الأزمات التي تحدث بينه وبين حزب «الأجودات». إن هذا الحزب يرفض فكرة «انتظار المسيح» التي كانت تنادي بها «الأجودات» وقام بتكييفها لتتفق مع مبادئه، فأعلن «أن المسيح سوف يأتي إذا استحق اليهود الخلاص في الأماكن المقدسة»، وأن على اليهود العمل على إثبات أنهم يستحقون ذلك. وقد قام هذا الحزب بترجمة مفاهيمه حول «العمل» عبر إنشاء سلسلة من «الموشافوت» في أماكن مختلفة أهمها: «بنى رام ١٩٤٩» و«زبدليل: ١٩٥٠»، و«تسورابيل: ١٩٥٠»، و«قوميموت: ١٩٥٠» و«بيت حليفا: ١٩٥٣»، و«يسودوت: ١٩٤٩»، و«مابو حورون: ١٩٧٠»، «مابوموديعين: ١٩٧٠»، و«بيت حشمونائي» ١٩٧٢، و«متياهو: ١٩٨٣».

والحزب على الصعيد السياسي يعارض اتفاقيات كامب دافيد، ويؤيد سياسات الحكومات الإسرائيلية تجاه عرب المناطق المحتلة، ويؤيد الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة.

يستريح فيه الإنسان)، ومنع حلب الحيوانات واستخدام المياه المتدفقة والكهرباء يوم السبت .

وينسب نجاح تجديد العنصر المغالي «الأجوداتي» في إسرائيل وتثبيت أركانه في مركز «اليشوف» الجديد، إلى الزعيم الكاريزمي حازون إيش، وهو الحاخام أفراهام يشعياهو كارليتس (١٨٧٨ - ١٩٥٣ م) المولود في ليتوانيا . وهو أحد كبار الفقهاء اليهود في القرن الأخير، إن لم يكن أفقهم . وضع أول كتاب له في الفقه باسم «حازون إيش» (نبوة رجل) عام ١٩١١ ، وهو الكتاب الذي أصبح يعرف به ، وهو يتكون من اثنين وعشرين مجلدا في الفقه، وصدرت المجلدات الأربعة الأولى منه قبل هجرته إلى فلسطين عام ١٩٣٣ م، كذلك وضع كتابا حول «التقاليد» . وقد أقام حازون إيش بعد هجرته إلى فلسطين في حي بني براك، وأصبح من كبار الشخصيات الدينية المعارضة الصهيونية، فكان يرى أن الصهيونية هي المسؤولة عن أحداث النازية . وقد قاطع الصهيونية، فرفض تسلم كل المناصب الدينية الرسمية التي عرضت عليه، وهاجم «الحاخامية الرئيسية» باعتبارها مؤسسة صهيونية، ورفض تأييد إقامة دولة يهودية في فلسطين . وعندما قامت أنكر شرعيتها، ولم يكن بأفكاره هذه بعيدا عن «نطوري كارتا»، إلا أنه لم ينتسب إليها، فقد كان معارضا لسياساتها التطبيقية وأسلوب الهياج العنيف الذي تتبعه، إضافة إلى تأييده للمشاركة في الانتخابات والتصويت للكنيست، لاعتقاده أن من شأن ذلك خدمة حقوق «الحريديم» اللا صهيونيين، وتحقيق مطالبهم^(٦٠) .

وقد وصف حיים جريدة شخصيته في الثلاثية الروائية التي نشرها بالليديشية (ترجم جزءان من هذه الثلاثية إلى العبرية)، وأطلق على «حازون إيش» فيها اسم «مَحْزَه أفراهام»، كما قدم في كتاب «فخر الجيل» (بيئر هذور) المكون من خمسة أجزاء، والذي كتبه عدد من الأدباء «المتشددين دينيا» (الحريديم)، على أنه شخصية نموذجية أسطورية .

وقد كانت هذه الجماعة عبارة عن عنصر سياسي بالكامل، أي أنها لم تكن عنصرا تعليميا خاض حرب الكر والفر في الحركة الصهيونية التي كانت مسيطرة على الاستيطان اليهودي في فلسطين، كما كانت عنصرا تبنى التعصب كمبدأ وكهدف في حد ذاته. ولم تعترف هذه الجماعة بإمكان الحل الوسط، وكان شعارها هو «الوضوح» (بهيروت)، أي إرساء واقع أخلاقي للأبيض والأسود (الصهيونية والأوثودوكسية)، وتمسكت بتفاصيل الزي التي كانت سائدة في «الاستيطان اليهودي القديم» في فلسطين.

وفي مقابل «الأجودائية» المغالية القديمة ظهر العنصر «الأجودائي» المغالي الجديد في «بني براك»، وهي مستوطنة أسست في العشرينيات بوساطة الصهيونيين الدينيين، من «الأجودائيين» وأعضاء «المزراحي». وكان هذا العنصر المتطرف الجديد عنصرا روحيا تعليميا في أساسه وكان هدفه «غرس التوراة في صحراء الاستيطان اليهودي الجديد»، على حد قول «حازون إيش». وشأنها شأن أي عنصر أرثوذكسي، فإن هذه الجماعة كانت لديها وجهة نظر سياسية، ولكنها تحاشت الانحياز إلى أي عنصر حزبي قائم، واعتبرت نفسها مرتبطة بمجمل الأرثوذكسية، ولاسيما الصهيونية، ولم تتحاش الاتصال المفيد، حتى مع الأرثوذكسيين. وقد خضعت هذه الجماعة لضغوط «اليشوف» الجديد، وقبلت «الحكم باتخاذ العبرية لغة لإسرائيل»، وبالدراسات العلمانية واللغات الأجنبية وهي كلها أمور كان «اليشوف» القديم قد حرّمها، ولم تدن التنوع في الزي ومصادر الرزق، ولاسيما العمل في الزراعة.

وقد أدى هذا الانفتاح النسبي إلى تجدد توراتي معين في مجال الشرائع المتعلقة بالبلاذ، والشرائع الدينية المرتبطة «بأرض الميعاد» وغيرها، ورفعت من قائمة التحريم كذلك أشياء كثيرة مثل: «الشميطاه» (السنة السابعة التي ينبغي فيها عدم زراعة الأرض وتركها للراحة على غرار السبت الذي

الطلاب للشيقات)، وهو الأمر الذي شجع للغاية على نمو «الشيقات»، وأتاح دخول الشباب المتزوج في نطاق «الشيقات»، عن طريق تأسيس «كولاليم» جديدة. وقد أصبحت شخصيته على هذا النحو رمزا للانحياز وبؤرة للتقدير في عالم «الشيقات».

وقد كان «حازون أيش» يقظا لظاهرة قلة المواليد في القطاع العلماني في مقابل ارتفاع نسبة الخصوبة بين «المتشدين دينيا». وكان من دواعي تفأوله ذلك الانخفاض النسبي في عدد «المتجاوزين للشريعة»، وكانت هذه الظاهرة أساسا لوجهة نظره التي ترفض الجدل من حيث المبدأ.

وقد كانت من المسائل الثانوية التي تحبب فيها علماء الاجتماع، قضية هل الشخص يصبح زعيما بفضل شخصيته، وقدرته على تعبئة القوى وجمع التأييد لمشروعاته، أي قدرته على أن يجذب طائفة من الاتباع، أم أن الاتباع هم أنفسهم الذين يختارون الشخص المناسب من وجهة نظرهم، ويعهدون إليه بمهمة الزعامة. إن «حازون أيش» لم يسع للزعامة ولم يضع نفسه على الإطلاق في محل الاختيار، ولكنه كشف عن نفسه لأولئك الذين طلبوا منه المشورة. وعلى ضوء هذا، فإنه لم يرق بأي دور سياسي، ولكنه كان مخططا للسياسيين وموجهي الرأي العام. وقد رفض دعوة لأن يكون عضوا في «مجلس كبار علماء التوراة» التابع «لأجودات إسرائيل»، ولكنه سعى من أجل إصلاح هذا الحزب. وقال ذات مرة للحاخام نريا إنه قريب في وجهات نظره من «نطوري كرتا».

وقد أقام «حازون أيش» علاقات طيبة مع «عمال أجودات إسرائيل» (حيث كان الحاخام مائير كالييتس، هو حاخامهم)، واستخدم مواردهم الزراعية كمعمل لأبحاثه «الهالاخية» بالنسبة للشرائع المرتبطة بالبلاد. كما قام بدعم الحاخام إسحق مائير لفين، زعيم «أجودات إسرائيل» الذي وافق على قبول دعم حكومي من أجل بناء شبكة التعليم المستقل.

لقد كان «حازون أيش» رجلا لديه القدرة على استقراء المستقبل والتطورات المناسبة لنسبته، وهي التي رفعتة إلى مرتبة الزعامة. وقد قدر جيدا وبشكل صحيح العلاقة بين العنصر الصهيوني والديني المتشدد (الحريدي) بعد إقامة الدولة، عندما أوضح أن اندفاع الحركة الصهيونية الطلائعية سوف تتوقف وعندئذ سوف تحدث صحوه في الحركة الأرثوذكسية.

وقد ضعفت حركة «أجودات إسرائيل» بعد أحداث النازية، وذلك بسبب سياستها التي جعلت في بؤرة اهتمامها مركزها في أوروبا وأهملت في حينها الجبهة الفلسطينية، وتركت العنصر المحلي وحيدا في المعركة إلى أن تمت هزيمته. كذلك فإن الصهيونية الدينية كانت في حالة من الارتباك بسبب عدم استعدادها لإقامة الدولة اليهودية، التي كانت وفق منهجها ينبغي أن تدار بروح التوراة وتشكل «بداية الخلاص».

أما «حازون أيش» فإنه لم تغب عنه روح التساهل التي شاعت في كل أرجاء العالم اليهودي تجاه «المتشددين دينيا» (الحريديم) من الناجين من أحداث النازية (هشوأه)، التي أسبغت هالة من الرومانسية على الثقافة التي أبيدت، والتي كان حماها هم المحافظين على التقاليد. وقد جمع حاخام «يشيفابونيباج»، الحاخام كاهانان، أموالا كثيرة من أجل تخليد ذكرى يهود لتوانيا بوساطة «اليشيفوت» بالذات، على الرغم من أن معظم يهود لتوانيا كانوا قد تخلصوا من نير التقاليد حتى من قبل أحداث النازية.

ومن ناحية أخرى، فإن «حازون إيش» كان قد استطاع أن يستخلص أن دولة إسرائيل التي مازالت في بداية خطواتها الأولى، سوف تسهل المجال أمام نمو يهودية التوراة فيها. وكان يقصد بذلك جعل قيم الدين في الدولة قويا مؤسسية، أي تابعة للدولة ونابعة من الاحتياج السياسي للأحزاب الدينية. وقد كان «حازون أيش» هو الذي أقام «هتتأليم» (مدارس تلمود توراة تعد

٤ - حزب «ديجل هتوراه» (علم التوراة) :

حزب من المتشددين الدينيين (الحريديم) وهو الوريث الروحي «للمتنجديم» (المعادين للحسيدية). وقد ظهر هذا الحزب عشية انتخابات الكنيست الثاني عشر (١٩٨٨)، بزعامة الحاخام أفراهام رافيتس، وحصل على مقعدين في هذه الانتخابات. وبرنامجه السياسي مرن إلى حد كبير: «إننا نحدد موقفنا تجاه كل القضايا الحيوية في الموضوعات السياسية والاقتصادية، وفق رأي التوراة، والتي يحددها (كبار علماء التوراة)، في هذا الجيل وعلى رأسهم الحاخام اليعيزر شاخ رئيس (يشيفا بويناج)» (٦٢).

وعلى الرغم من أن الحاخام شاخ يقف على رأس اللتوانيين الذين يخوضون حرباً ضروساً ضد غلاة «الحسيديم»، فقد تلقى هذا الحزب دعماً من بعض المجموعات الحسيدية، وخاصة من «الحسيديم» الذين درسوا في المدارس اللتوانية. ومن أهم الجماعات الحسيدية التي دعمت هذا الحزب، طائفة «بعلاز» الحسيدية، التي انشقت عن حزب «أجودات ישראל» قبيل انتخابات ١٩٨٨، بعد أن كانت قد انضمت إليه عام ١٩٨٠، وطائفة «عرلوي» في القدس، والقسم المنشق عن طائفة «فايخنتش» بحيفا، وطائفة «تسانز» في נתانيا. ولا يعود دعم هذه المجموعات «لديجل هتوراه» إلى اتفاق في الآراء بينها وبين الحاخام شاخ، بقدر ما يعود للخلافات بينها وبين «أجودات إسرائيل»، وعلى وجه التحديد بينها وبين جماعة «جور» الحسيدية المنافسة (٦٣)، التي تشكل المجموعة الرئيسية في «أجودات إسرائيل»، وهي الجماعة التي تسببت خلافاتها مع الحاخام «شاخ» إلى تركه لحزب «أجودات إسرائيل» عام ١٩٨٣، وكأن هذه الجماعات قد أرادت الانتقام من «أجودات إسرائيل» وحركة «جور» بصفة خاصة، عبر تأييدها لعدوهما اللدود شاخ. وقد أفصح عن هذه الحقيقة عشية الانتخابات أحد قادة «بعلاز» حين أوضح أنه

وقد أظهر «حازون أيش» يقظة سياسية كبيرة عندما حرص الجمهور المتشدد دينيا ضد محاولة تطبيق قانون الخدمة الوطنية للفتيات عام ١٩٥٢، وطلب من زعماء «أجودات إسرائيل» الانسحاب من الائتلاف الحكومي. وفي الوقت نفسه أشار على زعماء المزارحي «شبيرا وفرها فتيح، أن يبقيا في الحكومة من أجل ضمان قبول قانون المحاكم الحاخامية الذي كان مطروحا على بساط البحث. وكان نتيجة ذلك أن «أجودات إسرائيل» كسبت صورة الحزب الذي يبدي تفانيا للقيم الدينية، على حين ظهرت صورة حزبي «المزارحي» و«عمال أجودات إسرائيل» على أنها يحرصان على كراسي الحكومة.

ومنذ تلك الفترة فصاعدا حدث تغيير له مغزى في علاقات القوى بين الصهيونيين وغير الصهيونيين في الأرثوذكسية الدينية في إسرائيل، لصالح الآخرين. وكان الجدل حول الخدمة الوطنية للفتيات، والذي خرج منه العنصر المتشدد دينيا منتصرا، هو الجدل الوحيد الذي مد له «حازون أيش» يد العون، حيث كان هذا النزاع بالفعل، نزاعا غير ذي أهمية بالنسبة لمن أثاروه، لأنه عمليا لا علاقة له بفتياتهم. ومن هذه الناحية فإن هذا الجدل كان جدلا سياسيا خالصا، على غرار الجدل حول «من هو اليهودي؟» الذي أثير بعد ذلك بست سنوات. إذن فلم يكن هذا الأمر أكثر من كونه معركة جر إليها «حازون أيش» الحكومة أو «الخصم الصهيوني» على حين كان هو على يقين من أن نتیجتها لصالحه، وهو الأمر الذي أدى إلى تفوق «حازون أيش» على منافسه على تاج غلاة الأرثوذكسية، الحاخام زئيف سلوفيتشيك من بريسك، الذي كان في القدس.

ولم تقف جهود «حازون أيش» عند حد البحث العلمي في أمور الشريعة اليهودية (نحو ٣٠ كتابا)، حيث إنه أصبح في نظر أتباعه بمثابة موجه روحي، و«نموذجا» لبسطاء الشعب، واعتبروه دليلا على انتصار «المتشددین دينيا» على أعدائهم في العالم اليهودي^(٦١).

لوم يعلن الحاخام شاخ عن تشكيل «ديجل هتوراه» لصوت أتباع «بعلاز» لصالح حزب «العمل» نكايه «بأجودات إسرائيل»^(٦٤).

ولم يحظ «ديجل هتوراه» بتأييد الأشكناز فقط، بل أيدته أيضا نسبة صغيرة من اليهود «السفارديين»، وذلك بعد أن قام الحاخام عوفاديا يوسف بناء على طلب من الحاخام شاخ بكتابة رسالة تأييد «لديجل هتوراه»، وتم تمريرها على أغلب المدارس الدينية «السفاردية» كدليل مادي على هذه المساندة.

ويمكن القول إن حزب «ديجل هتوراه» يمثل بأطروحاته وأهدافه الشق الأشكنازي لحركة «شاس» السفاردية، في كل من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية^(٦٥).

ويوجد لحزب «ديجل هتوراه» - أسوة بالأحزاب الحريدية الأخرى - مجلس قيادي أعلى يسمى «مجلس حكماء التوراة»، قام الحاخام شاخ بتأسيسه عام ١٩٨٨، وهو يتكون من الحاخام شارخ رئيسا وأحد عشر عضوا آخرين. وقد خاض انتخابات الكنيست الثالث عشر، ولم يفز بأي مقعد فيه.

ويعتبر حزب «ديجل هتوراه» من أقل الأحزاب الدينية تطرفا من ناحية البرامج والتركيب الشخصي للقيادة العليا فيه. وقد ذهب رئيسه أفراهام رافيتس بعد انتخابات ١٩٨٨م، إلى حد الموافقة، ليس على الانسحاب من المناطق المحتلة فحسب، بل على قيام دولة فلسطينية منزوعة السلاح فيها، وأعرب عن استعداده لتأدية التحية لعلم هذه الدولة^(٦٦).

مقوماته البشرية والمادية من الهجرة من الخارج ، بالإضافة إلى تفاعلات موجات الهجرة ذات التنوعات الحضارية والثقافية واللغوية المتنوعة والمتباينة وغير المتجانسة ، مما يجعله يشهد تغيرات ديموجرافية مستمرة تعكس العديد من الصراعات في داخله .

وقد حدد الدكتور حامد ربيع ، صور الصراع داخل إسرائيل في الإطارات التالية :

(أ) صراع العربي ضد اليهودي .

(ب) صراع اليهودي الشرقي ضد اليهودي الأوروبي .

(جـ) صراع اليهودي الأوروبي الشرقي ضد اليهودي الأوروبي الغربي .

(د) صراع اليهودي المتدين ضد اليهودي العلماني .

(هـ) صراع اليهودي الذي ولد بإسرائيل وعاش فيها ، والذي يعبر عنه بجيل «السابرا» ، ضد اليهودي المهاجر الجديد الذي أتى إليها في سنوات الفخر والنجاح^(٦٧) .

أما الباحث الإسرائيلي سمحا لنداو ، فإنه يحدد عوامل الصراع في المجتمع الإسرائيلي في الإطارات التالية :

(أ) عوامل سياسية - اليمين ضد اليسار .

(ب) عوامل طائفية - اليهود الذين من أصل شرقي في مواجهة اليهود الذين من أصل غربي .

(جـ) عوامل دينية - المتدينين في مواجهة العلمانيين .

(د) عوامل طبقية - الأثرياء في مواجهة الجوعى .

الفصل الثاني

الأحزاب الدينية المسيحانية السفاردية

المبحث الأول: بروز الاستقطاب الطائفي في الواقع الديني السياسي الإسرائيلي:

يعتبر هذا العامل المتصل بالاستقطاب الطائفي في إسرائيل، كعنصر من العناصر التي طفت على سطح الحياة والواقع السياسي في إسرائيل اعتباراً من انتخابات عام ١٩٧٧، من أهم العوامل التي لعبت دوراً مهماً في تنامي المد الديني القومي المتطرف في إسرائيل، وسيظل عاملاً مهماً من عوامل تغذيته في السنوات القادمة. ومن هنا سوف نتناول هذا العامل بشيء من التفصيل لكي نتعرف على جذوره وعوامل نموه وأهميته.

وإذا كان من المعروف أن أي مجتمع يعرف على الأقل صوراً ثلاثاً من الصراع: صراع الأجيال، وصراع الطبقات، وصراع العقائد، فإن المجتمع الإسرائيلي قد مر بصور أخرى من التوترات والصراع، أثرت، وسوف تؤثر إلى حد كبير على تشكيل طابعه القومي في المستقبل، وفقاً لأنماط الصراع فيه.

وبطبيعة الحال، فإن نشوء صراعات مختلفة عن تلك المتعارف عليها في العالم، داخل إسرائيل، إنما يرجع إلى الظروف التي تكوّن من خلالها المجتمع الإسرائيلي، وهي ظروف شاذة وغير طبيعية ميزته ككيان يفتقر إلى المقومات الأصلية للمجتمعات التقليدية. فالمجتمع الإسرائيلي هو كيان مصطنع يستمد

الرئيسية للهجرة اليهودية من أوروبا، ولكن سادت بينهم فروق مهمة، حيث لم يكن العنصر المشترك «اليهود الشرقيين» جغرافيا فحسب، بل كان أيضا ذا طابع اجتماعي واضح. وبالمقارنة بسائر أجزاء الاستيطان الصهيوني في فلسطين، كانوا يشكلون كتلة اجتماعية وثقافية موحدة نسبيا^(٦٩).

وعموما فإن من الشائع حاليا في الكتابات التي تتناول المشكلة الطائفية في إسرائيل، استخدام مصطلحات مثل «يهود الشرق» أو «الطوائف الشرقية» أو «السفارديم» بنوع من التداخل للإشارة بشكل عام إلى المهاجرين اليهود من أبناء آسيا وأفريقيا سواء كانوا من أصول شرقية أو سفاردية، على اعتبار أنهم يشكلون شريحة متميزة داخل المجتمع الإسرائيلي اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، جرى العرف على تسميتهم باسم «إسرائيل الثانية» منذ عام ١٩٥٩ تمييزا لهم عن الشريحة الأشكنازية التي تمثل «إسرائيل الأولى». ومن الشائع بين «السفارديم» في إسرائيل أن يطلقوا على أنفسهم تعبير «ساميخ طيت» (الحروف الأولى للكلمات العبرية: سفاردي طاهور)، أي سفاردي نقي، كما يطلقون على «الأشكنازيم» من باب السخرية تعبير «هازوزيم» أي المدللين.

وإذا حاولنا أن نبحت في جذور «المشكلة الطائفية» في إسرائيل، كواحدة من أكثر الصراعات حدة وتبلورا، لنقف على دورها في احتواء النزعة الدينية في إسرائيل في الآونة الأخيرة، نشير إلى أن هذه المشكلة لم تنشأ في الخمسينيات مع الهجرة الجماعية ليهود الشرق الأوسط إلى إسرائيل.

إن السمات المميزة لهذه المشكلة كانت تميز العلاقات المتبادلة بين الطوائف الأشكنازية والطوائف الشرقية منذ ما قبل الدولة. والفارق الوحيد بين الفترتين - ما قبل قيام الدولة وما بعدها - هو الإدراك الضئيل للغاية للموضوع في الفترة الأولى. ويرجع هذا أساسا إلى أن أبناء الطوائف الشرقية كانوا يشكلون أقلية بين اليهود في فلسطين (٢٠٪ - ٢٥٪ عشية قيام إسرائيل)^(٧٠).

ويرى كذلك ، أن كل عامل من هذه العوامل لا يشكل في حد ذاته خطرا بالفعل ، ولكن الخطر يكمن في حقيقة وجود ترابط بين هذه العوامل المختلفة ، حيث وجد الباحثون في إسرائيل ، أن هناك ترابطا بين عوامل ثلاثة من هذه العوامل : العوامل السياسية ، والعوامل الطائفية ، والعوامل الطبقية . وفي هذه العوامل الثلاثة التي ترتبط معا ، يوجد ترابط أيضا بين اليمين ، واليهود الذين من أصل شرقي ، والمظلومين ، أو بأسلوب آخر ، بين كل من اليمين ، والشرقي ، والمظلوم^(٦٨) .

وللتوضيح ، ينبغي أن نشير إلى أن المقصود باليهود الشرقيين (يطلق عليهم أيضا «عولي همزراح» أي المهاجرون من الشرق أو «عيدوت همزراح» أي الطوائف الشرقية) أولئك اليهود الذين هاجروا من البلدان الشرقية بما فيها بلدان الشرق الأوسط ، وعلى الأخص تلك التي كانت خاضعة للسلطة العثمانية سابقا . والطوائف الرئيسية فيها هي السفارديم ، والإيرانيون ، والأكراد ، والعراقيون ، واليمنيون ، والمغاربة ، ويهود بخارى ، ويهود حلب ، ويهود آرام صوبا ، ويهود جروزيا ويهود أفغانستان . أما اصطلاح «سفاردي» (وهو نسبة إلى «سفاراد» أي إسبانيا) فإنه يطلق على كل اليهود الذين تعود أصولهم إلى إسبانيا ، والذين أقاموا في أجزاء مختلفة من شمال أفريقيا وتركيا واليونان ومصر . وقد كانوا يشكلون نوعا قائما بذاته له سمات واضحة ومميزة عن سائر مهاجري الشرق ، وكانوا يشكلون الجزء الأكبر من «اليشوف القديم» في فلسطين قبل بداية الهجرات الصهيونية في الثمانينيات من القرن التاسع عشر . وبعد الحرب العالمية الأولى وصل كثيرون آخرون ، والشيء نفسه بالنسبة للطوائف الشرقية . وقد وصل نحو ٧٠٪ من بين ٧٠ ألف يهودي شرقي (بما في ذلك السفارديم) إلى فلسطين بعد عام ١٩١٨ إضافة إلى ٢٠ ألف يهودي كانوا موجودين فيها . ومعنى هذا أن وصولهم كان متزامنا مع الموجات

«ماباي»، وبين سياسة حزب «حيروت» التي تجاهر بانتهاج سياسة القوة العسكرية والتشدد مع العالم العربي، من دون تغليفها بصيغ «تكتيكية». وكان هناك أيضا تزاخم بين حزبي «مابام» و«المفدال» (الحزب الديني القومي) الذي انبرى يدافع عن «الهوية الدينية» للمهاجرين من الدول الآسيوية، وخاصة أن التزاخم كان يدور حول قيام «إطار تعليمي ديني مستقل لأبناء المهاجرين»^(٧٨). لكن هذا الصراع لم يتخذ آنذاك بعدا طائفيا، ولم يكن له تأثير على ميزان القوى السياسية. ولم يكن هذا يعني أن الصراع الطائفي كان معدوما، إذ كانت هناك محاولات مستمرة لإبراز الشخصية الخاصة لأبناء الطوائف الشرقية، وأهمها «ثورة وادي الصليب» في حيفا في أواخر الخمسينيات التي قام بها أبناء الطوائف الشرقية، لكن حزب «الماباي» الذي كان يتحكم في جميع مؤسسات الحكم استطاع قمع هذه الثورة بوسائل شتى وتأجل الصراع الطائفي. ولكن هذا لم يمنع استمرار التوتر بين الطوائف الشرقية والطوائف الغربية. وكلما ازداد هذا التوتر حدة تعزز مصطلحا: «إسرائيل الأولى» (إسرائيل الطوائف الغربية)، و«إسرائيل الثانية» (إسرائيل الطوائف الشرقية). وأخذ الانقسام الطائفي ينعكس في الخريطة السياسية، متمثلا في كثرة القوائم الطائفية مثل «اتحاد السفارديم» و«اتحاد يهود اليمن» وغيرهما من التنظيمات السياسية. والقلائل هم الذين تجاوزوا حدود هذه الأطر، وأسهموا بصورة فعالة في تنظيمات وأحزاب ذات وسائل شمولية أو تنظيمات ذات أهداف محددة^(٧٩). وهي تنظيمات لم تستطع أن تحتل موقعا في النظام السياسي في إسرائيل.

وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، بدأت الهوة بين يهود الشرق ويهود الغرب في الازدياد دون أن يحاول حزب العمل الإسرائيلي بأيديولوجيته الصهيونية الاشتراكية أن يقدم حلا لهذه المشكلة الاجتماعية السياسية. وقد ترتب على

وي أفريقي في إسرائيل تزايدت إلى
نينيات (٧٤).

الحركة الصهيونية ، ولم يسهموا في
يسهموا في جهود إقامة الدولة
من أهمية في تثبيت دعائم الوجود
ل للغاية لا يكاد يحسب لهم على

نظم يهود الشرق مختلفة تماما ، عن
« . صحيح أن يهودا كثيرين من
الذين جاءوا في سنوات متأخرة ،
غير المباشر للمثالية الصهيونية
ب . ويمكن القول إن الدافعين
سادية والسياسية ، من ذلك النوع
بد في البلدان المختلفة التابعة
نية الغامضة التي بعثت في إثر ما
قيام الدولة وما شابه ذلك . وعلى
لم تكن لديهم هوية قومية علمانية
ية الغربية .

ع الديني التقليدي الذي ساد ،
دية في القرون الوسطى . وحتى
لتحديث ، أيا كانت ، فإن تأثير
زيادة الانتماء التقليدي .

الحاكمة بتنظيماتها الخاصة، عندئذ لجأوا إلى الحزب البديل كأفضل طريقة يعبرون بها عن يأسهم واعتراضهم^(٨٢).

ويقول الباحث الإسرائيلي سمحا لنداو: «إن الطبقات الأكثر انحطاطا في إسرائيل حاليا توجد في الجانب الأيمن من المتراس الاجتماعي السياسي الطائفي. وهذه الطبقات تدرك أو تترجم بشكل معوج الشخصيات السياسية «التي تلعب» في الساحة. وهذه الطبقات – عن حق أو عن غير حق – تعتبر أن أحزاب العمل/ المعراخ، مسؤولة عن كل الضائقات التي حلت بهم وتبريرهم هو أنه خلال السنوات الثلاثين الأولى للدولة، شاع طابع سياسي خاص وعمت أحاسيس الظلم. وكان انتصارهم الكبير حينما فاز الليكود في انتخابات ١٩٧٧، وشكل حكومة وأصبح ييجن إلههم ومسيحهم يوصف بأنه مغربي بولندي^(٨٣).

ولكن موشيه ليفشيتس يرجع هذه الظاهرة إلى الأسباب التالية:

(١) هناك من يزعمون أن «السفارديم» هم «صقور» ولذلك فإن الاتجاه نحو «اليمين» يشير إلى رغبتهم في «الفاعلية»، و«عدم التساهل» و«اليد القوية». . إلخ. وقد دلل الباحثون على أن هذا الزعم هو بمثابة «أسطورة» التصقت «بالطوائف الشرقية»، خاصة أن غالبيتهم من المعتدلين.

(٢) هناك من يزعمون، أن «السفارديم» يكرهون العرب، ولذلك فإنهم «صقور»، ولكن هذا الزعم هو الآخر لا يقوم على أساس، وربما كان الزعم بأنهم اضطهدوا في البلاد العربية بوساطة العرب مما حولهم إلى أعداء للعرب، صحيحا بالنسبة للجيل الأول من المهاجرين، ولكنه غير صحيح بالنسبة للأجيال: الثاني والثالث والرابع.

(٣) هناك من يعتقدون، بأن تأييد «الليكود» إنما هو تعبير عن

ذلك أن أدار يهود الشرق ظهورهم لحزب العمل الصهيوني، ودعموا أحزاب اليمين المتطرفة المتمثلة في «الليكود» بزعامة مناحم بيجن، في انتخابات الكنيست التاسع (١٩٧٧) والعاشر (١٩٨١)، مما أتاح الفرصة «لليكود» لأن يتولى السلطة في إسرائيل لأول مرة في تاريخ الحركة الصهيونية وتاريخ إسرائيل .

وهكذا بدأت نتائج الانتخابات للكنيست في إسرائيل تعكس ازدياد حدة الاستقطاب الطائفي في انتخابات ١٩٧٧، وعلى الأخص في انتخابات ١٩٨١ و ١٩٨٤، حيث برزت النسبة الطائفية بين «الليكود» و«المعراخ» ١ : ٢، أي أيد «الليكود» اثنان من «السفارديم» في مقابل «أشكنازي» واحد، وأيد «المعراخ» اثنان من «الأشكنازيم» في مقابل «سفاردي» واحد^(٨٠).

وقد شغلت مسألة تصويت اليهود الشرقيين لصالح «الليكود» في هذه الانتخابات على التوالي كثيرا من الباحثين الإسرائيليين، واختلف الباحثون والدارسون في شرح أسباب الارتباط بين اليهود الشرقيين، وخيبة أملهم في حزب العمل وقادته الذين كانوا يحكمون إسرائيل، ويسيطرون على المنظمة الصهيونية، واستيائهم من طريقة استقبالهم وتوطينهم في فلسطين، ونجاح بيجن في التقاط سخطهم واحتجاجهم الناجم عن إحباطهم وترجمتها إلى طاقة سياسية^(٨١).

ويقول إيلي إيليشار في تفسيره للجوء يهود الشرق لتأييد اليمين الفاشي المتطرف: «إن كل قاعدة اجتماعية تتألم لا بد أن تثور، وهي تلجأ عندئذ أول ما تلجأ إلى أبنائها. فإذا رأت أن لا فائدة ترجى منهم فهي تتحول إلى أقرب الأحزاب إليها لتعمل على إسقاط الحزب الحاكم آملّة في أن الحكم الجديد سيحسن من حالتها. إن الاقتراع لبيجن هو إعلان احتجاج شديد اللهجة، لأن السفارديم لم يشعروا بأنهم يملكون القوة للوقوف وجها لوجه أمام المؤسسة

تنظر إلى الطوائف الشرقية نظرتها إلى العرب ، ولما كان العرب يمثلون الشرق بصورة مطلقة والطوائف الشرقية تمثل المحاكاة الشرقية ، فإن هذه النظرة التي تميز الطوائف الغربية تغضب الطوائف الشرقية^(٨٦) .

ويؤيد أوري أفنيري هذا الرأي ، نافيا أن يكون عدااء الشرقيين للعرب أكثر من عدااء الغربيين ، لأن المهاجرين اليهود من الدول العربية إلى فلسطين كانوا يلقون معاملة حسنة قبل هجرتهم ، ولا سبب لديهم لكرهوا العرب ، لكن «عنصرية الشرقيين إزاء العرب هي ، إلى حد بعيد ، نتيجة مباشرة لعنصرية الأشكنازيم إزاء السفارديم أنفسهم . فعندما حضر هؤلاء إلى البلاد قيل لهم إن الحضارة الأوروبية هي الحضارة الراقية الوحيدة في العالم ، وأنهم جاءوا من دول متخلفة وبدائية وتفتقر إلى أي حضارة . وكل جمهور مضطهد ومحتقر تبنى هذا الجمهور ، من دون أن يدري قيم المضطهد والمحتقر . فأخذ يحتقر نفسه ويحجل من طريقة نطقه وتراثه وحضارته وموسيقاه . . ونظرا إلى أن هذه كلها كانت تشكل حضارة العالم العربي . . فقد كان من السهل نقل الكراهية والاحتقار إلى العرب ، فالكراهية للعرب ، من هذه الناحية ، هي كراهية ذاتية مموهة»^(٨٧) .

ويمكن فهم تأثير هذه الظاهرة الخاصة بالاستقطاب الطائفي في الحياة السياسية في إسرائيل اعتبارا من عام ١٩٧٧ ، ونزوع اليهود الشرقيين للتصويت لصالح الليكود والإسهام في تصعيده لتولي الحكم في إسرائيل ، على المد الديني المتطرف في إسرائيل على ضوء العوامل التالية :

(١) ظهور أحزاب دينية على أساس طائفي :

لقد فشلت القوائم الانتخابية الطائفية في أي من الدورات الانتخابية العامة في إسرائيل ففي فترة «اليشوف» اشتركت أحزاب طائفية واضحة في

الاعتراف بالجميل لأن «الليكود» أسهم كثيرا في رفع مستوى حياة أبناء الطوائف الشرقية» .

(٤) هناك من يرون في التصويت لصالح اليمين ما يرمز إلى إصلاح الصورة الذاتية ، وخاصة بالنسبة لأولئك الذين يشعرون بأنهم أدنى ثقافيا ، أو طبقيا أو اجتماعيا ، ومن ناحية مناطق السكنى ، والأعمال التي تمارس ، والدخل . . إلخ (٨٤) .

ويعتبر الباحث الاجتماعي أشير آريان أن المصوتين للليكود يتميزون بأنهم منحدرون من دول آسيا وأفريقيا ، وغالبا ما يكونون حديثي السن ، ويرى أنه بسبب الزيادة التدريجية في عدد أبناء الطوائف الشرقية ، بالنسبة لمجموع السكان ، «فإن من الطبيعي أن يتعزز معسكر اليمين الذي يتماشكون معه» (٨٥) .

أما الباحث الإسرائيلي يوحانان بيرس فإنه يرى أن لجوء الشرقيين إلى حركة «حيروت» ناجم عن ثلاثة أسباب :

(١) البحث عن تعبير لهم وهوية سياسية لأنفسهم ، وعن منزل لا يأوون إليه ضيوفا ، بل يريدون تسلم مفتاحه .

(٢) الأزمة الاقتصادية : إنهم يجمعون عن حزب العمل ، لأنه حزب أجهزة ومؤسسات اقتصادية ، وهو معروف بأنه حزب أرباب العمل .

(٣) البعد الثقافي : تحولت الديانة اليهودية من بعد ثقافي خالص إلى بعد تربوي طبقي . وبما أن في الاقتصاد والمجتمع عربا ، وإذا كان وجودهم مقبولا في نظرنا ماداموا أكثر دونية بصورة واضحة ، فما الذى يفرق بيننا وبينهم؟ إنه الانتماء للشعب اليهودي ، والوطنية الإسرائيلية! ومن يمثل هذه الأمور بصورة أفضل غير هذا المزيج من حيروت والمتدينين؟ ويرى بيرس أن الطوائف الغربية

الراديكالية مثل «هتسيا». وهذا البعث للأحزاب الطائفية (مع الأخذ في الحسبان القوائم الطائفية التي اشتركت في «السباق» نحو الكنيست، ولكنها لم تحقق نسبة التمثيل المطلوبة) يرجع إلى عاملين أساسيين :

(١) الانسحاب من الأحزاب «الأشكنازية» التي ظلمت «السفارديم» الذين كانوا يصوتون لصالحها. وعلى هذا الأساس انسحب حزب «تامي» من «المفدال»، وانسحب «شاس» من «أجودات إسرائيل».

(٢) الإحساس، بأن «القوة السفاردية» التصويتية، هي قوة هائلة، ولابد من توجيهها إلى تأييد الأحزاب «السفاردية» من أجل الدفاع عن مصالح الجمهور «السفاردي»^(٨٨).

وهكذا نجد أن إحدى النتائج التي أسفر عنها الاستقلال الطائفي في إسرائيل هي نزوع «السفارديم» في البداية إلى تأييد «الليكود» ثم الاتجاه إلى الاستقلال الحزبي المعبر عن اليهود الشرقيين، والذي تمثل أساسا في ظهور إما أحزاب دينية سفاردية منشقة عن «المفدال» و«أجودات إسرائيل» أو أحزاب دينية سفاردية جديدة تماما على الساحة الحزبية مثل «ديجل هتوراه» (علم التوراة) و«شاس»، وهي الأحزاب التي لعبت دورا كبيرا في تنامي الأصولية اليهودية في إسرائيل.

وبطبيعة الحال فإنه يمكن فهم هذه الظاهرة، على ضوء أن العامل الديني والمحافظة بل والتمسك الشديد بالتقاليد اليهودية الدينية هو من أبرز الخصائص التي تميز أبناء الطائفة السفاردية في إسرائيل الذين يرفضون بشدة علمنة الدين اليهودي وفق المفهوم الصهيوني الاشتراكي الذي عبرت عنه الأحزاب الصهيونية الاشتراكية.

٢ - استغلال نزوع الشباب السفاردي للتطرف :

من العوامل التي تعتبر نتيجة وسببا في آن واحد للاستقطاب الطائفي في

«كنيست إسرائيل»، مثل «اتحاد السفارديم» و«طائفة البخاريين»، و«طائفة الجروزين»، و«قائمة اليمينين». . إلخ. وبعد قيام الدولة لم تختف الأحزاب الطائفية من الساحة السياسية. وفي الكنيست الأول والثاني مثلت «قائمة السفارديم» و«اتحاد اليمينين» (حصلت «قائمة السفارديم» على ٤ مقاعد في الكنيست الأول وعلى مقعدين في الكنيست الثاني، وحصل «اتحاد اليمينين» على مقعد واحد). ومنذ ذلك التاريخ وحتى عام ١٩٨١ اختفت تماما الأحزاب الطائفية. ويرجع سبب ذلك إلى تمكن الأحزاب الكبيرة من إفشالها من خلال التنديد بطابعها الطائفي، وبفتح أبواب تلك الأحزاب الكبيرة أمام المزيد من الممثلين عن الطوائف الشرقية، إلى الحد الذي لا يشكلون فيه خطرا على طابعها الأشكنازي. وقد لجأ اليهود الشرقيون إلى تأييد الليكود بسبب معارضتهم لما لاقوه من معاملة في ظل سيطرة حزب العمل («ماباي» سابقا) ومن «الحزب الديني القومي» (المفدال) الذي كان يسير في ركاب «ماباي» منذ ما قبل إنشاء الدولة، ويوجد في صفوفه ٤٥٪ من أصل شرقي، ومع هذا ظلت قياداته على الدوام من اليهود «الأشكنازيم». واستنادا إلى هذا فإنه اعتبارا من عام ١٩٨١ مع تكريس الاستقطاب الطائفي في إسرائيل، بدأت تتشكل أحزاب سياسية في إسرائيل على أساس طائفي تعكس رغبة اليهود الشرقيين في الوجود في الساحة السياسية وفقا لحجمهم وقوتهم داخل المجتمع الإسرائيلي. ففي عام ١٩٨١ فاز حزب «تامي» («حركة تقاليد إسرائيل»، ويضم في صفوفه غالبية من يهود المغرب) برئاسة أهارون أبوحصيرا بثلاثة مقاعد. وفي عام ١٩٨٧ انضم «تامي» إلى «الليكود» بعد أن انخفضت قوته التمثيلية إلى مقعد واحد (في انتخابات ١٩٨٤). وفي عام ١٩٨٤ ظهر حزب «شاس» (حراس التوراة السفارديم)، وهو حزب ديني متشدد سفاردي، وحصل على أربعة مقاعد، وحصل في انتخابات ١٩٨٨ على ستة مقاعد، وهو ما يشير إلى تغيير في تفتت «الصوت الطائفي» في اتجاه الأحزاب الدينية والأحزاب اليمينية

(١) لوحظ في انتخابات عام ١٩٨١ أن ناخبي «شاس» الذين يبلغ عددهم ١٢٠ ألف ناخب يتوزعون على أربع مجموعات هي :
أ — المتدينون الشرقيون، متخرجو المدارس الغربية (الأشكنازية) وخاصة المدارس اللتوانية .

ب — المتدينون الشرقيون، الذين تعلموا في المدارس الشرقية (السفاردية)، ويرون في الحاخام عوفاديا يوسف زعيما لهم .
وكانت هاتان المجموعتان تصوتان قبل تشكيل «شاس» لصالح الأحزاب الدينية، حيث كان يصوت معظمهم لصالح «أجودات إسرائيل»، وقليل منهم لصالح «المفدال» .

جـ — جموع العائدين إلى الدين أو الذين يعرفون باسم «هحوزريم بتشوفا» (التائبون) من أبناء الطوائف الشرقية والذين يؤمنون بزعامة عوفاديا يوسف .

د — جمهور واسع من أبناء الطوائف الشرقية التقليديين، إضافة إلى نسبة صغيرة من العلمانيين التي دعمت «شاس» لأسباب دنيوية وليست دينية، وكانت تصوت من قبل لصالح «الليكود» (٩٠) .

(٢) الاحتجاج على عدم إشراك مندوبي «سفارديم» في قائمة المرشحين من حزب «أجودات إسرائيل» للكنيست (٩١) .

وهكذا، فإن هذا الحزب ظهر في انتخابات ١٩٨٤ لأول مرة كقائمة طائفية تمثل اليهود الشرقيين في الأحزاب الدينية على غرار قائمة «تامي» التي تزعمها أبوحصيرا، من خلال حركة تمردية داخل «أجودات إسرائيل» قام بها حاخامات من الطوائف الشرقية، هاجمت «أجودات إسرائيل» بسبب «تقصيراته إزاء المتدينين من أبناء الطوائف الشرقية» . وكان هؤلاء الحاخامات قد أسسوا في عام ١٩٨٣ «اتحاد السفارديم حراس التوراة» (إيجود هسفارديم

إسرائيل فيما يتصل بأثره على المد الديني المتطرف في إسرائيل ، استغلال عنصر الزيادة العددية الواضحة في عدد الشباب «السفارديم» على الشباب «الأشكنازيم» في إسرائيل ، على اعتبار أن هذه القوة العددية الشبابية تميل بطبيعتها إلى «اليمين» .

لقد صورت الأحزاب الصهيونية باختلاف توجهاتها ونزعاتها نتائج حرب ١٩٦٧ ، على أنها انتصار للفكرة الصهيونية والمشروع الصهيوني . ونظرا لأن هذا المشروع يقوم على الاحتلال والتوسع ، فإن هذا الاحتلال مثل في نظر الشبان فتحا جديدا للفكر الصهيوني الذي تثقفوا به . وقد استطاعت حركة حירות أن تربط بين الاحتلال والنزعة «القومية» أو «الأيديولوجية القومية» .

ويقول ياعر ، إن الاحتلال عزز ، بعد عام ١٩٦٧ ، «الأيديولوجية اليمينية» ، ولا سيما أن الشبان بطبيعتهم يميلون إلى كونهم أكثر مثالية ، ومثاليين متطرفين أكثر من ذويهم . ونظرا لأنه لم تنشأ في إسرائيل أية أيديولوجية ، فلا عجب أن ينجح قسم كبير من الشبان نحو الأيديولوجية الوحيدة التي كانت متيسرة ، وهي الأيديولوجية القومية ، أو القومية المتشددة .

وما يلفت الانتباه هو أن الشباب ، ولا سيما الشباب من أصل شرقي يجنحون إلى التطرف ، وخاصة فيما يتصل بالموقف من مصير الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، حيث يميل كثيرون منهم إلى اعتبار أن «يهودا والسامرة» (الضفة الغربية) جزء من إسرائيل ، وهي الأيديولوجية التي تتبناها القوى الدينية المتطرفة في إسرائيل على اختلاف تنوعاتها الحزبية أو الاستيطانية^(٨٩) .

المبحث الثاني : «شاس» (اتحاد حراس التوراة السفارديم) :

جاء تشكيل «شاس» في عام ١٩٨٣ لعدة أسباب نذكر منها :

إسرائيل ، ويدعو إلى «إعادة زهوه إلى سابق عهده» ، أي إلى العودة إلى الأصول التوراتية (كثيرون من رجال «شاس» يعملون في عمليات «التوبة») . والحزب يؤيد بحماس شديد قانون «من هو اليهودي؟» ، ولكنه يأخذ في الوقت نفسه جانب الحذر من المساس «بالوضع الراهن» (ستاتوس كو) . والخط السياسي لحزب «شاس» مغلف بالغموض ، وذلك لأنه على الرغم من اقترابه من «الليكود» ، فإنه ينبغي عليه الإذعان «لمجلس كبار علماء التوراة» الذي ينادي بالحل السياسي^(٩٣) .

وقد أعلن الحاخام بيرتس عند تشكيل حزب «شاس» ، أن حركته تؤيد الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة انطلاقاً من المبدأ الديني «من أنقذ روحاً في شعب إسرائيل ، أنقذ عالماً بأكمله» ، مما يعني أن حياة الإنسان أهم من الاحتفاظ بالأرض . وقد كرر موقفه هذا خلال حملته الانتخابية عام ١٩٨٨ ، كما أيد الحاخام بيرتس عام ١٩٨٤ مبدأ التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية^(٩٤) . ومع أن حزب «شاس» لم يحدد في برنامجه الانتخابي عام ١٩٨٨ موقفاً واضحاً من مسألة الانسحاب من الأراضي المحتلة ، إلا أن الحاخام بيرتس أعلن في يوليو ١٩٨٩ ، أن أعضاء كتلته يؤيدون برنامجاً مع حزب العمل الإسرائيلي للسلام يقوم على مبدأ الأرض مقابل السلام ، بما في ذلك الالتزام بالسماح للسكان العرب في القدس الشرقية بالمشاركة في الانتخابات التي كانت مقترحة آنذاك^(٩٥) .

«ولم يأت موقف بيرتس هذا تعاطفاً مع الفلسطينيين ، إنما إدراكاً منه بأن عقارب الزمن تدور لغير صالح إسرائيل ، ولم يخف هذا الحاخام وحزبه كراهيتهم للعرب في أكثر من مناسبة . وقد صرح عقب انتخابات عام ١٩٨٨ ، بأنه لو لم تكن قائمة «شاس» موجودة لما تردد في التصويت لصالح

شومري هتوراه) واشتركوا في انتخابات السلطات المحلية بقائمة منفردة، وقامت حركة شبيته في «بني براك» (مقر المتشددين الأرثوذكسين) اسمها «حاي» حظيت بتأييد الحاخام مناحم شاخ الذي كان آنذاك رئيس «مجلس كبار علماء التوراة». ويتبع المرشحون من «شاس» في القدس وبني براك، «مجلس الحاخامات السفارديم» (موعيتسيت هحخاميم هسفارديم) على غرار «مجلس كبار علماء التوراة». وقد اتفق كل من «شاس» و«حاي» على الاشتراك بقائمة واحدة بزعامة الحاخام إسحق بيرتس والحاخام رفائيل بنحاس نائب رئيس بلدية بني براك عن «حاي»، والحاخام يعقوب يوسف ابن الحاخام عوفاديا «شاس» والحاخام شمعون بن شلومو أحد زعماء الطائفة اليمينية^(٩٢).

والزعيم الروحي لحزب «شاس» هو الحاخام عوفاديا يوسف رئيس «مجلس كبار علماء التوراة» السفاردي. وبتأييد من الحاخام شاخ اللتواني. وتحت زعامة الحاخام بيرتس، حصل الحزب على أربعة مقاعد في انتخابات عام ١٩٨٤، وذلك بمساعدة المتدينين اللتوانيين والطائفة اليمينية. وقد شغلها كل من الحاخام إسحق بيرتس زعيم الحزب، والحاخام رفائيل بنحاس نائب رئيس بلدية «بني براك» عن حركة «حاي» والحاخام عوفاديا يوسف، ابن موجه الحزب الأعلى، والحاخام شمعون بن شلومو أحد زعماء الطائفة اليمينية، ورئيس مؤسسة «توراه فيشالوم» (التوراة والسلام) الدينية. وقد حصل الحزب على ستة مقاعد في انتخابات عام ١٩٨٨، من دون مساندة اللتوانيين الذين صوتوا لصالح «ديجل هتوراه» الأشكنازية، ودون مساندة كبيرة من الطائفة اليمينية التي صوتت لصالح قائمتين يمينيتين صغيرتين لم تستطيعا اجتياز نسبة الحسم في الانتخابات، وبذلك أصبح «شاس» القوة السياسية الثالثة في الكنيست بعد حزبي «العمل» و«الليكود».

ويؤكد حزب «شاس» بحماس كبير على الاحتياجات الروحية لشعب

والعودة إلى الدين^(١٠٠). كما يوفر الحزب رياض أطفال مجانية . وشبكة تعليمية متكاملة لتعليم الذكور، ويعكف منذ عام ١٩٨٨ ، على تطوير شبكة تعليمية متكاملة للإناث^(١٠١) .

وتعتبر حركة «شاس» أن «همعيان» هو جزء من رسالة «شاس» الاجتماعية نحو «السفارديم» وأنها أنشئت لوضع نهاية للتمييز الطائفي في إسرائيل ، وهي تنفي أن يكون هدفها هو التأثير على الطلاب لتحويلهم من علمانيين إلى متدينين ، وتدعي أن كل هدفها هو حماية الأطفال من البيئة الملوثة ومن فعل الأشياء الفاسدة .

ويطالب حزب «شاس» على الصعيد الاجتماعي بتشريعات دينية متعددة من بينها المطالب التي تقدم بها لحزب «الليكود» كشرط للدخول معه في الائتلاف الحكومي بعد انتخابات ١٩٨٨ ومن بينها :

أ - تشديد الرقابة على الطعام المحلل (الكاشير) .

ب - القضاء على مظاهر الانحلال في المجتمع .

ج - إقامة فرع خاص في وزارة التربية والتعليم لإدارة شبكة التعليم التابعة «لشاس» وتمويلها .

د - إقرار «قانون التفويض» وهو قانون يعطي الصلاحية لرؤساء المجالس المحلية لاتخاذ مايرونه مناسبا من إجراءات وقوانين من أجل ضمان حرمة السبت وعدم تدنيسه .

هـ - تحرير قانون «اعتناق اليهودية وفقا للشريعة» ، وقانون «المحاكم الحاخامية» في الكنيسة ، وهما يلزمان كل معتنق للديانة اليهودية المشول أمام لجنة من الحاخامات كي تصادق على تهويده ، وإلغائه إعادة طقوس التهويد مرة أخرى .

قائمة «موليديت» التي يتزعمها اليميني المتطرف رجب عام زئيفي، والتي قامت على فكرة واحدة ووحيدة هي طرد العرب في إطار ما يسمى «الترانسفير»^(٩٦). وقد دعا برنامج الحزب في عام ١٩٨٨ إلى «قبضة أكثر قوة» ضد الانتفاضة^(٩٧). وفي فبراير ١٩٨٩ أصدر الحزب كراسا أدبيا بعنوان «بهجة السبت وأعياد الفرح» تضمن مجموعة من الأناشيد والترانيل الدينية، تنضح بالعداء الديني والعنصري، وبالتحريض الدموي ضد العرب والمسلمين، تجسدت بشن حملة هجومية على سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام^(٩٨).

ويقف الحاخام اللتواني شاخ، الزعيم الروحي لشاس موقفا مؤيدا للسلام، وعندما سئل عن موضوع إعادة المناطق المحتلة أجاب: «عن طريق السلام الذي يتحقق بوساطة إعادة مناطق من (أرض إسرائيل)، هي الآن تحت السيطرة الإسرائيلية، سيتقلص سفك الدماء بشكل كبير، وفي رأيي أنه لا يوجد أدنى شك في أنه عندما سيسود السلام سيقبل سفك الدماء. ويجب أن نأخذ في الاعتبار، ليس وضعنا فحسب، بل وضعنا في العالم بأسره، حيث إن عدم قيام السلام في الشرق الأوسط سيؤدي إلى انعدام الهدوء في كل أنحاء العالم، حيث إن الدول العظمى متورطة، وتحاول جذب الدول إلى جانبها، وتتسابق لمنحها كل أنواع الأسلحة، وفي النهاية ستقع الحرب، وعندها ماذا سيكون مصيرنا؟ وماذا ستكون قيمتنا كشعب مختار»^(٩٩).

وقد تمكن حزب «شاس» من ضرب جذوره في المجتمع الإسرائيلي، عن طريق تأسيس شبكة «همعيان» (المنع) عام ١٩٨٥، وهو الأمر الذي جعله الحزب الوحيد الذي يتصل بناخبيه يوميا بصورة مباشرة، عن طريق أربعمئة فرع في مختلف أنحاء البلاد، تقدم نشاطات وخدمات اجتماعية وتربوية ودينية لنحو مائة ألف نسمة يوميا. ويعمل في هذه الشبكة مئات الحاخامات، الذين استطاعوا إقناع مئات العائلات - خصوصا في «مدن التنمية» - بالتوبة

وقد كان لنجاح «الحريديم» دلالة اجتماعية سياسية أيضا، وذلك لأنه أتاح لشرائح كانت حتى ذلك الوقت على هامش النظام السياسي، بأن تشارك فيه، حتى ولو أفسدته وحاولت تشغيل قواعدها لمصلحتها هي وحدها.

ويرتسم وراء النتيجة التي تحققت في انتخابات الكنيست الثاني عشر والثالث عشر تغير عميق في الواقع الديني، حيث إن صهاينة «الحزب الديني القومي» الذين ظلوا ينالون ثلث أصوات الناخبين المتدينين حتى بداية الثمانينيات، لم يعودوا يمثلون سوى ٨, ٢٦٪، وبالمقابل فإن الأحزاب الحريدية انتقلت من نسبة الثلث إلى نسبة ٢, ٧٣٪ من هذه الكتلة. ونظرا لأن الائتلافين الكبيرين، اليساري واليميني، لم يحصلا على الأغلبية المطلقة، لذا كان عليهما السعي للحصول على دعم الأحزاب الحريدية التي فاوضتهما على بيع تأييدها بأعلى الأثمان. ودون أن يكون عليهم الاعتراف بمشروعية دولة إسرائيل الصهيونية، قايسوا تأييدهم بالتزامات وتعهدات حكومية تتيح لهم تشديد قبضتهم على جمهور مؤيديهم المتزايد الأعداد، والحصول على معونات لمؤسسات التعليم الديني، ولسياسة إسكان أتباعهم. . إلخ، مما دعم عملية معاودة التهويد من أسفل لتشمل المجتمع ككل بإجبار السلطة العلمانية على اتخاذ تدابير تدعم هذا التوجه (١٠٤).

(٢) إدخال معايير جديدة على العلاقات بين المتدينين (وخاصة «الحريديم» منهم)، والأحزاب والقوى العلمانية الأخرى، حيث كانت الكتلة «الحريدية» في الكنيست تركز على المواضيع الدينية فقط دون الاهتمام بتولي مناصب سياسية أو دبلوماسية، وهو النهج الذي مازال حزب «أجودات إسرائيل» يتبعه حتى اليوم. أما مع صعود «شاس» لسدة الحكم فإنها تدخلت في السياسة العامة، دينية وغير دينية، وتحول زعيمها إسحق بيرتس إلى زعيم وطني لديه أطروحات للقضايا السياسية والاقتصادية والأمنية الراهنة. وفي

و- تخصيص موجة بث إذاعي خاصة بالمثدين .

ز- إلغاء تجنيد الفتيات في الجيش إلغاء تاما (١٠٢) .

ويشير نجاح «شاس» إلى تحولات مهمة على الساحة الحزبية في إسرائيل نذكر منها :

(١) لأول مرة تحقق قائمة قامت على أساس طائفي هذا الفوز الكبير، وهو الأمر الذي أكد التغيرات التي حدثت داخل المعسكر الديني في إسرائيل، والتي تجلت فيما يلي :

أ- تفتت تمثيل الصهيونية الدينية وتراجعها عاما بعد عام .

ب- سيطرة القوى المعادية للصهيونية على المعسكر الديني .

لقد دخلت الأحزاب الحريدية اعتبارا من منتصف الثمانينيات دخولا ظافرا على مسرح السياسة الإسرائيلية، ومست معاودة التهويد من أسفل جماعات كانت على قدر من الاتساع بحيث بات لها وزن انتخابي جعل من الأحزاب الأرثوذكسية الشريك الذي لا غنى عنه في أي ائتلاف حكومي . وقد عرفت هذه الأحزاب كيف تشدد قبضتها على السفارديم الإسرائيليين الذين مارست من أجلهم وظيفة الخطيب أو المحامي الشعبي، بما أتاح لهم أن يسمعوا صوتهم للمرة الأولى على المسرح السياسي المؤسسي، وأصبح «الحريديم» هم التعبير الأبرز عن عملية معاودة التهويد في إسرائيل .

وقد جاءت الأصوات التي حصل عليها هؤلاء من القلاع الأرثوذكسية التقليدية، مثل «بني براك»، ومن كبريات مدن التنمية السفاردية المحرومة مثل مدينة نتيفوت . ولهذا الظاهرة أساس ديموجرافي يعود إلى النمو الطبيعي لدى الأرثوذكس بفضل أسرهم الكثيرة النسل، والتي يجري إضفاء الطابع الاجتماعي عليها عبر الشبكة التربوية (١٠٣) .

الحاخام عوفاديا يوسف وعدم تنفيذ تعليمات الحاخام شاخ . وقد انضم بيرتس بعد ذلك إلى قائمة «يهودية التوراة» التي تجمع بين «أجودات إسرائيل» و«ديجل هتوراه» و«موريا» ، وهي أحزاب دينية أشكنازية ، وكان ترتيبه في القائمة التي خاضت بها انتخابات الكنيست الثالث عشر، الثاني، ودخل الكنيست عضوا ، حيث فازت هذه القائمة في هذه الانتخابات بأربعة مقاعد (١٠٧) .

«شاس» الشريك الائتلافي الديني الوحيد مع حزب العمل بعد انتخابات الكنيست الثالث عشر:

حققت الأحزاب الدينية في انتخابات ١٩٨٨ ، نصرا كبيرا تمخض عن زيادة قوتها البرلمانية من ١٢ مقعدا إلى ١٨ مقعدا في الكنيست الثاني عشر. وبمقدار ما فاجأت هذه الزيادة المراقبين ، فاجأهم أيضا كون نصيب الأحزاب الحريدية من الغنيمة (١٣ مقعدا من أصل ١٨) أكثر من ضعف نصيب «المفدال» (٥ مقاعد). فقد حدث أن حصلت الأحزاب الدينية مجتمعة في السابق ، وبالتحديد في الكنيست الرابع والخامس والسادس على ١٨ مقعدا ، لكن نصيب الأحزاب الحريدية منها كان دائما ٦ مقاعد مقابل ١٢ لـ «المفدال» ، وجاءت انتخابات ١٩٨٨ لتعكس النسبة لأول مرة في تاريخ الانتخابات الإسرائيلية ، لمصلحة الأحزاب الحريدية . وقد أرجع علماء السياسة والاجتماع هذه الظاهرة إلى عدة عوامل من أهمها : ازدياد عدد أفراد الطوائف الحريدية ، ووحدة المعركة الانتخابية ، ومشاركة أتباع «حبد» في الانتخابات وتصويتهم بنسبة كبيرة لمصلحة «شاس» (١٠٨) .

وقد خاض حزب «شاس» انتخابات الكنيست الثالث عشر التي جرت في ٢٣ يونيو ١٩٩٢ بقائمة على رأسها آريه درعي الذي كان وزيرا للداخلية في حكومة شامير السابقة وموشيه مايه ويوسف عزران وآريه جملئيل ورفائيل

هذا المجال ، نشير إلى أنه في أعقاب انتخابات عام ١٩٨٨ ، اشترط حزب «شاس» للاشتراك في الائتلاف الحكومي أن يحصل على وزارتي المالية والإسكان ، ومنصب نائب وزير المالية ، ونواب للمدراء العامين في عدد من وزارات الحكومة ومنصب سفير في دولة رئيسية ، وتسع وظائف دبلوماسية في المفوضيات الإسرائيلية في الخارج ، وبممثل لها في كل لجنة من لجان الحكومة أو الكنيست^(١٠٥) .

وقد تعرض هذا الحزب في أواسط عام ١٩٩٠ إلى هزة عنيفة كادت تعصف به ، بسبب الخلاف الذي ثار داخله بشأن مسألة «مع من يجب أن يتحالف : الليكود أم حزب العمل ؟» ، وذلك على خلفية الأزمة التي أطاحت بحكومة الوحدة الوطنية في مارس ١٩٩٠ ، وانتهت بعودة الليكود إلى الحكم ، وانتقال حزب العمل إلى المعارضة . فقد أيد وقتئذ الحاخام اليعيرز شاخ ، الزعيم الروحي الأعلى للطوائف اللتوانية ، والذي يعتبر المرشد الروحي لحزب «شاس» ، على الرغم من كونه أشكنازيا ، التحالف مع الليكود ، بينما أيد الحاخام عوفاديا يوسف رئيس «مجلس حكماء التوراة» (السلطة الروحية والسياسية العليا للحزب) التحالف مع حزب العمل ، واختلف في شأن الأمر كذلك نواب الحزب الستة في الكنيست . وقد جرت محاولات عديدة ، بعد انتهاء الأزمة وحسم الأمور في مصلحة التحالف مع الليكود ، لإجراء مصالحة بين زعامة شاس والحاخام بيرتس ، ولكن المحاولات لم تكلل بالنجاح^(١٠٦) .

وقد عين إسحق بيرتس وزيرا للاستيعاب والهجرة في حكومة شامير ١٩٨٨ ، وواجه أزمة كبيرة في وزارته مع شامير حينما اتضحت له الحقيقة المرة بشأن المهاجرين من الاتحاد السوفيتي ، وهي أن ٣٠٪ من غير اليهود يتسللون بين اليهود المهاجرين من روسيا . وفي مارس ١٩٩٠ استقال من زعامة حزب شاس ، بسبب موقفه من سيطرة درعى على «شاس» بحكم تأثيره الفعال في

حزب «شاس» أثار ضجة هائلة ضده . ولكن الحاخام شاخ بنفوذه المعهود وسيطرته على «مجلس حاخامات» شاس ، أجبر حزب «شاس» على نشر بيان ، يبرئه من تهمة أنه معاد للطوائف الشرقية ، وهو البيان الذي لم يرض رجال الحاخام شاخ لأنه صدر موقعا فقط من سكرتير المجلس ، الحاخام موشيه مايا . وقد استغل الحاخام عوفاديا يوسف إحدى الظواهر الطبيعية التي حدثت في فترة الانتخابات حيث سقطت الأمطار ورعدت الرعود ، على أنها إشارة من السماء للتصويت لصالح «شاس» ، وقال في خطاب له : «هل سمعتم في أي مرة عن رعود في منتصف الصيف ؟ إن هذا ليس إلا إشارة من السماء للتصويت لشاس ، لأن سقوط الأمطار ورد في تقويم «شاس»^(١١١) .

وبعد فوز شاس في الانتخابات بستة مقاعد ، وعلى الرغم من أن الحاخام شاخ كان لا يزال ممسكا بخيوط «شاس» ، وكان من المعارضين لانضمام «شاس» لائتلاف الحكومي ، فإن الحاخام عوفاديا ، رئيس «مجلس الحاخامات» أعلن أنه ليس لديه مانع من الانضمام إلى حكومة حزب العمل إذا ما حصلوا على وزارة الداخلية لدرعي ووزارة الأديان للحاخام موشيه مايا^(١١٢) . وقد وافق حزب «شاس» على الانضمام إلى الائتلاف الحكومي بزعامة حزب العمل وتم تعيين آريه درعي وزيرا للداخلية^(١١٣) ، وتولى إسحاق رايبن وزارة الأديان بشكل مؤقت ليساوم عليها كل من «المفدال» وتجمع الأحزاب الدينية الحريدية «يهودية التوراة» اللذان رفضا الانضمام للائتلاف . وقد تضمن الاتفاق الائتلافي بين «حزب العمل الإسرائيلي» و«شاس» البنود التالية :

(١) توصلت الكتلتان إلى اتفاق إعداد الائتلاف بينهما ، ويظل ساريا طوال فترة خدمة الكنيست الثالث عشر .

(٢) يتطلب انضمام كتلة أخرى للائتلاف بعد إعداد الحكومة موافقة كلتا الكتلتين .

بنحاسي وشلومو بنزاري وهم الأعضاء الستة الذين دخلوا الكنيسة الثالث عشر ممثلين لحزب «شاس». أما يائير ليفي الذي كان يحتل المكان السابع في القائمة الحزبية فلم يحالفه الحظ على الرغم من أنه كان مسؤولاً عن قطاع من أهم قطاعات الحملة الانتخابية، وهو القطاع العربي، الذي أولوه أهمية خاصة في هذه الحملة بالذات (١٠٩).

وقد تولى أمر الدعاية بين بدو النقب لتأييد «شاس» شاب عربي (٣٥ سنة) يدعى سلامة أبودعيس يعمل محصلاً لمجلس مدينة رهط ومديراً للشركة الاقتصادية. ويعتبر حزب «شاس» عنصراً فعالاً في القطاع البدوي، الذي يمر بمرحلة تحضر وانتقال إلى الحياة المدنية، حيث أخذت المدن الصغيرة البدوية تمتلئ بالقادمين من الخيام والعاملين في المراعي، وأصبحت علاقتهم بوزارة الداخلية آخذة في الزيادة.

وحيث إن المجالس الجديدة تتم بالتعيين، وفي إمكان وزير الداخلية أن يحسم متى تجرى فيها انتخابات إدارية، فإن مهمة أبودعيس لم تكن صعبة تماماً، لأن تأييد «شاس» سوف يعود بالفائدة عليهم في الفترات التالية، وهو ما يفهمه البدو تماماً. وقد استطاع دعيس أن يجند «لشاس» آلاف الأصوات من البدو الذين استفادوا مما قام به درعي خلال عمله كوزير للداخلية في مجال تنمية القطاع العربي في إسرائيل دون أن يتناسى النقب. وقد صرح أبودعيس بأنه يؤمن بأنه في حالة دعم درعي، سوف تكون لنا علاقة طيبة مع وزارة الداخلية وسنعمل على تنمية «رهط» (١١٠).

ومن الأمور المثيرة التي حدثت أثناء معركة انتخابات الكنيسة الثالث عشر، أن الحاخام شاخ (٩٦ عاماً) والذي كان يلعب دوراً حاسماً في توجيه المعسكر «الحريدي» أثناء الانتخابات، وخاصة في التنسيق بين القائمتين «الحريدتين»: «شاس» و«يهودية التوراة»، شن هجوماً على السفارديم في

شاس في وزارة أخرى من وزارات حزب العمل ، ويتم الاتفاق عليها بين رئيس الحكومة وكتلة «شاس» .

(٥) أ - تقام في نطاق وزارة التعليم والثقافة شعبة (إدارة) للتعليم والثقافة الحريدية ، على نفس مستوى شعبة (إدارة) التعليم الرسمي الديني .

ب - تتضمن الإدارة مجمل وحدات الوزارة المسؤولة عن موضوعات التعليم الحريدي بأنواعه على كل المستويات وثقافة توراتية حريدية .

ج - تكون الإدارة خاضعة لنائب الوزير المعين من قبل «شاس» .

د - يعين مدير الشعبة بوساطة الحكومة بناء على توصية نائب الوزير من قبل «شاس» .

(٦) يتولى رئيس الحكومة وزارة الأديان ولا يعين نائب للوزير في الوزارة .

(٧) يعمل الوزير المعين من قبل «شاس» ، عضوا في اللجنة الوزارية لشؤون الأمن (الحكومة المصغرة) ، وعضوا في لجنة تعيين القضاة الحكومية .

(٨) يتولي عضو كنيست من كتلة «شاس» منصب نائب رئيس الكنيست .

(٩) يتم اختيار عضو كنيست من كتلة «شاس» في منصب أحد مندوبي الكنيست في لجنة تعيين القضاة .

(١٠) يكون تمثيل «شاس» في لجان الكنيست وفقا لنسبة قوتها التمثيلية .

(٣) أ- يتطلب تشريع قوانين أساسية لها بعد ديني موافقة مسبقة من المشتركين في الائتلاف .

ب- لا يلغى ولا يسن تشريع ديني إلا بموافقة كل الكتل التي يتألف منها الائتلاف . ويتم تضمين هذا البند في كل الاتفاقيات الائتلافية التي يتم توقيعها بين العمل والكتل التي ستضم للائتلاف .

ج- أي اتفاقية سلام بمعاهدة تنطوي على التنازل عن أرض توجد حالياً تحت سيادة أو سيطرة دولة إسرائيل إلى طرف في اتفاقية أو إلى طرف ثالث أياً كان ، تعرض للحسم بوساطة الشعب في استفتاء عام أو في انتخابات للكنيست ولرئاسة الحكومة ، على أن يتم هذا قبل توقيع اتفاقية سلام ، ويتم تنسيق طابع الحسم بين الكتلتين .

د- تصوت كتلة «شاس» في الكنيست في الشؤون الخارجية والأمن وفقاً لما يحدده «مجلس حكماء التوراة» .

(٤) على أساس المعيار الكتلي للعضوية في الحكومة ، والخاص بأن لكل أربعة من أعضاء الكنيست وزيرا ، يكون لكتلة «شاس» في الحكومة وزير أو اثنان من نواب الوزراء على النحو التالي :
أ- وزارة الداخلية .

ب- نائب وزير للتعليم والثقافة .

ج- نائب وزير في وزارة البناء والإسكان ، وفي حالة إذا لم يتول هذه الوزارة وزير من قبل حزب العمل ، يعين نائب للوزير من قبل

يحصل على مكاسب من حزب العمل لا تقل إن لم تزد على ما حصل عليه إبان فترة حكم شامير للمجتمع الحريدي في إسرائيل ، على مستوى التمثيل في الحكومة وفي الكنيست ولجانه ولجنة تعيين القضاة ، كما جمد إمكان تعيين وزير للأديان من كتلة دينية أخرى إلا بموافقته ، وقطع حتى الطريق على الكتلة الحريدية (يهودية التوراة) وعلى «المفدال» بشأن احتمال أن يعين إسحق رابين نائبا له في هذه الوزارة من إحدى هذه الكتل . كذلك فإن حزب «شاس» استطاع أن يحافظ على المكسب الخاص بعدم تجنيد الطلاب الذين يدرسون في «اليشفوت» طوال فترة دراستهم ، وهو الأمر الذي أثار جدلا وخلافا حادا في أواخر فترة الكنيست الثاني عشر بين أحزاب اليسار الصهيوني والأحزاب الدينية والحريدية ، وقد أشرنا إليه من قبل .

وقد اعتبر انضمام «شاس» لحكومة رابين بمثابة «زلزال» في العالم الحريدي ، وذلك لأن هذه هي المرة الأولى التي تقوم فيها كتلة «شاس» الحريدية ، منذ إنشائها في عام ١٩٨٤ بالعمل بما يتعارض مع تعليقات الحاخام شاخ مؤسسها . كذلك فإن «شاس» عمل بما يتعارض مع توجيهات «الأدمور من فيجنيتس» ، ومن يعتبر «فقيه الجيل» ، وصاحب النفوذ الهائل في العالم الحريدي ، الحاخام يوسف شالوم إيليشاف ، مفضلا العمل وفق رؤية الحاخام عوفاديا يوسف . وقد أصدر الحاخام إيليشاف حكما شرعيا يحرم على اليهودي الذي يخاف الرب أن ينضم إلى ائتلاف تعمل فيه «شولاميت ألوني» ، في وظيفة وزيرة التعليم . وعلى الرغم من ذلك أصر الحاخام عوفاديا على الانضمام للائتلاف مع رابين . وقد ترتب على هذا الموقف حدوث شقاق في المعسكر الحريدي بين الحاخامات شاخ وإيليشاف و«الأدمور من فيجنيتس» من ناحية ، والحاخام عوفاديا يوسف ، من ناحية أخرى^(١١٥) .

وقد كان السبب الرئيسي لمعارضة الحاخام شاخ وأتباعه لانضمام شاس

وعلى أي حال، يعمل أعضاء من قبل «شاس» في لجنة الخارجية والأمن وفي لجنة الأموال.

(١١) في نطاق الغطاء السياسي للتعيينات في وزارة الخارجية يعين بتوصية من شاس شخص صاحب مؤهلات مناسبة في وظيفة دبلوماسية لائقة.

(١٢) في حالة تغيير تشكيل اللجنة الإدارية لهيئة الإذاعة، يتم الحفاظ على مكانة «شاس» في هذه الهيئة.

(١٣) يرفق بالاتفاق كجزء غير منفصل عنه، ملحق متفق عليه يتناول الخطوط الأساسية لسياسة الحكومة.

(١٤) تلتزم الكتلتان بتنفيذ بنود الاتفاقية بإخلاص وصدق.

وفي الاتفاق الذي نصت عليه المادة الثالثة عشرة جاء تحت بند «الدين والدولة»:

١ - تستوجب وحدة الشعب وحياة المجتمع السليمة رعاية التسامح، وتقريب القلوب بين كل أجزاء الشعب وحرية الضمير والدين.

٢ - تتمتع الحكومة عن أي قهر ديني ومعاد للدين من أي طرف أيا كان، وتضمن احتياجات الدين العامة للسكان، دونما تأثير من أي اتجاهات سياسية.

٣ - يعين وزير الدفاع لجنة برئاسته، تفحص وتحدد المعايير الخاصة بإجراءات منح تأجيل الخدمة في الجيش للذين يدرسون في «الشيقات» بهدف منع الاستغلال السيئ للترتيبات القائمة في هذا المجال^(١٤).

وقراءة بنود هذا الاتفاق تقود إلى أن حزب «شاس» استطاع ببراعة أن

كممثل وحيد للأحزاب والقوى الدينية في إسرائيل ، يرجع للاعتقاد الخاطيء لدى حزب العمل و«ميرتس» أي «الحيوية» (المبام ، راتس ، شينوي) في أن حزب شاس سوف يؤيد تسوية مع العرب تنطوي على إعادة المناطق ، في حين أن هذا الاعتقاد يتجاهل الاتجاهات المعادية لكل ماهو غير يهودي في الشارع «الحريدي» ، الذي سيثور في اللحظة الحاسمة ضد زعماء شاس وحاخاماته ، إذا ما تجرأوا على تأييد التسوية .

ويرى هؤلاء أن الاعتماد على الاعتدال السياسي لدى زعماء شاس ، قد أعطى شرعية للموقف المعادي للصهيونية لدى الحاخامات «الحريديم» . وهذا الاعتدال السياسي يرجع إلى وجهة نظر هؤلاء الحاخامات بأنه لا يجوز تعريض حياة الإنسان اليهودي للخطر من أجل دولة علمانية قامت قبل مجيء المسيح المخلص ، وأن شريعة «وتحافظون على أراوحكم» مفضلة لديهم على ضرورة الحرب من أجل الوجود القومي الصهيوني . وهذا الاعتدال لا يفرق بين المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧ ، وبين الخاصة بدولة إسرائيل قبل ١٩٦٧ ، وأن إقامة سلطة إسرائيلية على هذه أو تلك من الأراضي ، هو بمثابة «استعجال للنهاية» و«صعود على السور» ، أي تجاوز لأركان الإيمان الثلاثة التي تلزمهم بقبول نير «المنفى» إلى حين مجيء المسيح المخلص^(١١٧) .

وقد صرح الحاخام عوفاديا يوسف الزعيم الروحي لحزب «شاس» ، أنه يمكن لإسرائيل أن تتخلى عن الأراضي المحتلة في مقابل السلام . وقد أوضح الحاخام ، أنه يمكن الانسحاب من الجولان والضفة الغربية وغزة في مقابل سلام حقيقي ، وقال للمصلين اليهود في أحد المعابد في القدس : «إن الأرض ليست أهم من حياة الإنسان»^(١١٨) .

وقد قام بعض المفكرين العلمانيين بالرد على مطالب «شاس» والتي تنطوي على نوع من فرض الإكراه الديني على الأغلبية العلمانية ، وفندوا رفض «شاس»

للأئتلاف مع حزب العمل الإسرائيلي بزعماء اسحاق رابين هو اختيار رابين لشولاميت ألوني زعيمة حزب «ميرتس» والمعروفة بمواقفها العلمانية والمتعاطفة مع حقوق الشعب الفلسطيني ووزارة للتعليم والثقافة، معتبرين أن هذا الاختيار سيؤدي إلى إهمال الاهتمام بالمناهج الدينية وبالثقافة اليهودية في سياسة الوزارة في المرحلة المقبلة. وقد اعتبر الحاخام شاخ أن قبول شاس لدخول الحكومة وقبول أمر تعيين شولاميت ألوني ووزارة للتعليم يمثل «تجاوزاً لكل أحكام الشريعة».

وقد شن زعماء الحريديم حملة شعواء ضد الحاخام عوفاديا يوسف وضد الحاخام آريه درعي الذي اختير وزيراً للداخلية. ومن بين مظاهر هذه الحملة أن أحد الحاخامات في الجنوب مؤيدا من حاخامات آخرين بالصمت أصدر فتوى بأن على كل عالم «اليشيفوت» والحاخامية أن تسلم للشرطة أي معلومات تؤدي إلى إدانة أعضاء الكنيسة الممثلين «لشاس» وعلى رأسهم آريه درعي. وقد تم شن حملة مطاردة وتهديدات تليفونية ضد الحاخام عوفاديا يوسف وامتنع كثيرون من الحاخامات عن إرسال أطفالهم للحضانة التي يدرس بها أبناء الحاخام عوفاديا حتى لا يجلس أطفالهم بجوار من ينقض أوامر فقهاء وحكام الجليل.

واشتركت صحيفة «هاتسوفيه» الناطقة بلسان «الحزب الديني القومي» هي الأخرى في الهجوم وأشارت إلى أن هناك اتفاقاً سرياً بين حزب العمل وحزب شاس، يقوم بموجبه حزب العمل بالتصويت ضد رفع الحصانة عن آريه درعي للتحقيق معه في الاتهامات الموجهة إليه مقابل دخول شاس في الائتلاف^(١١٦).

وقد اعتبر البعض من الجناح العلماني في إسرائيل أن اشتراك «شاس» كحزب ديني حريدي معاد للصهيونية في الائتلاف الحكومي بزعماء رابين،

السلطة ودوائر الحكومة في إسرائيل لفرض تصوراتهم ورؤاهم على الأغلبية العلمانية في إسرائيل . وقد كان من المطالب الأولى التي فرضها مايا على شولاميت ألوني ، إلغاء الحظر على محاضرات الحاخامات في المدارس الحكومية ، والإشراف على إعداد البرامج الدراسية لتعميق اليهودية في المدارس الحكومية : « حتى نضطر لبلع الضفدعة والتسليم بالوضع الحالي » (١٢٠) (يقصدون بالضفدعة شولاميت ألوني ، والتسليم بالوضع الحالي يعني الموافقة على استمرارها وزيرة للتعليم) .

ولم تكن هذه هي الأزمة الأولى والأخيرة التي أثارها حزب شاس ضد شولاميت ألوني ، بل توالى الأزمات الحكومية ، وظل العداء قائما بين «شاس» وشولاميت ألوني لدرجة أن وسائل الإعلام الإسرائيلية نشرت تصريحاً للحاخام عوفاديا يوسف الزعيم الروحي لحزب شاس ، كان قد أدلى به منذ عدة سنوات يقول فيه «يوم تموت شولاميت ألوني ، يجب أن نبتهج ونقيم وليمة في المنزل» . وقد ردت عليه شولاميت بقولها : «إنها تأمل أن يطول عمر الحاخام عوفاديا يوسف حتى يستمتع بالوليمة الدسمة التي وعد بها» (١٢١) .

ومن بين الأزمات الحادة التي حدثت بين «شاس» وشولاميت ألوني تلك الأزمة التي وقعت في الأسبوع الأول من مايو ١٩٩٣ ، بعد تصريحات أدلت بها اعتبرها المتدينون في إسرائيل إهانة للتراث الديني اليهودي وطالبوا بإقصائها من منصبها ، وهدد آريه درعي وزير الداخلية بالانسحاب من الحكومة وتهديد الائتلاف مع حزب العمل الإسرائيلي . وقد استطاع إسحق رايبين معالجة هذه الأزمة بحنكة سياسية ، من خلال تسوية لإرضاء شريكى الائتلاف (ميرتس وشاس) باقتراح إسناد وزارة أخرى لشولاميت ألوني ، وإسناد وزارة التعليم لعضو آخر من أعضاء «ميرتس» المشاركين في الائتلاف الحكومي (١٢٢) .

للمسيحية، واشتراكها في الحكم الائتلافي لدولة علمانية صهيونية، على أنه نوع من السعي للسلطة تحت مظلة العلمانيين. وأشار يهوشوع بورات في مناظرة بينه وبين عضو الكنيست عن شاس شولومو بنيزيري، إلى أنه لولا الحضارة العقلانية التي تطورت منذ القرن السابع عشر، فإن أمثال هذا الشخص الذي يتحدث في الميكروفون ما كان يستطيع التحدث، وأن الكنيسة والعقائد قد فرضت رأيها على العلم والفكر ولم يتحرك أي شيء. وأن ما يحدث الآن في إسرائيل إنما هو تعبير حقيقي عن حرب ثقافية حان الوقت لكي يواجهها الجمهور العلماني بجرأة (١١٩).

وقد زادت حدة المواجهة بين المعسكرين العلماني والديني في إسرائيل، من خلال تلك الحملة الإعلامية الواسعة التي قادها حزب «شاس» ضد وزيرة التعليم في حكومة رايبين والممثلة لتكتل «ميرتس» السيدة شولاميت ألوني، إثر بعض التصريحات التي أدلت بها واعتبرها رجال الأحزاب الدينية ماسة بقدسية الدين وتمثل تجاوزا لما ينبغي أن تمثله الوزيرة بحكم منصبها كمسؤولة عن تكوين وتنمية الوعي اليهودي بين أجيال الشباب. وقد تفجرت الأزمة ووصلت إلى أبعاد واسعة إثر إصرار زعماء شاس على إقالة شولاميت ألوني أو الانسحاب من الائتلاف، وهو الأمر الذي كان يهدد حكومة رايبين متجاوزا في ذلك تعليمات الحاخام شاخ الذي كان مصرا على انسحاب شاس من الائتلاف. وقد هدأت الأزمة إثر اعتذار شولاميت ألوني عما بدر منها من أقوال. ولكن «شاس» كعهده دائما أصر على أن يخرج من الأزمة فائزا، فأصر على أن يعين أحد رجاله نائبا لوزيرة التعليم، وبالفعل تم تعيين الحاخام موشيه مايا الرجل الثاني في الحزب نائبا لشولاميت ألوني. وهكذا مورست لعبة الابتزاز السياسية من الحزب الديني الشريك في الائتلاف على أوسع مدى لتؤكد استمرارية الدور الابتزازي لهذه الأحزاب لكسب المزيد من النفوذ داخل

وفي مواجهة هذا التطور طرحت مسألة الزعامة في المجتمع الحريدي على الساحة ، بسبب التدهور الذي حل بمكانة الحاخام شاخ . وقد كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، هي ذلك الخطاب العنصري الذي ألقاه الحاخام شاخ وهاجم فيه السفارديم ، وأصاب الجميع بغصة في حلقهم وبألم شديدين ، ومن هنا فإن الضربة جاءت للحاخام شاخ من تلاميذه ومريديه الذين تمردوا عليه . وقد ترددت في الشارع الحريدي روايات عديدة عن أسباب سقوط الحاخام شاخ . وتقول رواية شاس إن يحزقال سحاك ، مساعد شاخ ، هو الرجل الذي أوقع الحاخام في المشاكل . وسحاك ، هو الخصم القديم لحزب شاس ، والرجل الذي أعلن عليه الحرب . ويؤيد طلبة «يشيفا بونيباج» ، وهي «اليشيفا» التابعة لشاخ ، رواية شاس ، حيث يعتبرون أن سحاك هو المسؤول عن خطاب الهجوم على السفارديم ، الذي كان بداية السقوط ، وأنه هو الذي حرض الحاخام على أن يخطب ضد شاس ، وأوعز إليه في اللحظة الأخيرة ألا يتعرض لاسم شاس صراحة ، وأن يتحدث عن السفارديم بشكل عام ، مما عرض الحاخام لأن يبدو في صورة العنصري .

ويرى تلاميذ الحاخام شاخ أنه قد ضعف ، وأن ضعفه قد تبدى بوضوح في المجال السياسي وليس الروحي . ويوضحون الأمر بقولهم إنه في المجتمع الحريدي كان يوجد دائما اتجاهان : اتجاه براجماتي واتجاه مثالي لا يقبل بالحلول الوسط . وقد كان حزب «أجودات يسرائيل» في الفترة الأخيرة هو الممثل للخط البراجماتي ، بينما كان حاخامات بريسك يمثلون الخط المتعصب ، الذي لا يقبل بالتنازلات . وقد كان الحاخام شاخ طوال الوقت يتخبط بين هذين الاتجاهين ، وسعى لأن يكون براجماتيا ، ولكن عند حدود معينة ، وكان تعيين شولاميت ألوني وزيرة للتعليم هو أحد هذه المواقف ، التي قبلها من منطلق البراجماتية . ولكنه عندما قرر أن يتحول إلى الموقف المتعصب

وقد ظلت الأزمة قائمة حتى ٣١ مايو ١٩٩٣ حيث أجرى إسحق رابين تعديلا في حكومته لحل هذه الأزمة التي كان من الممكن أن تخرب عملية السلام بالشرق الأوسط . وتم تعيين شولاميت أألوني وزيرة التعليم و وزيرة للاتصالات والعلوم والتكنولوجيا ، وتعيين إمنون روبنشتاين عضو كتلة «ميرتس» اليسارية وزيرا للتعليم ، وتعيين موشيه شاحال وزير الاتصالات ووزيرا للطاقة ، وتولى وزير الاقتصاد شمعون شيطريت مسؤولية القناة التجارية بالتليفزيون (١٢٣) .

سقوط أسطورة الحاخام شاخ في مستنقع السياسة :

حتى مارس ١٩٩٠ ، لم يكن الحاخام شاخ مجرد فقيه في التوراة ، بل كان عملاقا حقيقيا . لقد كان حتى هذا التاريخ يسيطر على حزب «ديجل هتوراه» وعلى حزب «شاس» وكان ثمانية من أعضاء الكنيست يذعنون لآرائه ولتعليماته ، وكان بيده أن يقيم وأن يسقط الحكومة في إسرائيل ، ولذا فقد اعترف الجميع بزعامته الشرعية . وكان الحاخام عوفاديا يوسف ، آنذاك مجرد دمية في يد الحاخام شاخ ، وشخصية «هالاخية» مشكوك فيها إلى حد ما ، وكانوا يقولون عنه إنه «حمار يحمل أسفارا» ، وألغوا وجوده كواحد من كبار علماء التوراة . وعندما جرت انتخابات ١٩٩٢ ، كان نتيجتها لغير صالح الحاخام شاخ الذي لم يتبق له سوى عضو كنيست واحد ، في حين أصبح للحاخام عوفاديا ستة أعضاء لا يستمعون إلا لكلمته . وقد تم تشكيل الائتلاف الحكومي لأن الحاخام عوفاديا أيده ، لم يعد لدى أحد أي شك في أن رئيس «مجلس حكماء شاس» هو «عالم كبير في التوراة» ، وخبير وعالم فقيه ، ومفتي الجيل . وفي مقابل هذا أصبح شاخ عجوزا مخرفا ، في سن السادسة والتسعين يتخبط في أنحاء البلاد لكي يقنع الحاخامات بصدق موقفه فيستمعون له في أدب ويتصرفون على وجه مختلف ، وبدأوا رويدا رويدا يجدون في أنفسهم الجرأة على مواجهته .

ليعارض ألوني ، وليبعد شاس عن موقف الزعامة للجمهور الحريدي تعرض موقفه للاهتزاز والانهيار.

ويرى الحسيديم (أعداء الحاخام شاخ) أن الحاخام لم يكن أبدا «عالما كبيرا في التوراة» حقيقة ، لأن الكبار الحقيقيين ينبغي عليهم أن يكونوا دائما بعيدين عن السياسة ، وألا تعتمد مكانتهم على عدد أعضاء الكنيسة الذين يذعنون لأوامرهم ، لأن من تجذبه السياسة لابد أن يفقد مكانته الروحية . وهكذا أصبح الحاخام شاخ أحد ضحايا دخول الشارع الحريدي لعالم السياسة العلمانية . وهم الآن يقولون في الشارع الحريدي أن «الحاخام من ساطمر» الحاخام طايطلبويم ينفجر الآن ضاحكا في مقبرته ، لأنه هو الذي حذر في حينه الشارع الحريدي من تأثيرات لعبة السياسة العلمانية عليهم ، وهاهي نبوءته تتحقق (١٢٤) .



ومن يتابع طبيعة الحياة السياسية في إسرائيل منذ قيامها حتى الآن، بل وربما قبل قيام الدولة، يجد أن هناك عناصر ثلاثة تدور حولها وتنبع منها طبيعة السياسة الإسرائيلية وهي:

(١) المتغير الديني .

(٢) الحزب صاحب الأغلبية في الكنيست («المباي» منذ قيام الدولة حتى عام ١٩٧٧ ثم بعد ذلك «الليكود» حتى نهاية الكنيست الثاني عشر في ١٩٩٢، ثم حزب «العمل» مرة أخرى بعد انتخابات الكنيست الثالث عشر، يونيو ١٩٩٢).

(٣) فن المساومة بين القوى الحزبية، وهو أسلوب خضع وفقا لتلك التقاليد لطبيعة المفهوم الديني اليهودي كأسلوب من أساليب التعامل مع الموقف^(١٢٦).

وقد أضفت طبيعة الأحزاب الدينية عليها قدرة على أن تلعب دورا حاسما في سياسة التوفيق لا تملكها أي تنظيمات حزبية أخرى، وهي تملك من البراعة ما مكنها دائما من تحقيق أهدافها بخطى ثابتة متسللة تارة، وواضحة تارة أخرى.

إن أي حزب في إسرائيل أو تكتل حزبي مهما بلغت قوته لا يستطيع أن يحكم منفردا ودون الائتلاف مع الأحزاب الدينية، أو «الحزب الديني القومي» بصفة خاصة (وهو الحزب الذي تراجع دوره بعد دخول «شاس» كشريك ائتلافي في حكومة رابين في يوليو ١٩٩٢).

وأي حزب أو تكتل حزبي عقب معرفة عدد المقاعد التي يملكها في الكنيست، تقوم قيادته بعملية حسابية أساسها أن يطرح من مائة وعشرين مقعدا عدد المقاعد التي حصل عليها، وكذلك عدد مقاعد الشيوعيين

الفصل الثالث

الأحزاب الدينية في إسرائيل من المساومة إلى الابتزاز

عرفنا من قبل أن دور الأحزاب الدينية الرسمية داخل إطار البناء العام للحياة السياسية في إسرائيل ، هو دور تتحكم فيه سياسة التوفيق والائتلاف ، التي هي محور الحياة السياسية الإسرائيلية . ولذلك فإن أي محاولة لفهم هذه السياسة دون أن تجعل منطلق الإطار الفكري يبدأ من ذلك المفهوم هي محاولة فاشلة . فمما لا شك فيه أن تقاليد الممارسة وضعت أصول ذلك المفهوم . إنه مفهوم يعود إلى التقاليد الصهيونية السابقة على وجود إسرائيل ، بل ويمكن القول إنه ينبع من طبيعة الشخصية اليهودية ودلالة الخبرة اليهودية في مجتمعات غرب أوروبا . فعندما كان يدق ناقوس الخطر ويبدأ الشعور بأن المذابح الجماعية في طريقها لاستئصال العنصر اليهودي كان سلاح ذلك المجتمع من الأقليات - وإزاء ضعفه وعدم قدرته على أن يحمل سوى أداة القتال المعنوية - هو مفهوم التوفيق والائتلاف ، وترك الخلافات الجوهرية جانبا وتكتيل القوى حول الدفاع عن البقاء ، ولو من خلال التضحية الذاتية ، هو الذي كان يسيطر على أسلوب التعامل مع المجتمعات الأخرى المعادية والرافضة للوجود اليهودي وهذا الأسلوب الذي يقوم على مفاهيم معينة تدور حول البحث بثبات وبصبر حول الحد الأدنى لتقبل وحدة الحركة ، هو الذي سيطر على التاريخ اليهودي ، وهو الذي انتقل لأسلوب الممارسة السياسية مع الحركة الصهيونية ، ليأتي فيغلف التقاليد الإسرائيلية لتلك الممارسة^(١٢٥) .

المتبادل في قضايا الدين ، والثقافة ، والمجتمع تم تشكيله بصورة واقعية في اتفاقيات «الوضع الراهن» (ستاتوس كو) .

وقد حدث هذا التعاون بسبب التشابه الكبير في وجهة نظر كل من القوتين تجاه القضايا الرئيسية للحركة الصهيونية . وبمفهوم معين ، فإن كلا من «مباي» و«العامل الزراحي» كانا ممثلين بارزين لما يمكن أن نطلق عليه «الصهيونية الممكنة» (هناك من يطلق عليها اسم «الصهيونية المتزنة» (هتسيونوت هشفوياه) . وقد عكست «الوايزمانية» (نسبة إلى حיים وايزمان) وفقا لتصوراتها «البن جورونية» (نسبة لبن جوريون) ، اتجاهات الصهيونية الدينية ، التي حققت أهدافها عن طريق الهجرة ، والاستيطان ، والاشترك في إنشاء تنظيمات اجتماعية واقتصادية في فلسطين . لذلك فإن هذه اليهودية كانت على استعداد للتساهل في الموضوعات الإقليمية . وقد قبل «المزاحي» و«العامل الزراحي» قرارات مثل تقسيم فلسطين على النحو الذي قدمته لجنة أونسكوب عام ١٩٤٧ وتم إقرارها في الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر من السنة نفسها ، على اعتبار أنها حتمية لا تستدعي الاعتراض . وكما أن «حירות» ، و«ماكي» (الحزب الشيوعي الإسرائيلي) في مرحلته المعادية للصهيونية ، كانا يرمزان في الواقع السياسي لدولة إسرائيل «كمرر للسور» ، فإن كلا من «مباي» و«المفدال» كانا يرمزان إلى نواة «كنيست إسرائيل» (مجمع إسرائيل) وحكم الدولة . وخلال التسعة والعشرين عاما التي حكم خلالها «مباي» إسرائيل ، فإن هناك نحو ٢٨ عاما مرت من خلال مشاركة «المفدال» له في تنظيماته المختلفة^(١٣٠) .

وعمليا ، فقد تم تنظيم العلاقة بين الدين والدولة في ظل سيطرة أحزاب العمال على مؤسسات «اليشوف» اليهودي في فلسطين إبان عهد الانتداب ، وفي السنين الأولى من قيام دولة إسرائيل . وتحت حكم «مباي» تم ترسيخ

والكتلة المعارضة، والعدد الباقي يمثل المجموعة التي يستطيع أن يختار من بينها من هو في حاجة إليه. وهو يحدد ذلك تبعا لعدد الأصوات التي لابد من توافرها ليستطيع أن يمارس الحكم»^(١٢٧). وهنا يبرز دور الأحزاب الدينية المساوم، حيث تبدأ في طرح مطالبها من أجل المشاركة في الحكم، وهو ما يجعل أي تكتل حزبي في حالة من الاضطرار للقبول بطلبات أو شروط المشاركة، الأمر الذي يحدد أن الحكم من دون الأحزاب الدينية هو أمر مستحيل لأي حزب يريد أن يصل إلى الحكم عن طريق أغلبية في الكنيست تتيح له ذلك. وقد كانت السمة التي ميزت طبيعة النظام السياسي في إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٧، هي أن فن المساومة كان في حقيقته فنا للمساومة بين حزب «المباي» والأحزاب الدينية. وقد ازدادت تبعية حزب «المباي» للأحزاب الدينية كنتيجة لازدياد قوة حزب «حيروت» اليميني بزعامة مناحم بيغن من خلال تكتله في «الليكود» (حيروت وحزب الأحرار) وذلك في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ التي هزت قوة «الصهيونية الاشتراكية» الحاكمة المتمثلة في «المباي»، ومهدت لانسحابها من مسرح الحكم إلى حين^(١٢٨). وقد كان من أسباب ازدياد تبعية «المباي» للأحزاب الدينية خشية «المباي» من الخطر الحقيقي الذي يستتر خلف حقيقة العلاقة بين القوى الدينية وكتلة الليكود^(١٢٩).

وقد كان لكل من حزب العمل و«الحزب الديني القومي» (المفدال) تقاليد متبلورة تعود إلى نحو ٤٠ عاما من التعاون، بدأ في منتصف الثلاثينيات، عندما وصل حزب «المباي» إلى زعامة الوكالة اليهودية. ومنذ أن تم انتخاب دافيد بن جوريون رئيسا لإدارة الوكالة وحتى انتخابات الكنيست التاسع عام ١٩٧٧، تم وضع أساس الحكم في فلسطين، وبعد ذلك في دولة إسرائيل، على أساس من هذه المشاركة. وعبر هذه الفترة تمت بلورة منهج من التسامح

وفي ظل حكم «مبّاي» أيضا، ونتيجة لموقف المساومة في شؤون الدين والدولة، تم أيضا إقرار قانون التعليم الرسمي الديني، على حين أقدم بن جوريون على إلغاء التيار العمالي في التعليم الذي كان سائدا قبل قيام إسرائيل^(١٣١).

وهكذا فإن حزب مبّاي كان دائما، لدوافع سياسية ولضرورات برلمانية موضوعية، حريصا على مساومة «المفدال» على مطالبه في قضايا الدين والدولة.

وكما ذكرنا من قبل، فإن إحدى النتائج المؤكدة «للالنقلاب» الذي حدث في انتخابات ١٩٧٧، كان ازدياد قوة الأحزاب الدينية. ولم تكن هذه النتيجة مرتبطة بخاصة بإنجاز نيابي، لأنه لم يحدث تغيير ذو مغزى في التأييد الجماهيري للأحزاب الدينية (المفدال وأجودات إسرائيل وعمال أجودات إسرائيل)، وكان الازدياد في المجال السياسي الائتلافي. فللمرة الأولى في تاريخ دولة إسرائيل، يصبح في إمكان الأحزاب الدينية، وبصفة خاصة «المفدال»، حسم من يشكل حكومة في إسرائيل ومن يرأسها. وكانت سابقة فريدة من نوعها لم تحدث من قبل في تاريخ الحياة السياسية في إسرائيل، أن تصبح للأحزاب الدينية مثل هذه القوة. لقد كان «المفدال» بالفعل عنصرا ائتلافيا دائما، وباستثناء العامين ٥٨ - ١٩٥٩، كان «المفدال» شريكا في كل الائتلافات الإسرائيلية. ولكن لم يكن في إمكانه في الماضي، أن يدفع بالأمور إلى حد قيام تشكيل ائتلافي ليس برئاسة «مبّاي» أو «المعراخ»، وذلك لأن إضافة أعضاء الكنيست الدينيين في أي كنيست اعتبارا من الأول حتى التاسع في عام ١٩٧٧ إلى أعضاء أحزاب الوسط أو اليمين، لم يكن يكفي بأي حال من الأحوال، لتحقيق أغلبية برلمانية، تتيح لهذه الأحزاب تشكيل الحكومة، كما يتضح ذلك من الجدول التالي:

وتحديد صلاحيات بعض المؤسسات الدينية التي كانت قائمة إبان عهد الانتداب مثل «الحاخامية الرئيسية»، ومناصب حاخامات المدن والمجالس الدينية والمحاكم الدينية. . وأضيف إلى ذلك، بعد قيام إسرائيل، إنشاء وزارة خاصة للأديان تتولى رعاية شؤون كل تلك المؤسسات.

كذلك تم في ظل حكم «مبّاي»، الاعتراف رسميا بالتيار الأرثوذكسي في اليهودية، على حين لم تعط المكانة نفسها للتيارين الآخرين الإصلاحيين والمحافظين. وبناء عليه فقد سيطرت الأرثوذكسية اليهودية بأجنحتها المختلفة المتمزعة («أجودات إسرائيل» و«عمال أجودات إسرائيل»)، والأقل تزمنا «المفدال» على كافة الشؤون الدينية في إسرائيل. وأصبح كل يهودي، سواء كان متدينا أم لا، خاضعا لقانون الأحوال الشخصية، بحسب المفهوم الديني للتيار الأرثوذكسي.

وقد تم تنظيم معظم هذه الأمور في سني دولة إسرائيل الأولى. ومنذ ذلك الوقت تركزت المساومات بين حزب «مبّاي»، ومن بعده حزب «العمل» و«المعراخ»، وبين «المفدال»، على محاولات «المفدال» تحقيق المزيد من المكاسب في هذا المجال ومحاولات «مبّاي» الحفاظ على ما سمي «الوضع الراهن» في الشؤون المتعلقة بقضايا العلاقة بين الدين والدولة.

وإلى جانب إقامة وزارة خاصة بالأديان (كانت عمليا وبشكل دائم تقريبا من نصيب حزب «المفدال» في الحكومات العمالية المتعاقبة)، فقد قدم حزب «مبّاي» تنازلا كبيرا في هذا المضمار عندما استجاب لطلب «المفدال» بالامتناع عن إقرار دستور مكتوب للدولة بسبب معارضة «المفدال» وبقية الأوساط الدينية لذلك. وكانت هذه الأوساط تصر على أن تكون الشريعة اليهودية (الهالاخاه) والتوراة المصدر الوحيد لذلك الدستور، الأمر الذي كانت ترفضه بقية الأحزاب الصهيونية على اختلاف مشاربها.

حصلت عليها الأحزاب الدينية («المفدال» ١٢ مقعداً، و«أجودات وبوعالي أجودات» ٥ مقاعد في الكنيست) مقابل وزنها النيابي، غنيمة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأحزاب الدينية في إسرائيل: وزارات: التربية والتعليم، والداخلية، والأديان، ورئاسة لجنة الدستور والقانون والقضاء، ورئاسة اللجنة المالية في الكنيست، ونواب رئيس مجلس هيئة الإذاعة، ومع هذا ظلت اليد ممدودة.

وفي البرنامج التلفزيوني الشعبي «عالي كوتيرت» (أوراق التوزيع) ظهر سكرتير كتلة «المفدال» في الكنيست (وهو الذي حظي بلقب «عضو الكنيست الحادي والمائة والعشرين»)، ووصف بصورة شبه سريالية، كيف نجحت كتلة «المفدال» في تحريك عجلات الكنيست، وفي أن تشرع خلال بضع ساعات تعديلاً لقانون انتخابات الحاخامية، أتاح تأجيل هذه الانتخابات. وحكى عضو الكنيست الحادي والمائة والعشرين دون أن يعلو وجهه أي إهمار، كيف أسرع وتدافع رؤساء الكتل، ورئاسة الكنيست، والوزراء ورئيس الوزراء، لكي يكسبوا ود «المفدال»، وكيف أن المسؤول عن الطباعة الحكومية تحت ضغط من «المفدال» قام بطبع مشروع القانون والقانون نفسه خارج ساعات العمل الرسمية^(١٣٤).

وهكذا يمكن القول إن الأحزاب الدينية في إسرائيل، انتقلت منذ انتخابات عام ١٩٧٧ من مرحلة «فن المساومة» إلى مرحلة «الابتزاز» الصريح والعلني للحزب الحاكم من أجل تحقيق مطالبها في فرض الشريعة اليهودية على المجتمع الإسرائيلي الذي تعيش فيه أغلبية علمانية، وقد تجلّى هذا الابتزاز من قبل الأحزاب الدينية فيما يلي:

(١) دفع حزب العمل الإسرائيلي لإعادة حساباته، على ضوء ما تعرض له، خلال السنوات ١٩٧٧ - ١٩٩٠، ومحاولة مغازلة الأحزاب الدينية بطرح تنازلات في مجال علاقة الدين بالدولة في إسرائيل استجداء واسترضاء لها، في

عدد أعضاء الكنيست التابعين للأحزاب الدينية ، وأحزاب الوسط واليمين

من الكنيست الأول إلى الثامن

الكنيست الأول	٤٨ عضوا	الكنيست الخامس	٥٧ عضوا
الكنيست الثاني	٥٢ عضوا	الكنيست السادس	٥٢ عضوا
الكنيست الثالث	٥٥ عضوا	الكنيست السابع	٥٤ عضوا
الكنيست الرابع	٤٨ عضوا	الكنيست الثامن	٥٧ عضوا

ونستنتج من هذه الإحصائية أنه حتى عام ١٩٧٧ كانت توجد في الكنيست كتلة برلمانية يسارية كافية ، تبلغ أكثر من نصف أعضاء الكنيست (١٢٠ عضوا) قادرة على تجنب تشكيل ائتلاف من الدينين والوسط واليمين . وعلاوة على ذلك فإن الحزب التقدمي ، وهو حزب «الأحرار المستقلين» (منذ عام ١٩٦٥) ، والذي لم يحسب أعضاؤه ضمن الجدول الوارد آنفا ، لم يكن خاضعا هو الآخر لسيطرة الدينين واليمين . وبناء على هذا فإن «الكتلة» اليسارية والتقدمية كانت أكبر وكانت تكاد تصل إلى ٧٠ عضو كنيست (١٣٢) .

وفي عام ١٩٧٧ ، تغير الموقف من النقيض إلى النقيض ، ليس بسبب صعود «الليكود» ، ولكن بسبب تقلص قوة الكتلة اليسارية . وقد كان السبب في خلق هذا الموقف هو حزب «دش» (الحركة الديمقراطية من أجل التغيير) ، نتيجة لاستعداده للانضمام لأي تشكيل حكومي ، مع إبداء قدر هائل من المرونة في التعامل مع المبادئ السياسية والاجتماعية ، وتصويت مؤيديه لصالح «الليكود» ، مما أدى إلى جعل الدينين هم لسان الميزان في تشكيل الحكومة الإسرائيلية (١٣٣) .

ومنذ تلك الانتخابات والأحزاب الدينية في إسرائيل تقدر تماما وزنها الخاص في تشكيل الائتلافات الحكومية في إسرائيل . وقد كانت الغنيمة التي

وقد كان النص الذي أثار غضب الأحزاب الدينية هو ذلك النص الذي حدد أن «المعراخ سيعمل من أجل ضمان مكانة معترف بها لكل التيارات في اليهودية، وفي حالة الضرورة - بوساطة التشريع» .

وقد حاول بيرس في محاولة لمعالجة ما ترتب على هذه الإثارة التي وقعت في صفوف الأحزاب الدينية بسبب هذا النص، أن يبدو كرجل متدين، فذهب بعد الانتخابات إلى حائط المبكى والتقطت له الصور وهو يضع قصاصة ورق بين أحجار الهيكل . وقد سخر منه كل من الصحافة والدينيين . وعندما تساءل بيرس : لماذا عندما يضع بيجن قصاصة ورق في حائط المبكى يركعون ويسجدون له؟ ما الأمر؟ هل هو ديني أكثر مني؟ لقد قصدت بالفعل أن أضع قصاصة ورق، وهذه عادة دينية . هل لدي مشاعر دينية أقل؟ رد عليه من سألته قائلاً: لقد كان هناك يهوديان من معاصريه، الأول موشيه ديان والثاني يچال آلون . وعندما كان ديان يأتي أفعالا لا تليق، فإن كل شعب إسرائيل كان يهتف له ويقولون إنه رجل مجتمّع، وعندما ارتكب يچال إثما فإنه ضاع . وهكذا هو الأمر . إنهم يستقبلون بيجن بالهتافات، أما أنت فلا . ولكن بيرس لم يكف عن مغازلة الدينيين .

وقد جاءت ذروة مغازلة بيرس للدينيين في المفاوضات التي سبقت تشكيل حكومة الوحدة، في إطار المحاولات إلى دفع «أجودات إسرائيل» لتشكيل ائتلاف ضيق مع حزب العمل، حيث قرروا في حزب العمل محاولة التأثير على الشخصيتين ذوي الصلاحية الروحانية العليا في «أجودات» وهما الحاخام من جور والحاخام من بلعاز عن طريق حليم برليف وحليم صادوق لأن والد كل منهما كان حسيديا، ولكن المحاولة باءت بالسخرية والفشل . وبعد تشكيل الحكومة تمت محاولة أخرى من حزب العمل لاستجداء ومغازلة حزب «شاس» عن طريق الحاخام عوفاديا يوسف .

(٢) استغلال الفرصة من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من المكاسب خلال فترة الائتلاف بين الدينين واليمين المتطرف، عن طريق تدعيم ركائز الشريعة اليهودية في إسرائيل، وفرض السياسات ذات التوجه القومي الديني المتطرف بالنسبة للاستيطان في الأراضي المحتلة وطرده العرب الفلسطينيين.

وبالنسبة للنقطة الأولى الخاصة بسعي حزب العمل الإسرائيلي لإعادة حساباته ومغازلة الأحزاب الدينية، نستشهد هنا بما ذكره الحاخام مناحم هكوهين أحد ممثلي الحزب في الكنيست حول الدروس المستفادة من تجربة حزب العمل في مجال العلاقات مع الأحزاب الدينية. يقول مناحم:

«إن حزب العمل لا يفهم الجمهور الديني. فمن ناحية، يستطيع بيرس وكل قادة الحزب أن يرتدوا الطاقة الدينية وأن يدرسوا أجزاء المشنا الستة، ومن ناحية أخرى، يستطيعون أن يقوموا بكل الأعمال التي تفسد لهم إمكان التقرب من الدينين. إن حزب العمل الخاص بين جوريون وأشكول وجولدا قد فهم الدينين. أما حزب العمل اليوم فإنه يعتقد أنه يفهم، ولكنه لا يفهم شيئاً على الإطلاق. والنموذج البارز على هذا الخطأ المثير للغضب، هو برنامج الحزب في الانتخابات السابقة. لقد كان بالفعل برنامجاً لا دينياً حاربت ضده بكل ما أوتيت من قوة، ولكن صائغي البرنامج كانوا أكثر حكمة مني، وتصلبوا معي على أتفه الأشياء، ولم يوافقوا على التنازل. لقد كانت الموضة الشائعة آنذاك هي منافسة شولاميت ألوني في الصياغات المتطرفة ضد الدين. لقد حدث هناك اعتراف بالحاخامات الإصلاحيين كمسجلين للزواج، الأمر الذي أثارني للغاية. وقد ضموهم إلى صياغة المشروع الانتخابي المتصل بشؤون الدين والدولة، دون التفكير في ذلك مقدماً، كل من شاء ذلك. ولكن أخطر شيء، هو ما جرى بعد الانتخابات حينما حاول رؤساء الحزب مغازلة «المفدال»، وتعاملوا باستهانة كبيرة مع الصيغة الواردة في البرنامج الانتخابي أثناء المفاوضات مع الأحزاب الدينية».

وقبل أن نستعرض نماذج من مواقف هذه الأحزاب في لعبة «الابتزاز» سنستعرض النسب التي حصلت عليها الأحزاب الدينية خلال هذه البرلمانات الإسرائيلية الأربعة الأخيرة، ومدلولاتها ارتباطا بالنقطة موضوع البحث:

عدد المقاعد	النسبة المئوية	
١٧	٢, ١٤٪	الكنيست التاسع (١٩٧٧)
١٤	٨, ١١٪	الكنيست العاشر ١٩٨١
١٣	٤, ١١٪	الكنيست الحادي عشر ١٩٨٤
١٨	١٥٪	الكنيست الثاني عشر ١٩٨٨

ومن هذا الجدول، ومن خلال المتابعة لتطور الوزن البرلماني للأحزاب الدينية في إسرائيل يتضح، أنها كانت تحصل منذ الكنيست الأول عام ١٩٤٩ حتى الكنيست الثاني عشر عام ١٩٨٨، على نسبة تتراوح بين ١١٪ و ٨, ١٥٪ (حيث حصلت في انتخابات الكنيست الخامس - ١٩٩١ - على ١٩ مقعداً)، وهي نسبة تتوقف على مدى إقبال المتدينين على الانتخابات، وهو ما يرتبط بنشاط وفعالية الأحزاب الدينية التي تخوض الانتخابات وقدرتها على تعبئة الجماهير من المتدينين وراءها.

ولكن إذا كانت النتيجة التي حققتها الأحزاب الدينية لا تمثل طفرة في نسبة تمثيلهم في الكنيست، فما مغزى السلوك الذي سلكته الأحزاب الدينية إزاء الكتلتين الكبيرتين في المساومات الابتزازية حول تشكيل الائتلاف الحكومي؟

إن الإجابة عن هذا السؤال ترتبط بالقراءة التفصيلية لعدد المقاعد التي حصلت عليها الأحزاب الدينية في انتخابات كل من الكنيست الثاني عشر والثالث عشر والتي كانت على النحو التالي:

وقد ترددت قصص كثيرة حول هذه المحاولة . فأحدى الروايات تقول إن بيرس استعددا للقاء الحاخام درس أجزاء المشنا لدى الحاخام عوفاديا يوسف . وردد المتفقهون في الدين ، أن هذا التصرف مخجل ، لأن رجلا في مكانة بيرس لا ينبغي أن يدرس المشنا لأن «الأطفال فقط هم الذين يدرسون المشنا» ، وأن هناك نصا في «فصل الآباء» يقول : «إن المشنا تدرس فقط للجاهل» . والرواية الثانية ، أن بيرس لم يدرس المشنا ، بل درس «تشريعات الربى موشيه بن ميمون (هاخوت رمبام)» . وبطبيعة الحال فإن العمل في مواجهة السعي لاستجداء رضاء الأحزاب الدينية ، حتى ولو اضطر زعيمه الصهيوني الاشتراكي اللاديني إلى ارتداء مسوح الدين والتحدث بلغة رجال الدين ودراسة ما لا يؤمن به استرضاء لهم (١٣٥) .

وقد كان الوجه الآخر لهذا الاستجداء والاستعطاف والمغازلة من جانب حزب العمل وزعيمه شمعون بيرس ، هو الموقف الغريب الذي وقفه الأحزاب الدينية بمختلف أنباطها ، حيث قامت بعقد محاكمات لأحزاب «مباي» و«العمل» و«المعراخ» لموقفهم من قضايا الدين عبر الفترة من (١٩٤٨ - ١٩٧٧) ، واستنتجت من ذلك ما قادها للتحويل من الائتلاف مع حزب «العمل» إلى الائتلاف مع «الليكود» .

والأمر الذي يثير الغرابة في موقف الأحزاب الدينية الثلاثة (المفدال والأجودات وشاس) التي تحكمت في تشكيل الحكومة الائتلافية خلال انتخابات ١٩٧٧ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٨ ، ١٩٩٢ ، هو أن هذه الأحزاب الدينية ، لم تحصل على نسبة تمثيلية عالية في الكنيست تفوق النسب التي اعتادت أن تحصل عليها من قبل في البرلمانات الإسرائيلية السابقة ، تؤهلها ليس لممارسة «فن المساومة» ، بل «الابتزاز» .

٢ - التزايد النسبي في ارتباط التشدد الديني بالتعصب العرقي لليهود الشرقيين الذين رفعوا «شاس» إلى المركز الأول داخل المعسكر الديني على نحو غير مسبوق . وقد أدى هذا الأمر إلى أن هذا الحزب اللاصهيوني الحريدي أصبح هو الحزب الديني الوحيد الممثل للأحزاب الدينية في حكومة رابين (١٩٩٢) دون سائر الأحزاب الدينية الأخرى، التي لعبت دورا تاريخيا مهما ومؤثرا سواء في الحركة الصهيونية أو على امتداد تاريخ دولة إسرائيل ، وخاصة حزب «المفدال» . وهكذا أصبح حزب «شاس» هو الجسر الوحيد بين الدينين والعلمانيين في إسرائيل على المستوى الرسمي الحكومي ، الأمر الذي جعل دور «المفدال» يتراجع إلى حين (١٣٦) .

وقد عبر الصحفي الإسرائيلي حليم هراري عن ذلك التطور الذي كان آخذا في التبلور من قبل الانتخابات الأخيرة (١٩٩٢) بقوله : «توجد في إسرائيل اليوم جماعة واحدة فقط تعمل وفقا لحسابات طويلة المدى ، هي الأحزاب الحريدية . إنهم لا يقومون بالابتزاز من أجل السنة القادمة بل من أجل المستقبل البعيد . إن ذلك الجيش الآخذ في الزيادة من مرتدي السواد غير الصهيونيين سيهدد طابع حياتنا تهديدا حقيقيا خلال عشرة أو عشرين أو ثلاثين عاما . إن الحريديم اليوم في أورشليم أقلية ، ولكنهم أغلبية بين أطفال الصف الأول . وليس من الصعوبة بمكان فهم ما سوف يحدث إذا ما استمر تدفق الأموال الذي بلا حدود على هذه الدوائر» (١٣٧) .

٣ - حصول المعسكر الديني على ٥ مقاعد إضافية عام ١٩٨٨ ليكون المعسكر الوحيد الذي يحسن مركزه البرلماني ، مما أتاح لهذه الأحزاب إمكان الإمساك بدفة المساومة والابتزاز في المفاوضات الائتلافية ، وبالتالي مضاعفة قوتها في المساومة ، على الرغم من أن الخلافات الكبيرة بينها حدثت من قدرتها على توحيد مواقفها والاستثمار الكامل لهذا الوضع ، بالإضافة إلى قلق قطاع مهم من اليهود الأمريكيين من دور هذه الأحزاب (١٣٨) .

الحزب	الكنيست الثاني عشر	الكنيست الثالث عشر
	عدد المقاعد	عدد المقاعد
الحزب الديني القومي «المفدال»	٥	٤
«أجودات إسرائيل»	٥	٤
«ديجيل هتوراه» (علم التوراة)	٢	(جبهة يهودية التوراة)
«شاس» (اتحاد السفارديم حراس التوراة)	٦	٦
	١٨ مقعدا	١٤ مقعدا

ويعكس هذا التغير اختلالا في التوازن داخل المعسكر الديني لصالح الجناح الديني (الحريدي) الأكثر تشددا في قضية العلاقة بين الدين والدولة، بشقيه «الإشكنازي» و«السفاردي»، حيث حصل في انتخابات الكنيست الثاني عشر على ١٣ مقعدا: ٦ مقاعد «لشاس»، و٥ مقاعد «لأجودات» ومقعدين «لديجيل هتوراه» وحصل في انتخابات الكنيست الثالث عشر على مقاعد: ٦ لـ «شاس» و٤ لـ «جبهة يهودية التوراة» (الأجودات وديجيل هتوراه)، بعد أن كانت له ٧ مقاعد فقط في انتخابات ١٩٨٤، بينما خسر الجناح الديني القومي في انتخابات الكنيست الثاني عشر مقعدا نتيجة اندماج «تامي» في تكتل «الليكود»، بينما حافظ «المفدال» على وزنه بحصوله على ٥ مقاعد، هي حاصل جمع مقاعده الأربعة التي حصل عليها في انتخابات ١٩٨٤، ومقعد حسيم دوركمان ممثل «متساد» الذي انضم إليه في إطار تفكك كتلة «موراشا» وخسر مقعدا في انتخابات الكنيست الثالث عشر وحصل على ٤ مقاعد فقط. ويمكن أن نستنتج من هذه القراءة لهذه النتائج مايلي:

١ - فقدان «الحزب الديني القومي» الذي انتقل مركز الثقل في داخله إلى التيار المتطرف قوميا والمرتبط بجماعة «جوش إيمونيم» الاستيطانية، لمركز الصدارة لصالح التيار الحريدي المغرق في أرثوذكسيته، وهو تيار متطرف بشأن قضية الدين والدولة، على حين يتبنى رؤى معتدلة نسبيا أقرب إلى تصورات حزب العمل بدرجة أو أخرى، فيما يتعلق بفكرة الحل الوسط الإقليمي.

«المفدال» لتعديل قانون العودة وتحديد اليهودي وفقا للشريعة . والذي يثير حفيظة «المفدال» في هذا الموقف من جانب حزب العمل ما يتردد من أن حزب العمل يتلقى دعما سياسيا من الإصلاحيين في الولايات المتحدة الأمريكية، لأنهم يمثلون جمهورا ثريا للغاية ، مما يثير شبهة حلف قوي أيديولوجي ومادي بين «العمل» والإصلاحيين .

٣- أن حزب العمل يسحق بمنهجية مدروسة القضايا الرئيسية مثل : يوم السبت ، التعليم الديني ، ومكانة المحاكم الحاخامية والحاخامية الرئيسية ، المتفق عليها في اتفاقية «الوضع الراهن» (ستاتوس كو) .

٤- أن حزب العمل يقف موقفا متساهلا من قضايا الاستيطان في الأراضي المحتلة : «هناك أيضا قضية الاستيطان في «يهودا والسامرة» وقطاع غزة . وحل قضية «من هو اليهودي؟» . إنه لم يحل جزءا من مشكلة «اكتمال الشعب» حسبما نراه نحن ، ويقربنا من «المعراخ» ، ولكن هناك أيضا القضية الكبرى الخاصة «بأرض إسرائيل» ، والتي تعتبر قضية رئيسية ، لن نتنازل عنها بالطبع . لن نتنازل بأي حال عن حقنا في الاستيطان في كل أجزاء «أرض إسرائيل» ، لأن هذا حق ديني تاريخي قانوني أخلاقي لا مجال لمراجعته . ونحن نطالب بخصوص قضية «أرض إسرائيل» بتوسيع الاستيطان القائم في «يهودا والسامرة» وغزة ، واستمرار خط عدم التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية . . . والسياسة الواضحة جدا لحزب العمل ، معناها التنازل عن وعي مسبق عن ثلاثة أرباع «يهودا والسامرة» وغزة» (١٣٩) .

وبطبيعة الحال فإن هذه المآخذ على حزب العمل من حزب «المفدال» إزاء موقفه من قضايا الدين ، لا بد أن تقود ، حسب الاتجاهات الابتزازية ، التي سادت «المفدال» آنذاك ، إلى «الليكوود» الذي أبدى استجابة ملموسة لكل هذه المطالب . وكانت النصيحة التي وجهها أحد زعماء «المفدال» لحزب

والآن سنحاول أن نتعرف على الوجه الآخر من ابتزاز الأحزاب الدينية لحزب العمل لتبرير توجهها لمساندة اليمين الصهيوني المتطرف الممثل في الليكود في الائتلاف الحكومي حتى عام ١٩٩٢ من خلال عقدهم المحاكمات لحزب العمل على موقفه من قضايا الدين في إسرائيل .

١ - حزب «المفدال» :

كان من الواضح بعد إعلان نتيجة انتخابات الكنيست الثاني عشر (١٩٨٨) على الرغم من بعض التصريحات التي أدلى بها بعض زعماء «المفدال» بشأن وقوفهم إلى جانب «المعراخ» في المعركة الائتلافية - أن «المفدال» يتجه في مسار يميني واضح لا يلتقي مع حزب العمل الإسرائيلي بسبب الهوة الفاصلة بينهما في قضايا الدين . وقد حدد البروفيسور أفنير شاكي القطب الأكبر في حزب «المفدال» مأخذه على حزب العمل فيما يلي :

١ - أن حزب العمل ، في العقد الأخير ، وعلى الأخص خلال السنوات الست الماضية ، انحرف يسارا في مجال الدين والدولة ، واقترب أكثر من «راتس» و«مابام» ، وليس العكس . وأن الحزب في فترة بن جوريون وجولده كانت له مواقف احترام للتقاليد ، على الرغم من وجود اعتبارات نفعية وسياسية . وفي السنوات الأخيرة ، سعيا نحو التنافس مع أولئك الذين انسحبوا منه ، اختار حزب العمل الطريق الذي يضر «بالوضع الراهن» .

٢ - أن حزب العمل عقد حلفا مع الإصلاحيين ، مع علمه بأن الصراع بين الأرثوذكسين والإصلاحيين قوي للغاية . وقد تجلى هذا الأمر في وجود اتجاه للتراجع عن وجهة النظر الخاصة بأن الحاخامية في إسرائيل أرثوذكسية . وهذا الأمر يضر بمكانة الحاخامية ، والتشريع ، والجمهور الذي يساند التشريع . والمثال على ذلك ، أن «المعراخ» يقف في كل مرة كالصخرة الثابتة ضد اتجاه

٢ - «عندما كان بيرس رئيسا للوزراء أقام علاقات طيبة مع الحاخام بيرتس الذي ساندته في قضية الانسحاب من لبنان ، وفي الخطة الاقتصادية وفي موضوع لافي» .

ولكن شمعون بيرس لم يف بالوعود . . . لقد وعد بإغلاق استاد رامات - جن في أيام السبت ، وإغلاق التلفزيون في حيفا ولم يف بوعوده . وقد وثق الحاخام بوعود شمعون بيرس وتدهورت مكانته في عالم التوراة . . . وقد تأثر الحاخام من أعماق قلبه . . . كذلك فإنه في الأعوام السابقة توقفت «إدارة هجرة الشباب» عن إرسال الأطفال للمؤسسات «الحريدية» التابعة «لشاس» . وعلى الرغم من الاتصالات واللقاءات لم يفعلوا شيئا . وقد أصبحت «إدارة هجرة الشباب» تابعة لليكود منذ عدة أسابيع . . لقد فقد الحاخام بيرتس الثقة في «المعراخ» ، والزعماء في شاس غاضبون بسبب إدارة هجرة الشباب ، والجمهور كله يفضل «الليكود» . . إن الموضوع الديني على رأس الأولويات عندنا . . وبيرس لا يفي بأي وعد»^(١٤١) .

٣ - «أجودات إسرائيل» :

بالنسبة «لأجودات إسرائيل» كان السلوك الابتزازي أكثر وضوحا ، لأنهم رغم اعترافهم بفضل حزب «مباي» فيما يتصل بالإنجازات الدينية التي تحققت في إسرائيل في الحقبة التي حكم فيها إسرائيل ، على لسان مصدر عليم من الحزب :

من المستحيل إنكار حقيقة أن كل ما هو قائم وموجود في المجال الديني تم بفضل «مباي» و«العمل» . وقد ورث بيرس إلى حد كبير هذا الخط من أستاذه ومعلمه ، دافيد بن جوريون ، إلا أنهم يأخذون على بيرس «أنه لا يسيطر على الحزب ، ولن ينجح في فرض وجهة النظر المتصلة بالتقاليد في الحزب» .

العمل هي : «على حزب العمل أن يبدي في الفترة القادمة أنه ليس معاديا للدينين، وأن يؤكد أن الأحزاب الدينية حققت كل إنجازاتها في خلال حقبة حكم «المعراخ» وبصورة حقيقية»^(١٤٠).

ولكن النصيحة لم تجد بطبيعة الحال، لأن المواقف كانت قد حسمت لصالح الائتلاف مع «الليكود».

٢ - حزب «شاس»

يعتبر حزب «شاس» (اتحاد السفارديم حراس التوراة) من الأحزاب التي ظهرت لأول مرة في انتخابات عام ١٩٨٤ كحزب يمثل اليهود الشرقيين في الأحزاب الدينية، وهو حزب قريب في آرائه السياسية من آراء الليكود، ولاسيما بالنسبة لمستقبل المناطق المحتلة والقضية الفلسطينية بصورة عامة. وبطبيعة الحال، فإن حداثة نشأة هذا الحزب لا تجعل له تراثا وتجربة من التعامل مع حزب العمل. ولكن التجربة المتراكمة من موقف «مباي» ثم حزب العمل تجاه اليهود الشرقيين من ناحية، ومن قضايا الدين والدولة، من ناحية أخرى، كان لها دور كبير في بلورة موقف رافض لمساندة حزب العمل في مشاورات الائتلاف الحكومي سواء في انتخابات ١٩٨٤ أو انتخابات ١٩٨٨.

ويمكن القول إن خلاصة الموقف الذي بلوره الحاخام يتسحاق بيرتس زعيم حزب «شاس» من حزب العمل يقوم على عدم وفاء شمعون بيرس زعيم الحزب عندما كان رئيسا للوزراء بالعهود التي قطعها على نفسه تجاه القضايا الدينية التي طرحها الحاخام بيرتس على حزب العمل؛

١ - «لقد وعدوا بتقويتنا، لكي نصبح أكبر حزب ديني ونقضي على «المفدال»».

الختزير علنا في المطاعم داخل البلاد وخارجها، فإنهم يفضلون في النهاية السير مع «الليكود».

«بشكل عام، يوجد في «الليكود» معادون للدين أكثر مما في «المعراخ». إن إياهو بن اليسار، وهو كاهن، تزوج من مطلقة. فهل هناك حزب ديني حقيقي يمكنه الجلوس في ائتلاف مع حزب كهذا؟ وأمنون ليفي من صحيفة «حداشوت» كتب منذ شهر كيف أنه وإيهود أولمارت أكلوا في مطعم صيني ذبيحة ليست مذبوحة وفقا للشريعة. ولكن القضية هي أنهم في «الليكود» يلعبون اللعبة بصورة صحيحة أكثر»^(١٤٢).

وقد لعبت هذه الأحزاب الدينية على امتداد الفترة من نهاية انتخابات الكنيست الثاني عشر في عام ١٩٨٨، وحتى يونيو ١٩٩٠، دورا ابتزازيا مكشوبا في لعبة الحكم في إسرائيل، اعتبارا من تشكيل حكومة «الليكود» بعد الانتخابات، ومرورا بالأزمة السياسية التي نشبت في فبراير ١٩٩٠ إثر طرح الثقة في حكومة شامير وإسقاطها، وتوقع حزب العمل أن يكون بإمكانه تشكيل حكومة ائتلافية بتعاضيد من الأحزاب الدينية التي ظلت تلعب دور «لسان الميزان» في هذه المناورات السياسية.

وقد لعب الحاخام «اليعيزر شاخ» الزعيم الروحي لليهود المتشددين دورا حاسما في هذه المناورات الابتزازية مستغلا المقاعد الثمانية التي كان يتحكم فيها (٦ مقاعد لحزب «شاس» ومقعدين لحزب «ديجل هتوراه»)، وشاعت في تلك الفترة اصطلاحات مثل «دولة الحاخامات» و«دولة القوى الدينية المتعصبة».

ومما يزيد الأمر إثارة فيما يتصل بالدور الابتزازي للأحزاب الدينية المتشددة في المناورات السياسية لتشكيل الحكومة الإسرائيلية في تلك الفترة، بروز دور

واستنادا لهذا الموقف فإن «الأجودات» كانت على استعداد لأن تفضل السير مع الوعود الائتلافية التي عرضها «الليكود» بدلا من السير مع «المعراخ» على الرغم من تصريحهم بأن «المعراخ» يفي بالاتفاقيات الائتلافية، بينما يمكن أن يتعرضوا لعدم تنفيذ هذه الوعود الليكودية (وهنا نلاحظ أن تصريحات زعماء «الأجودات» تفرق بين حزب «العمل الإسرائيلي» الذي يتكون من: «مباي» و«رافي» و«أحدوت هاعفودا»، وبين «المعراخ» الذي يتكون من «حزب العمل الإسرائيلي» و«المابام» المعروف بمواقفه المعادية لفرض الطابع الديني على دولة إسرائيل):

«لقد عرفنا دائما في «أجودات إسرائيل» أنه من الممكن حسم الأمور مع حزب العمل، وأنه يمكن الاعتماد عليه. أما مع «المعراخ» فمن الصعب الوصول إلى اتفاق ائتلافي، وإن كان ينفذ وعوده دائما. وعلى الرغم من هذا، فإن الأمر هو العكس مع «الليكود». لقد وقعنا معه أربع اتفاقيات ائتلافية تتضمن ١٥٠ بندا. وإذا أوفى «الليكود» بخمسة بنود من بين هذه البنود، فإنني أبالغ كثيرا لصالحها. ومن هذه الناحية، من المحتمل أنه تكتشف «الأجودات» و«شاس» يوم الامتحان عندما يأخذون بالاتفاقيات مع «الليكود» أن شيئا لم يتحقق. «عندئذ ربما نقرر أن نجرب حصانا آخر. وهذا بصراحة تهديد لليكود».

إن نعمة الابتزاز واضحة تماما في لهجة صاحب هذا التصريح من حزب «الأجودات»، حيث إنهم قرروا مساندة من يعد بالمزيد من التنازلات في موضوع الدين، ولا يتورعون عن استخدام لغة التهديد لمن تسول له نفسه التراجع عن تنفيذ وعوده.

والمثير في الأمر أكثر، أنهم على الرغم من علمهم في «الأجودات» أن زعماء كل من «المعراخ» و«الليكود» لا يحافظون على شرائع الدين، ويأكلون لحم

٦ - تقديم مشروعات قوانين للحد من تدنيس حرمة يوم السبت بعدم استخدام المواصلات العامة، ومنع نشر الصور الخليعة، وفرض قانون منع الإجهاض.

٧ - يتبادل «الليكود» و«أجودات إسرائيل» ممثلهم في اللجنة المالية ولجنة الخارجية والأمن في الكنيست.

٨ - يتعهد حزب «أجودات إسرائيل» بعدم المشاركة في الفترة الحالية في أي ائتلاف إلا تحت سيطرة «الليكود».

٩ - يتعهد «الليكود» ألا يشكل حتى نهاية فترة الكنيست الحالي ائتلافا من دون حزب «الأجودات».

١٠ - دفع منحة شهرية ٢٠٠ شقيل لطالب المدرسة الدينية، و ٢٤٠ شقيلًا للطالب المتزوج مع التعهد بزيادة هذه المخصصات تصاعديا بنسبة ٢٥٪ في ميزانية ١٩٩٢/٩١ و ٢٥٪ أخرى في ميزانية ١٩٩٣/٩٢.

١١ - لا يؤيد «الليكود» تغيير طريقة الانتخابات أو زيادة نسبة التمثيل في الكنيست إلا بموافقة «أجودات إسرائيل»، على أن يتوصل الطرفان إلى اتفاق حول موضوع نظام الحكم في دولة إسرائيل.

١٢ - يكون لحزب «أجودات» مندوب في لجنة تعيين القضاة الدينيين (١٤٣).

ولم يكن هذا بطبيعة الحال، هو الاتفاق الائتلافي الوحيد الذي وقعه «الليكود»، بل إنه وقع اتفاقيات مشابهة تضمنت تنازلات قدمها للأحزاب الدينية الأخرى: «المفدال» و«شاس» و«ديجل هتوراه»، مقابل اشتراكها معه في الائتلاف.

واضح في هذه اللعبة لنفوذ جماعة «حيد» التي ارتهن مصير الصعود للسلطة في إسرائيل بقرار من حاخامها في نيويورك .

وقد حسمت هذه المعركة السياسية، بطبيعة الحال، لصالح «الليكود»، في مقابل موافقة «الليكود» على المطالب الدينية التي طرحها حزب «أجودات إسرائيل» . وقد تم توقيع الاتفاق في مكتب شامير، ووقع نيابة عن «أجودات إسرائيل» أعضاء الكنيست ممثلو «الأجودات» : مناحم روس ، والحاخام موشيه زئيف فيلدمان ، وأفراهام فارديجر وشموئيل هلبرت .

وفيا يلي بنود الاتفاقية التي تقفنا على مدى السيطرة الدينية ، التي أطلقت عليها أحزاب المعارضة والعلمانيون في إسرائيل اصطلاح «الابتزاز الديني» ، وتتضمن :

١ - تعيين عضو الكنيست أفراهام فارديجر في منصب نائب وزير في مكتب رئيس الحكومة لشؤون القدس

٢ - تعيين الحاخام مناحم نائبا لوزير العمل بدرجة وزير مع مشاركته في جلسات الحكومة .

٣ - تعيين عضو الكنيست شموئيل هلبرت في منصب نائب وزير لشؤون الضمان الاجتماعي في مكتب رئيس الحكومة .

٤ - تعيين عضو الكنيست الحاخام موشيه زئيف فيلدمان رئيس كتلة «أجودات إسرائيل» رئيسا للجنة المالية في الكنيست بعد المصادقة على المطالب الدينية للكتلة .

٥ - انضمام «أجودات إسرائيل» للاتلاف الحكومي وتوقيعه على الهيكل الأساسي للحكومة .

مع قانون الكنيست أو أحكام المحاكم . ويقوم حزب «شاس» بدور فعال في الحكومة (بما يتعارض تعارضا تاما مع «أجودات إسرائيل»). ولكن «شاس»، حتى في هذه الظروف لا يعتبر حزبا صهيونيا متحمسا، ويؤيد بالمشاركة مع «أجودات» إعفاء شباب «الشيغا» من الخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي .

أما «المفدال»، فهو حزب صهيوني في كل شيء . فهو يؤيد المشروع الصهيوني، ويشارك اشتراكا فعالا في الائتلافات وفي الحكومة، ويرفض إعفاء الشباب المتدينين من الخدمة العسكرية . ولذلك فإن العلاقة بين «أجودات إسرائيل» و«شاس» من ناحية، و«المفدال» من ناحية أخرى ليست طيبة بالضرورة، على الرغم من المصلحة الدينية المتصلة بالحفاظ على الطابع الديني للدولة . وقد تجلّى هذا الأمر في عمليات التصويت في الكنيست، وفي الآراء المختلفة تجاه طرح قانون «من هو اليهودي؟» للتصويت، وفي اقتراحات التشريع والتعاون مع الأحزاب العلمانية، من ذلك على سبيل المثال، عملت الأحزاب الحريدية من أجل حكومة ضيقة برئاسة «المعراخ» أو «الليكوود»، على حين كان «المفدال» يسعى من أجل إقامة «حكومة وحدة وطنية» بدافع من الإحساس بالمسؤولية القومية^(١٤٤) .



ولقد حصل «المفدال» على وزارتي التعليم والأديان ، وحصل «شاس» على مناصب : وزير الداخلية (آريه درعي) ووزير الهجرة (يتسحاق بيرتس) ، ومناصب نواب الوزير في وزارات «المفدال» ، وحصل «ديجل هتوراه» على مناصب نواب الوزراء في عدد من وزارات «الليكود» ، بالإضافة إلى الاستجابة لكافة المطالب الدينية الخاصة بإضفاء الطابع الديني اليهودي على دولة إسرائيل ، والتي أشرنا إليها سابقا .

٤ - الأحزاب الحريدية في مواجهة «المفدال» :

على الرغم من أن الجمهور «الحريدي» امتنع خلال فترة الانتداب البريطاني عن الاشتراك بصورة فعالة في السياسة ، بسبب وجهات نظره المعادية للصهيونية ، فإنه اعتبارا من الخمسينيات بدأ جزء من الجمهور «الحريدي» (أجودات إسرائيل) في إبداء اهتمام بالسياسة الإسرائيلية . لقد بدأت «أجودات إسرائيل» في الاشتراك في انتخابات الكنيست ، وأسهمت كذلك في الائتلافات (وليس في الحكومة) . وكان لذلك سببان :

(١) أن «أجودات إسرائيل» خفت إلى حد كبير من موقفها اللا صهيوني تجاه دولة إسرائيل ، واعترفت كذلك بوجودها السياسي ذاته .

(٢) أن «أجودات إسرائيل» ، لم تكن لتستطيع التخلي عن الميزانيات الحيوية التي كانت تحصل عليها من الدولة لمواصلة نشاطها .

ولكن مع هذا فإن «أجودات إسرائيل» لم تتحول إلى حزب صهيوني . لقد كان المهم بالنسبة لها هو ما يحدده «مجلس كبار علماء التوراة» ، وليس قانون الكنيست ، ولا حتى أحكام «الخاصية الرئيسية» . كذلك فإن «شاس» (أجودات إسرائيل السفاردية) ، ترى أن أحكام «مجلس حكماء التوراة» السفاردي هي الأحكام النهائية بروح «الهالاخا» ، حتى ولو كان الأمر يتعارض

الباب الرابع
القوى الدينية «الحريدية» غير الحزبية
المعارضة للصهيونية
(جماعات تكفير الدولة والانعزال الجيتوي)

الدائرة الأولى : وتضم تلك الجماعات التي يصوغ الدين التقليدي بمبادئه وأوامره وقيوده حياتهم الشخصية والعامة . ويشكل هؤلاء في المجتمع الإسرائيلي وحدة قائمة بذاتها ذات طابع حياة ، ومناخ ثقافي وبناء مؤسسي خاص بها . وكل المنتمين إلى هذه الدائرة هم من اليهود المتشدددين دينيا (حريديم) ، وإن كانوا مازالوا متوزعين بين أربع جماعات ، على الأقل ، وفقا لأصولهم وخلفياتهم التاريخية :

المجموعة الأولى ، هي استمرار «اليشوف القديم» الذي كان موجودا في فلسطين قبل الهجرات الصهيونية . وكما هو معروف ، فإنه كانت قد حدثت صحوه في «اليشوف القديم» نفسه من أجل تحديث وجه «اليشوف» وبأهداف قريبة من تلك الخاصة بالصهيونية . وكان من الممكن تصور أنه مع رسوخ المشروع الصهيوني سوف يتم استيعاب «اليشوف القديم» في داخله ، وكان هناك من قام برعاية هذه الآمال وخطا خطوات عملية - وعلى الأخص بعد وعد بلفور - من أجل تحقيقها . ولكن الذي حدث بالفعل هو أن العناصر المتحازة للصهيونية أفلتت من «اليشوف القديم» واستوعبها «اليشوف الجديد» ، في حين تجمعت أجزاؤه الأخرى حول المؤسسات القديمة من خلال معارضة شديدة للمشروع الصهيوني ، الذي لم يكن في نظرهم مجرد وجهة نظر متناقضة مع ما يؤمنون به بشأن مضمون اليهودية ، بل يمثل أيضا إغراءات العالم المعاصر التي سعوا للهرب منها .

والمجموعة الثانية ، هي الطائفة الدينية المتشددة في القدس ، وهي الطائفة التي اعتادوا أن يطلقوا عليها اسم «دوائر اليشيفوت» . ويتركز هؤلاء حول المؤسسات الكبرى لدراسة التوراة ، والتي يرجع أصل معظمها إلى لتوانيا ، وعدد قليل منها إلى هنغاريا .

وقد نقل هؤلاء مقر إقامتهم إلى فلسطين في الفترة ما بين الحربين العالميتين ، أي خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين . وقد اجتاز هذه «اليشيفوت»

مقدمة

أشرنا من قبل إلى أن ثمار الحركة الصهيونية السياسية العلمانية في كل من المجال السياسي، والعسكري، والاقتصادي، والعلمي، والثقافي، كانت متوائمة مع ضرورات المجتمع المعاصر الذي سعت الصهيونية السياسية العلمانية إلى تحقيقه، سعياً نحو تحقيق نبوءتها «لنكن شعباً كسائر الشعوب». ولكن معاصرة المجتمع، لم يكن معناها التخلي عن الرموز أو الخدمات الدينية، وإن كانت توجهات المجتمع وعدم مبالاة العلمانيين بالأمور ذات التوجه الديني، قد أدت إلى ظاهرة مثيرة للغاية في الواقع الإسرائيلي، وهي أن الوجود الديني اليهودي في «اليشوف» لم يجد وسيلة للتعبير عن نفسه إلا بالصورة التقليدية، كان النموذج الأمثل لها، وجود تلك الجماعات التقليدية للطوائف اليهودية المختلفة من فترة ما قبل الصهيونية. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الفترة الخصبة للصهيونية، وعلى الأخص فترة المهجرتين الثانية والثالثة، استثمرت قواها في مجالات الإنتاج والبناء، ولم يكن لديها لا الاهتمام ولا الوقت لكي تعطي الفترات التالية لها، مع نهاية هذه المرحلة، نموذجاً دينياً خاصاً بها.

ومع افتقاد الصهيونية للنموذج الديني في المجتمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، لم يكن هناك مجال إلا لذلك النموذج القائم الذي جاء مع يهود شرق أوروبا إلى فلسطين ثم استقر في إسرائيل، وهو نموذج المجتمع اليهودي التقليدي الذي استطاع أن يشق طريقه إلى داخل المجتمع الإسرائيلي المعاصر، ليصبح هو الواجهة الدينية لهذا المجتمع. وقد تركز هذا النموذج حول دائرتين:

توجيههم من مركز عالمي واحد، ويخضعون للأوامر والانضباط ويشكلون شخصيتهم الذاتية في إطار نمطي لا يمكن الخطأ في تمييزه، وربما كانت هذه الجماعة أكثر الظواهر الاجتماعية إثارة للدهشة في العالم اليهودي المعاصر. (راجع الجزء الخاص بجماعة «حبد» في هذا البحث).

وهذه الطوائف تختلف في موقفها من دولة إسرائيل ومؤسساتها، وتقف موقفا متحفظا تجاه أنماط الحياة في المجتمع الإسرائيلي، لدرجة أنه يمكن اعتبارها غارقة في واقع ثقافي خاص بها. وما يميز المنتمين إلى هذه الجماعات ليس هو الحرص على إقامة الشرائع الدينية، لأن هناك من يحرص على الشرائع من بين المنتمين للدائرة الثانية في المجتمع الإسرائيلي، وعلى الرغم من ذلك فهم مندمجون في المجتمع الإسرائيلي وفي حياته الثقافية.

الدائرة الثانية: وتضم أولئك الذين يقبلون طوعية بعض عادات الدين اليهودي بنسب متفاوتة، وتتمسك نسبة معينة منهم بالعادات اليهودية بإصرار كبير. ومن هذه الدائرة، وحتى القطب المعاكس الذي يضم الذين يحاربون تأثير الدين، بأي صورة كانت، توجد كل درجات التمسك الجزئية، والتساهلات في مسائل التحريم والحلال، والاحتفال بالأعياد الدينية وقت الحاجة، وزيارة المعابد في الأعياد وما شابهها^(١).

وسوف نتناول في هذا الباب تلك المجموعات الأربع التي تنتمي إلى الدائرة الأولى، وهي في مجملها جماعات تعادي الصهيونية، وتكفر دولة إسرائيل، وتعيش في عزلة «جيتوية» داخل المجتمع الإسرائيلي، وتضم:

١ - الطائفة الحسيدية.

٢ - الطائفة الحريدية.

٣ - طائفة «ساتمر» الحسيدية.

٤ - جماعة «نطوري كرتا».

عبر فترة من الزمن آلاف من الطلاب، تشتت جزء منهم في كل اتجاه بطبيعة الحال . ولكن نسبة غير ضئيلة من هؤلاء ظلوا يحافظون على علاقتهم «بالشيفوت» حتى بعد دخولهم إلى الحياة العملية، وشكلوا ما هو بمثابة مناخ اجتماعي تميز بالتأثير المتبادل بينه وبين «الشيفوت» ورؤسائها، ولم ينزعزوا عن حياة «الشيفوت» . وقد ظل طابع حياتهم، وأسلوب تفكيرهم، وبالإضافة إلى ذلك، موقفهم من قضايا الساعة، متأثرا بمصادر رضاعهم الروحي .

والمجموعة الثالثة، هي طوائف «الحسيديم» المجتمع حول «الأدمورائيم» (الزعماء الدينيين للحسيديّة) المختلفين . وقد وصلوا هم الآخرون إلى فلسطين في فترة الانتداب البريطاني، أو بعد تأسيس الدولة . و«للأدمورائيم»، كما أيضا «لليشيفوت»، أتباع، ولكن علاقتهم بهم واهنة، وتسم دوافعهم بالعاطفية والاتصال بهم ليس متواصلًا . وإلى جانب هؤلاء توجد نواة متبلورة من المتعلقين بالحاخام، وهو التعلق الذي يرتبط أحيانا بالتقاليد الأسرية على امتداد الأجيال . وبطبيعة الحال، فإن سمات كثيرة من تلك التي كانت مميزة لطوائف «الحسيديم» في بولندا أو في هنغاريا، لم تعد موجودة في ظروف الحياة في إسرائيل، ولكن مابقي من هذه السمات، على أية حال، فيه ما يكفي لتمييز «الحسيدي» وربطه بمعلمه وبطائفته .

والمجموعة الرابعة، وتضم «الحريديم» من جماعة «حيد» (الحكمة والفهم والمعرفة)، وهي في حقيقة الأمر، ليست إلا مجموعة من «الحسيديم»، ولكنها بسبب أنماط نشاطها وتنظيمها وانتشارها تشكل وحدة قائمة بذاتها . ويبدو أن اصطلاح «ميسدر» (أتباع الطريقة) يناسبها أكثر من الاسم «طائفة» . وسواء كان رجال «حيد» حاليًا هم استمرارا لأسلوب «شيوخ الطريقة» أم أنهم يشكلون تناسخا جديدا، فإن هذه مسألة تاريخية في حاجة إلى بحث . ووفقا للشكل الذي يظهرون به، يمكن القول إنهم يتميزون بالسمات الواضحة «لأتباع الطريقة» . فهم يعترفون بالصلاحيّة المطلقة لمن يرأسهم، ويتم

والعبادة الشخصية ، واحتقاره لمجرد دراسة التلمود والاطلاع عليه ، واتفق أتباعه ، على أنه في عالم الروح وحده ، يمكن للإنسان أن يجد مراده ، لأن هناك مساواة بين كل الأشخاص ، الغني منهم والفقير ، المتعلم منهم والجاهل . وإذا كانت الحسידية مقتنعة اقتناعا لا يتبدل بأن كل عمل من أعمال الحياة الإنسانية سواء كان عاديا أو دنيويا ، يمكن اعتباره مقدسا ، لو أمكن أدائه في مرح ونشوة . وقد شجع «بعل شيم طوف» أتباعه على ألا يثوروا ضد رغباتهم ، ولكنهم حثهم على السيطرة عليها وتوجيهها إلى الرب .

وتحوي الحسידية قدرا كبيرا من الخرافات منها : إصرارها على أن القوة المقدسة كامنة في حروف اسم الرب «يهوه» ، وإيمانها بظهور المسيح ، وتأكيدها الخاص بوجود الملائكة وعبادتها . وبالإضافة إلى ذلك فإنها تحوي الكثير مما يتسم بالبدائية والسخف مثل : اجتماعات الصلاة المرحية بصورة مخيفة ، والصخب والرقص العنيف ، الانتشائي ، والتماذي في الشراب . ومازال هؤلاء الأشخاص يشاهدون حتى اليوم ، ليس فقط في قاعات الصلاة الحسيدية في حي بروكلين بنيويورك ، فحسب ، بل أيضا في الجمعيات الأمريكية لأنصار التوراة .

ولكن إذا كانت بعض عناصر الحسيدية تتسم بالخرافية والبدائية ، فإنها تحوي بعض العناصر الجميلة ، ذات المغزى . فعلى سبيل المثال ، توجد بين الحسידيم الأخوة الحارة التي لا تقتصر فقط على الساعات المرحية السارة التي يقضونها في الصلاة المشتركة ، وأثناء المشاركة في تناول الطعام ، وهو ما يتضح طوال ساعات اليوم^(٧) .

ولم تكن هذه الطقوس على علاقة بطقوس «الأشكنازيم» أو «السفارديم» ، إنما أخذت من كل منها ، فبدت مرقعة ذات مصادر مشوشة . والملاحظ اليوم ليس اختلاف طقوس الصلاة والإنشاد بين الحسيدية و«اليهودية التلمودية»

الفصل الأول

الطائفة الحسيدية

المبحث الأول : نشأتها - اتجاهاتها :

كان من الظواهر التي ميزت تاريخ اليهود في شرق أوروبا خلال القرن الثامن عشر ظهور حركة دينية جديدة عرفت باسم «حسيدوت» (الحسيدية) انتشرت في بدايتها في منطقة جبال كاربتيان على حدود بولندا . ومن العوامل التي أدت إلى ظهور الحسيدية في نهاية القرن الثامن عشر:

انحلال الطائفة اليهودية في بولندا ، وجفاف النظام التعليمي التلمودي ، ونمو الشقاق بين المتعلمين وغير المتعلمين ، والمسيحانية الزائفة^(٢) التي ظهرت خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، والحركة الصوفية شبه المحترفة «القبّلاه»^(٣) العملية^(٤).

ومؤسس هذه الحركة هو إسرائيل اليعيزر^(٥)، الذي عرف باسم «إسرائيل بعل شيم طوف» أو اختصارا «بَعْشَط» (إسرائيل ذو السمعة الطيبة)^(٦)، الذي أصبح الشخصية الرئيسية للعديد من الأساطير التي حيكت حول حياته وأعماله ومعجزاته وكراماته .

ومن الأشياء التي لا جدوى منها محاولة تحليل النظرية اللاهوتية الحسيدية ، لأنها لم تكن لاهوتا بقدر ما كانت دعوة شاذة لأسلوب في الحياة . وقد أبقت الحسيدية على ما أكده «بعل شيم طوف» بالنسبة لقيمة الصلاة

إمكاناته، أي الطريقة التي تتلاءم مع قدراته الروحانية، ومستواه العقلي، وهو ما يشكل عندئذ الصدام الشخصي للحسيدي مع الرب.

(٢) **عنصر البهجة**: لقد أدخلت الحسيدية عنصر البهجة إلى قلوب معتنقيها في شرق أوروبا، وبذلك أتاحت لهم القدرة على مواجهة التحديات والمشاكل. وقد نبعت البهجة والتفاؤل من عدة مصادر:

أولاً: أن كل من هو ليس متفقهها يستطيع أن يشترك في الكيان الوجودي «لشعب إسرائيل»، أي يفعل بصنع الخالق ويشعر بالاقتراب منه أكثر مما كان عليه الأمر فيما سبق،

ثانياً: أن الاقتران بالصدق يملأ النفس بهجة وسرورا لأن هذه اللحظة هي لحظة السمو النفسي، والصدق هو الذي يعطي الحياة طعما ومعنى.

ثالثاً: أن الحسيدي يتهج لأنه يؤمن بصلاته التي تقرب الخلاص، وعصر المسيح.

رابعا: أنه يتهج لأنه يوجد في الصحبة الحسيدية وفق روح المساواة.

(٣) **الديمقراطية الحسيدية**: إن الحسيدية لم تبلور مجتمعا يهوديا جديدا، ولم تخلق زعامة روحانية اجتماعية تختلف عن الزعامة السابقة، بل إنها خلقت «نواة» اجتماعية فريدة في نوعها وهي «الصحبة» الحسيدية المتساوية. ولم تكن هذه الصحبة «كبيوتسا» توجد فيه مساواة اقتصادية، بل كانت عبارة عن إطار هرمي روحاني، الفيصل فيه هو «الصدق» وليس «الراف» (الحاخام). وفي هذه الصحبة لا توجد محاولة لتقليل الفوارق الاقتصادية (على غرار ما هو قائم في المجتمعات الاشتراكية)، ولكن توجد فيها مساواة فريدة في نوعها. إن الغني والفقير يتساويان بكونهما مرتبطين «بالصدق»، ولا يتعالى كل منهما على الآخر، وليس هناك من هو «منحط» ومن هو

فقط ، بل إن هذه الطقوس تختلف بين الجماعات الحسيدية نفسها ، وقد عدل الحسيديم كذلك طريقة «الذبح الشرعي» وأصروا على طريقة خاصة بهم^(٨) .

ومع أن الحسيدية تميز في الأصل الصلاة في أي مكان ، إلا أنها مع مرور الزمن طورت لنفسها أماكن عبادة خاصة بها تسمى «شتبليخ» (Shetblikh) . وعلى الرغم من أن الحسيديم هم في الأصل من «الأشكنازيم» ، فإنهم لجأوا إلى تغيير الصلوات واقتباس بعض العادات السفاردية . وقد ظهر أول كتاب صلاة وفق الطريقة الحسيدية عام ١٨٠٣ على يد شنيور زلمان^(٩) .

ويمكن القول إن الإسهام الكبير للحسيدية قد تجلّى في عدة اتجاهات :

(١) المجال الشخصي : لقد أبرزت الحسيدية الأساس الفردي الذي في اليهودية ، وهو الأساس الذي كان قد كبح لأجيال طويلة . وقد أكدت الحسيدية في هذا المجال أن الأهمية لا تكمن في إقامة «الشرائع» بل في الصحة الداخلية التي تسعى إلى البحث عن الذاتية . ويحكى أن أحد التلاميذ قد جاء إلى مدينة فشيحسا ، وتوجه إلى «بيت مدراش» (مدراس) ربي بونيم ، وسأله الصديق : «ما الذي تبحث عنه هنا؟» ، وأجابه الحسيدي : إنه يبحث عن الله تبارك وتعالى ، فصرخ فيه الرب قائلا : «إن الله موجود في كل مكان ، وإن من يأتي إلى «بيت همدراش» إنما يأتي ليعثر على نفسه» . وقد كان الارتباط بالصديق هو بمثابة تعبير عن الطابع الفردي لأن الاختيار هو اختيار إرادي ، حيث إن الحسيدي لا يختار الصديق بسبب تبحره في العلم ، بل لأنه يعثر فيه على جذور روحه ، وعلى دخيلة نفسه ، ولذلك تنشأ علاقة نفسية عميقة بين الحسيدي والصديق . ويكمن طابع الفردية كذلك في اختيار الطريقة التي يعبد بها الحسيدي الخالق ، حيث يختار الحسيدي هذه الطريقة كل حسب

الهجرة إلى فلسطين تجسد العلاقة بين خلاص الفرد وخلاص الشعب^(١٠). وترى الشريعة الحسيدية أن انتشار الحسيدية هو الذي سيعجل بمجيء المسيح، وآمن كبار «الصديقيم» (زعماء الحسيديم) بأن في إمكانهم التعجيل بالخلاص، والأدب الحسيدي مليء بالكثير من التفاصيل عن موعد الخلاص ووصف الحدث ذاته، ومثل قدسية فلسطين (إيرتس إسرائيل)، حيث رأى أحد زعمائها، وهو ربي مناحم مندل من فيتسك «أن فلسطين هي الروح القدس ذاتها»، وقد أدى هذا الأمر إلى هجرة الحسيديم إلى فلسطين لنشر شريعة الحسيدية، ولإقامة مركز حسيدي في فلسطين، وللرغبة في التعجيل بالخلاص عن طريق الهجرة إليها^(١١).

وهكذا فإن هذه الحركة الدينية الغيبية، أسهمت في إعداد بعض قطاعات الجاليات اليهودية في شرق أوروبا لتقبل أفكار الصهيونية، وذلك بعزلها عن الحضارات والحركات الفكرية الجديدة السائدة في مجتمعها، عن طريق إشاعة أفكار صوفية حلولية شبه وثنية، لا تتطلب إعمال العقل أو الفهم، وإنما تتطلب الاستجابة العمياء للمتشبهة. وقد صعدت هذه الحركة الدينية من حب اليهود «لأرض إسرائيل»، ومن الكره «لغير اليهود» (الأغيار)، وزادت من حدة النزعة القومية، مما جعلها أحد عوامل الفكرة القومية اليهودية في القرن التاسع عشر.

وتعتبر شخصية «الصديق» إحدى الأفكار الرئيسية في شريعة الحسيدية على المستويين الروحي والمادي على حد سواء. وتوجد للصديق رسالتان، الأولى: أن يكون زعيما روحانيا لأبناء طائفته، وهذا العمل هو من أجل الرب، والثاني: أن يكون زعيما اجتماعيا عمليا لأبناء طائفته، وهذا العمل هو عمل تنظيمي عملي. و«الصديق» هو ذلك الشخص الذي يتمتع بخصال روحانية خاصة تؤهله لأن يقوم بدور «الرسول» أو «الوسيط»، بين العوالم العليا والعوالم

«متفوق». إن كل فرد يعرف قدره ومرتبته الروحانية، حتى يتسنى له أن يتعرف على نفسه ويعيش وفقا لذلك .

(٤) التجويد الحسيدي : حيث أسهمت الحسيدية في تطور الموسيقى اليهودية . والتجويد الحسيدي يضم في ثناياه الشجن، والبهجة، والأمل، والحماس، والإيمان الفطري، وهي العناصر المهمة في شريعة الحسيدية . وفي التجويد الحسيدي ليست هناك أهمية لكلمات الأغنية على الإطلاق، بل المهم هو المقاطع المجزأة، التي ليس لمعظمها أي معنى . والحسيدي الذي يغني يكرر المقاطع عددا كبيرا من المرات، تعبيرا عن السمو الروحي أثناء الصلاة، أو أثناء الجلوس بين يدي «الري» أو أثناء ممارسته لعمله أو عندما يمارس حياته اليومية العادية . ويمكن جمال التجويد الحسيدي، في ذلك التنوع الكبير من الأحاسيس التي يعبر عنها، ويعتبر «بيت موجيتس» في بولندا من أشهر البيوت الحسيدية الموسيقية .

(٥) القصة الحسيدية: حيث كانت هناك دائما موروثات من القصص اليهودية، ولكن الحسيدية أضفت على القصة مكانة خاصة، وجعلتها «مقدسة» عندما جعلتها محل تكريم وتقدير . وقد كانت القصة حتى فترة الحسيدية مجرد «تسلية» أو «حدوتة أسطورية» غير جديرة بالجدية . وعندما شاعت قصص ربي نحمان الذي من برسلاف عن «الصدقيم»، والتي أصبحت جزءا من تراث الحسيدية، حظيت هذه القصص عن «الصدقيم» بالانتشار والذوبع الهائل وأصبحت مصدرا للمتعة الروحانية لآلاف الحسديم .

(٦) مبدأ الخلاص: حيث استطاعت الحسيدية أن تدمج ما بين المبدأ الشخصي والمبدأ القومي في مصطلح «الخلاص»، وأكدت أن الخلاص يبدأ بالسلوك اليومي للإنسان، الذي يسبق الخلاص الإعجازي، وأصبحت فكرة

بدأت تتحول حياة «الصدّيق» إلى حياة بذخ وإسراف وغرقوا في حالة من الشراء الفاحش . وقد كان عدد منهم ينتقل في مركبات فخمة مزخرفة بالنقوش الفضية والخيول المطهّمة الجميلة .

وقد كان لكل «صديق» معبد خاص به يجتمع فيه أتباعه المقربون إليه للصلاة طوال أيام الأسبوع . ولم يكن «الصدّيق» يظهر أثناء الصلاة ، حيث كان يبقى في غرفة خاصة خفية ، وكان الحسيديّ بعد الصلاة يمرون أمامه ليباركهم بعد أن يؤدي صلاته على انفراد .

وفي أيام السبت وفي المناسبات كان الحسيديّ يتدفقون إلى بيت «الصدّيق» ، ويتناولون الطعام على مائدته ويتخطفون فضلات وفتات طعامه حتى تحل عليهم البركة . وكان حماس الحسيديّ يصل إلى ذروته أثناء «الوليمة الثالثة» يوم السبت ، حيث يأكلون الأسماك ، ويجلسون في الظلام ويهللون بالأناشيد والأغاني التي ينطق بها «الربي» . ولم يكن الحسيديّ يذهبون إلى بيت «الصدّيق» من أجل الابتهاج ، والصلاة ومتابعة التأملات الصوفية «للربي» ، بل كانوا يذهبون كذلك لأسباب دنيوية ، مثل : تلقي المشورة من «الربي» في شؤون التجارة ، والاستثمارات ، والعلاج والزواج .

وقد كان «الحسيديّ» يقدمون لـ «الصدّيق» الأموال التي تسمى «الفدية» وهي الأموال التي كانت تعفي «الصدّيق» من ممارسة العمل . وكان لـ «الصدّيق» خدم «شمامسة» يسمون «جباة» (جَبَائِم) يقومون بجمع «الفدية» من الحسيديّ ، ويقومون بالوساطة بين الحسيديّ و«الربي» ، ويكتبون «الرقع» التي كان يقدمها الحسيديّ للربي طلباً للمشورة الروحانية والمادية . وكان «الصدّيق» معتادون على السفر في أرجاء الدولة ، وكان الحسيديّ يستضيفونهم ، وذلك بهدف نشر أفكار «الربي» لجذب المزيد من الأتباع إلى تياره الحسيدي . وكان الحسيديّ يكرمون «الصدّيق» حتى بعد موته ، لأنه لا

السفلى (الخالق والمخلوقات)، وتكمن قوته في إيمانه الهائل ودروشته الصوفية التي لا يعلوه فيها أحد. وقوة «الصديق» هي قوة هائلة، وإمكانه أن يؤثر على العوالم العليا بفضل صلاته ويستطيع أن يلغي الأحكام الإلهية. والخلقية كلها خلقت من أجل «الصديق»، وتحل عليه الروح القدس في «المنفى»، ومكانة «الصديقيين» تفوق مكانة الملائكة. والصديق الكبير لا يخشى من الغطرسة لأنه يستطيع أن يكون على بينة من نقائصه، ويستطيع بجهوده أن ينقذ الشعب، لأنه يشعر بألم «المنفى». و«الصديق» الذي من هذا النوع هو «أساس العالم». ولكن «الصديق الجديد»، الذي مازال في بداية طريقه، فإنه يشعر بالخطر ويهيب له أنه وصل إلى قمة الطريق، وعلى الرغم من كونه «صديقا» فإنه يعاب عليه شعوره بالخطر، وهو أكبر خطر يجابه «الصديق». و«الصديق» لا يارس تأثيره عن طريق دراسة التوراة، بل عن طريق إيمانه وتأمله الصوفي^(١٢).

ويعرف «الصديق» باسم «ربي» Rebbi تمييزا له عن «الراف» أو «الراي» Rabbi المعروف في «اليهودية التلمودية» أو الحاخام، ويطلق على «الصديق» في إسرائيل اليوم لقب «الأدمور»، وهو اختصار لثلاث كلمات عبرية هي «أدونينو، موريانو فيرابينو» أي «سيدنا، وأستاذنا ومعلمنا».

وفي الجيل الأول من نشأة الحسيدية، لم يكن «الصديق» يختار بوساطة طائفة الحسيدية، بل كانت صفاته «الكاريزمية» هي التي تجعل منه زعيما للطائفة. ولكن اعتبارا من الجيل الثاني والثالث بدأت تنشأ الأسر الحسيدية التي كانت تتنقل فيها الزعامة بالوراثة. وفي الجيلين الثاني والثالث بدأت تنشأ الأسر الحسيدية التي كانت تتنقل فيها الزعامة بالوراثة. وفي الجيل الأول من الحسيدية كان كثيرون من «الصديقيين» يعيشون حياة متواضعة تتسم بالتقشف وكانوا يخصصون معظم أموالهم لأعمال الصدقة. ولكن اعتبارا من الجيل الثاني

الأرثوذكس ، والتي شهدت بداية الصراع بين الفريقين منذ قرنين ، أو الصراع بين «المتصوفين والتشريعيين» .

وقد احتدم هذا الصراع لمدة نحو أربعين عاما (١٧٧٢ – ١٨١٥ م) بين «المتنجديم» و«الحسيديم» ، ولكن حدته خفت بالتدريج اعتبارا من بداية القرن التاسع عشر، على الرغم من أن دلائله مازالت مستمرة حتى الآن . وقد كانت أبرز الدعاوى التي هاجم «المتنجديم» بسببها «الحسيديم» مايلي :

(١) أن الحسيديم يجتمعون للصلاة فرادى (اليهودية الأرثوذكسية تستلزم لصحة الصلاة اجتماع عشرة أفراد وهو مايسمى «المنيان») ، ويستخفون بطقوس الصلاة ، (لا يهتمون بمواعيد الصلاة ، واستبدلوا بالصيغة «الاشكنازية» الشائعة الصيغة «السفاردية» ، ويصلون في صخب ، ويحركون أجسامهم . . . إلخ) .

(٢) تغيير الزي اليهودي التقليدي .

(٣) الإفراط في الشراب والصياح من أجل التخلص من الكآبة والحزن .

(٤) القيام بالذبح بسكاكين غير مسنونة جيدا .

(٥) تبديد الأموال والسعي وراء الربح غير الشرعي والعاذل .

(٦) ممارسة الطقوس «الشبتائية» (المرتبطة بشبتاي بن تسفي آخر المسحاء المخلصين الكاذبين) .

(٧) إلغاء التوراة وتحقير دارسي التلمود ، وهو أكثر العوامل إغضابا «للمتنجديم» من كل العوامل السابقة .

(٨) تهديد الحسيدية لسلم القيم اليهودية التي على رأسها قيمة دراسة التوراة ، حيث تعادل دراسة التوراة كل الشرائع بالنسبة لليهودية التقليدية^(١٥) .

يعتبر ميتا في نظرهم ، ويستمر في الوساطة بين «شعب إسرائيل» والرب ويلغي الأحكام الإلهية السيئة . وعندما يموت «الصديق» يدفن في ضريح فخم ، يتخذ أتباعه مقاما يحجون إليه وخاصة في شهر سبتمبر من كل عام وهي المعروفة في اليهودية باسم «الأيام المريعة» ، وفي ذكرى وفاته السنوية .

وبالإضافة إلى «عبادة الصديق» ، يمكن الإشارة إلى الصلاة الحسيدية التي تتم عن طريق حركات الجسد ومن خلال الانفعال المبالغ فيه . وقد تحول كذلك الغطس في «مغطس التطهر» (هَمِكْفَه) مساء السبت إلى عادة شائعة بين الحسيديم . ويمكن حتى اليوم رؤية الحسيديم وهم يجتمعون في معبد «الراي» المعروف باسم «شطيل» حيث يصلون ويقصون قصصا عن كرامات «الصديق»^(١٣) .

وهكذا ، فإن شخصية «الصديق» الجديدة هذه قد أدت إلى تغيير في قوى الزعامة اليهودية^(١٤) . وقد حلت شخصية «الصديق» عند الحسيديم محل العقيدة (التوراة) ، بل إن التوراة نفسها قد انتقلت إلى شخصية «الصديق» ، بحيث شاع بين الحسيديم قولهم «حديث الصديق توراة» . ولذلك لم يكن عبثا أن اعتبرت الحسيدية أن الإيوان «بالصديق» يعتبر أهم من معرفة التوراة .

وقد واجهت الحسيدية معارضة عنيفة من «اليهودية الأرثوذكسية التقليدية» ، وأطلق الحسيديم عليهم اسم «المتنجديم» (المعارضين) ، الذين انتظموا تحت قيادة ربي إلياهو الفيلنائي (معروف باسم «جاؤون فيلنا» ، وهو أكبر شخصية دينية يهودية في العصر الحديث ، بفضل خبرته وفهمه الفريد من نوعه للتوراة والتلمود و«الهالاخاه» والعلوم الحديثة مثل الهندسة والجبر والفلك والجغرافيا) . وقد كان يطلق على هذا الصراع أيضا اسم «الصراع الحسيدي - اللتواني» نسبة إلى لتوانيا ، التي انحدر منها معظم اليهود

الحياة اليهودية في شرق أوروبا (سيطرة الربانيم من رجال الدين الأرثوذكس)، وأشاعت روح التمرد ضد الصور المتحجرة للماضي، ودعت إلى المزيد من الحرية للفرد اليهودي، فإنها بمرور الوقت أبرمت اتفاقاً مع القوى القديمة التي حاربتها في البداية (المتنجديم)، وأصبحت حارسة متعصبة للتقاليد اليهودية، وحاربت بضراوة أي اتجاه لتجديد الحياة اليهودية. وخاصة عندما تحالفت مع اللتوانيين (أتباع الشريعة التلمودية) ضد «الهسكالاه» (حركة التنوير اليهودية)^(١٨).

وعلى الرغم من هذا التحالف الذي حدث بين «المتنجديم» و«الحسيديم» ضد «المسكيلم»، فإنه مع فشل حركة «الهسكالاه» وظهور الصهيونية على مسرح الأحداث، أطلت المعركة التي بدأت قبل قرنين من الزمان، من جديد، وما زالت محتمدة في إسرائيل حتى الآن. وتعتبر الحملة التي يقودها الحاخام شاخ الليتواني، ضد القيادات الحسيدية في إسرائيل وخارجها استمراراً لها^(١٩).

ولم تفرز الحركة الحسيدية تنظيمًا موحدًا، وشكل أتباعها تجمعات محلية متعددة كل منها يتمتع باستقلالية نسبية، ومن أشهر هذه التجمعات ثلاثة تيارات رئيسية هي:

١ - حسيدية «حَبَد»: وتوجد مبادئ شريعة «حبد» في كتاب «هَتْنِيا» (مجموعة أقوال) الذي كتبه ربي شنثور زلمان من لاي (١٧٤٥ - ١٨١٣)، وهو زعيم حسيدي روسيا البيضاء ومن كبار مفكري وزعماء الحسيدية.

وقد اجتهد شنثور زلمان في وضع فلسفة حسيدية خاصة به قائمة على عدم تجاهل دور العقل وتعاليم التوراة، كما تفعل الجماعات الحسيدية الأخرى، فجاءت لفظة «حبد» اختصاراً لكلمات ثلاث قامت عليها فلسفة شنثور وهي «حوخا . بينا . دعت» (الحكمة والفهم والمعرفة).

وبالإضافة إلى ماسبق فإنه لكي نقف على أسباب الخلاف بين معسكر «المتنجديم» ومعسكر «الحسيديم» نشير إلى أهم الفروق بين الطرفين والتي يمكن تلخيصها فيما يلي :

(١) «الصديق» عند «الحسيديم» هو وسيط بينهم وبين الرب ، ولكن الحاخام عند الأرثوذكس أو الليتوانيين هو مرشد وموجه .

(٢) الإيمان بـ «الصديق» هو إيمان دون اعتراضات أو أسئلة أو شكوك ، أما عند الليتوانيين فمن الممكن على الأقل مناقشة الحاخام وتوجيه الأسئلة إليه .

(٣) «الحسيديم» يركزون على عبادة الرب ، وإقامة الشعائر والصلوات ، أما الليتوانيون فيركزون على التعليم الديني والمدارس الدينية .

(٤) الحسيدي يعيش كل أيام حياته ضمن طائفته التي تزوده بكل احتياجاته ، حيث توجد هناك مؤسسات تعليمية وسوق تعاونية ، وتجمعات سكنية خاصة ، أما الليتواني فهو يعيش حياة فردية عادية ، ومنذ أن ينهي تعليمه الديني يفصل عمليا عن عالم مدرسته الدينية ، ويتحول إلى شخص مستقل عادي^(١٦) .

وانطلاقا من هذه الفروق رفضت «اليهودية الأرثوذكسية التقليدية» الهالة التي يضيفها «الصديق» على نفسه ، وأنكرت أن يكون وسيطا بين الرب والبشر ، كما أخذت على الحركة الحسيدية عدم اهتمامها بدراسة وتعليم التوراة ، وتركيزها على الجانب العاطفي ، واعتبرت أن وصف «الصديق» بأنه «توراة حية» من شأنه أن يؤدي إلى تصغير سلطة التوراة التقليدية والتقليل من أهميتها^(١٧) .

وإذا كانت الحسيدية في بدايتها ، بمثابة قوة متمردة ضد ما هو قائم في

وقد وصل «الحسيديم» إلى أمريكا ضمن موجات الهجرة التي خرجت من بلدان شرق أوروبا إليها اعتباراً من عام ١٨٨١ . ويقول دكتور مناحم قديم إن «ثلاثة أرباع مجموع اليهود الذين غادروا أوروبا خلال السنوات من (١٨٨١ - ١٩١٤) وصلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية . وقد وصل نحو مليوني يهودي إليها خلال هذه الفترة من روسيا ورومانيا وجاليسيا . وقد استقر نحو ٨٠٪ من المهاجرين اليهود في نيويورك ، واستقر الآخرون في المدن الكبرى الأخرى : لوس أنجلوس ، وكليفلاند ، وشيكاغو ، وبرستون وغيرها (٢٣) .

وبطبيعة الحال فإن طائفة الحسيديم كانت من بين التيارات الدينية اليهودية التي هاجرت من بلدان شرق أوروبا إلى أمريكا (١٨٨٠ - ١٩٢٥) وبعد الحرب العالمية الثانية ، واستقر غالبية أعضائها في حي بروكلين بنيويورك ، حيث يوجد المقر الرسمي للرئاسة الدينية لطائفة الحسيديم .

أما بالنسبة لفلسطين ، فإنه يمكن القول ، إنه كان للحسيديم فيها على الدوام وجود مستمر ، ولكنه لا يقارن بطبيعة الحال بحجم وجودهم ، وقوة نفوذهم وتأثيرهم الموجودة في أمريكا .

المبحث الثاني : حركة «حبد» :

عدّد يعقوب كتس ، كما ذكرنا من قبل أربع جماعات دينية يهودية رئيسية في فلسطين منذ فترة «اليشوف» (الاستيطان اليهودي القديم) كان من بينها حركة «حبد» .

وتقول مصادر الحركة نفسها ، إن مؤيديها في العالم يقدرون بمليون يهودي ، أما أتباعها الملتزمون فيقدر عددهم بنحو مائة وخمسين ألف شخص (٢٤) .

وهناك تقدير آخر يرى أن «لحبد» ٥ , ٢ مليون من الأتباع ، يوجد من بينهم أكثر من عشرة آلاف في إسرائيل ، ويخصص كل واحد منهم ما يزيد على مرتبه

ومع مرور الوقت أصبحت «حيد» تيارا مستقلا في الحسيدية ، أقل عاطفة وأكثر عقلانية ، وأصبح لهذا التيار رموزه وقادته ، ومفاهيمه وأنظمتها ومنظّماته . وكان أول مركز لهذه الحركة في بيلوروسيا ، ثم انتقل بين الحرين العالميتين إلى لتفيا ، ثم إلى بولندا ، وأخيرا إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠ (٢٠) .

٢ - حسيدية برسلاف : وهو التيار الحسيدي الذي أسسه ربي نحان من برسلاف الذي ارتقى بمكانة «الصيديق» الأعلى مرتبة روحانية ، وكان يخشى من العلوم الدنيوية التي رأى أنها تمثل خطرا على الدين ، لدرجة أنه رفض كتاب «دليل الحائرين» لربي موشيه بن ميمون لأنه يعتمد على الفلسفة العقلانية ، واعتبر أن السرور والطرب والرقص تشكل جزءا رئيسيا من عبادة الرب ، كما أنها تربط الإنسان بالرب .

٣ - حسيدية فشيحسا : وهي حركة حسيدية شكلت مايسمى بالتيار الثوري ، وقد أسسها الربيع يعقوب يتسحاق الذي عرف بلقب «اليهودي المقدس» ، وكانت بمثابة المعارضة بالنسبة للحسيدية القديمة (٢١) .

ويمكن القول إن التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي أصابت أوروبا عامة والتجمعات اليهودية خاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، قد أدت إلى تعثر مسيرة الحركة الحسيدية ، وقد توقف امتدادها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وانغلقت على نفسها أمام زحف حركة «المسكالا» . أما في القرن العشرين ، فإن صعود النازية الذي أصاب المعازل الحسيدية في أوروبا بالدمار ، وقيام دولة إسرائيل قد أثرا أيما تأثير على الحركة الحسيدية وزادا من تقوقعها ، على الرغم من المحاولات الجبارة التي بذلها كبار المفكرين الحسيديم أمثال مارتن بوبر وهستيل وإسحاق ليف بيرتس وغيرهم ، في سبيل إنعاش الحركة الحسيدية عبر صياغة مفاهيم حسيدية معاصرة ، تسهم في تجديد شبابها الذاتي ، وفتح مصراعيها الموصدين على المجتمع (٢٢) .

عمل وإقامة «أدمور» الطائفة، وهذا البيت مؤسس على طراز حديث جدا، ومزود بتكنولوجيات متقدمة في مجال الاتصالات، ومئات الخطوط الهاتفية، وهو يضم محطة بث إذاعية، ومعبدين أحدهما كبير للصلاة، والآخر صغير للاجتماعات، كما يحتوي على مراكز تحرير ونشر، وصحف وأبحاث خاصة بالحركة.

وتمتلك حركة «حبد» في الولايات المتحدة، بنية تحتية قوية وإمكانات مادية واسعة جدا، وهي معروفة هناك على المستويين الشعبي والرسمي. وعلى سبيل المثال يتبع هذه الحركة نحو ثلاثمائة فرع ومركز، تنتشر في نحو مائة وعشر مدن أمريكية، وتدير دارا للطباعة والنشر، تسمى «دار كيحوت للمنشورات» (Kehot publication Society)، وهي أكبر دار نشر يهودية في العالم كله. وقد قامت هذه الدار بطباعة وتوزيع ملايين الكتب والمنشورات والأشرطة، والمواد التعليمية بأربع عشرة لغة أجنبية، منها العبرية والبيديشية والعربية والفارسية، كما تمتلك الحركة مكتبة وأرشيفا مركزيين يضمان مجموعات فريدة من الكتب والمنشورات والوثائق اليهودية^(٢٧).

كذلك تمتلك «حبد» صحيفة خاصة بها تسمى «ماشياح تايمز» كما تنشر هذه الحركة إعلانات دورية، في صحيفة «نيويورك تايمز» بكلفة خمسين ألف دولار أسبوعيا. وعلى الصعيد الرسمي اعتاد رؤساء الولايات المتحدة، وخاصة، رونالد ريغان، استقبال وفود عن الحركة من حين إلى آخر، وبعكس نهجها في إسرائيل، تحاول «حبد» في الولايات المتحدة، اقتحام المؤسسات السياسية المختلفة. وفي عام ١٩٨٨ انتخب «الراف» (الخاص) يوسف ليبرمان أحد أتباع الحركة، سناتورا في مجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية كونكتك^(٢٨).

أما التجمع المركزي الثاني «الحبد»، فهو في إسرائيل، حيث يتزايد أتباعها

الشهري في كل سنة لدعم الحركة مالياً، بالإضافة إلى التبرعات الهائلة التي تصل إلى الحركة من يهود «حبد» في شتى أنحاء «الشتات اليهودي»^(٢٥).

ومنذ تأسيس الحركة تعاقب على زعامتها حتى الآن سبعة من «الأدمورائيم» وهم:

١ - الحاخام شنيور زلمان من لادي (١٧٤٥ - ١٨١٣) وهو مؤسس الحركة.

٢ - الحاخام دوف بر (١٧٧٣ - ١٨٢٧) وهو ابن مؤسس الحركة، وقد أقام في مدينة لوفافيتش الروسية، ومنذ ذلك الحين أصبح اسم هذه المدينة يطلق على «الأدمورائيم».

٣ - الحاخام مناحم مندل شنيورسون (١٧٨٩ - ١٨٦٦)، وهو صهر الحاخام دوف بر وإليه ينتسب الحاخام الحالي الذي سمي باسمه أيضاً.

٤ - الحاخام شموئيل مندل (١٨٣٤ - ١٨٨٢)، وهو ابن الحاخام مندل.

٥ - الحاخام شلومو دوف بر (١٨٦٦ - ١٩٢٠).

٦ - الحاخام يوسف إسحاق (١٩٢٠ - ١٩٥٠) وهو ابن الحاخام شلومو.

٧ - الحاخام مناحم مندل شنيورسون (١٩٥٠) وهو «الأدمور» الحالي للحركة^(٢٦).

وتوجد قيادة الحركة حالياً بزعامة (الأدمور مناحيم شنيورسون ميلوفافيتش) في بروكلين بمدينة نيويورك، وعلى وجه التحديد في البيت رقم (٧٧٠) بحي (كراون هايتس) ويشار إليه اختصاراً «٧٧٠».

ويكتسب هذا البيت قداسة خاصة عند أتباع الحركة، وهم يطلقون عليه اسم (سِفِن سَفْتِي)، ويلفظون اسمه بشيء من الإجلال والتوقير، لكونه مركز

بعر شنيورسون من لافوفيتش . لقد وقف هذا الربى على رأس معارضى الصهيونية التي رأى أنها مبادرة سلبية لاستعجال النهاية بما يتناقض مع التقاليد اليهودية المستقرة . وهكذا فإن أخذ الصهيونية لزام المبادرة ورفض الانتظار الهادىء قد اعتبر أنها يضران بنبوءة الخلاص ، التي ينبغي أن تتحقق بصورة مطلقة ويوتوية ، بما يتعارض مع وجهة النظر التدريجية الخاصة بالصهيونية العملية^(٣٤) .

ولكن ، في الوقت الذي تزعم فيه «حبد» بداية القرن العشرين أن الصهيونية ليست هي الوليد الذي تنتظره اليهودية بسبب أخذ الصهيونية بنظرية المراحل ، فإن «حبد» نهاية القرن العشرين طرحت نفسها باعتبارها بديلا مسيحانيا مرحليا بشكل واضح . وهكذا فإن «حبد» اتجهت فجأة إلى الأخذ بنظرية المراحل التي تؤدي إلى الخلاص ، واستخدمت النقد الذي وجهته للصهيونية بطريقة مقلوبة من أجل دعم توجهها المسيحاني الحالي وتسويقه للجماهير المتدينة الحسيدية المتعطشة للخلاص ولظهور المسيح (وهو ما ستناوله بالتفصيل فيما بعد) .

ويمكن القول ، إن هذه الحركة - كغيرها من الحركات الحسيدية - لم تأت بجديد في اليهودية^(٣٥) . فقد أكدت على بعض المفاهيم المستوحاة من كتب «القبالة» ، وخاصة «الزohار» (الضياء) ، وهي ترى أن جوهر رسالتها اليوم يكمن في الحفاظ على الوجود اليهودي من جانب ، وإعداد العالم لقDOM المسيح المخلص» ، من جانب آخر^(٣٦) . وأتباعها ينشطون بين الطلبة ، وفي الأسواق ، والجامعات . كما يسمح لأتباعها في إسرائيل بدخول السجون لوعظ المسجونين ، وكان يسمح لهم أيضا وحتى عام ١٩٨٨ ، بالتجوال بين وحدات الجيش . وبسبب مشاركة «حبد» في المعركة الانتخابية ، وتأبيدها الواضح لحركة «أجودات إسرائيل» تم وضع قيود على دخول أتباعها إلى الوحدات العسكرية^(٣٧) .

باستمرار. وهناك نحو مائة وأربعة وأربعين مركزا لهذه الحركة في إسرائيل^(٢٩)، خصوصا في «كفار حبد» التي تقع بين القدس وتل أبيب، وتعتبر المركز الرئيسي للحركة، وفي القدس وحولون واللد، وكريات ملاخي وصفد، كما تدير مئات الصفوف لتعليم الأطفال، إضافة إلى عشرات المؤسسات النسائية، والمكتبات، ونحو عشرين مدرسة دينية (يشيفوت)^(٣٠).

وإضافة إلى هذا، هناك آلاف الدعاة «الحبديين» الذين يعملون في أكثر من ثلاثين دولة، مثل أمريكا الجنوبية، وأغلب الدول الأوروبية، وهونج كونج وجنوب أفريقيا وأستراليا والمغرب وتونس وسوريا. وبصفة عامة يقدر عدد مراكز حركة «حبد» في العالم بنحو ألف وخمسمائة مركز^(٣١)، تتوزع على قارات العالم الست. كما تمتلك الحركة منظمات نسائية، ومنظمات لتربية وتعليم الأطفال تسمى «جيوش الله» تضم مئات المدارس الدينية، وعشرات الآلاف من الصفوف التعليمية المنتشرة في العديد من الدول، مثل المغرب وسوريا والاتحاد السوفيتي وجنوب أفريقيا وأغلب دول أوروبا^(٣٢). كما تمتلك الحركة محطة راديو خاصة في فرنسا تبث يوميا برامج دينية متنوعة، ودروسا في تعليم التوراة، تصل إلى نحو ثلاثمائة ألف مستمع.

وقد كانت نشاطات هذه الحركة، إلى عهد قريب شبه سرية في الاتحاد السوفيتي. وبعد إطلاق سياسة «البروسترويك» في عهد جورباتشوف أصبحت هذه النشاطات علنية، وتمتلك الحركة في الوقت الحاضر هناك نحو عشرين مركزا. ومن جانب آخر يلاحظ أن الدول التي لا يوجد بها مراكز لهذه الحركة، يتم تنظيم نشاطات «حبد» فيها، عن طريق مراكز الحركة في الدول المجاورة^(٣٣).

وتجدر الإشارة إلى أن رد الفعل الحسيدي الأول على ظهور الصهيونية قد تبلور في موقف نقدي حاد صاغه في بداية القرن العشرين الربى شالوم دوف

أما على الصعيد السياسي ، فقد اعتبرت الحركة نفسها حركة يهودية غير حزبية . ومنذ قيام إسرائيل لم تشترك في أية انتخابات قطرية أو محلية ، ولم تؤيد أية قائمة انتخابية ، وكان أتباع هذه الحركة أحرارا في التصويت لمن يشاؤون باستثناء عام ١٩٦٥ حين أمرهم زعيمهم شنيورسون بالتصويت لصالح «المفدال» ، وكان أتباع هذه الحركة يصوتون عادة للحزب «عمال أجودات إسرائيل»^(٤٣) . وقد استمر الأمر على هذا النحو إلى عام ١٩٨٨ حين أعلن الحاخام شنيورسون دعمه لحزب «أجودات إسرائيل» بعد أن اتحد مع «عمال أجودات إسرائيل» وأمر أتباعه بالتصويت لهذا الحزب ، والعمل على مساندته في الانتخابات دون أن يكون له ممثلون فيه . وقد أدت هذه المساندة إلى حصول «أجودات إسرائيل» على ثلاثة مقاعد إضافية في الكنيست مقارنة بعام ١٩٨٤ ، بيد أن الحركة أبدت أسفها بعد ذلك بعد أن خابت آمالها من سياسات «أجودات إسرائيل» .

ولحركة «حبد» علاقات لا بأس بها بالصحافة العبرية ، سواء عن طريق الصحفيين الملتزمين للحسيديّة أصلا ، أو بفضل الصحفيين المتعاطفين معها . والحركة نشطة في هذا المجال بطبيعتها ، وتسعى لتوصيل كلمتها إلى أكبر عدد ممكن من اليهود في كل مكان . والمقالات عن «حبد» في الصحافة العبرية كثيرة جدا ، وتشمل عرضا للواقع ، ومقتطفات من أقوال الحاخام ، ونشاط الحركة المتنوع الذي يتضمن إرسال وفود صغيرة من الحاضرين إلى «الكيبوتسات» و«المستوطنات» والمدارس والمؤسسات العامة^(٤٤) .

وتدعو «حبد» إلى سياسة حازمة تجاه العرب ، وهي تؤيد فكرة «أرض إسرائيل الكاملة» ، على الرغم من عدم وجود دليل قاطع على أن هذه الحركة تعترف بدولة إسرائيل حقيقة ، حيث يعتقد كثير من المحللين أن هذه الحركة ورغم تعاونها مع حكومة إسرائيل ، ونشاطاتها الواسعة داخل إسرائيل ، لا

وتتمحور نشاطات «حبد» حول تقديم خدمات دينية للجمهور مثل تشجيع طقس «التيفلين» (أحد طقوس العبادة المفروضة على الرجال) وتشجيع الصدقات عبر نشر مئات من صناديق الصدقات في الأماكن العامة، ووضع «المزوزوت» (علبة صغيرة تحتوي على الوصايا العشر) على الأبواب حتى يلمسها كل داخل وخارج من البيت، كما يقوم أتباع الحركة بتوزيع شموع السبت على مرضى المستشفيات والإسهام في بناء المدارس الدينية ومشاريع الإسكان، وتقديم كثير من الخدمات الاجتماعية والثقافية مثل المحاضرات المسائية وغيرها^(٣٨).

ويتمتع نشاط حركة «حبد» في إسرائيل بخصوصية بسبب ممارسته في وسط يهودي، وتحت سلطة يهودية، وعلى الرغم من كونها حركة «حريدية» فإنها بعكس «الحريديم» لم تقاطع دولة إسرائيل، واعتبرت لذلك النقيض الوطني لحركة «نطوري كارتا» والمجموعات الحريدية الأخرى التي تقاطع دولة إسرائيل، وهي تحاول دائما التقرب من العلمانيين، والعمل بينهم، طمعا في توبتهم، التي تعتبر في نظر الحركة شرطا لقدم المسيح المنتظر. وبالعكس أغلب طلبة المدارس الدينية يؤدي أتباع «حبد» الخدمة العسكرية^(٣٩)، إلا أنهم يخدمون ضمن الفئة (ب)، وذلك لأنهم لا يجندون في سن الثامنة عشرة، وإنما بعد انتهائهم من دراساتهم الدينية، لذا لا يخدم أغلبهم أكثر من أربعة أشهر^(٤٠).

وترفع «حبد» شعارات وحدة إسرائيل، وضرورة تقريب القلوب بين اليهود، ووحدة اسم التوراة، وتقوية التراث اليهودي من أجل وحدة الشعب اليهودي^(٤١). وهي تقف على رأس القوى التي تدعو إلى تعديل قانون «من هو اليهودي؟» لاعتقادها أن ذلك سيحافظ على نقاء الشعب اليهودي، مما يمهد الطريق لقدم المسيح^(٤٢).

مايشكل خطرا على الدين اليهودي ، وتتمحور نشاطاتها عمليا حول ثلاث قضايا هي : محاربة الطوائف اليهودية الغارقة في التصوف والتطرف مثل «آنده مارجه» و«هازي كريشنه» و«ساينتولوجن» وغيرها ، ومحاربة ظاهرة تسرب العناصر «الحريدية» إلى المجتمع العلمي ، حيث يقوم أتباع هذه الحركة بتعقب آثار الشباب «الحريديم» الهاريين من المجتمع «الحريدي» إلى المجتمع العلمي ، واسترجاعهم بأساليب مختلفة تصل إلى حد الاختطاف كما حدث أكثر من مرة ، ومحاربة التبشير المسيحي ، وهو الهدف الذي يستحوذ على الجزء الأكبر من نشاط هذه المنظمة . ويلف نشاطها في هذا المضمار الغموض والسرية ، حيث يتعقب أعضاؤها المبشرين ويتنكرون كعلمانيين ، ويتسللون للأديرة ، ويقتحمون بيوت المشترين . وقد حاول هؤلاء عرقلة بناء «الجامعة المرمونية التبشيرية» في القدس ، ولقوا تأييدا كبيرا من الشارع الديني بأكمله . ومن الجدير بالذكر أن هذه المنظمة تعمل على مستوى قطري ، وتمتلك اثني عشر فرعا في إسرائيل والعالم ، أما الشباب الحريدي فينتسب إليها تطوعا ، مقابل وعود من قادة هذه المنظمة بدخول الجنة ، مع أن هؤلاء القادة يعترفون بأن : «الأمكنة المئة والأربعة والأربعين ألفا الأفضل في الجنة ، قد تم حجزها» ، وأغلب أعضائها من اللتوانيين مع قليل من «الحسيديم» . وذلك لأن الآخرين يعترضون على وجود قسم للنساء بالمنظمة ، هذا فضلا عن انشغالهم بخدمة «الأدمور» عادة . كذلك عرف عن أغلب أعضاء هذه المنظمة أنهم من مشاغبي المدارس الدينية ، الذين لا يبدون حماسا لمواصلة الدراسة الدينية ، أو نبوغا في التحصيل حيث يتم تشجيعهم على الالتحاق بالمنظمة المذكورة بدلا من الذهاب إلى العسكرية ، من أجل التخلص منهم أولا ، ولتقوية إيمانهم ثانيا ، على افتراض أن تحدي أصحاب الديانات الأخرى ، يخلق في المرة اعترازا بدينه ، ويدفعه إلى الاهتمام به^(٤٧) .

تعترف بدولة إسرائيل . وقد أكد الناطق بلسان حركة «حبد» في إسرائيل هذا الأمر بصورة واضحة حين علق على الضجة التي أثارت بعدما قامت «حبد» بنشر تقويم زمني تقوم باستخدامه لا يظهر يوم استقلال إسرائيل ويوم «ذكرى قتلى الجيش الإسرائيلي» قائلا: «إن «حبد» تكفي حاليا بالنضال على صيغة الدولة دون التضامن مع إقامتها»^(٤٥).

وتمارس «حبد» نفوذها في إسرائيل من خلال ثلاث شخصيات رئيسية هم: الحاخام شلومو مايدينستيك، رئيس لجنة «كفر حبد»، والذي يملك شبكة اتصالات واسعة ومتفرعة، والحاخام أفرايم وولف، وزير المالية في البلاط «الحبدي»، والحاخام شموئيل هيفر، الذي يعتبر بمثابة وزير للخارجية. وللحركة متحدث وقت الضرورة، وهو رجل تنفيذي اسمه دوف وولف (باكه) ابن الحاخام إفرايم. وهذه الشخصيات تبشر «بحبد» بين الطبقات العليا الحاكمة وتأسر قلوب أفرادها. والعلاقة الصريحة بين حركة «حبد» ورئيس الدولة في إسرائيل، هي الأخرى من المعطيات التي تسهل على زعماء الحركة اتصالاتهم بالسلطة الحاكمة في إسرائيل. ويحدث أحيانا أن يتدخل رئيس الدولة بصورة مباشرة من أجل «حبد»، مثل اهتمامه الخاص بترميم معبد «تسيمح تسيدك» في المدينة القديمة بالقدس، وضمان منازل مجاورة للمعبد لرجال «حبد»^(٤٦). وهؤلاء الحاخامات الثلاثة على اتصال دائم بالمركز العالمي للحركة في نيويورك لتلقي التعليمات حول ما يستجد من أعمال.

وإضافة إلى القيادات المذكورة، يبرز من أتباع حركة «حبد» في إسرائيل الحاخام ليفشيتس الذي ذاع صيته في الشارع «الحريدي»، بسبب قيادته لمنظمة «النشيطون يد للأخوة»، وهي منظمة «حريدية» تستحوذ على دعم الشارع «الحريدي» كله، بدأ نشاطها بعد قيام إسرائيل، وهدفها محاربة كل

التوراة»^(٥٠)، ودعا إلى الانسحاب من المناطق المحتلة . ومنذ ذلك الحين دأب شاخ على مهاجمة «حبد» وأسلوبها في الدعوة لليهودية، وعارض خروج أتباعها للشوارع، وتنظيمهم للمظاهرات، وتقديمهم للخدمات للجمهور، معتبرا أن هذه الأعمال «انحطاط بالتوراة، ونزول بها إلى الشارع»^(٥١)، وأنكر شرعية أعياد «حبد» وأبطل كثيرا من الفتاوى التي أصدرها الحاخام ميلوفافيتش^(٥٢).

وقد اعتبر المختصون بشؤون المتدينين والحريديم في المجتمع الإسرائيلي أن انسحاب الحاخام شاخ من «مجلس كبار علماء التوراة» عام ١٩٨٣، مثل نهاية الهدنة والتحالف بين «الحسيديم» و«المتجديم» في إسرائيل، والذي بدأ منذ إنشاء «أجودات إسرائيل» عام ١٩١٢. ولكن الحاخام شاخ أكد أكثر من مرة أنه لا يعمل ضد كل من «الحسيديم» والطوائف الحسيدية، وأن معارضته موجهة أساسا ضد حركة «حبد»^(٥٣).

وعلى أي حال، فإن هذه الحرب بين اللتوانيين بزعامة شاخ، وبين حركة «حبد» تعتبر من أشد الخصومات التي عرفها إسرائيل بين المتدينين، حيث يعتبر الفريقان أنهما في حالة مواجهة شاملة، ومصرية. وقد وصل العداء بينهما إلى درجة إعلان «الحرمان الديني» بينهما^(٥٤). فعلى الرغم من أن اللتوانيين يتزاجون مع الحسيديم، فإنه يحظر عليهم الزواج مع «الحبيدين» والعكس، كما أن اللتوانيين لا يشربون الخمر التي يتناولها أو يلمسها «الحبيدون»^(٥٥). ويطلق أتباع «حبد» على الحاخام شاخ ألقابا مثل: «الفوهرر» و«الصفير» و«الحسن» و«الشیطان» و«أشمداي» (ملك الجن عند اليهود)^(٥٦).

المبحث الثالث: الحاخام مناحم شنيورسون ميلوفافيتش:

هو زعيم حركة «حبد» و«الأدمور» السابع لها، وقد تجاوز تأثيره في اليهود،

من الجدير بالذكر أنه تم في مطلع عام ١٩٩٠ الكشف عن عصابة ينتمي جميع أعضائها إلى هذه الجماعة، ومهمتها شراء أو اختطاف الأطفال بالتبني، من الأسر التي قامت بتبنيهم، وتهريبهم إلى الولايات المتحدة، للعيش عند أسر يهودية هناك، أما سبب الاختطاف فيعود للشك بيهودية الأسر المتبنة، أو بسبب كون أحد الزوجين غير يهودي^(٤٨).

الصراع بين «حبد» والحاخام شاخ:

يعتبر الصراع بين «حبد» والحاخام شاخ امتدادا لذلك الخلاف التقليدي بين الحسيديم ومعارضيه من اليهود التلموديين «المتجديم»، والذي تعود جذوره إلى لتوانيا عندما ظهرت الحسيدية لأول مرة، وخاصة اعتبارا من عام ١٧٨٨ عندما تم تأسيس حركة «حبد».

وقد بدأ الحاخام شاخ حربه ضد «حبد» منذ تنصيب الحاخام شنيورسون عام ١٩٥٠ «أدمورا» للطائفة عندما قرأ «أدمور» طائفة بريسك مقالا للحاخام شنيورسون حول الرقم سبعة ودلالاته. وقد أدرك حاخام بريسك بعد التدقيق في المقال أن شنيورسون يلمح بأنه «المسيح المنتظر» فقال: «انظروا. إن هذا المجنون يظن أنه المسيح». وعندما التقى «أدمور بريسك» مع الحاخام شاخ أخبره بالأمر، وطلب منه محاربة «حبد» وزعيمها دون هوادة، وكان مما قاله: «لقد أخذت على عاتقي أن أحارب «المزاحي»، أما أنت فحارب «حبد» وسيكون عملك أكثر صعوبة، لأن قبعته أكبر وأكثر إقناعا»^(٤٩).

وفي عام ١٩٦٧ بدأت المواجهة العلنية بين الحاخامات، عندما دعا شنيورسون إسرائيل للاحتفاظ بالأراضي التي احتلتها تطبيقا لمفهوم «أرض إسرائيل الكاملة»، أما شاخ فقد أبدى رأيا مغايرا وهاجم زعيم «حبد» على تصريحاته بشدة، واصفا إياها بأنها «نازية وتعود إلى أفكار بعيدة عن روح

في ألمانيا، حيث التحق بجامعة عام ١٩٢٩، رغم معارضة «أدمور الطائفة» وقادتها لالتحاقه بجامعة علمانية، وحصل من هذه الجامعة على عدة شهادات جامعية عالية في الهندسة والفلسفة وعلم النفس. وقد عرف أثناء دراسته بصحبته للطلبة الأثرياء، وارتياحه الدائم لصالات السينما، الأمر الذي يعتبر محظورا في عالم المتدينين^(٦٢).

وفي عام ١٩٣٣ غادر برلين إلى باريس، لإكمال دراسته في مجال العلوم الطبيعية، وخاصة الفيزياء^(٦٣)، حيث التحق لهذه الغاية بجامعة السوربون، وحصل منها على شهادات الدكتوراه في الفيزياء والعلوم الطبيعية الأخرى^(٦٤). ثم التحق بأحد معاهد البوليتكنيك المتخصصة حيث تعلم الهندسة الكهربائية. وبسبب تزايد الأخطار النازية، غادر مناحم باريس العاصمة إلى الريف الفرنسي عام ١٩٤٠، وبعد فترة قصيرة غادر فرنسا نهائيا إلى الولايات المتحدة، حيث استقر في حي «كراون هايتس» اليهودي الواقع في بروكلين بمدينة نيويورك، وهو الحي الذي أصبح المعقل الأول لحركة «حيد» فيما بعد، وبدأ يعمل مهندسا للسفن هناك^(٦٥).

ومن الجدير بالذكر أن دراسة الحاخام مناحم في جامعتي برلين والسوربون العلمانيتين، مازالت تعتبر في الشارع «الحريدي» في إسرائيل والخارج وصمة عار في ماضيه، ومازال أتباعه ينجلون من نقطة الضعف هذه، ويتحاشون الإشارة المفصلة إليها في كتاباتهم ونشراتهم عنه، أما أعداؤه فيركزون عليها تركيزا شديدا وهم عادة ما يطلقون على ماضيه اسم «الماضي الجنائي»^(٦٦).

وفي منتصف الأربعينيات توفي والده، الأمر الذي اضطره إلى ترك عمله كمهندس، والتفرغ لإدارة مدرسة أبيه الدينية^(٦٧)، وفي عام ١٩٥٠ توفي «أدمور» الحركة الحاخام يوسف إسحق، وهو «الأدمور» السادس للحركة، ولم يكن له أبناء ذكور ليخلفوه في قيادة «حيد»، وحسب الأنظمة المعمول بها

مكان إقامته في بروكلين بنيويورك ، وحدود الولايات المتحدة وإسرائيل ، ليصل إلى كل المناطق التي يوجد فيها اليهود في العالم ، وهو يعتبر في الوقت الحاضر أكبر شخصية دينية يهودية خارج إسرائيل^(٥٧) . ويحج إليه الزعماء السياسيون والمفكرون اليهود من إسرائيل والعالم ، ويحظى باحترام كبير في الأوساط السياسية الأمريكية . وقد أضحت أقوال هذا الحاخام وتوجيهاته تؤثر في مجرى السياسة الداخلية في إسرائيل ، بعد تأييد «حبد» لحزب «أجودات يسرائيل» في انتخابات عام ١٩٨٨ .

ولد الراي^(٥٨) مناحم مندل شنيورسون ميلوفافتش عام ١٩٠٢ في نيكوليب في الاتحاد السوفييتي (سابقا) ، وهو الابن الأكبر لعائلة حسيدية ، وكان أبوه ليفي إسحق حاخاما^(٥٩) ، إلا أن مناحم ، وعلى غير المألوف في العائلات الحسيدية ، لم يتلق علومه في المدارس الدينية ، لأسباب غير معروفة ، وإنما تلقى علومه في مدارس عادية الأمر الذي أجبره في وقت متأخر على تلقي العلوم الدينية على أيدي حاخامات خصوصيين ، كي يستطيع القيام بالواجبات الدينية الاجتماعية المفروضة عليه^(٦٠) . وقد أظهر الحاخام في صغره ميلا ونبوغا مبكرا في العلوم الطبيعية والاجتماعية واللغات ، وعرف بحدة الذكاء ، وقوة الذاكرة ، وينقل مقربوه عنه أنه تعلم عدة لغات بنفسه ، باستخدام القواميس وكتب القواعد اللغوية ، وأنه كان يتقن اللغة الواحدة في مدة ثلاثة أسابيع^(٦١) .

في عام ١٩٢٧ ، قرر «الأدمور» السابق لحركة «حبد» يوسف إسحق ، مغادرة الاتحاد السوفييتي ، وكان مناحم من ضمن الذين قرروا الخروج معه . وفي عام ١٩٢٨ قام «الأدمور» بتزويجه من ابنته حايه موشكه (توفيت في مطلع عام ١٩٨٨) ، وأصبح يوم زواجهما ، أحد الحوادث التاريخية المهمة عند «الحبدين» ويحتفلون بذكراها سنويا . وغادر مناحم بعد زواجه إلى مدينة برلين

ويعرضون عليه طلبات الحسيديم . ويعتبر جرونار الشخصية الحيوية في بلاط الحاخام ، وهو الذي أدار منذ عام ونصف العام حملة المساعي بين «أدمورائي أجودات إسرائيل» لسحب تأييدهم لشمعون بيرس . وقد أدت هذه الحملة إلى حدوث تمزق في بلاط لوفافيتش في بروكلين وبين «مجلس كبار علماء التوراة» التابع «لأجودات إسرائيل» . وهناك من يعتقدون بأن العلاقات السيئة مع «أجودات إسرائيل» قد حدثت إلى حد كبير بسبب كرونار، الذي لا ينتقي الوسائل عندما يقتنع بأنه يلبي رغبة الحاخام ، وخاصة عندما يكون الأمر متماشيا مع ميوله السياسية . والسكرتير الرابع الذي يحرص على الظهور كل صباح في مكاتب السكرتارية ، هو السكرتير القديم للحاخام ، الحاخام حיים مردخاي حاداكوف ، البالغ من العمر ٩١ عاما . وحاداكوف من مواليد ريجا ، وصاحب ماض كزعيم جماهيري في روسيا ، وكان من المقربين إلى «الأدمور» السابق ، وهو الأمر الذي زكاه للتمتع بمكانة خاصة في البلاط ككاتب أسرار للحاخام مناحم . ويحظى حاداكوف باحترام خاص من حسيدي ليوفافيتش لا يحظى به إلا الحسيديم العجائز . وهو لا يتدخل في الأمور السياسية وتقتصر أحاديثه مع الحاخام على القضايا الروحانية» (٧٣) .

«ولا يمكن معرفة ما يدور في عقل الحاخام مناحم ، وآرائه بشأن الأحداث المستجدة ، إلا من خلال خطبه التي يلقيها أيام السبت عادة ، أو في الأعياد ، والمناسبات الخاصة «رأس السنة الحجدية» ، الذي يصادف ذكرى اليوم الذي أطلقت فيه السلطات الروسية سراح مؤسس الحركة شنيور زلمان بعد اعتقال لمدة خمسة وأربعين يوما . وعادة ماينقل خطاب الحاخام مناحم في هذه المناسبة على الهواء مباشرة بواسطة الأقمار الصناعية لمناطق مختلفة من العالم وخاصة إسرائيل وأوروبا وأستراليا والبرازيل ، وأفريقيا إضافة إلى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ، كما يقوم أتباعه بطباعة تصريحاته وخطبه ، وتوزيعها في نشرات وكتب بعد ترجمتها للغات عديدة» (٧٤) .

في هذه الحركة تنتقل «الأدمورية» في هذه الحالة إلى صهر «الأدمور» المتوفى وهكذا أصبح مناحم شنيورسون «أدمورا» لحركة «حبد»^(٦٨). ومنذ ذلك الحين تغير مجري حياته بصورة كلية ، ولم يغادر بروكلين منذ ذلك التاريخ وحتى وقتنا الحاضر، ولم يخرج في إجازة، حتى ولا ليوم واحد فقط^(٧٩)، وهو يصل الليل بالنهار من أجل متابعة أعمال ونشاطات الحركة، حيث لا تتجاوز ساعات نومه ثلاث أو أربع ساعات على أكثر تقدير^(٧٠).

وهذا الخاخام الذي يتهمة خصومه المتدينون بأنه يزعم أنه «المسيح المنتظر»^(٧١)، يدير إمبراطورية «حبد» بحزم شديد، حيث يحيط به خمسة وعشرون ألفا من أتباعه بصورة دائمة. ويفرض عليه تزعمه لهذه الحركة اتخاذ مئات القرارات المهمة أسبوعيا، والمتعلقة بتعيين المديرين وتنظيم ميزانيات المؤسسات المختلفة التابعة للحركة، والتي تقدر بمئات ملايين الدولارات، ويتلقى عشرات التقارير الأسبوعية من جميع مؤسسات «حبد» التربوية والثقافية والاجتماعية والصناعية، وقد عرف عنه تفرد في اتخاذ القرارات حيث لا يستشير أحدا قط، ويعتمد كثيرا في قراراته على ذاكرته القوية^(٧٢).

«ويعمل في رحاب الخاخام أربعة من السكرتيرين، منذ أن توقف عن مقابلة الزوار على انفراد، وهم الوحيدون الذين يدخلون عليه كل يوم ويتحدثون معه وهم: يهودا كرينسكي، المشرف على بروتوكول الخاخام، ويعتبر أكثرهم رجاحة عقل. ويهتم كرينسكي بالضيوف المهمين غير الدينين الذين يرتادون البلاط ويريدون مشورة الخاخام وبركته. ويرافق كرينسكي الخاخام في زيارته الأسبوعية لقبر صهره «الأدمور» السابق. ويقول الحسيديم إن الخاخام يقدر التقرير اليومي الذي يقدمه إليه كرينسكي. وهناك أيضا ليف جرونار وبنيامين كلاين، وهما يعملان في الغرفة المجاورة للخاخام وجاهزان لأي نداء منه. ويعمل الاثنان في متابعة البريد الذي يتلقاه الخاخام

فيما يتصل بالدخول في الائتلاف الحكومي بعد انتخابات عام ١٩٧٧ . ووزراء «الحزب الديني القومي» (المفدال) ينصتون هم الآخرون إلى كل ما يقوله حول هذا الموضوع ، ويسرعون في الرد على كل ما يقوله مدركين لنفوذه ، وإن كان موقفه يقنعهم ، بشأن الانسحاب من الائتلاف الحكومي عام ١٩٧٧ .

وللحاحام تأثير ملموس كذلك على شخصيات من الصف الأول في إسرائيل ، حيث يقيم اتصالات عن طريق المراسلات مع الوزراء وكبار الموظفين ، وبعضهم يستشيرونه في موضوعات شخصية تماما كما يستشيرونه في القضايا العامة . ولا يتركز الذين يحتاجون إلى تأييده الروحاني على المتدين للمعسكر الديني فحسب ، حيث إن شخصيات شمعون بيرس ويوسف بورج ، وميخائيل حزاني ، وزيرح فرهفتيج ، وشخصيات عسكرية مثل إريك شارون ، وأهارون ياريف ، وزعيم «الليكود» السابق مناحم بيجن ، كانوا معتادين على أن يؤموا بلاطه ويمثلون أمامه في الساعات القليلة من الليل التي يجري فيها مرتين في الأسبوع (يومي الأحد والخميس) محادثات وجها لوجه مع الذين يودون مشورته^(٧٥) .

«ويركز الحاحام مناحم في خطبه على مفاهيم عامة ، مثل مفهوم (القدرة الإلهية) التي تتحكم بكل صغيره وكبيرة في العالم ، وهو يعتقد أن التوراة قد سبقت العالم ، كما يركز على فريضة (حب أرض إسرائيل) ، ويرى أنه من دون هذا الحب لا يمكن على الإطلاق فهم وتطبيق التوراة وإقامة الفرائض»^(٧٦) .

وهناك جانب غامض في شخصية هذا الحاحام ، فهو رغم تأكيدته المتكرر على فريضة «حب أرض إسرائيل» ، فإنه لم يقم بأية زيارة إلى إسرائيل ولم تطأ قدمه أرضها ، وهو يرفض بشدة الهجرة إلى إسرائيل ، على الرغم من أن معلوماته عنها واسعة جدا حتى ليخيل للمرء أنه عاش فيها زمنا طويلا ، ويبقى سبب عدم هجرته أو حتى زيارته لها من الأسرار الخاصة التي لا يعرفها

وبالنسبة لإسرائيل فإن الحاخام يعمل بأسلوب الاتصال المباشر، وإن كان ذلك يتم من خلال بعد جغرافي. ففي المعبد القائم بجوار غرفته في بروكلين يعقد جلسات تعارف، تبدأ في منتصف الليل يحضرها مئات من الحسيديم والضيوف الذين يجتمعون في الغرفة وينصتون إلى أقوال «الأدمور» (السيد والمعلم والحاخام)، حيث تتجههم تعابير وجهه وتتغلغل نظراته لتتفحص القلوب ويسمع صوته آلاف آخرون في الغرف المجاورة، بوساطة أجهزة تكبير. وغداة هذا اليوم تصل أقواله إلى عشرات الآلاف الآخرين، سواء على صورة أفلام مصورة أو عن طريق جهاز اتصال خفي، ويكون التقرير تفصيليا إلى كل تجمعات «حبد» في كل مكان: كيف جلس الحاخام وحيدا بجوار المائدة، ومن تشرف بالوقوف في الصف خلفه، ومن كانوا ضيوف جلسة التعارف، وكيف دار التعارف... إلخ.

وفي الاجتماعات التي من هذا القبيل يبحث الحاخام موضوعات سياسية، تحتل فيها دولة إسرائيل مكانا رئيسيا. وهكذا تكون هذه الجلسات بمثابة منبر مدو للحاخام للتعبير عن رأيه في الأمور التي تهم اليهود. وما أن يستقي منها استنتاج عمل، حتى يبدأ «الحسيديم» في الغد في تنفيذه. وفي السنوات الأخيرة تدخل الحاخام في موضوعات كثيرة مثل: مصير الأراضي المحتلة، ويهود الاتحاد السوفيتي، والاستيطان اليهودي في المناطق المحتلة، ومسألة «من هو اليهودي؟»، وأيضا إبداء الرأي في تكوين الجبهات والتكتلات الدينية في انتخابات الكنيست، وإبداء الرأي في موضوع انتخابات «الحاخامية الرئيسية» وغيرها.

وللحاخام مناحم مكانة رفيعة بين الجمهور المتدين في إسرائيل، ولأقواله تأثير معروف عليهم. وقد كان لوجهة نظره في مسألة «من هو اليهودي؟» تأثير فعال أملى على حزب «عمال أجودات إسرائيل» الموقف الذي يجب أن يتخذه

ويولي الحاخام مناحم بحكم ثقافته وعلومه أهمية قصوى للتطورات العلمية والتكنولوجية وخاصة علوم الفلك والفضاء . وهو يسعى دائما إلى التوفيق بين التوراة والعلم ، ويؤكد غياب أي تناقض بينهما «لأن الله قد خلق العالم حسب التوراة» . وإن ظهر مثل هذا التناقض فهو على استعداد لتأويل النصوص كي تتوافق مع العلوم . وقد رأى أن اختراع الراديو جاء لنشر اليهودية ، وأن اكتشاف الأمواج الإلكترومغناطيسية ، إنما هو تأكيد مادي محسوس ، على قرب قدوم «المسيح المخلص» ، لأن الأرض تمتلئ باسم الله ، وقد جزم الحاخام بعدم وجود كائنات حية أو مخلوقات بشرية على سطح الكواكب الأخرى ، لأن وجود مثل هذه المخلوقات يعني وجود توراة لديهم ، وحيث إنه يستحيل ذلك لأن التوراة التي جاءت من عند الله واحدة ، وهي التي يمتلكها اليهود على الأرض ، فعليه يستحيل أيضا وجود كائنات حية على مثل هذه الكواكب .

وعلى الصعيد الاجتماعي يعارض الحاخام مناحم الإجهاض ، وتشريح جثث الموتى ، سواء في إسرائيل أو في الولايات المتحدة ، ويتردد اسمه في إسرائيل كثيرا عند إثارة قضية «من هو اليهودي؟» إذ يقف وجماعته «حبد» على رأس المطالبين بتعديل القانون ، وهو يرفض أي حلول وسط ، أو بدائل أخرى في هذا الموضوع ، ويعتبر أن تعديله ضروري لضمان نقاء الجنس اليهودي «المختار» . وهو هنا ينطلق في إصراره على تعديل القانون من نظرة عنصرية محضة عبر عنها بوضوح من خلال أقواله التي نشرت ضمن سلسلة (مجموعة محادثات الحاخام شنيورسون ميلوفافيتش ، المجلد الثاني ، ص ٢٩٧) ، والتي أصدرتها حركة «حبد» في إسرائيل ، إذ كتب يقول :

«إن الفرق بين اليهودي وغير اليهودي ، هو من النوع الذي ينطبق عليه التعبير السائد : (لا وجه للتشبيه) ، إذ كيف يمكن البحث عن فرق بين

حتى المقربون منه ، وكل الأسباب التي ساقها معارضوه ومؤيدوه لتوضيح هذا الأمر تبقى من قبيل التخمينات .

أما معارضوه من العلمانيين فيرون أن امتناعه عن الهجرة يعود لعدائه للصهيونية ، ومعارضته لوجود دولة يهودية قبل مجيء المسيح ، وإنكاره أن تكون دولة إسرائيل ممثلة لليهود العالم ، وأن حبه «لأرض إسرائيل» لا يعني اعترافه بدولة إسرائيل التي تخالف أغلب نشاطاتها أحكام الشريعة . أما أتباعه ومؤيدوه فيسوقون جملة أسباب ، قد يكون أحدها وراء موقفه هذا ، منها : قناعة الحاخام بحرمة الخروج من «أرض إسرائيل» ، وهذا يعني أنه إن هاجر إلى إسرائيل فلن يتمكن من الخروج منها لأي سبب كان لوجود مانع شرعي ، وهو ما لا يريد تقييد نفسه به . ومنها : انشغال إسرائيل بتحقيق الوحدة ، وتأليف القلوب بين اليهود الذي سيؤدي إلى إنهاء حالة الشتات التي يعيشها اليهود وإلى ظهور المسيح ، وعندها فقط فإن الحاخام وأتباعه سيهاجرون إلى إسرائيل ، ويشاركون في بناء الهيكل الثالث . وهناك سبب تم استخلاصه من أقوال الحاخام نفسه ، وهو إيمانه أن الغربة هي «تخضير للخلاص والحرية ، وتطهير للكون ، وهي تؤدي إلى نشاط يهودي مكثف يساعد على ظهور المسيح» الذي ينتظره الحاخام ، وهناك سبب رابع يعلنه المعتدلون من أتباعه ، وهو أن الحاخام لا يجد فائدة تذكر من هجرته أو زيارته إلى إسرائيل ، لأن أغلب نشاطاته وارتباطاته في الولايات المتحدة ، وأن كثرة المسؤوليات الإدارية والدينية الملقاة على عاتقه لا تبقى له وقتا للقيام برحلات سياحية ، بل تفرض عليه البقاء في الولايات المتحدة للدفاع عن يهود العالم ، لأن الجالية اليهودية الأمريكية هي خط الدفاع الأول عن يهود العالم وليس إسرائيل ، كما أن كثيرا من النشاطات السرية التي يديرها الحاخام من الولايات المتحدة لا يستطيع إدارتها من إسرائيل .

طائفة الإصلاحيين والمحافظين ، أنهم سوف يتوقفون عن الإسهام إذا ما واصل الحاخام الدعوة إلى تغيير «قانون العودة» . ويعتقد زعماء يهود من نيويورك ، ومن بينهم كذلك أرثودكسيون ، أن المعركة التي خاضها الحاخام حول مسألة «من هو اليهودي؟» منيت بالفشل الذريع . وأن المقربين إليه لم يقدروا مقدما حجم المعارضة التي ستحدث لتغيير «قانون العودة» بين الجمهور اليهودي في كل من الولايات المتحدة وإسرائيل .

ويبدي زعماء أرثودكسيون انزعاجهم من أن الصراع المتواصل الذي قام به الحاخام حول مسألة «من هو اليهودي؟» قد أدى إلى تضامن الممسكر الإصلاحى والمحافظ . وهناك قصة أخرى شاعت في نيويورك تقول إن الحاخام فضل أن يكف عن نضاله من أجل تعديل «قانون العودة» حتى لا يضر إسحاق شامير، الذي فشلت في خلال فترة توليه رئاسة الحكومة ثماني مبادرات لتعديل القانون في الكنيست . واستنادا إلى يهودا كرينسكي ، فإن الهجرة الجماعية من روسيا ، والتي تحضر إلى إسرائيل يهودا وأنصاف يهود ، قد أثبتت مدى صدق مطلب الحاخام بشأن طلب تعديل «قانون العودة» (٧٧) .

وللحاخام اهتمام خاص بالعلاقة بين حركته وجيش الدفاع الإسرائيلي حيث يقول ، إن التفاني لدى جنود جيش الدفاع الإسرائيلي يجب أن يرتبط بالتوراة والتعاليم ، ويعرب عن خشيته من أن يلزم هذا التفاني ميول للقتل من أجل القتل . والجدير بالذكر أن جزءا كبير من شباب «حيد» يخدم في صفوف جيش الدفاع الإسرائيلي . وقد قال الحاخام ذات مرة في حديث له : «لقد وصفت التوراة شعب إسرائيل مرة واحدة بأنه جيش . فعند الخروج من مصر ، تسمى التوراة شعب إسرائيل (جيوش) . ونحن الآن نعيش في فترة مشابهة ، حيث نواجه حاليا خروجا من (المنفى) إلى الخلاص . وشعب إسرائيل اليوم هو بمثابة جيش وكل واحد منا جندي . إننا مطالبون بالانضباط ، وعلينا أن ننفذ الأوامر ، وبعد ذلك يمكن أن نطرح الأسئلة ونطلب إيضاحات» .

شيئين من مستويين مختلفين كلياً، ففي حين يجلس اليهودي في المرتبة العليا، وينحدر من الصنف الأسمى، تقبع بقية الأمم في الدرك الأسفل، وتنحدر من أدنى صنف. وهكذا نرى أنه من العبث البحث عن وجه للشبه بينهما، وحسبما جاء في كتاب (الجمارا) المقدس، فإن الجسد اليهودي يختلف كلياً، عن أجساد بقية الشعوب، وذلك من حيث أكلهم وشرهم وطيبتهم. وإن كنا نرى ثمة تشابهاً في الأجساد، فما ذلك إلا في المظهر الخارجي فقط، أما داخلياً فالفرق بين وكبير إلى حد يجعل الجسد اليهودي لا يمت بأية صلة كانت، إلى صنف بقية الأجساد لأبناء الأمم الأخرى. وما يصح على الجسم (المادة) يصح أيضاً على النفس (الروح)، إذ إن أصل أرواح شعوب العالم، هو من طبقات النجاسة الثلاث، بينما أصل أرواح بني إسرائيل هو من الروح القدس ذاتها، وكذلك الأمر، بالنسبة للجنين، الذي يسمى «إنساناً» لأنه يتكون من جسد وروح، والاختلاف بين جنين إسرائيل، وأجنة بقية الشعوب كبير جداً، لأنه لا وجه للتشبيه بين جسدين من مرتبتين متناقضتين، ولأن روح الجنين اليهودي، هي النقيض والضد تماماً للجنين التابع لأي شعب آخر».

وينادي الحاخام مناحم بتعديل «قانون العودة»، ويحذر من الآثار الخطيرة على مستقبل الشعب اليهودي ونقاوته، المتوقعة من عدم تعديل القانون ومن اعتناق اليهودية بما لا يتفق مع «الهالاخاه». ولكن الحاخام لم يتطرق إلى هذا الموضوع منذ أكثر من عامين. وقد قال أحد كبار مرافقي الحاخام وهو الرابي يهودا كرينسكي، «إن الحاخام فقط هو الذي يستطيع أن يوضح مغزى تجاهله لهذه القضية». وقد رفض كرينسكي بشدة التقارير الرائجة في نيويورك بأن الحاخام امتنع عن تناول مسألة «من هو اليهودي؟» بعد أن أوضح كبار المساهمين الأثرياء في مؤسسات لوفافيتش في أمريكا، والذين ينتمون إلى

وقد اتخذ الحاخام موقفه هذا لسببين :

الأول : تحالف حزب العمل مع خمسة أعضاء كنيسة عرب . ولم يكن الحاخام ، يرغب في رؤية حكومة إسرائيلية ، يعتمد بقاؤها على آراء أعضاء الكنيسة العرب ، الذين يستطيعون إسقاطها في أي لحظة عن طريق حجب الثقة عنها .

والثاني : برنامج حزب العمل الإسرائيلي السياسي ، الذي يدعو إلى مبادلة أجزاء من الضفة الغربية بالسلام ، الأمر الذي اعتبره الحاخام انتهاكا لمفهوم «أرض إسرائيل الكاملة» .

ويعارض الحاخام منح حكم ذاتي للفلسطينيين بشدة . ولم يشك أتباع «حبد» في بروكلين من أن شامير اشترك في محادثات السلام فحسب ، بل اشتكوا أيضا من أنه زاد الطين بلة بالتجرؤ والتحدث عن الحكم الذاتي . وتناولوا هذا الموضوع بغضب ، لأنه يعني تجاهل الاعتراف بالجميل للحاخام الذي منحه عضو الكنيسة الحادي والستين الذي خرج من «أجودات إسرائيل» وضمن بذلك أغلبية للائلاف برئاسته .

وحينما حاول وزير المواصلات ، موشيه كيتسف ، تهدئة الحاخام بأن الحكم الذاتي ليس معناه التنازل عن المناطق ، قال الحاخام بصورة قاطعة : «إن مجرد التحدث عما يتصل بالحكم الذاتي فيه تدنيس للرب وتدنيس للمقدسات» .

وردد المقربون من الحاخام في هذا الصدد «أن شامير لم ير بعد نهاية المعركة التي ستدار ضده بوحى من الحاخام ، إذا ما استمر في المضي قدما في مشروع الحكم الذاتي» . ويقال إن الحاخام «الأدمور» قد وجه المليونير المقيم في أستراليا يوسف إسحاق جوطنيك ، والذي يقوم بدور رجل الاتصال بين الحاخام ورئيس الحكومة ، بألا يدخر جهدا من الناحية المالية

وبالنسبة للمناطق المحتلة، فإن حاخام «حبد» هو من الصقور السياسية الواضحة. إنه يعتقد أنه لا بد من استيطانها دون أن تؤخذ في الحسبان ردود فعل العرب أو غضب الولايات المتحدة الأمريكية. ومن رأيه أن على إسرائيل أن تبدي موقفا صلبا غير متساهل في علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية، ويرى أن أحداث المستقبل سوف تثبت صدق رأيه^(٧٨).

وقد أعلن الحاخام عقب حرب ١٩٦٧ «أن على إسرائيل ألا تعيد بوصة واحدة من هذه الأراضي»، ورأى بعد ذلك أنه كان على إسرائيل أن تستثمر حرب يونيو بصورة أفضل مما تم، إذ كان يجب عليها أن تشرع فوراً بعملية استيطان واسعة في هذه الأراضي الجديدة، وأن تغزو أراضي عربية جديدة وتحتلها «لأنها ضرورية للمفاوضات المستقبلية ولأمن الدولة». وقد تنبأ هذا الحاخام بحرب عام ١٩٧٣ إلا أن تحذيراته لم تؤخذ على محمل الجد في إسرائيل، وأعلن عقب هذه الحرب «إن بوسع إسرائيل أن ترغم سوريا على السلام، بكل سهولة ويسر، وذلك عن طريق الوصول إلى دمشق وتطويقها، وقطع الإمدادات والمؤن عنها، ثم قصفها بالقنابل ليل نهار وبلا انقطاع، والاستمرار على هذا المنوال حتى تطلب سوريا الصلح.

وهكذا فإن الحاخام يبدي رأيه في كافة القضايا السياسية في إسرائيل، ويتدخل في الانتخابات بصورة فعالة. وقد ذكر يوسي ساريد العضو اليساري في الكنيست من «حركة حقوق المواطنين» إثر تدخل الحاخام لإسقاط الائتلاف برئاسة حزب العمل عام ١٩٨٨، إنه من الجنون أن يتحكم هذا الحاخام القابع في كوكب آخر ولم يزر إسرائيل مرة واحدة في حياته في مصير الحكومات في إسرائيل من خلال سيطرته على طائفته. وإزاء هذا الموقف طرح كثير من العلمانيين والسياسيين المستنيرين في إسرائيل تساؤلات غامضة حول أسباب عقم النظام الانتخابي في إسرائيل الذي يتيح لحفنة من الأحزاب الدينية المتطرفة المساومة والمخاطرة بمصائر الإسرائيليين أنفسهم^(٧٩).

ويرى شلومو شامير «أن الدافع الرئيسي لوقوف «حبد» إلى يمين «أجودات إسرائيل» في الانتخابات الأخيرة للكنيست كان في الأساس رد فعل اضطراريا للحقد الذي بدا من الحاخام شاخ تجاه «الأدمور» والاستنكارات القاسية التي أدلى بها على الملأ تجاه الحاخام والعادات الشائعة في حسيدي لوفافيتش. وقد أوضح أحد المقررين من الحاخام مناخم هذا الأمر بقوله: «إن «أجودات إسرائيل» هي في نظرنا حركة حسيديّة. وقد أردنا أن نحبط طموح الحاخام شاخ والمستجيبين له من اللتوانيين للقضاء عليها». وبسبب الرأي القائل بأن التدخل في الانتخابات بوضوح قد سبب ضررا لصورة الحركة، فإنهم لا يستبعدون في بلاط لوفافيتش إمكان صدور تصريح بتأييد الأحزاب اليمينية المتطرفة في الانتخابات القادمة (يونيو ١٩٩٢)، سعيا نحو إحباط مشروع الحكم الذاتي للفلسطينيين. وسوف يعتبر السلام السائد بين «أجودات إسرائيل» و«ديجل هتورا» اللتواني على أساس أنه خيبة أمل مريرة أخرى في ختام تدخل «حبد» في الساحة الداخلية في إسرائيل^(٨١).

الحاخام شنيورسون و«المسيح المخلص»:

خلال العقود الأربعة التي مضت على تسلمه منصبه الحالي، ترك الحاخام كما هائلا من الآثار الأدبية تتضمن أحاديثه وآراءه وكتابات ورسائله وردوده المكتوبة. وقد طبعت هذه الآثار في نحو ١٢٥ مجلدا، ومن المتوقع أن يستمر هذا الرقم في الارتفاع حتى وفاته. وإضافة إلى هذا تم الشروع في إصدار سلسلة تحتوي على رسائل وأعمال الحاخام بالعبرية والييديشية. وتدعي هذه السلسلة «إجروت قيدوش» (الرسائل المقدسة). وتتميز هذه السلسلة بعرض رسائله وإجاباته مرتبة زمنيا حسب تواريخها، وقد صدر المجلس السادس عشر منها في الفترة الأخيرة، وهو يضم نحو ستة آلاف رسالة للحاخام، تمت كتابتها حتى شتاء ١٩٥٨. وهذا يعني أن المجلدات التي صدرت لا تغطي

من أجل تمويل معركة الدعاية ضد شامير ورفض مشروع الحكم الذاتي . وقد رفض الحاخام التلميحات التي أبدتها دوائر الائتلاف في إسرائيل بتخصيص موارد مالية لمؤسسات «حيد» في إسرائيل ، وردوا على شامير بأن حاخام لوفافيتش لا يُشترى بالمخصصات المالية ، على غرار صفقات شامير مع الأحزاب الحريدية^(٨٠) .

وكان مناحم من القادة «الحريدين» القلائل الذين أيدوا حركة «جوش إيمونيم» ، ومشاريعها الاستيطانية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد بعث برسالة تأييد إلى سكان مستوطنة «عتسمونا» في رفح ، وهي إحدى مستوطنات «جوش إيمونيم» جاء فيها : «ليبارك الله كل واحد منكم ، حيث قمتم بالعودة إلى أرض آبائكم واستيطانها ، ونعاهدكم أن نسير منتصبي القامة ، رافعي الهامات لأننا بهذا العمل نسير وفق تعليمات التوراة الكاملة ، التي تفرض علينا المحافظة على كامل التراب ، ورص الصفوف ، ووحدة الشعب» .

ولقد كان لمواقف الحاخام مناحم كبير الأثر على مواقف حزب «عمال أجودات ישראל» الذي اعتاد أنصار «حيد» في إسرائيل التصويت له بصورة شخصية ، لتشابه أطروحات هذا الحزب السياسية والاجتماعية مع أفكار الحاخام . وقد أثرت أفكاره أيضا على حزب «أجودات إسرائيل» الذي وافق على ضم حزب «عمال أجودات إسرائيل» له قبيل انتخابات عام ١٩٨٨ ، وذلك بعد أن قرر الحاخام دعمه في المعركة الانتخابية رسميا ، وأوعز إلى مؤيديه بالتصويت لهذا الحزب ، نكاية بالحاخام شاخ واعترافا بالجميل لطائفة «جور الحسيدية» ، كبرى الحركات الحسيدية المؤلفة لحزب «أجودات إسرائيل» بعد أن رفضت هذه الحركة الانصياح لتوجيهات الحاخام شاخ ، بمقاطعة حركة «حيد» .

ويرى شلومو شامير «أن الدافع الرئيسي لوقوف «حبد» إلى يمين «أجودات يسرائيل» في الانتخابات الأخيرة للكنيست كان في الأساس رد فعل اضطراريا للحقد الذي بدا من الحاخام شاخ تجاه «الأدمور» والاستنكارات القاسية التي أدلى بها على الملأ تجاه الحاخام والعتادات الشائعة في حسيدي لوفافيتش . وقد أوضح أحد المقررين من الحاخام مناخم هذا الأمر بقوله : «إن «أجودات يسرائيل» هي في نظرنا حركة حسيدي . وقد أردنا أن نحبط طموح الحاخام شاخ والمستجيبين له من اللتوانيين للقضاء عليها» . وبسبب الرأي القائل بأن التدخل في الانتخابات بوضوح قد سبب ضررا لصورة الحركة ، فإنهم لا يستبعدون في بلاط لوفافيتش إمكان صدور تصريح بتأييد الأحزاب اليمينية المتطرفة في الانتخابات القادمة (يونيو ١٩٩٢) ، سعيا نحو إحباط مشروع الحكم الذاتي للفلسطينيين . وسوف يعتبر السلام السائد بين «أجودات يسرائيل» و«ديجل هتورا» اللتواني على أساس أنه خيبة أمل مريرة أخرى في ختام تدخل «حبد» في الساحة الداخلية في إسرائيل^(٨١) .

الحاخام شنيورسون و«المسيح المخلص» :

خلال العقود الأربعة التي مضت على تسلمه منصبه الحالي ، ترك الحاخام كما هائلا من الآثار الأدبية تتضمن أحاديثه وآراءه وكتابات ورسائل وردوده المكتوبة . وقد طبعت هذه الآثار في نحو ١٢٥ مجلدا ، ومن المتوقع أن يستمر هذا الرقم في الارتفاع حتى وفاته . وإضافة إلى هذا تم الشروع في إصدار سلسلة تحتوي على رسائل وأعمال الحاخام بالعبرية والييديشية . وتدعي هذه السلسلة «إجروت قيدوش» (الرسائل المقدسة) . وتتميز هذه السلسلة بعرض رسائله وإجاباته مرتبة زمنيا حسب تواريخها ، وقد صدر المجلس السادس عشر منها في الفترة الأخيرة ، وهو يضم نحو ستة آلاف رسالة للحاخام ، تمت كتابتها حتى شتاء ١٩٥٨ . وهذا يعني أن المجلدات التي صدرت لا تغطي

إلا حياة الحاخام خلال ثماني سنوات منذ تسلمه منصبه، مما يشير إلى أن هذه السلسلة يمكن هي الأخرى أن تصل إلى نحو مائة مجلد، كي تغطي المدة التي قضاها الحاخام في منصبه، حتى وقتنا الحاضر والبالغة أكثر من أربعين عاما. كذلك يتم تحضير رسائله التي كتبها بالإنجليزية للطباعة من أجل إصدارها هي الأخرى في سلسلة ثالثة، وتضم رسائله موضوعات مختلفة، تشمل مهمات الحاخام ونشاطاته وبياناته وتصريحاته، وملاحظاته، وتعاليمه وآراءه العلمية، والعلماء والأدباء والكتاب والزعماء الذين عرفهم أو التقى بهم، كما تشمل هذه الرسائل أبحاثه في التصوف والفلسفة التلمودية والحسيدية^(٨٢).

وتعتبر معظم أعماله الأدبية، امتدادا للفكر الحسيدي، ومنذ أن تولى منصبه وإلى وقتنا هذا، ظلت تسيطر عليه فكرة مركزية واحدة هي ظهور «المسيح المنتظر» وقدم الخلاص، فأعلن عند تعيينه: «أن الفترة التي نعيشها هي الفترة التي يجب أن يأتي فيها المسيح». ولما اندلعت حرب ١٩٦٧ اعتبر أن النصر الذي حققته إسرائيل يشير إلى بداية الخلاص واقترب ظهور المسيح. وعندما اندلعت حرب ١٩٧٣ طلب احتلال دمشق، كشرط لتحقيق الخلاص. وخلال حرب لبنان طلب اقتحام بيروت بداية للخلاص، وألمح أكثر من مرة إلى أنه في الحقيقة هو «المسيح المخلص»^(٨٣).

والسؤال هو: هل يؤمن الحاخام حقا بأنه هو المسيح؟

إن المتابعين لحركة «حبد» يسودهم الاعتقاد بأن الإيمان السائد بين حسيدي لوفافيتش، بأن الراي مناحم هو المسيح، هو إيمان نابع من حماسهم الزائدة. ولكن في بداية شهر فبراير ١٩٩٢، ألمح الراي بتلميحات مركزية، دون أن ينطق بكلمة «أنا»، إلى أن فلانا واسمه مناحم والحروف الأولى من اسمه هي «ممش»، (مناحم مندل شنيورسون)، أي الراي الحالي ورئيس جيل لوفافيتش، ربما كان هو المسيح الذي يترب الجميع مجيئه.

والمثال البارز على التعبيرات المسيحانية الأخيرة للرأي، هو ذلك الكتيب الغريب الذي نشره، وذكر فيه أن «هيكل المستقبل» سوف يظهر في البداية في «كراون هايتس»، في بلاط لوفافيتش، في بروكلين، وبعد ذلك فقط سوف يطير إلى مقره على جبل المكبر في القدس.

وتؤكد حركة «حبد» - أكثر من سائر الجماعات الحسيدية الأخرى - الرسالة المسيحانية للحركة الحسيدية، والتي تتجسد في الرد الشهير للمسيح على سؤال «بعل شيم طوف» أثناء «صعود الروح»: «متى ستجيء؟» وأجابه المسيح: «عندما تنتشر ينابيعك في الخارج»، أي حينما تنتشر الحسيدية إلى أقصى أقاصي المعمورة. وحيث إن «حبد» تعتبر نفسها دائماً بمثابة الوريثة الحقيقية الوحيدة «لبعل شيم طوف»، وأن حاخاماتها هم الزعماء الحقيقيون (وإن كان الجميع لا يعترفون بذلك) للعالم اليهودي، فربما من الممكن أن نفترض وجود تقاليد سرية تزعم أن المسيح سيظهر هو الآخر من صفوف «حبد».

وقد كرس الرأي وقتاً طويلاً للكتابة عن «أيام المسيح»، في محاولة لمد جسر بين الأوصاف التلمودية و«القبالية» للتغيرات العجيبة التي ستحدث بوساطة الخلاص، وبين التحديد الخاص «بالرمبام» بشأن أيام المسيح: «العالم يتصرف كالمعتاد» (عولام كيمنهاجه نوهيج).

والسؤال مرة أخرى هو: «لماذا المسيح الآن؟» إن الإجابة ترد في مواضع الرأي وكتاباته، التي حاول فيها أن يؤكد اعترافه بأن المسيح سوف يأتي في هذا الجيل من خلال توضيحات الرأي السابق الحاخام يوسف إسحق شنيورسون، الذين مازالوا يتحدثون عنه بلغة الحاضر على اعتبار أنه «رئيس الجيل»، ويمضي «الأدمور» على قبره ساعات طويلة كل أسبوع، في محاولة، حسبما يبدو، للتوحد مع روحه. وهو يكثر من ترديد تصريح الرأي السابق، بأن كل «الإصلاحات» قد تمت، ولم يبق إلا تلميع الأزوار في الأردية التي نرتديها، من

أجل الترحيب بالمسيح . وقد ردد «الأدمور» في السنوات الأخيرة أن هذه المهمة الأخيرة قد تمت : «لقد تم تلميع الأزرار وأصبحت تبرق وأي تلميع آخر يعتبر زائدا ومضرا للأزرار . وعلينا الآن فقط أن نزيد من مستوى الشوق للمسيح والبهجة من أجل مقدمه القريب : لأنه حينئذ سيظهر فجأة» .

وقد أشار «الراي» إلى أحداث مثل : «الجلاسنوست» ، والانقلابات الهادئة في أوروبا الشرقية ، ونهاية الحرب الباردة ، والتقارب بين الصين والغرب ، وحرب الخليج والمساعدة التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية للاجئين الأكراد ، على أنها علامات مسيحية ، وأنها تدل على أن العالم آخذ في الاقتراب من عصر المسيح .

والغريب أن الراي شنيورسون لم يذكر بعض الظواهر على أنها علامات مسيحية مثل : أحداث النازية ، وتأسيس دولة إسرائيل ، وجمع شتات المنفيين ، حيث لم يرد في الجزأين اللذين جمعت فيهما مواعظه عن الخلاص والمسيح «أبواب الخلاص» (شعاري هجتولا) ، أي ذكر للأحداث النازية على الإطلاق . وفي أحد خطباته يشير إلى تأسيس دولة إسرائيل على أنه «بداية الخلاص» (أتحلنا دي جتولا) .

والسؤال الآخر، بشأن إعلان الحاخام شنيورسون أنه «المسيح المنتظر» ، هو: ما موقف «الجويم» (غير اليهود) من هذه القضية ، وهل هذا الأمر طيب أم سيء بالنسبة لهم ؟ إن كتاب «هَتْنِيَا» ، وهو النص الأساسي لحسدية «حيد» ، والذي كتب منذ نحو قرنين يتضمن عددا من أشد التصريحات شدة ضد غير اليهود دون سائر الأدب اليهودي . واليهودية تعرض في هذا الكتاب على أنها تتفوق على «الجويم» بالميتافيزيقا «القبالية» (التصوف اليهودي) . ولكن تعبيرات الحاخام عن غير اليهود خلال العقد الماضي ، وعلى الأخص في الشهور الأخيرة ، تشكل تغيرا جديرا بالذكر . أولا ، منذ منتصف الثمانينيات أمر

الحاخام أتباعه من الحسيديم بأن يؤثروا في غير اليهود «بالحسنى والسلام» لكي يقيموا «شرائع أبناء نوح السبعة»، وضم العالم غير اليهودي كله في المعركة المسيحانية. ثانياً، في الكتيب الذي نشر في العام الماضي، جاهد الحاخام من أجل أن يثبت، وفقاً لمصادر تتصل بالتقاليد التوراتية، أن خلاص الأمم ليس إلا «مجرد بند في خلاص إسرائيل، بل هو أيضاً موضوع قائم بذاته». وبأقصى صورة من صور التطرف، أعلن الحاخام في الموعظة التي ألقاها أوائل فبراير ١٩٩٢ أنه ينبغي تعليم غير اليهود أيضاً «حادثة المركبة ودخائل التوراة»، وأن السبب وراء ترجمة كتب «حبد» الصوفية للغات الأجنبية الكثيرة، ليس هو تنوير اليهود غير الخبيرين في المصادر، بل أيضاً تنوير غير اليهود. ومن الواضح أن الحاخام بدأ ينظر إلى نفسه لا كزعيم روحاني لقطيعه من اليهود فحسب، بل كزعيم للبشر في العالم بأسره.

والسؤال الأخير في هذه القضية، استناداً إلى ماسبق، هو: لماذا يساند الحاخام «جوش إيمونيم» (كتلة الإيمان)؟ إن معارضة الحاخام الشديدة لأي تنازل عن الضفة الغربية يغلف دائماً باصطلاحات أمنية، ولكنها أيضاً مرتبطة بالتالي باعتبارات مسيحانية: إن الحاخام يكثر من الاقتباس من التلمود: «سوف تمتد أرض إسرائيل إلى كل البلاد». وهذا التصريح هو الآخر تصريح رمزي أساساً، يعني أن الانسحاب اليهودي من أي منطقة في «أرض إسرائيل» سيكون خطوة مناقضة للمسيح. وعلاوة على هذا، فإن الحاخام يؤكد في كتاباته تحديد «الربما» بأن المسيح سوف يقيم «ثلاث مدن ملجأ في شرق الأردن». وليس من قبيل المصادفة، أنه في ذروة الحماس المسيحاني الذي عم «حبد» أثناء حرب الخليج، شجعت الحركة المستوطنين اليهود على القيام بالاستيطان في الضفة الشرقية، فور قيام إسرائيل بغزو الأردن.

ومن الأمور المميزة للحاخام أيضاً القيام بتقديم تفاصيل عن المسيرة

المسيحانية والعالم بعد مجيء المسيح . أن مجموعة مواعظه تتناول كل شيء ، اعتباراً من مسألة هل لابد أن يسبق مجيء الياهو النبي مجيء المسيح ، وهو ما أفتى بأنه ليس ضرورياً ، وانتهاءً بمسألة كيفية التوفيق بين «تناسخ الأرواح» وبين «بعث الموتى» .

وعلى الرغم من أن الحاخام يقول أحياناً إنه في المرحلة الأولى من الخلاص المسيحاني لن تتغير قوانين الطبيعة ، فإنه يقول في أحيان أخرى ، إنه ستحدث تغييرات مذهشة ، بمثابة معجزات ، فور مجيء المسيح . والجزء الرئيسي في نبوءة «حبد» هو أن الناس والحيوانات على حد سواء سوف يرتقون إلى مستوى أعلى في معرفة القدوس . ويعتبر هذا الأمر بمثابة لقاء حقيقي بين «حبد» و«الرمبام» حيث يرضع كليهما من أقوال النبي أشعيا : «وتمتلئ الأرض بمعرفة الرب كالمياه تغطي البحر» .

ولكن هل سيأتي الحاخام إلى إسرائيل ؟ إن بعضاً من تعبيراته التي ترتبط بالمعجزات ، تقول إن الهيكل سوف يهبط على مقر «حبد» في «كراون هايتس» أي أنه سوف ينتظر الخلاص في «المنفى» ، بجوار قبر صهره . ولكنه وفقاً لوجهة نظر «الرمبام» ، كان لابد أن يأتي إلى إسرائيل قبل انتخابات يونيو ١٩٩٢ ، ويحاول أن يغلق باب محادثات الحكم الذاتي ويغير الإطار السياسي في إسرائيل ، حتى يتاح له أن يبني الهيكل ^(٨٤) .

ولكي نعرف مدى تأثير هذا الإعلان من جانب الحاخام مناخم في أتباعه من حسيديي «حبد» في إسرائيل ، نقرأ ذلك الحوار الذي دار بين أحد «الحبديين» من مستعمرة «زخرون يعقوب» كان مكلفاً بتعليق اللافتات التي تبشر بمجيء «المسيح المنتظر» إلى إسرائيل ، وبين أحد الإسرائيليين العلمانيين المتشككين في هذه الظاهرة :

ـ ما الذي سيفعله ؟

- سيجمع كل مشتي بيت إسرائيل .
- ومم سنعيش؟
- من معرفة القدوس تبارك هو .
- هذا غير كاف .
- الأطعمة اللذيذة ستوجد كالتراب .
- أين؟
- في بيتي وفي بيتك .
- وما الذي سأضطر لعمله في مقابل ذلك؟
- تضع «التفيلين» (عصابة الصلاة التي توضع حول الرأس وعلى الذراع) في الصباح .
- أهذا هو كل شيء؟
- أبدأ بهذا، وقل صلاة «الشما» (صلاة التوحيد عند اليهود) ومن هنا سنواصل بعد ذلك .
- وهل سيواصل الناس الخروج للعمل في كل يوم؟
- نعم، ولكنهم سيضعون «التفيلين» أثناء العمل .
- وهل سيحصلون على أجر؟
- نعم، ولكنهم لن يقولوا أبدا إنه أقل مما ينبغي .
- إذن، فإن هذه ستكون جنة عدن للمشتغلين . وهم يجب أن ينتظروا المسيح بالفعل؟
- نعم .
- إذن فماذا أصنع بالأجر؟
- تشتري أطايب الطعام حسبما تشاء^(٨٥) .

وبطبيعة الحال ، فإن ظروفًا كثيرة حالت دون أن يأتي الحاخام مناحم شنيورسون إلى إسرائيل ليعلن أنه هو «المسيح المخلص» . وكان من بين هذه الأسباب سوء حالته الصحية . وقد أدى هذا الأمر إلى حدوث حالة من الارتباك وخيبة الأمل بين أتباع «حبد» الذين قادوا حملة ضخمة من الدعاية لهذا الحدث المرتقب ، كما أشاع أيضًا روح اليأس والشك في نفوس الكثيرين تجاه مصداقية الحاخام ، وتجاه مصداقية الإيمان بمجيء المسيح المخلص في هذه الفترة .

وقد علق أحد المفكرين الإسرائيليين على هذه النهاية بقوله :

«إن حركة حبد هي حركة يهود طيبين ومخلصين ، ويرأسها إنسان هو بالنسبة لآلاف من البشر زعيم محترم . إنه لم يقل أبدًا إنه المسيح ، ومن عمد إلى الإعلان عنه أنه المخلص ، قد قصد ، من وراء ذلك ، أن يعمل من أجل تقوية الإيمان بالخلاص ، وليس من أجل مجده الشخصي . إنني أخشى أن يكون صوت الصمت الدقيق الذي انتهت به الحملة الإعلانية قد أدى إلى عكس ما هدفت إليه فأضعفت الإيمان بدلا من أن تقويه . لقد رأى البعض أنه قد حدثت مبالغاة إعلامية لم تثمر ، وتحدث آخرون عن الكفر بالأسس الدينية ، ولم يحدث المزيد من الإيمان بالخلاص للعالم نتيجة لتحديد تاريخ ، وساعة ، انقضت دون أن يحدث ثمة شيء» (٨٦) .

وقد لاقت دعوة الحاخام مناحم شنيورسون بأنه «المسيح المنتظر» معارضة شديدة ليس فقط في الأوساط العلمانية ، بل كذلك في الأوساط الدينية و«الحسيدية» و«الحريدية» . لقد كان رد الفعل لدى طائفة حسيديي «ساتمر» لدى سماعهم لهذا النبأ في نيويورك ، أنهم انفجروا في الضحك ، وقال أحد حسيديي ساتمر: «لقد أصابهم الجنون . لقد أصبح الراي فيما يبدو مهووسا بعض الشيء في الآونة الأخيرة . إن لديه خيالا خصبًا وهو مقتنع بأنه المسيح .

وإذا لم يكن هذا الأمر محزنا فإنه بالفعل مضحك». ويعتقدون في «ساظم» أن نقطة التحول في قضية المسيح قد حدثت في السنة الماضية، حينما صرح الحاخام تصرّحاً مذهلاً، بأنه يؤس من محاولاته لاستقدام المسيح. لقد قال بالفعل للحسيديم إن دورهم قد حان، وأنه قد قام بما يجب عليه عمله، وأنه من ناحيته، هو الأنسب ليكون مسيحاً. ومنذ تلك اللحظة وهم يحاولون إقناع الجميع أن الحاخام هو المسيح^(٨٧).

وعندما سئل البروفيسور يشعياهو ليفوفيتش، وهو من كبار رجال الفكر في إسرائيل، ولكنه غير محسوب على أي من الأحزاب أو التيارات الدينية أو الأصولية في إسرائيل، عن رأيه في هذه القضية، أجاب بقوله: «إن هذا الراي إما مريض نفسياً أو محتال، وهو يزرع آمالاً كاذبة في قلوب الجماهير لأن الإيوان بأيام المسيح كان يؤدي دائماً للإبادة، وكل مسيح هو مسيح كاذب»^(٨٨).

وقد شاءت الأقدار ألا ينفذ الحاخام مناحم ما وعد به من مجيء إلى إسرائيل وإعلان نفسه مسيحاً في أورشليم، لتعرضه لمرض عضال حال دون إمكان سفره إليها، وهو الأمر الذي أثر إلى حد كبير أيضاً في دور الحاخام نفسه في انتخابات الكنيست الثالث عشر التي جرت في ٢٣ يونيو ١٩٩٢، حيث خسر أتباعه من اليمين المتطرف، كما خسر أتباعه من معسكر الحريديم (يهودية التوراة الموحدة)، وفاز حزب العمل ومعسكر اليسار بتشكيل الائتلاف الحكومي.

وعندما راح الحاخام في غيبوبة طويلة بسبب مرضه العضال، أصدرت حركة «حبد» منشوراً ذكرت فيه: «لقد سقط الراي، بلا حياة»، وأوضحت أن هذه المرحلة، حيوية في الطريق لتجلي الحاخام كملك مسيح. وقد دعت «حبد» شعب إسرائيل لقبول «عبء مملكة الراي، لأن الراي هو فوق كل البشر، وفوق العالم كله، وتكمن فيه قوى إلهية عجيبة كما النبوة»^(٨٩).

المبحث الرابع : الحسيدية في إسرائيل

كان لفلسطين دائما مكانة رئيسية في الفكر الحسيدي . وكان الراي الذي من مازيريتش يقول : «صهيون هي أساس العالم وهي حياة العالم» . وكان راي مناحم مندل الذي من فيتبسك يقول : «أرض إسرائيل هي الروح القدس ذاتها» . وقد كان لهذه الفكرة اتجاهاً رئيسيان : الأول – إدخال فلسطين إلى «المنفى» ، حيث كان «الصديق» يرى أنه يعيش في فلسطين . وقد قال حسيدي «هحوديه» (الرائي – النبي) الذي من لوفلين : «إن مت يسافر إلى «هحوديه» يتصور في خياله أن لوفينت هي فلسطين ، وحوش «بيت همدراش» عنده هو القدس ، و«بيت همدراش» نفسه هو جبل المكبر . وحجرة الاعتزال الخاصة «بالهحوديه» هي قدس الأقداس ، وصوته هو «صوت الروح القدس» .

والثاني – أنه كان لهجرة الحسيديم إلى فلسطين سببان رئيسيان :

أ – نشر شريعة الحسيدية وإقامة مركز حسيدي في فلسطين .

ب – الرغبة في استعجال الخلاص عن طريق الهجرة إلى فلسطين ، وهو أساس مسيحاني بارز في الشريعة الحسيدية ، وقد هاجر عدد من الحسيديم في بداية نشأتها . وقد حاول مؤسس الحركة «بعل شيم طوف» الذهاب إلى فلسطين ، ولكن لسبب غير معروف عاد من حيث أتى في منتصف رحلته . وقد هاجر من بعده صهره ربي نحمان الذي من كوتوف عام ١٧٤٧ ، وفي عام ١٧٦٤ هاجر ثلاثون من الحسيديم على رأسهم ربي نحمان الذي من هورونكا وربي نحمان مندل الذي من فريميشليان وأقاموا مركزاً حسيدياً في طبرية . وكانت الهجرة الكبرى للحسيديم في عام ١٧٧٧ وضمت ثلاثمائة حسيدي على رأسهم ربي مناحم مندل الذي من فيتبسك . وفي عام ١٧٩٩

وصل إلى فلسطين ربي نحمان الذي من برسلاف ، واضطر للعودة بعد ستة أشهر إلى أوكرانيا بدعوى أنه يريد أن يدفن إلى جوار ضحايا أحداث (١٦٤٨-١٦٤٩) (٩٠).

وقد شكل المهاجرون من الحسيديم طلائع اليهود الأشكناز الذين استوطنوا فلسطين في أواخر القرن الثامن عشر، وكانوا يتلقون الدعم المالي من مواطنهم الأصلية تطبيقاً لنظام «الخلوقا» (الصدقات التي كان يتلقاها يهود فلسطين فيما عرف باليشوف القديم أي «الاستيطان اليهودي» القديم في فلسطين من يهود العالم)، وهو النظام الذي كان سائداً آنذاك (٩١).

ولما ظهرت الحركة الصهيونية عارضتها الحركة الحسيدية، ووقف الحسيديم بالمرصاد للصهيونية الدينية، على وجه الخصوص. وعلى الرغم من أن التوجه العام داخل الحركة الحسيدية كان ضد الهجرة إلى فلسطين بعد ظهور الحركة الصهيونية فإن بعض المجموعات الحسيدية انضمت إلى موجات الهجرة، فأسسوا في فلسطين مستوطنة بني براك عام ١٩٢٤ (تحولت إلى مدينة فيما بعد، وأصبحت المعقل الأول للحريديم في إسرائيل) قرب تل أبيب، ومستوطنة «كفار حسيديم»، ولاحقاً «كفار حبد» كما استوطن بعضهم المدن، حيث ركزوا أنفسهم في مناطق خاصة، تلبية لحاجات حياتهم الاجتماعية. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية هاجرت مجموعات أخرى من الحسيديم إلى فلسطين. وعندما أعلن قيام دولة إسرائيل رفضت الحركة الحسيدية الاعتراف بشرعيتها بسبب طابعها العلماني. وعلى الرغم من تسليم الجماعات الحسيدية المختلفة بهذا الموقف من الدولة، فإن طبيعة علاقة هذه الجماعات مع الدولة، تختلف من جماعة إلى أخرى (٩٢).

ويوجد في إسرائيل اليوم عشرات الجماعات الحسيدية أهمها:

أولاً: حسيديو «جبد»: وتعود أصول هؤلاء إلى شرق أوروبا، وتلعب الآن دوراً سياسياً في الساحة الإسرائيلية.

ثانياً: حسيديو بولندا: وهم يضمون العديد من الجماعات الحسيدية، وأهمها طائفة «جور» التي تفرعت عن طائفة «كواتسك»، وهي تعتبر المجموعة المركزية في حزب «أجودات إسرائيل». ومثل هذه المجموعة يرأس عادة قائمة حزب «أجودات إسرائيل» في الانتخابات. وتتألف طائفة «جور» من تجمعين مركزيين ينسبان إلى رئيسيهما وهما: «هزليجستيم» و«هبرونستيم»^(٩٣). ومن الطوائف الحسيدية البولندية أيضاً جماعة «أمشينو» و«ألكسندر» و«ستريكوب».

ثالثاً: حسيديو هنغاريا: وهي تضم عدة جماعات أهمها جماعة «فايجنتش» وجماعة «بعلاز» وجماعة «ندبورنة».

وتعتبر كل مجموعة حسيدية عالماً مستقلاً بذاته داخل المجتمع الحسيدي نفسه، وكون المرء حسيدياً لا يعني أن يكون متديناً فقط، إنما يعني قبل كل شيء أن يكون عضواً في جماعة حسيدية، تنظم وتؤمن له جميع شؤون الحياة منذ ميلاده وحتى موته.

وتأتي الأحياء السكنية على رأس الخدمات التي توفرها الطائفة أو الجماعة الحسيدية لأتباعها، حيث تقيم كل جماعة حسيدية في مناطق سكنية خاصة بها ومن ذلك على سبيل المثال ضاحية «بعلاز» في القدس، وضاحية «تسانز» في نتانيا، وضاحية «فايجنتش» في بني براك^(٩٤)، وضاحية «جور» في أشدود، وضاحية «أبو حصيرة» في بئر السبع. ومع أن الضاحية الحسيدية يسكنها أتباع الطائفة عادة، إلا أنه بالإمكان أن يسكنها أحد أتباع جماعة حسيدية أخرى، إذا قبل الخضوع للتعليمات والأنظمة الداخلية التي تدار الضاحية وفقها.

وعلى سبيل المثال فإن ضاحية «المحافظون على الأيمان» في القدس تخضع
للأنظمة التالية :

على الساكن وعائلته التجوال في لباس عفيف . ويُحظر على النساء لبس
الملابس القصيرة أو الشفافة ، أو الخروج دون جوارب تغطي الساقين وعلى المرأة
حلق رأسها .

* على الساكن أن يقوم بتعليم أبنائه في أماكن تربوية حسيدة .

* إذا أراد الساكن الاحتفال بمناسبة ما فعليه أن يحرص على عدم خروج
صوت غناء النساء خارج بيته .

* على الساكن ألا يدخل إلى بيته أو يمتلك جهاز راديو أو تليفزيون أو
مسجلاً أو أي آلة موسيقية .

* لا يسمح للأبناء أو البنات بجلب أصدقائهم من الجنس الآخر إلى
داخل الضاحية .

* إذا أدخل الساكن بأي من هذه الشروط ، توجه له ثلاثة إنذارات متتالية
وإذا ما أصر على موقفه ولم يصلح ما أخله فعليه مغادرة الضاحية^(٩٥) .

وتؤمن الضاحية الحسيدية لأتباع الجماعة الحسيدية كل الخدمات مثل دور
الحضانة ومؤسسات مساعدة المرضى ، وبيوت لإيواء العجزة . ولكل جماعة
يوجد محكمة خاصة بها ومؤسسة لرعاية الاحتفالات . وللموسيقى أهمية خاصة
في عالم الحسيديم ، ولعل أوضح مثال على هذا الاهتمام تلك الأسطورة التي
تقول إن أحد (الأدامرة) قام بتأليف أغنية أثناء إجراء عملية جراحية له ، وذلك
أنه رفض أن ينوم بالمخدر (البنج) فقام بتأليف الأغنية لينسى الألم ، ويلاحظ
أن أغلب الجماعات الحسيدية تمتلك فرقاً موسيقية خاصة بها ، حيث تكون

الفرقة من ملحنين وعازفين ومغنين وأحياناً يدعو «الأدمور» الملحن إليه ويطلب منه تلحين أغنية جديدة بمناسبة حدث ما^(٩٦).

ويقوم «أدمور» الجماعة بإصدار التعليقات بين الحين والآخر لتنظيم حياة الجماعة الحسيدية. ويتم نقل هذه التعليقات عبر الجبابة «هجبائيم»، وإلصاقها على كل معبد أو مؤسسة تابعة للطائفة. «فأدمور» طائفة جور، على سبيل المثال أصدر تعليمات واضحة لأتباعه تم بموجبها تحديد اتساع المسكن الذي سيقوم الحسيدي ببنائه، ومنع استعمال رخام أعلى من رخام الخليل العادي في عمليات البناء، كما حظر استعمال الأواني الخزفية الملونة، ومنع الأزواج الشابة من امتلاك مسكن يحتوي على أكثر من ثلاث غرف، ومنع دعوة أكثر من مائتي شخص لحفلات الزفاف، وأكثر من أربعة عشر شخصاً للحفلات الخاصة^(٩٧).

ولم تقلص المكانة التي يحظى بها «الصديق» في إسرائيل، بل ازدادت قوة واتساعاً، «فالأدمور» (وهو الاسم الذي يطلق على الصديق في إسرائيل) هو ملك حقيقي يتربع على عرش الطائفة، وله ملابس خاصة وعادات خاصة، ويحيط به المستشارون والمساعدون والحجاب والخدم، وتخصص لراحته السيارات الفخمة التي تضاهي سيارات رؤساء الدول، وتوضع تحت تصرفه أموال الطائفة التي تؤمن له ولأسرته مستوى معيشياً عالياً. ويروى عن «الأدمور» إسرائيل من طائفة روجين الحسيدية أن اصطبلاته كانت تغص بالخيل النادرة، وأنه كان يتنقل بعربة كبيرة، بحيث لم يكن الحسيديون البسطاء يتمكنون من رؤيته، وكان أبناءه وبناته يعيشون معه في القصر ويتصرفون كالأمراء، فكانت بناته يلبسن أحدث الأزياء، ويسافرون إلى فيينا لمشاهدة عروض المسرح والمشاركة بالسهرة، ومع هذا نجده قبيل موته يرفع عينيه إلى السماء ويقول: «لم أستمتع من الحياة الدنيا هيه حتى كسمك شعرة»^(٩٨).

وبسبب هذه القداسة التي تحيط «بالأدمور» يحاول كل حسيدييه التقرب منه، وإيجاد علاقة مباشرة به، وهم يترაკضون خلف سيارته، ويتدافعون لرؤيته، لأنهم يعتبرون أن من التقوى النظر إليه، والانصياع إلى توجيهاته دون نقاش، وتقبيل يده، وهم لا يقدمون على أمر مهم دون إذنه، فترى الحسيدي يهرع إلى «الأدمور» التابع له، عندما يتلقى وظيفة جديدة، أو ينوي إجراء عملية جراحية، أو عند رغبة الحسيدي في تغيير عمله، أو الزواج. و«الأدمور» هو الذي يقرر لمن يصوت أتباعه في الانتخابات إن سمح لهم بالتصويت، وهو الذي يقرر الخط السياسي لطائفته، وهو الذي يدير الطقوس والاحتفالات الدينية، وأشهرها طقس (الطايش)، وهو عبارة عن مأدبة عشاء تعقد مساء السبت، يلتقي «الأدمور» خلالها مع أتباعه. ومن أهم الطقوس أيضا طقس «ارتقاء الروح» والذي يعقد في السابع من عيد الفصح، وبه يقوم «الأدمور» بالرقص والغناء مع الحسيديين الذين يعتقدون أن الروح بهذا الطقس ترتقى إلى السماء وتطلب العفو والمغفرة للطائفة^(٩٩).

«إن الطائفة أو الجماعة الحسيديية كانت تشكل في الأصل بأن يقوم رجل باجتذاب مجموعة من الأنصار حوله ومع مرور الزمن يصبح هذا الرجل «أدمورا» عليهم. لذا فإن كثيرا من الجماعات الحسيديية التي تشكلت انحلت بموت «أدمورها»، وبعضها بقيت صامدة حيث كان يتم تنصيب أدمور جديد لها، من ورثة أو أقرباء الأدمور السابق. ويقوم الأدمور عادة بتقريب ولي عهده إليه وغالبا ما يكون ابنه الأكبر، ويقلده منصبا يشير إلى هذا الاصطفاء. وقد درجت العادة عند الحسيديين على اعتبار من يتولى منصب حاخام الحي، أو حاخام المدرسة الدينية التابعة للطائفة بأنه هو «أدمور» المستقبل، أما إذا ترك «الأدمور» وصية بعد موته فذلك يسهل على أتباعه كثيرا، لأنهم ينصاعون لإمرة الرجل الذي اختاره لهم «أدمورهم» الراحل. وفي بعض

الطوائف الحسيدية مثل طائفة «ندبورنه» يصبح كل أبناء «الأدمور» المتوفى «أدامرة»، وهم يبررون ذلك بأن هذا الأمر سيؤدي إلى انتشار الأفكار الحسيدية، وبعض الطوائف الحسيدية الأخرى تمتلك طرقاً أخرى لتنصيب «الأدمور» عن طريق الانتخاب، أو توقيع عرائض تأييد لمن يعتقدون أنه الأصلح لتولي هذا التنصيب»^(١٠٠).

وقد شهد التاريخ الحسيدي في إسرائيل كثيراً من حالات التمرد على سلطة «الأدمور»، أو الصراع على تولي هذا المنصب، وحدثت عمليات تزيف وصايا. ومن الأمثلة على هذه الصراعات أيضاً ما حدث في طائفة «فايغيتش» عندما قرر أدمور الطائفة تغيير حاخام الحي، وهو ابنه البكر إسرائيل هاجر، وتعيين الابن الصغير مناحم مندال بدلاً منه، مما يعني حرمان الابن الكبير من تولي منصب «الأدمور» بعد وفاة أبيه. وقد أدت هذه الخطوة إلى حدوث انشقاق في الطائفة، حيث ناصر قسم الابن وظل قسم على ولائه للأب، ولم يحل هذا الخلاف إلى اليوم.

وفي بداية الثمانينيات وقعت حادثة طريفة عندما تم تتويج «أدمور» جديد لطائفة «سلوليم» قبل وفاة «أدمور» الطائفة أفراهام فاينبرج الذي كان في الثانية والتسعين، حيث أقدم أتباع صهره الذي كان لسنوات طويلة ولي العهد الرسمي ومدير المدرسة الدينية على عقد اجتماع أعلنوا فيه تنصيب صهره «أدمورا» جديداً قبل وفاة أدمور الطائفة بشهور. وقد أدى هذا الأمر إلى انشقاق في هذه الطائفة، وأصبحت هناك اليوم طائفتان: «سلوليم البيضاء» أي الرسمية، و«سلوليم السوداء»^(١٠١).

وهكذا أدى نظام السلطة الوراثية الذي ينتشر بين الطوائف الحسيدية، إلى اعتلاء عرش «الأدمورية» من قبل أشخاص غير أكفاء أو مؤهلين لتولي هذا المنصب. وقد تقلد بعضهم هذا المنصب وهو مازال بعد شاباً. ومن ذلك على

سبيل المثال ، أن أدمور طائفة «بعلاز» توج رسميا بعد وفاة أبيه ولم يكن قد أتم التاسعة عشرة من عمره بعد (١٠٢) .

وهناك «أدامرة» صوريون ، وهم الذين لا يمتلكون أتباعا ، لأن أتباعهم قد هلكوا خلال الأحداث النازية في أوروبا ، ومن هؤلاء أدمور طائفة «محبوبة» ، وأدمور «بوهوش» ، وأدمور «ستروفكوب» . وهؤلاء الأدامرة ينالون الاحترام لسنهم ، وهم يظهرون مع «الأدامرة» ذوي النفوذ والأتباع في المناسبات والاحتفالات . ويحدث أحيانا ، أن تكون طائفة حسيديّة كبيرة دون «أدمور» ، مثل طائفة «برسليف» حيث توفي «الأدمور» الأخير لهذه الطائفة قبل ١٧٠ عاما . ومنذ ذلك الحين وهي دون «أدمور» ، وهي تسمى في الشارع الحريدي «الحسيديّة الميتة» . ومن أجل حل هذه المشكلة جلب أتباع هذه الطائفة كرسي «الأدمور» الأخير إلى إسرائيل من روسيا ، ووضعوه داخل خزانة زجاجية كبيرة في معبد الطائفة بحي «مائة شعاريم» ، ولا تفتح هذه الخزانة إلا عندما يولد ابن جديد للطائفة ، حيث يتم وضع الطفل على الكرسي ، للمباركة والتحصين . بيد أن تكليف الكرسي القيام بأعباء «الأدمورية» لم يحل المشكلة ، فتكونت في السنوات الأخيرة داخل هذه الطائفة مجموعات عديدة ، لعل أهمها مجموعة الحاخام اليعزر برلند رئيس المدرسة الدينيّة «شوبوبيتم» في القدس القديمة ، الذي ربما يتحول إلى «أدمور» لهذه الطائفة في المستقبل» (١٠٣) .

ومما يذكر أن الاتصال بين «الأدمور» وأتباعه ليس مباشرا ، ذلك أن كل جماعة حسيديّة تتكون من هيكل هرمي ، يقف «الأدمور» على رأسه ، ويحتل الأتباع قاعدته ، فيأتي بعد «الأدمور» في المنزلة أبناء عائلته الذين يكونون موضع ثقة الأتباع ، ويليهام المتقدمون في السن ، الذين يجلسون إلى جانب «الأدمور» في المناسبات . وهناك «الجباة» ، وهم يحتلون مركزا مهما في الحركات الحسيديّة لأنهم هم الذين يتولون إدارة مملكة «الأدمور» ، وهم حلقة الوصل بينه وبين

الجمهور، وعددهم يعتمد على حجم الجماعة وسن الأدمور، فإذا كان طاعنا في السن فهو يحتاج «لجبة» ومساعدين أكثر عدداً. ومن مهامهم الرد على مئات المكالمات الهاتفية التي تنهال على بيت «الأدمور» ليلاً ونهاراً من الحسيديم في إسرائيل والخارج، من الراغبين في الحديث مع «الأدمور» أو الاستفسار عن أمر ما أو طلب البركة. ويتولى «الجبة» نقل مضمون هذه المكالمات إلى «الأدمور» الذي يسجل رده على كل أمر منها بكتابة كلمة على قصاصة من الورق، ويدرك الجبة معنى هذه الكلمة ويقومون بإعادة الإجابات إلى السائلين، وهناك عدة أنواع من القصاصات منها ماهو مخصص لطلب البركة، ومنها ماهو مخصص للأسئلة^(١٠٤). ويأتي بعد الجبة ما يطلق عليهم «بالنخبة المتعلمة» وهم تلامذة «الأدمور»، ويختلف اسم هؤلاء من جماعة حسيدية لأخرى، فطائفة «بعلاز» تسميهم، «هيوشيم» أي (المقيمين)، وطائفة «جبد» تسميهم «هعوبديم» (العاملين)، وطائفة «جور» تسميهم «كومانديم» أي (رؤساء الجماعة). ويلاحظ أن هؤلاء تأثيراً كبيراً في اختيار «الأدمور»^(١٠٥). وهناك أيضاً الخدم الذين يتم اختيارهم من أفضل تلاميذ «الأدمور» لخدمته، ويقومون بتحضير الطعام له، والاهتمام بنظافة المكان الذي يوجد فيه، كما يساعدونه في ارتداء ملابسه، إن كان طاعناً في السن^(١٠٦).

ويلاحظ أن «الأدمورة» في إسرائيل اليوم، يحاولون تخطي حدود طوائفهم وجماعتهم ولعب دور أكبر في المجتمع الإسرائيلي، وخاصة على الصعيد السياسي. فكثير منهم أعضاء في «مجالس حكماء التوراة»، التي توجه الأحزاب الدينية، وكلما ازداد نفوذ الطائفة التي ينتمي إليها «الأدمور»، زاد نفوذه وقوته مكانته داخل «مجالس حكماء التوراة».

الفصل الثاني

«الحريديم»

(المغالون في التشدد الديني وتكفير الدولة
والانعزال الجيتوي)

المبحث الأول : «الطائفة الحريدية» :

يطلق على اليهود المتدينين المغالين في التشدد ، والذين يعادون الصهيونية ويكفرون الدولة ويعيشون في عزلة جيتوية اسم «الحريديم» (المفرد «حاريد» بمعنى ورع - تقى) . «والحريديم» ليسوا كالمتدينين العاديين الذين يرتدون «الطاقية اليهودية» (هاكيبا) ، أو المتدينين التابعين «للحزب الديني القومي» الذي يتعامل مع الأحزاب العلمانية في إسرائيل من منطلق اعتناقه للأيديولوجية الصهيونية ، أو حتى الأحزاب الدينية الأكثر تطرفا الرافضة للصهيونية مثل «أجودات يسرائيل» . إن «الحريديم» ، خلافا لهؤلاء جميعا ، يرتدون ملابس ذات لون أسود ، أيا كانت درجة حرارة الجو ، ويرتدون غطاء أسود للرأس أسفل قبعة سوداء ويرسلون ذقونهم . ويعيش «الحريديم» في جو القرون الوسطى ، ويتحدثون «الييديش» (خليط من العبرية والألمانية) لغة اليهود الذين كانوا يعيشون في «منطقة الاستيطان» (تحوم هموشاف) في شرق أوروبا . وهم واثقون بأنهم يملكون الحقيقة لفهمهم واطلاعهم على الكتب اليهودية المقدسة (وبصفة خاصة التلمود) ، وأن طريقهم هو الطريق الصائب الوحيد . وهم يستخدمون وسائل «الإكراه الديني» (هكفياه هدايت)

والتدخل في حياة الآخرين، وكل الوسائل بالنسبة لهم مشروعة، بما في ذلك استخدام سلاح الاعتداء والمتفجرات ضد اليهود الآخرين الضالين، ويشنون حرباً على الثقافة العلمانية للمجتمع الإسرائيلي، ويهاجمون دور السينما، وهجمات السباحة المشتركة، والصحف العلمانية، مما يثير عنفاً مضاداً من جانب العلمانيين، ولكنهم لا يرتدعون ويعتبرون أنهم يشنون حرباً مقدسة باسم الرب»^(١٠٧).

ولم تكن «نطوري كارتا» الحركة الوحيدة التي تعارض الصهيونية، بل قد سبقتها مجموعات صغيرة أخرى، وقد برز دور هذه المجموعات عند تأسيس «الخاصية الرئيسية» عام ١٩٢١، كإطار رسمي مسؤول عن شؤون اليهود في فلسطين، فقد رفضت هذه المجموعات الاعتراف بالخاصية لأنها مؤسسة صهيونية، وأقامت هذه المجموعات «لجنة المدينة للطوائف الأشكنازية» في مدينة القدس، وكانت هذه اللجنة تمثل في الواقع جميع المتدينين المعادين للصهيونية في القدس. وفي عام ١٩٤٥ تعرضت هذه اللجنة لانشقاق بعد فشل المعتدلين الذين كانوا ينادون بحد أدنى من التعاون مع الحركة الصهيونية، في الانتخابات الداخلية للجنة. وكان معظم هؤلاء المعتدلين من «أجودات إسرائيل». وقد انتظم الذين أصروا على موقفهم المعادي للحركة الصهيونية تحت اسم جديد هو «الطائفة الحريدية» التي مازالت قائمة إلى يومنا هذا، حيث تشترك الجماعات الدينية المتألفة فيها - وأغلبها حسيدية - حول فكرة واحدة.

ومنذ ذلك الوقت لم تعد «الطائفة الحريدية» تمثل جميع «الحريديم»، حيث انضوى «المعتدلون» تحت راية «أجودات إسرائيل» والأحزاب الدينية الأخرى، فيما انضوى «المتطرفون» تحت لواء «الطائفة الحريدية». واشتعلت بين الطرفين منذ ذلك الحين حرب عنيفة مازال أوارها مستعرا حتى وقتنا الحاضر^(١٠٨).

وتتكون «الطائفة الحريدية» من تآلف عدة جماعات حسيدية أهمها طائفة «ذرية أهارون»، وطائفة «ساطمر»، والمدرسة الدينية «اليشيفا» التابعة لتلاميذ دوشنسكي، وقسم من جماعة «المُقدسين» (هَيْرُوشْلِيم). ويقدر عدد أتباعها حسب مصادرها بثلاثين ألف نسمة، فيما تقدرهم مصادر «أجودات إسرائيل» بثمانية آلاف نسمة، يعيش معظمهم في حي «مائة شعاريم» والضواحي والأحياء «الحريدية» المحاذية^(١٠٩).

وهذه الطائفة ليست هيئة أو جهة بقدر ماهي أسلوب وطريقة قائمة على مبدأ مقاطعة الدولة الصهيونية، وترجم هذه المقاطعة على أرض الواقع بمعيارين: الأول عدم الاشتراك في انتخابات الكنيست أو الانتخابات المحلية، والثاني عدم تلقي الأموال من الصهانية. وتختلف الجماعات المتألّفة ضمن «الطائفة الحريدية» حول المسألة الأخيرة. فمنهم من يرفض تلقي الأموال للمؤسسات التربوية من الدولة، ولكنهم يتلقون الأموال من «التأمين الوطني»، (هَبْطَوَاح هَلْثومي)، وهم يبررون ذلك بأن الأموال المخصصة للمؤسسات التربوية، هي «أموال أيديولوجية» تحمل رائحة الدولة وتأثيراتها، على حين أموال التأمين الوطني «محايدة» ولا «رائحة» لها، إلا أن هذا الرأي لا يروق لبعض الجماعات الأخرى فيرفضون أموال التأمين الوطني أيضا لأنها هي الأخرى «أموال صهيونية»^(١١٠).

ومن الناحية الرسمية، فإن على عضو «الطائفة الحريدية» أن يمثل للأسس «الثمانية عشر» التي تعتبر دستورا للطائفة والتي تحدد أيضا واجباته تجاه الطائفة، وأهم هذه الأسس: الانصياع لأوامر حاخامية ومحكمة الطائفة، ومعارضة الصهيونية وجميع نشاطاتها، ومقاطعة مدارس ومعاهد تعليم اللغات الأجنبية، ومقاطعة حزب «أجودات إسرائيل» لتعاونه مع الصهيونية، وعدم الاشتراك في انتخابات الكنيست أو الانتخابات المحلية، وعدم تناول أي طعام أو شراب غير مصرح به من قبل محكمة الطائفة،

والإيمان القاطع بأن إقامة الدولة الصهيونية قبل قدوم «المسيح المنتظر»، إنها هو عقاب خطير من الله، وأن «الكنيست» (البرلمان الإسرائيلي) تدنيس لأوامر الله، وإهانة للتوراة لأن قوانينه تتناقض مع شريعة موسى، والمحافظة على اللباس العفيف، وإرسال الأبناء للتعليم في مدارس مجازة من قبل الطائفة والتي غالباً ما تستخدم اللغة الليديشية في التعليم، ولا تنتمي إلى أي تيار تعليمي آخر يتلقى مساعدات حكومية^(١١١).

وتقدم الطائفة لأتباعها مجموعة من الخدمات الطائفية مثل: المحاكم الدينية، والمعلمين والمرشدين، ونظام كامل لترخيص المسالخين والمخابز والمطاعم والأطعمة والمشروبات حسب القواعد الشرعية «الكاشير»، وأماكن تربوية وثقافية ودوائر زواج، ولجان تعمل من أجل الفتيات، ولجنة للمحافظة على الأماكن المقدسة، وصندوق إنقاذ لتمويل المؤسسات التربوية بدلاً من أموال وزارة التعليم، إضافة إلى صندوق خاص لتعليم الفتيات، وصندوق لمساعدة العائلات التي ترغب بتزويج ذكورها، وصندوق لمساعدة العائلات الفقيرة والمحتاجة، وصندوق للخاصامية ولجنة للحفاظ على حرمة السبت، وصحيفة أسبوعية باسم «هاعيدا» (الطائفة)^(١١٢).

وتدار «الطائفة الحريدية» بعدة هياكل رئيسية بعضها يتم تكوينها عن طريق الانتخابات وأهم هذه الهياكل:

(١) مجلس الواحد والسبعين: وهو أوسع هيئة إدارية رئيسية، وقد اختير الرقم (الواحد والسبعون) بسبب رغبتهم في التشبه بـ «السنهدين» الذي كان فيه مثل هذا العدد من الأعضاء. وفي الواقع العملي فإن هذا المجلس لا يعقد إلا في المناسبات الخاصة، والحالات الطارئة.

(٢) مجلس الثلاثة والعشرين: وهو ينتخب من داخل المجلس السابق، ويتوجب عليه الاجتماع في مطلع كل شهر.

(٣) المجلس التنفيذي : وهو ينتخب من داخل مجلس (الثلاثة والعشرين)، ويمثل هذا المجلس الجهاز الفاعل الذي يدير «الطائفة الحريدية»، ويقف على رأس هذا المجلس في الوقت الحاضر الحاخام جرشون شطمي كما يلعب سكرتير الطائفة الحاخام يوسف شنبرجي دورا بارزا فيه (١١٣).

(٤) محكمة الطائفة «بجتس» : وهي تقف على رأس جميع المؤسسات السابقة، ودورها شبيه بالدور الذي تلعبه «مجالس حكماء التوراة» عند الأحزاب الدينية، سواء بالنسبة لكيفية تشكيلها أو صلاحياتها، بحيث يمكن اعتبارها «مجلس كبار علماء التوراة» للطائفة الحريدية. وتبت هذه المحكمة في جميع الأمور المالية والشخصية، وتتمتع بصلاحيات واسعة في شؤون الطائفة الأخرى، وهي تتكون من رئيس وخمسة أعضاء يمثلون الجماعات المختلفة المنضوية تحت لواء «الطائفة الحريدية». وفي الوقت الحاضر فإن هذه المحكمة مؤلفة من :

١ - الحاخام يتسحاق يعقوب فايس : وهو رئيس المحكمة، وهذا المنصب يجعله الشخصية الأولى في «الطائفة الحريدية»، وهو يمثل طائفة «ساطمر» الحسيدية.

٢ - الحاخام إسرائيل يعقوب فيشر (عضوا) : ويمثل اللتوانيين المقدسين.

٣ - الحاخام بنيامين رينوبنتس (عضوا) : ويمثل «الحسيديم» من «اليشوف القديم» ويعتبر مقربا من طائفة «ذرية أهارون» الحسيدية.

٤ - الحاخام إسرائيل موشيه «دوشينسكي» (عضوا) : ويمثل طائفة «دوشينسكي» الحسيدية.

٥ - الحاخام موشيه آريه فريزر.

٦ - الحاخام أفراهام دافيد هوروفيتش.

وقد مارس أدمور طائفة ساطمر الحاخام يوثيل طايطلبويم تأثيرا كبيرا على محكمة الطائفة، حيث يعتبر الزعيم الروحي الأعلى للطائفة الحريدية والممول الرئيسي لنشاطاتها. وبعد وفاته تقاسم هذه السلطة التأثيرية ابنه الذي أصبح أدمورا للطائفة، والحاخام فايس رئيس المحكمة وممثل «ساطمر» في الطائفة، والحاخام فريزر^(١١٤).

ومن الجدير بالذكر أن عملية تشكيل الجماعات داخل الطائفة هي عملية غير ساكنة، فهناك جماعات تدخل لهذه الطائفة، وجماعات تخرج منها، ولعل أهم انشقاكين شهدتهما هذه الطائفة كان انفصال «نطوري كارتا» - فرع الحاخام عمير أم بلوي عام ١٩٦٥، بسبب رفض محكمة الطائفة عقد زواج الحاخام المذكور على مطلقة فرنسية متهوددة، وانفصال طائفة «بعلاز» الحسيدية عام ١٩٨٠ بعد أن أصدر الحاخام الأكبر للطائفة يتسحاق فايس أمرا يمنع تعليم الأولاد في مؤسسات تتلقى الأموال من الدولة. وقد أصاب هذا القرار «بعلاز» بصورة مباشرة. وكان عليها أن تختار بين انتمائها «للطائفة الحريدية» وبين تلك المساعدات فاخترت الأخيرة^(١١٥). ولعل هذه الانشقاكات التي تعاني منها هذه الطائفة بين الحين والآخر، تظهر أزمة الطائفة الداخلية. فهي رغم تناميها عدديا، تعاني من ظاهرة التفتت بصورة واضحة بسبب الإغراءات التي تقدمها دولة إسرائيل لأتباعها شريطة تعاونهم معها، ولو بصورة غير مباشرة. لقد أرادت هذه الطائفة محاصرة الدولة وعزلها، لكن ما حصل هو العكس تماما، فنيار الدولة الجارف هز معاقلها الرئيسية، وجردها من زمام المبادرة، فوقعت ضحية الحصار والعزلة.

ويلاحظ أخيرا أن أهم النشاطات التي تقوم بها هذه الطائفة، والتي تعرف الجمهور العلماني في إسرائيل عليها من خلالها، كان تنظيم المظاهرات احتجاجا على تدنيس السبت وانتهاك حرمة، أو احتجاجا على انتشار الإباحية.

ويقرن الحريديم بين الشيوعية كعقيدة ملحدة وبين الصهيونية كعقيدة علمانية كافرة نادى بها ملحد هو هرتسل . ففي مقال رئيسي نشر في العدد ٥٤٤ (١١ سبتمبر ١٩٩١) بقلم إسرائيل إنجلر المتحدث بلسان حسيدي بلعاز ورئيس تحرير المجلة المعبرة عنهم التي تحمل عنوان «همحنية هجريدي» (المعسكر الحريدي) ، تحدث بفرحة غامرة عن سقوط الشيوعية قائلا : «عندما زرنا الاتحاد السوفيتي منذ عامين ، لم يكن هناك مدخل رئيسي لمدينة متوسطة أو كبرى لم يكن فيه تمثال للينين بحجم كبير على أبوابها . . وهاهم الآن يرفعون كل التماثيل والأوثان . لقد سقطت على الرصيف كالناموس وكمخلفات الوثنية ، في المكان الذي يليق بها» . وواصل حديثه قائلا : «تصوروا أن شخصا ما طلب رفع صورة هرتسل من فوق حائط قاعة الكنيسة؟ ويوافق الجميع على هذا بالإجماع . إن طرح هذه «الفكرة الشيطانية» من شأنه أن يثير مئات الآلاف من الصهاينة المتحمسين . لقد عاش هرتسل قبل لينين ، ولم تكن فكرة التمرد ضد الرب إله إسرائيل والكفر بتوراته فكرة تقل في عنفوانها عن الفكر الشيوعي السوفيتي . لقد حدث ما حدث بالفعل في روسيا ، وهم ينظرون اليوم إلى الشيوعية على أنها نظام حكم أجنبي ونظام احتلال . ولنا أن نتصور حدوث صحوة كهذه للجماهير الحريديم في البلاد ، دون سفك دماء؟ إننا واثقون بأن ذلك اليوم الذي سيعود فيه شعب إسرائيل إلى منابعه ويتحرر من كل الأفكار الكاذبة العلمانية لن يكون بعيدا» (١١٦) .

وهكذا نرى أن القوى الدينية الحريدية في إسرائيل تسعى إلى ما من شأنه غسل إسرائيل وتنظيفها من شوائبها الصهيونية وجعلها تتطور في اتجاه «حكم التوراة» الذي لن يتم إلا عن طريق تطور سلمي على غرار ما حدث للشيوعية في الاتحاد السوفيتي ، تسقط فيه كل أوثان الصهيونية العلمانية الكافرة لتصبح شريعة التوراة هي المرجعية الأولى للحياة في دولة إسرائيل .

وإذا أردنا أن نتعرف عن قرب على ملامح تلك الجماعات اليهودية التي تفسر التاريخ والحاضر والمستقبل ، وفقا لنصوص التوراة ، وتصم كل من يعارضها بالكفر والإلحاد ، وتهدد كل من يتبنى أي فكر يخالفها بالويل والشور ، وعلى موقفها من الصهيونية ومن دولة إسرائيل ، لن نجد أشمل وأبلغ من ذلك الوصف الذي قدمه الأديب الإسرائيلي عاموس عوز في كتابه «In the Land of Israel» (في أرض إسرائيل) :

«كان من الطبيعي أن أبداً جولتي بحي جيئولا بالقدس الغربية . . وعندما عرجت إلى شارع «ملوك إسرائيل» شعرت ببرودة في أوصالي ، فقد كنا في فصل الخريف ، ووجدت الشارع كعهدي به يعج باليهود الثقاة (الحسيديم) من مذهب المتصوفة ، يرتدون ثيابهم الطويلة السوداء ، وقد طالت لحاهم حتى بلغت صدورهم أو تكاد ، يضعون العدسات الزجاجية فوق أعينهم ، ويتحدثون باليديشية (وهي لغة عبارة عن خليط من المفردات الألمانية والسلافية والعبرية ، وكانت لغة (الجيتو) اليهودي في أوروبا الشرقية ولا يزال المهاجرون من أوروبا الشرقية إلى إسرائيل يتحدثون بهذه اللغة التي أحيطت بهالة من القداسة ، كما لا تزال هذه اللغة تدرس في المدارس التلمودية في إسرائيل ، مما يخلق مشكلة عويصة ، حيث إن الحركة الصهيونية تعادي اليديشية لأنها تسعى إلى إحياء العبرية باعتبارها الوعاء الحقيقي للتراث اليهودي) .

حقيقة أن الوجوه جديدة بالنسبة لي ، ولكن الشوارع والطرق والأزقة والحارات والمباني والمتاجر مألوفة ، كأني غادرت المكان بالأمس فقط ، وتذكرت أيام طفولتي في هذا الحي . لقد كان المكان يعج بالمتقنين اليهود الذين وفدوا من أوروبا الشرقية ، وبالأجثين المتعلمين الذين هربوا من ألمانيا والنمسا خوفاً من بطش النازية . كانوا يعيشون جنباً إلى جنب في سلام مع طائفة اليهود الأرثوذكس المتعصبين دينياً . كنت تستطيع أن ترى هنا جميع الفئات : الحرفيين والطلاب والمسؤولين بالنقابات العمالية ، ورواد (الحزب الديني القومي) ،

وأصحاب المدرسة التنقيحية في الدين ، وموظفي حكومة الانتداب البريطاني ، وعاملين في الوكالة اليهودية ، وأعضاء منظمتي (الهاجانا) و(إرجون تسفائي لثومي) المنظمة العسكرية القومية ، وأعضاء (منظمة الشباب) التابعين لحزب (حيروت) ، وأعضاء (الحركة الاشتراكية الموحدة) الميام ، ومنظمة (بني عقيبا) والحركة الشبابية الدينية ، وباحثين بارزين ، وحمقى ، ومجانين تحرقهم أنوار النبوة ، أولئك الذين كانوا يعتقدون أنهم خلقوا ليصلحوا العالم ، وكان كل واحد منهم يعتقد أنه هو نفسه (المسيح المخلص) المنتظر الذي سيخلص اليهود من آلامهم ، وفي سبيل هذا الاعتقاد فهو على استعداد دائم لصلب معارضيه ليصلب هو نفسه في النهاية .

ولعل التغيير الوحيد والحقيقي الذي طرأ على هذا المكان ، هو أن كل هؤلاء قد ذهبوا بعيدا دون أن يخلّفوا أي أثر أو علامة تدل على أنهم كانوا هنا في وقت من الأوقات . وتساءلت أين ذهبوا؟ هل غادروا المكان ، أم غيروا أفكارهم؟ أم عساهم وجدوا مكانا أكثر اعتدالا يستطيعون التفكير والتنفس فيه؟ لعلمهم اكتشفوا أن الحى يلفظهم ، وأن سكانه لا يؤمنون بما يقولون ، أو أن المكان غير قابل للتغيير ، وأن أهله يؤمنون بمعتقدات وأفكار ورثوها عن أجدادهم منذ آلاف السنين ، عن الحياة والموت والخلاص والأغيار (غير اليهود) الآخرين ، تلك المعتقدات التي ضربت بجذورها عميقا حتى أصبح مجرد مناقشتها أمرا غير مسموح به ، لعله يؤدي إلى اندلاع براكين السخط والغضب .

وأخذت أقلب النظر وأعمل الفكر فيما انتهت إليه الحال في هذا الحى العتيق ، لقد عاشت الصهيونية هنا فترة من الزمن تكتسي العلمانية ، لكنها طردت وأبعدت بعد أن هزتها المعتقدات اليهودية الراسخة الموغلة في التطرف . لقد انتصرت اليهودية الأرثوذكسية وطائفة «الحسيديم» في حى جيئولا بالقدس الغربية على الصهيونية . فهل ياترى ستكون هذه هي نهاية المعركة المنتظرة بين الحركة الصهيونية منذ نشأتها وبين اليهودية الأرثوذكسية؟ .

حسنا، لقد رحلت العلمانية إذن من الحي، وأصبح المكان يحفل الآن «بالحسيديم» وتلاميذ المدارس التلمودية الذين أقبلوا من أحياء أخرى مثل حي «مائة شعاريم»، بل من أماكن بعيدة من العالم مثل نيويورك وتورنتو وبلجيكا، وأصبحت اللغة الليديشية هي لغة الشارع، ولولا أشجار الزيتون والصنوبر وعبق القدس الخاص، لاعتقد المرء أنه يسير داخل أحد التجمعات السكانية اليهودية داخل الجيتو في إحدى مدن أوروبا الشرقية قبل ظهور هتلر.

لقد رأيت بعيني انبعاث اليهودية الأرثوذكسية. وبدأت أساءل: هل ستدخل في صراع مع الصهيونية؟ ولكن هل تناسوا فوائد الصهيونية التي لا يمكن إنكارها. لقد استطاعت أن تحول عن طريق شبكة معقدة ومتداخلة عرق عامل أمريكي من ديترويت وفلاح من أوهايو أو ميسوري إلى أموال تتدفق إلى داخل إسرائيل من خلال قنوات المعونة الخارجية، ثم تتغلغل في أنسجة الصهيونية وتمتص في النهاية داخل هذه الأحياء السكنية ينفق منها على المدارس التلمودية، ونظام الخدمة الاجتماعية التابع للحاخامية الكبرى، وعلى المؤسسات الدينية التي تنفق المعونات الخيرية على الفقراء والمحتاجين. ومن مفارقات القدر أن مليارات الدولارات التي تقدم سنويا إلى تلك الدولة التي تقول بطاقة هويتها إنها ديمقراطية ومستنيرة وتقدمية، تصل إلى هذا المجتمع المغلق الذي زرته، والذي يوجد على غراره مجتمعات أخرى في إسرائيل تنتمي إلى عصور سحيقة، وترى أن بيروت وصور وصيدا هي أسماء لأماكن في كواكب أخرى، وتبدو بالنسبة لها القضايا اليومية في الحياة الإسرائيلية، كالحرب والتضخم والرقابة والليكود وحزب العمل والمستردوت وشركة العال وفريق المكابي لكرة السلة، تبدو وكأنها رمال متحركة، أما الثابت لديها فهما: هتلر والمسيح المنتظر» (١١٧).

وقد تحدث حليم بنو عما يسمى «Sub culture»، وهو عبارة عن منظومة من وجهات النظر والقيم والعقائد والعادات والسلوك الشائع بين أعضاء جماعة

معينة أو طبقة في المجتمع والتي يمكن التمييز بينها وبين الثقافة الشائعة أو (ثقافة الأغلبية) التي يقال عنها إنها غير المجتمع بأسره . وفي هذا الصدد يشير إلى بعض العادات الشائعة في مجتمع الحريديم من خلال نموذج لأحد الإعلانات المنشورة في إحدى الصحف التي تتحدث بلسانهم . يتحدث الإعلان عن نموذج خاص لسرير يوجد به حاجز في منتصفه يقسمه إلى نصفين يشكل حاجزا بين الطاهر والنجس ، يستخدمه أولئك الحريصون على التقيد بشرائع النجاسة والطهارة عندما تكون الزوجة في فترة الطمث تنفيذا لما ورد في كتاب الشريعة اليهودية «شولحان عاروخ» الذي ورد فيه : «لا ينام معها في سرير واحد . وإذا ما اضطجعا في سريرين يلمس فيه كل منهما الآخر فهذا محرم» .

ويقول الكاتب : «إن هذا شكل من أشكال النفاق الديني لأن الحريديم يشتركون سريرا واحدا لهم ولزوجاتهم ، ولكن لابد أن يبدو هذا السرير من حيث المظهر الخارجي وكأنه مقسوم لاثنين . ويستدل على هذا النمط من السلوك الحريدي بما هو شائع من أمر اقتناء شيوخ الحريديم لدولاب خاص به فتحات سرية يضعون بها التلفزيون والفيديو ويستطيعون مشاهدة كل ما يشاءون من أفلام زرقاء وحمراء ثم يخفون الأجهزة النجسة بوساطة زر تحكم (ريموت كنترول) حتى لا يكتشف أمرهم أمام أفراد عائلتهم»^(١١٨) . وفي كتاب «متسوقوت با أوتوبيا» (ضائقات في اليوتوبيا) ، والذي اعتبر أفضل وأشمل بحث في تحليل المجتمع الإسرائيلي منذ قيام الدولة ، حدد الباحثان موشيه ليسك ودان هوروفيتس خلاصة بحثهما بشأن انفصالية واستبدادية المجتمع الحريدي وأثر ذلك على الواقع الثقافي والسياسي في إسرائيل بقولهما :

«إن أخطر صدمع ، يهدد الهوية الثقافية للمجتمع الإسرائيلي هو الصدمع الديني - العلماني . وهو من شأنه أن يزداد حدة في المرحلة المقبلة أكثر من أي مرة في الماضي . إن القطاع الحريدي وصل إلى قوة ديموجرافية ، واقتصادية

وأخلاقية، جعلته قطاعا مستقلا ذاتيا. إن هذا القطاع ليس منفصلا من الناحية الأيديولوجية الثقافية، بل إنه يمكن أن يوجد بصورة استبدادية، لأنه يتلقى أموالا من الحكومة، له أن ينشئ جهازا اقتصاديا وتعليميا غير مرتبط بالحكومة على الإطلاق، وتوجد لدى هذا القطاع أموال كثيرة، عن طريق وزارة الاستيعاب، حيث إن جزءا كبيرا من ميزانية هذه الوزارة يوجه إلى التعليم الديني في المعاهد الدينية، وفي مراكز الاستيعاب، وفي المؤسسات الدينية».

وحسب قول ليسك، «فإن القطاع الحريدي هو دولة داخل الدولة، دون أن يقدم أي تنازل أيديولوجي أو ديني. ولم تحصل الدولة أو الصهيونية على أي شرعية من هذا القطاع في المقابل. وهذا الصدع بين الحريديم وبين الآخرين، يخلق هوة من كافة النواحي، سواء كانت ثقافية، أو أيديولوجية أو دينية، أو سلوكية. ويقول ليسك «إنه يقبل بالتأكيد وجهة نظر يشعيا هو ليفوفيتش، القائلة «إنه يوجد في إسرائيل شعبان، لا يستطيعان أن يعيشا معا كل إلى جوار الآخر، ولا أن يتزوج كل منهما من الآخر، ولا أن يعمل معا، ولا أن يأكلا معا». والخطر الذي ينطوي عليه هذا الأمر هو إدخال الدين، في السياسة، والتي يحمل لواءها «جوش إيمونيم». وهذا الأمر يعتبر عاملا مشتركا بين «جوش إيمونيم» والحاخام شاخ، على الرغم من أن استنتاجاتهما متضادة، حيث إن إدخال الدين في السياسة لدى «الحريديم» من أمثال «حيد» و«حسيدي» «جور» هو في الاتجاه الصقري المتطرف.

والاتجاه لفرض الكرامات الحاخامية «الباباساليزم» (نسبة إلى الحاخام البابا سال^(١١٩)) على السياسة كظاهرة ثقافية ليس أمرا مميزا، فقط لطوائف اليهود الشرقيين، بل إن هناك ظاهرة لتحويل «اللتوانيين» إلى حسيديم أو «أدموارثيم»، حيث إنهم يقيمون الأسر الوراثية والمالك الاقتصادية والسياسية، ويمنحون الخدمات الإعجازية للمؤمنين من أتباعهم. وبشكل

عام، فإن التصويت وفقا لتوجيهات الزعيم الديني، هي ظاهرة لا تتماشى مع بناء مجتمع ديمقراطي على الطراز الغربي. وهذه الظاهرة في إسرائيل، ليست ظاهرة هامشية على الإطلاق، ولم تقم القيادة السياسية سواء من اليمين أو اليسار بعمل أي شيء من أجل إيقافهم، بل هي على العكس من ذلك، ترعاهم. إن ثقافة المعجزات والأسحار لها أبعاد سياسية على اتجاهات تطور المجتمع الإسرائيلي. ومن هنا، فإن مستقبل إسرائيل سيكون في أيدي الأيديولوجيين والسياسيين، وحاسبي النهايات» (١٢٠).

المبحث الثاني: طائفة «ساطمر» الحسيدية

طائفة «ساطمر» هي جماعة من طائفة «الحسيديم» تعتبر من أكبر الجماعات الحسيدية في العالم. ويوجد مقرها الرئيسي في فيلنبرج، وكان يتزعمهم الحاخام يوثيل طايطلبويم المعروف بلقب «الحاخام من ساطمر». وهو المرجع الروحي الأعلى لأتباعه في الولايات المتحدة الأمريكية من الحسيديم، وللطوائف الدينية المتشددة (الحريديم) في إسرائيل، ومن بينها طائفة «نطوري كرتا».

وقد نشر «الحاخام من ساطمر» كتابا صدر في أعقاب حرب ١٩٦٧ تضمن أقواله التي كتبها بنفسه، والتي دَوَّنَها أنصاره في الولايات المتحدة على لسانه، تحت عنوان «كتيب عن الخلاص والتغيير» (كونتراس عُلْ هَجْئولا فيها نُورًا). وهذا الكتاب هو واحد من الكتب الأولى، إن لم يكن الأول، الذي بحث المغزى الديني والروحي لحرب ١٩٦٧. وقد كان نصب عين الحاخام مشكلة أن الإحساس العام الذي ساد بين الدينين، وكذلك بين بعض غير الدينين، أن الانتصار ينطوي على معجزة، وأن هذا الإحساس سوف يتسلل إلى معسكره. وقد قال الحاخام، إنه إذا كان في الانتصار ثمة معجزة دينية، فإن الاستنتاج الذي يستخلص هو أن الصهيونيين، الذين لا يحافظ معظمهم

على الشرائع ، وهم جميعا في نظره مخربو شعب إسرائيل - قد جاءهم الخلاص من السماء ، ومعنى هذا أنهم صادقون ، وأن أسلوهم صادق ، ودولتهم ليست دولة كفر ، وأن رفض الصهيونية والدولة بكل رموزها ، تلك الدولة التي حرر جنودها حائط المبكى وقبر راحيل ومغارة المكفلة - كان أمرا خاطئا» (١٢١) .

وهنا نجد أن «الخابام من ساطمر» انطلاقا من موقف الرفض للصهيونية العلمانية وللدولة إسرائيل ذات الطابع العلماني ، يرفض فكرة أن حرب ١٩٦٧ ، وكل ما ترتب عليها إنما هو تعبير عن مساعدة الرب السماوية العليا لشعب إسرائيل ، لأن هذا الشعب ، هو شعب من المارقين عن الدين ولا يستحقون معجزة إلهية من الرب لمساندتهم .

ويبلغ عدد أتباع طائفة «ساطمر» نحو ربع مليون نسمة ، أي نحو تسعة أضعاف حركة «حبد» في الولايات المتحدة الأمريكية . ويتهم أتباع «ساطمر» المعروفون بثرائهم الواسع ، حركة «حبد» بأنها «زمرة مسيحية مغسولة الدماغ تنقاد للملياردير» . وقد شكلت «ساطمر» في السنوات الأخيرة تنظيما لمحاربة «حبد» بقيادة الخابام يعقوب كوهين أطلق عليها «حركة الائتلاف من أجل إزالة القناع عن تكتيكات ليوفافيتش» (١٢٢) .

وقد أثارت مسألة إعلان الخابام مندلي شنيورسون الذي من ليوفافيتش أنه «المسيح المنتظر» حالة من السخرية بين أتباع طائفة «ساطمر» في نيويورك . وقال أتباع طائفة «ساطمر» ، في معرض تعليقهم على هذا الحدث :

«نحن نؤمن إيماننا كاملا بمجيء المسيح . وليس هناك شك في أنه سيأتي في النهاية . وليست لدينا فكرة من هو ، وبأي مراسم دينية سيصل . ولكننا نعرف من هو ليس المسيح . ماذا نفعل ، إنه ليس الراي الذي من ليوفافيتش» (١٢٣) .

وأتباع هذه الطائفة قليلون في إسرائيل بسبب معاداتها للفكرة الصهيونية .

ولعل أوضح مثال على هذا العداء ، تلك القصة التي تشير إلى «أن «أدمور» هذه الطائفة قد أجل زيارة كان يزعم القيام بها إلى إسرائيل بسبب رفضه المبدئي بأن تقوم شرطة إسرائيل الصهيونية بحراسته ، وأن اللجنة المنظمة للزيارة المكونة من ٢٥ شخصا اتصلت بشرطة نيويورك من أجل بحث إمكان استئجار ألف شرطي أمريكي بكل لوازمهم ومعداتهم المطلوبة لمرافقة «الأدمور» في زيارته وتوفير الحراسة له ، وخاصة أن هذه الطائفة على عداء شديد مع طائفة «حبد» التي يكثر أتباعها في إسرائيل . وتعهد المنظمون للزيارة بتوفير الفنادق الفاخرة لأفراد الشرطة الأمريكيين ، ودفع رواتب خاصة لهم (١٢٤) .

المبحث الثالث : جماعة «نطوري كرتا» :

ظهرت «نطوري كارتا» (اسم آرامي يعني حراس المدينة) كجماعة دينية انشقت عن حزب «أجودات ישראל» عام ١٩٣٥ . وقد حصل هذا الانشقاق عندما قام ممثلون عن «أجودات إسرائيل» التي كانت تمثل المعسكر المعادي للصهيونية ، بإجراء مفاوضات مع المجلس الملي اليهودي الذي كان يخضع لنفوذ الحركة الصهيونية ، من أجل التوصل إلى اتفاق بشأن إقامة حاخامية رئيسية موحدة في فلسطين من جهة ، وإجراء مفاوضات مشابهة مع حزب «المزراحي» الصهيوني سعياً للوصول إلى صيغة عمل مشتركة معه من جهة أخرى . ومع أن هذه المفاوضات لم تسفر في نهاية الأمر عن نتائج تذكر ، إلا أن مجرد إجرائها كان إقراراً من «الحريديم» بالأهمية المتزايدة التي راح المشروع الصهيوني في فلسطين يكتسبها في العالم اليهودي ، وأدى الشروع بهذه المفاوضات إلى تصدع وانشقاق داخل حزب «أجودات إسرائيل» (١٢٥) ، حين ترك هذا الحزب العناصر التي كانت تصر على رفض أي تعاون أو لقاء مع الحركة الصهيونية . وكان على رأس هذه العناصر الحاخام عمرا م بلوي ، والحاخام أهرون كتسنبلويجن ، والحاخام ليليه فايسبيش . وقد كون هؤلاء حركة

جديدة أطلق عليها «أجودات مشميريت هكوديش» (رابطة الحراسة المقدسة) ثم «أجودات هحيم» (رابطة الحياة) وأخيرا «نطوري كارتا» (حراس المدينة) وهو الاسم الذي أطلقه عليها الحاخام إياهو بروش والذي ظل مرتبطا بها حتى يومنا هذا (١٢٦).

على أن المتفحص للشارع الحريدي في إسرائيل اليوم، يجد في حقيقة الأمر أكثر من خمس جماعات دينية تحمل جميعها اسم (نطوري كارتا)، ولا تختلف عن بعضها البعض إلا في أرقام صندوق البريد، ذلك أن أبناء الجيل المؤسس لهذه الجماعة. أنشأوا عدة جماعات دينية بهذا الاسم، فالحاخام حاييم أهارون كتسنبويجن سيطر على الحركة الأم، ومبناها المركزي في حي «مائة شعاريم». وهذه الجماعة التي لا يزيد عدد أتباعها في إسرائيل على ثلاثين عائلة، هي المقصودة «بنطوري كارتا» المعروفة عند العرب، وذلك بسبب المواقف السياسية لسكرتيرها «ووزير خارجيتها» الحاخام موشيه هيرش من القضية الفلسطينية.

إضافة إلى هذه الجماعة، شكل الحاخام أوري عميرام بلوي جماعة أخرى دعت بالاسم نفسه، وهي تعتبر العدو اللدود للطائفة الأولى حيث تسود بينهما كراهية شديدة تصل أحيانا إلى حد الاشتباك بالأيدي، كلتاهما تزعم أنها «نطوري كارتا» الحقيقية، وأن الأخرى مزيفة، كذلك تزعم جماعة «ذرية أهارون» الحسيدية، أنها بمفاهيمها تمثل «نطوري كارتا» الحقيقية، ليس بالاسم فقط، وإنما بالممارسة، بالعزلة والمظاهرات، ومعارضة الدولة الصهيونية، وتعتبر هذه الفئة أكبر الجماعات التي تزعم أنها «نطوري كارتا». وكما تزعم جماعة «المنفيين» أنها «نطوري كارتا». و«المنفيون» هم جماعة حسيدية غريبة انفصلت قبل عدة سنوات عن طائفة «فايغيتش» الحسيدية، بسبب تمردهم على «أدمور» الطائفة الذي سمح للفتيات بالذهاب إلى مدارس «بيت يعقوب» للإناث التي تديرها «أجودات إسرائيل».

وقد أدت معارضتهم هذه إلى طردهم من الطائفة باعتبارهم «ضالين»، وقد سكن هؤلاء في القدس، حيث أقاموا معبدا خاصا بهم وتحولوا إلى جماعة متطرفة في «مائة شعارييم». ويضاف إلى هذه الجماعات التي تزعم أنها «نطوري كارتا» جماعة «ليبله فايسيش» الذي يعتبر من قادة هذه الجماعة التاريخيين»^(١٢٧).

ويلاحظ أن أتباع الجماعات المنضوية تحت اسم «نطوري كارتا»، والتي تقدرهم المصادر الإسرائيلية ببضعة آلاف، فيما يؤكدون هم أن عددهم يبلغ في إسرائيل عشرات الآلاف^(١٢٨)، وأكثر من نصف مليون نسمة في إسرائيل والخارج^(١٢٩). وهؤلاء الأتباع يتفقون على فكرة واحدة هي معاداة الحركة الصهيونية، والانعزال عن دولة إسرائيل، باعتبارها ثمرة الغطرسة الآثمة، لأنها قامت على يد نفر من الكفرة الذين تحدوا مشيئة الله وإرادته بإعلانهم إقامة دولة إسرائيل بدلا من انتظار «المسيح المنتظر» المخول وحده بإقامة «مملكة إسرائيل»، وأن العمق الأيديولوجي ومكانة كل جماعة من الجماعات السابقة تقاس بمقياس البعد عن الصهيونية، وعن أموال الدولة وانتخاباتها وصحافتها، وكهربائها العلمانية، ونظام توقيتها الصهيوني. وحسب هذه المقاييس فإن جماعة «حيم كسلبويجن» تعتبر أكثر جماعات «نطوري كارتا» تشددا^(١٣٠).

ولقد ناضلت «نطوري كارتا» ضد الحركة الصهيونية، معتبرة إياها حركة «ملحدة ومهرطقة» لأنها انتهكت العهد الثلاثة، التي قطعها اليهود للرب، قبل خروجهم إلى «المنفى»، وهي: ألا يسبوا الألم «للأغيار» الذين يقيمون بينهم، وألا يحاولوا احتلال «أرض إسرائيل» بالقوة، وألا يستعجلوا الأمور. وقد رأت «نطوري كارتا» أيضا أن إعلان استقلال إسرائيل نقض أسس قوانين الشريعة لذا رفضت الاعتراف بالدولة وقوانينها، وأعلنت أن أعضاءها لن يهبوا للدفاع عن هذه الدولة لو تعرضت للاعتداء. وأعلن عميرام بلوي أحد الزعماء

التاريخيين لهذه الجماعة استعداد «نطوري كارتا» لقبول سلطة ورعاية أية أمة توافق عليها الأمم المتحدة، أو سلطة جميع الأمم مجتمعة ورعايتها، لأننا بسبب ذلك وضعنا العناية الإلهية في المنفى، وقد سلك آباؤنا هذا الطريق طوال عهد الشتات إلى اليوم. وطلب بلوي في بريقة بعث بها إلى الأمين العام للأمم المتحدة في يوليو ١٩٤٩، وضع القدس تحت وصاية دولية، وإصدار جوازات الأمم المتحدة للمتدينين اليهود الذين يرغبون في ذلك، وأعلن استعداد «نطوري كارتا» لمغادرة القدس إلى أي مكان آخر يستطيع أفرادها العيش فيه بموجب التوراة والشرعة^(١٣١).

إن «نطوري كارتا» بمفهومها العام، حركة مفتوحة أمام كل اليهود ومن يرغب في الانضمام إليها عليه الالتزام بمقاطعة الدولة عن طريق إهمال الاحتفال بيوم «الاستقلال» والصوم في ذلك اليوم حدادا وحرنا، وعدم الاشتراك في الانتخابات القطرية والمحلية التي تقام بها، أو الانضمام إلى أي حزب أو مؤسسة تتلقى الدعم من الدولة، أو الإخلال بالمحرمات الدينية ولو بالمصادفة، وعدم مساعدة الدولة عن طريق الجمارك والضرائب وأية وسيلة أخرى، أو مساعدة الأحزاب الممثلة في الكنيست، أو قراءة الصحف والاستماع إلى المذيع ومشاهدة التلفزيون^(١٣٢).

كذلك على أتباع الطائفة الالتزام بتوقيت الطائفة اليهودي قدر المستطاع، وترك توقيت الدولة الصهيوني. وهناك ساعة مركزية خاصة بالطائفة مضبوطة حسب التقويم اليهودي الذي تؤمن به الطائفة، وهي معلقة على سطح منزل رقم (١٥) في حي «مائة شعاريم» بالقدس، وقد كتب على هذه الساعة باللغة الإنجليزية: «غير خاضعة لتأثير الصهاينة»، بحيث إن بعض أتباع الطائفة ممن يتعاملون بحكم مراكزهم مع العالم الخارجي مثل وزير خارجية الطائفة موشيه هيرش يحمل ساعتين واحدة تعمل حسب توقيت دولة إسرائيل

الصهيوني، والثانية تعمل حسب توقيت الطائفة المعتمد، وحسب هذا التوقيت فإن ساعة الغروب تحل في الساعة الصهيونية الثانية عشرة ظهرا حيث يبدأ بعدها يوم جديد^(١٣٣). إضافة إلى هذا لا يستخدم أتباع الطائفة اللغة العبرية إلا في الصلوات والتعليم الديني. وأما في المعاملات اليومية فيستخدمون اللبديشية، كذلك يمتنع أتباع الطائفة عن الاستعانة بالشرطة الإسرائيلية، لأنها «شرطة صهيونية»^(١٣٤).

ومن الجدير بالذكر، أن حركة «نطوري كارتا» كانت حتى عام ١٩٦٥، إحدى الجماعات المكونة «للطائفة الحريدية» في القدس، ولكنها انفصلت في ذلك العام عن الطائفة. وسبب الانفصال أن زعيم الطائفة عميرام بلوي أحد المؤسسين التاريخيين للطائفة وقع في حب امرأة كانت في إحدى السنوات ملكة جمال فرنسا تدعى جيورت روث وهي مسيحية، فرنسية المولد، مطلقة ومتهودة على يد حاخامين يهوديين في فرنسا. وقد قرر عميرام أن يتزوج منها وكان في الثانية والسبعين من عمره، وذلك بعد أن توفيت زوجته الأولى عام ١٩٦٣، فلم توافق محكمة الطائفة الحريدية على هذا الزواج لأن عميرام كاهن، والكاهن لا يتزوج إلا بكرا^(١٣٥)، ثم إن جيورت لم تستطع أن تقدم الإثباتات الكافية على تهودها بطريقة «هلاخية» حسب المفاهيم الأرثوذكسية، بسبب وفاة الحاخامين اللذين تهودت على أيديهما^(١٣٦). وإزاء هذا الرفض قرر عميرام عدم الانصياع إلى رأي المحكمة، والانتقال إلى السكن في بني براك مع زوجته مبتعدا عن ملاحقة أتباع الطائفة الحريدية له، وأدى هذا الأمر إلى انفصال «نطوري كارتا» عن «الطائفة الحريدية»^(١٣٧).

وقد برز من زعماء هذه الطائفة الحاخامان عميرام بلوي وأهارون كتسنبويجن، وظهرتا كثنائي يكمل أحدهما الآخر، فكان الأول يمثل قوة الجسم حيث كان يقود مظاهرات السبت احتجاجا على لعب كرة القدم في

ذلك اليوم ويحاول عرقلة بيع التذاكر بنفسه ، الأمر الذي عرضه للضرب على يد الشرطة أكثر من مرة . وكان الثاني يمثل قوة العقل والتفكير . وقد عرف عميرام كمعارض عنيد وعنيف للحركة الصهيونية ودولة إسرائيل ، وعندما سئل لماذا يسبب لنفسه كل هذه المعاناة رد قائلا :

« حتى يقولوا عندما تتحطم الدولة الصهيونية بأنه كان هناك مجانين قالوا بأن العالم ليس جغرافيا ، واليهودية ليست جواز سفر» (١٣٨)

وقد عاصر الحاخامان المذكوران احتلال الضفة والقطاع وأصدرا أمرا بمنع أتباع الطائفة من الذهاب إلى هذه المناطق ، حتى لو كان الهدف هو زيارة الأماكن المقدسة ، وقد توفي الحاخام عميرام عام ١٩٧٤ ، فيما توفي أهارون عام ١٩٧٨ ، وبوفاتهما انتهى العصر الذهبي «لنطوري كارتا» ، وأصبحت هذه الحركة بعد رحيلهما دون قيادة حقيقية ، الأمر الذي أدى إلى اشتعال الصراعات بين أجنحتها المختلفة (١٣٩) .

وقد نشطت هذه الحركة على الصعيد السياسي بعد الإعلان عن قيام دولة إسرائيل ، فرفضت الاعتراف بهذه الدولة ، واحتجت أمام الأمم المتحدة على إعلانها ، وقد اقترحت هذه الحركة تدويل القدس ، واعترفت بحقوق الشعب الفلسطيني على كامل أرض فلسطين ، وأبدت الجماعة استعدادا للعيش في ظل سلطة فلسطينية ، كما اعترفت هذه الجماعة بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد وشرعي للفلسطينيين ، وأدانت هذه الحركة غزو إسرائيل للبنان في مطلع الثمانينيات . وبعد قرارات المجلس الوطني الفلسطيني عام ١٩٨٨ ، والتي أعلنت عن قيادة فلسطينية في الضفة والقطاع ، والاعتراف بإسرائيل عمليا ، أيدت «نطوري «كارتا» الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية المذكور ، إلا أنها احتجت على اعتراف المنظمة بإسرائيل ، وعقد ممثلوها اجتماعا طارئا في نيويورك لتدارس الوضع ، وعبر المشتركون فيه عن استيائهم لأنهم يشعرون بأن ياسر عرفات

قد خانهم ، وأن اعتداله يبعث على القلق^(١٤٠) . وقد ذهبت هذه الطائفة إلى أبعد من ذلك عندما أرسلت عقب وفاة الإمام آية الله الخميني وفدا لتقديم التعازي نيابة عن الطائفة تقديرا لموقف الخميني المناوئ للصهيونية^(١٤١) .

والقاعدة الأساسية التي تنطلق منها مواقف «نطوري كارتا» السياسية تتلخص في اتخاذ المواقف المناقضة لمواقف إسرائيل ، وكما أوضح ليليه فايسبيش : «إذا قال الصهاينة إن العالم كله ضدنا ، قلنا إن العالم كله معنا»^(١٤٢) . وتطبيقا لمبدأ المخالفة هذا ، تتخذ «نطوري كارتا» بين الحين والآخر مواقف ، تتسم بالطرافة والغرابة في الشارع الإسرائيلي . وعلى سبيل المثال عندما عارضت الأحزاب الدينية وكثير من الأحزاب القومية المتطرفة ، في منتصف الثمانينيات ، إنشاء الجامعة المرمونة المسيحية على جبل الزيتون في القدس أبدت «نطوري كارتا» تأييدها لإقامة الجامعة ، وعقب الحاخام موشيه هيرش على ذلك قائلا : «إننا نعارض بشدة إقامة الجامعة العبرية الصهيونية ، ولا يوجد لدينا أي معارضة لنشاطات الأديان المختلفة ومؤسساتها في مدينة القدس» . وعندما وصل جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكية الأسبق إلى إسرائيل عام ١٩٨٧ ، تلقى رسالة من ممثلي «نطوري كارتا» دعوه فيها إلى الإقامة في «مائة شعاريم» (التي تم شراؤها من أصحابها الأصليين بكامل ثمنها ، بدلا من الإقامة في فندق هيلتون ، الموجود في منطقة محتلة) . وعلى حين تعتبر الغالبية العظمى من الأحزاب والحركات الإسرائيلية الكفاح المسلح الفلسطيني إرهابا ، ترى «نطوري كارتا» أن هذا الكفاح هو أمر مشروع . يقول هيرش : «نحن ضد سفك الدماء ، وأيضا منظمة التحرير ضد سفك الدماء ، ونحن نؤيد حق الفلسطينيين في استرجاع ما أخذ منهم بوساطة القوة»^(١٤٣) . وعندما رحبت إسرائيل بسيل الهجرة المتدفق إليها من الاتحاد السوفيتي في مطلع عام ١٩٩٠ ، أرسلت «نطوري كارتا» رسالة إلى الزعماء السوفيت ،

ومنهم ميخائيل جورباتشوف تدعوهم فيها إلى وقف سيل الهجرة . وجاء في الرسالة : «إذا سكن اليهود السوفييت الدولة الصهيونية ، فسيجدون أنفسهم في وسط نزاع قومي مع الفلسطينيين ، وقد يستخدمون وقودا للمدافع» (١٤٤).

وقد برزت من بين جماعات «نطوري كارتا» جماعة «كتسنلوبيجن» بمواقفها السياسية المميزة ، التي يعبر عنها عادة مفكرها الرئيس الحاخام «يرحمئيل إسرائيل دومب» أو سكرتيرها الحاخام موشيه هيرش .

أما الحاخام دومب فهو ينحدر من أصل بولندي ، ويعيش في لندن ، وهو يزور إسرائيل مرة كل عامين ، في اليوم الذي يصادف ذكرى وفاة مؤسس الجماعة أهارون كتسنلوبيجن ، ويمكث فيها ثمانيا وأربعين ساعة فقط حيث يلقي خطبة واحدة ثم يغادرها فوراً لأنه غير مستعد للإقامة على أرض صهيونية^(١٤٥) . وهو عادة ما يهاجم في خطبته المنتظرة هذه ، «الطائفة الحريدية» ، والحركة الصهيونية . وقد لخص في إحدى خطبه موقف «نطوري كارتا» من الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل قائلا :

«إن الصهيونية سيئة ليس بسبب منعها اليهود من إقامة الفرائض والواجبات ، . حيث بإمكانك أن تكون صهيونيا وتؤدي الفرائض ، فليست هذه هي المشكلة ، إنما كون الصهيونية تصيب الكيان اليهودي بالأذى ، لأنها تقول إن اليهود هم شعب كالفرنسيين والرومان ، ولهذا فإن حل مشكلتهم يكون كباقي الشعوب ، بإقامة دولة وشعب ، وأن المشكلة أيضا هي في البناء الخاص للشعب اليهودي ، والجوهر الخاص به ، فالشعب اليهودي قد اختير للحفاظ على التوراة بسبب تميزه ، والصهيونية لا تريد الحفاظ على شيء ، فإذا كنا شعبا نمتلك قدرة إلهية ، فنحن ستحرر بطريقة إلهية ، إننا لم نطرد من بلادنا بسبب ضعفنا ، ولن نعود إليها بسبب قوة الجيش . لقد طردنا بسبب أخطائنا ، وما نحتاج إليه حقيقة هو إنقاذ من الله ، وليس إقامة دولة . ولو

سيطرننا حتى حدود إيران، ولو قبل العرب أرجلنا، فإن علينا أن نعرف بأن هذا ليس هدفنا، إنما هدفنا الإنقاذ الإلهي وأن يبنى البيت المقدس - يقصد الهيكل - من قبل الله ومن الأعلى، وعلى الشعب اليهودي أن يحارب الصهيونية كما يحارب الكاثوليكية، وألا يحاول صبغ الدولة - إسرائيل - بصبغة يهودية، وأنا أعتقد أن هذا المكان - إسرائيل - هو مكان خطر على اليهود، فالعرب في تطور ونماء عددي ومالي، وكل عربي يحلم بشيء واحد، هو استئصال السرطان المسمى إسرائيل، وافهموا أن ما تحاربون من أجله ليس للكيان اليهودي إنما للصهيونية» (١٤٦).

وأما الحاخام موشيه هيرش سكرتير الطائفة ووزير خارجيتها فهو على الرغم من أن طوائف «نطوري كارتا» الأخرى قد أعلنت أنه لا يمثل أحدا عدا نفسه، فإنه يقوم بنشاطات سياسية واسعة (١٤٧).

وبمتابعة تصريحاته، تعرف القارئ العربي على «نطوري كارتا» كطائفة مناوئة للصهيونية. فقد اعتاد هذا الحاخام إرسال البرقيات إلى رؤساء الدول وللبابا، وللأمم المتحدة، ولياسر عرفات وللإمام الخميني، محتجا على السياسة الإسرائيلية أو مؤيدا لموقف ضد الصهيونية، وقد لخص موقفه من الصهيونية في مقال نشره بصحيفة «الواشنطن بوست» في مطلع أكتوبر ١٩٧٨ حيث أوضح:

«إن الصهيونية تتعارض تعارضا كاملا مع اليهودية. فالصهيونية تريد أن تعرف الشعب اليهودي باعتباره وحدة قومية، وهذه هرطقة، فقد تلقى اليهود الرسالة من الرب، لا لكي يفرضوا عودتهم إلى الأرض المقدسة ضد إرادة سكانها، فإن فعلوا ذلك فإنهم يتحملون نتائج فعلتهم، والتلمود يقول: «إن هذا الانتهاك سوف يجعل من لحكمك فريسة للسباع في الغابة». وإن المذبحة الكبرى ستكون نتيجة من نتائج الصهيونية» (١٤٨).

وأوضح هيرش في تصريحات أخرى «إنه لا يجوز اتباع الضلالة والثقة بالحركة الصهيونية»^(١٤٩)، «وأن التوراة أمرتنا بالعيش بسلام مع جيراننا غير اليهود في فترات الشتات»^(١٥٠). وهو يعتقد أن «بإمكان اليهود أن يعيشوا ويربوا أبناءهم في ظل الدولة الفلسطينية حسبما يريدون، وأنه يمكننا عندها أن نعمل على هجرة الكثير من اليهود إلى البلاد في حين أن هناك كثيرا من الحاخامين الذين حظروا على اليهود الهجرة إلى دولة الصهاينة وشجعوا الهجرة منها لأن هناك خطرا على النفس والجسم، بسبب الحياة في ظل الدولة الصهيونية التي تكفر بملكوت السماء»^(١٥١).

ويضيف الحاخام هيرش شارحا أفكاره:

«إذا كان هنالك اهتمام وحرص من جانب الصهيونية تجاه اليهود، فعليها إصلاح الظلم الذي سببته للشعوب الأخرى». ويقول في مناسبة أخرى:

«نحن الحريديم نعرف أنفسنا كيهود فلسطينيين، فالقسم المقدس يجبر الشعب اليهودي على عدم السيطرة على البلاد المقدسة، أو أي بلاد أخرى دون رغبة المواطنين الحقيقيين فيها، وأن الصهيونية تدنس للقدس، ومناقضة للديانة اليهودية، لأنها تسيطر بالقوة وتضطهد الآخرين، ولو جرى انتخاب حزب صهيوني من قبل الفلسطينيين ليقوم بتمثيلهم، فلن أدعي عندها أن الصهيونية تسيطر بوساطة القوة، لكن العرب اختاروا منظمة التحرير الفلسطينية، ونحن بالتأكيد لم نختر الصهيونية، إننا لا نזור حائط المبكى، أو البلدة القديمة، أو منطقة أخرى، جرت السيطرة عليها بالقوة، لأن ذلك يعتبر تجاوزا»^(١٥٢).

وانتقد الحاخام هيرش بقوة الجهات التي تحاول إجبار «الحريديم» على الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي وقال: «إنهم يريدون انضمامنا إلى آلة الحرب ضد العدو الذي أوجدوه خدمة لمصالحهم، ولتوسيع سيطرتهم على مناطق تابعة

لشعوب أخرى ، وأن هؤلاء الأشخاص - ويقصد الفلسطينيين - تم الإعلان عنهم كأعداء ، لأنهم يشكلون عقبة أمام المطامع الإقليمية الصهيونية ، ونحن اليهود الفلسطينيين عشنا بسلام خلال مئات السنين مع هؤلاء الأعداء للصهيونية . ونحن نطمح باستمرار هذه العلاقة ، رغم المعارضة الصهيونية» (١٥٣) .

لقد نجح هيرش في محاولة منه لتنشيط هذه الحركة في إنشاء «مجلس تورا سباعي» خلال السنوات الأخيرة ليعمل على الإشراف على شؤون الطائفة وحل المشاكل التي تواجهها ، وتقرير خط سيرها المستقبلي .

ومن الجدير بالذكر أخيراً ، أن بن جوريون عندما سئل عن سبب عدم معاقبة الحكومة لأتباع هذه الطائفة التي تنتكر لإسرائيل وقوانينها أوضح في إجابته «أن هناك صعوبة متزايدة باستمرار تكتنف عملية اتخاذ إجراءات بحق أناس تنبع أفعالهم من إيمان ديني عميق ، وليسوا من مخالفين القوانين ، بالمعنى الاعتيادي المألوف . ومن جهة أخرى ، فإن هؤلاء يمثلون عالماً انحدر معظمنا منه ، وهو عالم أجدادنا وأبائنا الذي عرفناه في سن الطفولة ، فكيف تريدون أن يزعج المرء بجده الأكبر في السجن ، حتى ولو رمى غيره بالحجارة كما أن هناك أيضاً البعد السياسي ، حيث إن الأحزاب الدينية في الائتلاف تتفق مع بعض مطالب «نظوري كرتا» ، وستجد صعوبة في البقاء في حكومة يمكن أن تتخذ إجراءات مشددة ، ضد مجموعة تحارب ، ولو كانت هذه الحرب بطريقة غير شرعية ، من أجل الحفاظ على شريعة السبت» (١٥٤) .



مراجع وهوامش الدراسة

مراجع وهوامش الباب الأول

- ١ - إمنون روبنشتاين: ولد في تل أبيب عام ١٩٣١. درس الحقوق والاقتصاد والعلاقات الدولية في الجامعة العبرية. حصل على الدكتوراه من جامعة لندن. عمل من عام ١٩٦٤ عضواً في تحرير صحيفة «هآرتس». خلال السنوات ١٩٦٩ - ١٩٧٤ عمل عميداً لكلية الحقوق جامعة تل أبيب، وأستاذاً للقانون الدستوري. كان من مؤسسي حزب «شينوي» (التغيير) عام ١٩٧٤. اختير زعيماً للحزب «شينوي» في انتخابات الكنيست الثالث عشر (١٩٩٢)، وخاض الانتخابات ضمن حركة «ميرتس» (البسام + راتس + شينوي)، وعين وزيراً للطاقة في حكومة رابين. بعد الأزمة التي حدثت في العلاقات من حزب العمل وحزب شاس الديني الحريدي احتجاجاً على تصريحات شولاميت ألوني وزيرة التعليم في مايو ١٩٩٣، عين بدلاً منها وزيراً للتعليم، ورأس وفد المفاوضات الإسرائيلي للسلام في واشنطن. من أشهر كتبه: «الصلحية واللاقانونية» (١٩٦٥)، «هنا والآن» (١٩٦٩)، «القانون الدستوري لدولة إسرائيل» (١٩٧٤)، «فرض الاخلاق في مجتمع متساهل» (١٩٧٥)، «لكن شعباً حراً» (١٩٧٧). تخطى مقالاته باهتمام واسع في الصحافة الإسرائيلية والأمريكية، وتنتشر مقالاته في «هآرتس» و«نيويورك تايمز».
- ٢ - راجع: جارودي. روجيه: فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أنامين، وميشيل واكيم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا ط ١٩٨٨، ص ٩٧ - ١٠٠.
- ٣ - روبنشتاين. إمنون: «لكن شعباً حراً» (لهيوت عم خوفشي)، دار نشر شوكن، القدس وتل أبيب، ١٩٧٧، ص ١٤٠.
- ٤ - المسيري. عبد الوهاب (دكتور): الأيديولوجية الصهيونية (الطبعة الأولى)، الجزء الأول، سلسلة «عالم المعرفة» (٦١)، الكويت، ديسمبر ١٩٨٢، ص ٩٢ - ١١٤.
- ٥ - شوكن جرشوم: «نظرة جديدة على الصهيونية: نجاح أم فشل؟» (مباط حاداش عل هتسيونوت: هتسلاحا أو كيشالون؟)، صحيفة «هآرتس»، ١٠/٩/١٩٨٠، ص ١٢.
- ٦ - روبنشتاين. إمنون. المصدر السابق ص ١٣٩ - ١٤١.
- ٧ - روبنشتاين. إمنون: «من هرتسل إلى جوش إيمونيم ذهاباً وعودة» (ميهرتسل عذجوش إيمونيم أو فيحزارا)، دار نشر شوكن، تل أبيب، ١٩٨٠، ص ١٦ - ١٨.
- ٨ - روبنشتاين. إمنون: المصدر السابق، ص ١٤٢.
- ٩ - راجع بهذا الخصوص: الشامي. رشاد: التيار الروحي في الصهيونية - دراسة لأحدها عام - أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة عين شمس ١٩٧٣.
- ١٠ - روبنشتاين. إمنون: المصدر السابق، ص ٢٠ - ٢١.
- ١١ - المسيري. عبد الوهاب: الأيديولوجية الصهيونية، طبعة ثانية، سلسلة عالم المعرفة (١٢٨)، الكويت، يونيو ١٩٨٨، ص ١١٠، وراجع أيضاً كتاب: أرض الميعاد - دراسة نقدية للصهيونية السياسية، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة ٧٤٢، ص ١٦.
- ١٢ - روبنشتاين. إمنون: المصدر السابق، ص ٢٦.
- ١٣ - نوبيرجر. جي: «الفرق بين اليهود والصهيونية»، في كتاب «الصهيونية حركة عنصرية» المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، يونيو ١٩٦٩، ص ١٩٣.

- ١٤ - روبنشتاين . إمتون : المصدر السابق ، ص ٢٠ - ٢٧ .
- ١٥ - كنس . يعقوب : القومية اليهودية ، مقالات وأبحاث (لشوميت يهوديت ، ماسوت أو محقاريم) ، المكتبة الصهيونية التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية ، القدس ، ١٩٧٩ ، ص ٧٨ .
- ١٦ - هركايب . يهوشافاط : ساعة إسرائيل المصرية ، الهيئة العامة للاستعلامات ، كتب مترجمة (٧٩٤) ، ١٩٩٠ ، ص ١٧٣ .
- ١٧ - كنس . يعقوب : المصدر السابق ، ص ٨٠ - ٨١ .
- ١٨ - نفس المصدر ، ص ٧٥ .
- ١٩ - المسيري . عبد الوهاب : الأيديولوجية الصهيونية ، الجزء الثاني ، ص ١٥ .
- ٢٠ - رزوق . أسعد (دكتور) قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل ، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .
- ٢١ - هرتزبرج . أرشور : الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية ، ترجمة لطفي العابد ، موسى عنزة ، «مركز الأبحاث» ، منظمة التحرير الفلسطينية بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٠٥ .
- ٢٢ - رزوق . أسعد : المصدر السابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .
- ٢٣ - أحد هاعام : شريعة من صهيون (توراه ميتسيون) ، كل كتابات أحدهاعام ، دار نشر «دفير» ، تل أبيب ١٩٦٥ ، ص ٤٠٩ .
- ٢٤ - تعرضت وجهة النظر الصهيونية الاشتراكية هذه لانتقادات كثيرة ، اتفقت معظمها على التحفظ على التفسير التاريخي الصهيوني الرسمي ، وأكدت أن عالم الشرائع ذا المغزى الديني الخالص - والذي تجاوزته الصهيونية - هو جزء لا يتجزأ من اليهودية . وقد كان أشهر من عبر عن وجهة النظر هذه البروفيسور يشعياهو ليفوفيتش والمفكر الصهيوني إلبيرز لفته . وراجع بهذا الخصوص :
- ليفوفيتش ، يشعياهو : «اليهودية ، الشعب اليهودي ودولة إسرائيل» (يهودت ، هعام يهودي أو مدينتا يسرائيل) ، دار نشر شوكن ، القدس ، ١٩٧٥ .
- لفته . إلبيرز : «إسرائيل ومشكلة الحضارة الغربية» (إسرائيل أو مشير هتسفيلزاتسيا همرافيت) ، دار نشر شوكن . القدس ، ١٩٧٢ .
- ٢٥ - أحد هاعام : «الصهيونية وإصلاح العالم» (هتسينوت فيتكون هاعولام) المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .
- ٢٦ - Klatzkin - Jacob : boundaries 1914 - 1921, in the Zionist Idea, by Arthur Hertzberg, P. 317.
- ٢٧ - المسيري . عبد الوهاب : موسوعة المفاهيم والاصطلاحات الصهيونية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٣٩٣ .
- ٢٨ - The Jewish Chronicle, August 11, 1911, p. 14.
- ٢٩ - روبنشتاين . إمتون : من هرتسل إلى جوش إيمونيم ، ص ٥١ .
- ٣٠ - نفس المصدر : ص ١٥٦ .
- ٣١ - نفس المصدر ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .
- ٣٢ - نفس المصدر ، ص ١٦٥ .
- ٣٣ - روبنشتاين . داني : جوش إيمونيم - الوجه الحقيقي للصهيونية ، ترجمة غازي السعدي ، دار الجليل للنشر - عمان ، الطبعة الأولى ، يوليو ١٩٨٣ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .
- ٣٤ - شوكن . جرشوم : المصدر السابق .
- ٣٥ - روبنشتاين . إمتون : المصدر السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

- ٣٦- نفس المصدر، ص ١٠٧ .
- ٣٧- عاميت . يعقوب : «من يسيطر على الدولة؟» (مي شوليط بمديناه)، عدد رأس السنة العبرية، «عل هشار» ١٧٠/٩/١٩٨٢، ص ٢٠ .
- ٣٨- روبنشتاين . إمنون : المصدر السابق، ص ١٠٧ - ١٠٨ .
- ٣٩- ميجد . أهارون : دافار، ١٠/٥/١٩٧٩ .
- ٤٠- لافين . جون : العقلية الإسرائيلية، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (٧٥)، القاهرة، ١٩٨١، ص ١٦١ .
- ٤١- كتس . يعقوب : المصدر السابق، ص ٨٦ .
- ٤٢- سميث . موشيه : «الصراع حول جعل قيم اليهودية في إسرائيل مؤسساتية (هكونفليكيت عل مسود عيرخي هيهדות بمديנות إسرائيل)، كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية (اليغيزر كافلن)، الجامعة العبرية، القدس، ١٩٧٩، ص ٣ .
- ٤٣- لافين . جون : العقلية الإسرائيلية، ص ١١٤ ،
- ٤٤- عفرون . بوغز : «الحساب القومي» (هتشبون هلثومي)، دار نشر «دفير»، تل أبيب، ١٩٨٨، ص ٣٢٤ .
- ٤٥- سميث موشيه : المصدر السابق، ٦ - ٧ .
- ٤٦- نفس المصدر .
- ٤٧- الزرو . صلاح : المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، رابطة الجامعيين، مركز الأبحاث، الخليل، ١٩٩٠، ص ٤١٤ .
- ٤٨- سميث . موشيه : المصدر السابق، ص ٧ .
- ٤٩- سيحيف . توم : الإسرائيلون الأوائل ١٩٤٩، ترجمة خالد عابد وآخرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦، ص ٢١٦ .
- ٥٠- نفس المرجع .
- ٥١- المسيري . عبد الوهاب (دكتور) : اليهودية والصهيونية وإسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٥، ص ١٥٢ - ١٥٥ .
- ٥٢- منصور . أنيس : خنجر في قلب إسرائيل، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٢ .
- ٥٣- نفس المصدر .
- ٥٤- ليسك . موشيه : «الصراعات الأيديولوجية والاجتماعية في إسرائيل»، (كونفلكتيم أيديولوجيم فيجفرا تيم بيسرائيل)، مجلة «سقرا حودشيت» (العرض الشهري)، عدد رقم ٩، نوفمبر ١٩٨٢، ص ٩ .
- ٥٥- إنجلد . ي : «العلاقة بين الهالاخاه والدولة» (هيجس بين ههالاخاه فيها مدينا)، مجلة «مولاد»، العدد ٢٢، يناير - ديسمبر ١٩٦٤ .
- ٥٦- لدى الحديث عن الدين اليهودي، ينبغي أن يكون مفهوما أن المقصود بذلك هو «الهالاخاه» اليهودية، أي تلك الأحكام التي تم القبول بها باعتبارها أحكاما ملزمة من قبل «اليهودية الربانية» الأرثوذكسية، حيث توجد تيارات دينية يهودية أخرى مثل «اليهودية المحافظة» و«اليهودية الإصلاحية» لها مطالب خاصة بخصوص قضايا الأحوال الشخصية، ولديها اعتراضات على المكانة الكبرى التي تحتلها «اليهودية الأرثوذكسية» وتنحاز إلى الدولة العلمانية .
- ٥٧- انجلد . ي : المصدر السابق .

- ٥٨ - ايزنشتادت . ش . ن : «المجتمع الإسرائيلي» (هخفراهيسراييليت)، دار نشر ماجنس، الجامعة العبرية، القدس، ١٩٦٧، ص ٢٦٠.
- ٥٩ - ليسك . موشيه : المصدر السابق، ص ٩ - ١٠.
- ٦٠ - ايزنشتادت . ش . ن : المصدر السابق، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.
- ٦١ - نفس المصدر، ص ٢٦١.
- ٦٢ - ليسك . موشيه : المصدر السابق، ص ١٠.
- ٦٣ - ايزنشتادت . ش . ن : المصدر السابق، ص ٢٦٣.
- ٦٤ - كتس . يعقوب : المصدر السابق، ص ٨٣.
- ٦٥ - نفس المصدر، ص ٩١ - ٩٢.
- ٦٦ - سميث . موشيه : المصدر السابق، ص ٣.
- ٦٧ - كتس . يعقوب : المصدر السابق، ص ٩٣.
- ٦٨ - سميث . موشيه : المصدر السابق، ص ٤ - ٥.
- ٦٩ - سميث . موشيه : نفس المصدر، ص ٥ - ٦.



مراجع وهوامش الباب الثاني

- ١ - توينبي . أرنولد : فلسطين ، جريمة ودفاع ، تعريب عمر الديراوي ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣٤ - ٣٥ .
- ٢ - جريس . صبري : تاريخ الصهيونية (١٨٩٢ - ١٩١٧) الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، القدس ١٩٧٨ ، ص ٥٧ .
- ٣ - ديمتري . أديب : جذور العرقية الصهيونية - الصراع العربي الإسرائيلي : الجذور والمواقف . دار الثقافة الجديدة ، القاهرة أبريل ١٩٨٨ ، ص ٢٣ .
- ٤ - جريس . صبري : المصدر السابق ، ص ٧٣ .
- ٥ - ديمتري . أديب : هزيمة العقل وجذور الصهيونية ، مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٨٦ ، ص ٧٥ .
- ٦ - جريس . صبري : المصدر السابق ، ص ٧٦ .
- ٧ - الفكرة الصهيونية - النصوص الأساسية ، إشراف أنيس صايغ ، ترجمة لطفي العابد وموسى عنزة ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٢٧٩ .
- ٨ - المسيري عبد الوهاب : موسوعة المفاهيم ، ص ٣٨٨ .
- ٩ - جريس . صبري : المصدر السابق ، ص ٩٨ .
- ١٠ - الحاخام أفراهام يتسحاق كوك :

ولد في شبال روسيا عام ١٨٦٥ م ، تلقى في صغره تعليما تلموديا ثم تأثر «بالقبالة» وسعى وراء تجارب الإشراف الداخلي ، وحين بلغ الثالثة والعشرين من عمره أصبح حاخام قرية زيجل في ليتوانيا حيث شغل هذا المنصب خلال الفترة (١٨٨٨ - ١٨٩٥) ، ثم أصبح حاخام بلدة بويسك في لتفيا خلال الفترة (١٨٩٥ - ١٩٠٤ م) . وفي عام ١٩٠٤ هاجر إلى فلسطين ، وأصبح حاخاما لمدينة يافا ، وقد اعتبر تعيينه في هذا المنصب ثورة حقيقية في الحياة الدينية اليهودية في فلسطين ، حيث كان أول حاخام صهيوني بارز في فلسطين . وفي عام ١٩١٤ سافر إلى أوروبا للاشتراك في الاجتماع الكنسي العالمي ، ممثلا عن «أجودات إسرائيل» ، وحالت الحرب العالمية الأولى دون رجوعه ، فعمل حاخاما في مدينة سانت جالن في سويسرا (١٩١٤ - ١٩١٦ م) ، وانتقل إلى لندن كحاخام مؤقت لها خلال الفترة (١٩١٦ - ١٩١٩ م) . وحين عاد إلى القدس شغل منصب الحاخام الرئيسي للمدينة وأصبح أول «حاخام أكبر» للطائفة اليهودية الاشكنازية في فلسطين ، حيث شغل هذا المنصب منذ عام ١٩٢١ م وحتى وفاته عام ١٩٣٥ م . وقد خلف وراءه بحوثا في العلوم الدينية ، والتصوف اليهودي ، والفلسفة والشعر ، ونشرت أعماله هذه في عدة مجلدات بعنوان «أوروت» (أضواء) . انظر :

- Encyclopaedia Judaica Vol, 9, P 888

- Ibid. Vol, 10, P 1182.

- الفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية : المصدر السابق ، ص ٢٩٣ .

- المسيري . عبد الوهاب : المصدر السابق ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

١٢ - الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية : المصدر السابق، ص ٢٩٣.

١٣ - المسيري . عبد الوهاب : المصدر السابق، ص ٣١٩.

١٤ - Avineri. Shlomo: The Making of Modern Zionism, Political and racial insight into Lraael, Edited by Dr. D.Levin, Hebrew University, Israel, 1988, P188-189.

Ibid – ١٥

١٦ - الفكرة الصهيونية - النصوص الأساسية : المرجع السابق، ص ٢٩١.

١٧ - فلتر . مائير، جوجانسكي . تمار وايرلخ . وولف : دراسات في الصهيونية، منشورات صلاح الدين، القدس، ١٩٧٦.

١٨ - الفكرة الصهيونية : المرجع السابق، ص ٢٩٤ وما بعدها.

١٩ - نفس المصدر، ص ٢٩٨.

٢٠ - الحاخام صموئيل حاييم لاندو:

ولد في بولندا عام ١٩٨٢ م. كان حسيديا ينحدر من عائلة حسيديّة، وتأثر بالحركة الصهيونية في سن مبكرة حيث وصل بها إلى مركز رفيع. أسس في مطلع العشرينيات الجناح العمالي لحركة المزراحي» والمسمى «هيوغيل مزراحي» أي (العامل المزراحي). وقد هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٥ ليتابع نشاطه الصهيوني ويعمل في خدمة الصهيونية الدينية، وقضى السنوات الثلاث الأخيرة من حياته في فلسطين (١٩٢٥ - ١٩٢٨ م) بعد أن جرى انتخابه لعضوية المكتب المركزي في الحركة الصهيونية الدينية. وتوفي عام ١٩٢٨ م. انظر - الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، ص ٣٠٧.

٢١ - الفكرة الصهيونية. النصوص الأساسية: ص ٣٠٩ - ٣١٠.

٢٢ - نفس المصدر، ص ٣١٣.

٢٣ - مائير برايلان:

ولد في فولجين في روسيا عام ١٨٨٠ م. وتلقى علومه هناك، انضم إلى الحركة الصهيونية في شبابه، وأصبح فيما بعد من زعماء «المزراحي»، وقد شغل منصب سكرتير اللجنة التنفيذية العالمية «للمزراحي». انتقل إلى أمريكا عام ١٩١٤ حيث قام بتنظيم فرع «للمزراحي» هناك ثم أصبح رئيسا لهذا الفرع في عام ١٩١٦ - ١٩٢٦ م. هاجر إلى فلسطين في عام ١٩٢٦ م، حيث أقام في القدس حتى وفاته عام ١٩٤٩ م. وقد أسس عام ١٩٣٧ م جريدة «هتسوفيه» (المراقب) كنانقة بلسان «المزراحي» - وما زالت إلى اليوم - وبذل جهودا لتوفير الدعم «للمعاهد الدينية» (الشيقيوت)، وكان من المبادرين في الدعوة إلى تأليف الموسوعة التلمودية، وذلك بعد أن عمل في إصدار طبعة جديدة للتلمود. شغل منصب رئيس تحرير الموسوعة التلمودية منذ عام ١٩٤٧ م حتى وفاته، ومثل «المزراحي» في الكنيسة الإسرائيلية الأولى. وقد نشرت مذكراته باليديشية عام ١٩٣٣ م بعنوان (من فولجين إلى القدس)، كما صدر له كتاب «معلم في القدس»، وسميت العديد من المؤسسات باسمه تحليدا لذكراه، منها المبنى المركزي لحركة «المزراحي» العالمية في تل أبيب، وجامعة «برايلان» الدينية في «رامات جان» بالقرب من تل أبيب التي تم تدشينها عام ١٩٥٥ م، كما أطلق اسمه على «بيت مائير» وغابة برايلان. انظر:

- الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية ص ٤١٧ - ٤١٨.

٢٤ - نفس المصدر، ص ٣١٧.

- ٢٥ - نفس المصدر ، ص ٤١٨ .
- ٢٦ - نفس المصدر ، ص ٤٢٢ .
- ٢٧ - Tropper. Daniel: The Future of Reliogin Zionism. Jerusalem Post, February 18. 1990.
- ٢٨ - هركابي . بهوشفاط المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
- ٢٩ - يشار إلى الصهيونية الدينية الوثيقة الصلة بالحاخام راينس على سبيل التشهير في دوائر الأصوليين على أنها صهيونية «كوبات حوليم» (صندوق المرضى) - أي الصهيونية التي تقتصر على كونها جمعية لإسعاف اللاجئين أو منظمة ضمان صحي .
- ٣٠ - عبدالله . هاني : الأحزاب السياسية في إسرائيل ، عرض وتحليل مؤسسة الدراسات الفلسطينية سلسلة الدراسات ٥٩ ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٨٦ .
- ٣١ - ريان . آشير : «نظام الأحزاب في إسرائيل» (إرجون همفلاجوت بيسرائيل) ، مجلة «سقيرا حودشيت» العدد ٨ - ٩ ، سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ١٩ .
- ٣٢ - لاكوير . زئيف : «تاريخ الصهيونية» (تولدوت هتسيونوت) ، دار نشر شوكن ، القدس وتل أبيب ، ١٩٧٧ ، ص ٣٨١ .
- ٣٣ - جبور . سمير : انتخابات الكنيست الحادي عشر ١٩٨٤ ، الأبعاد السياسية والاجتماعية ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، سلسلة الدراسات ٧١ ، نيقوسيا ، ١٩٨٥ ، ص ٩٩ .
- ٣٤ - عبدالله . هاني : المصدر السابق ، ص ٨٦ .
- ٣٥ - لاكوير . زئيف : المصدر السابق ، ص ٣٨١ .
- ٣٦ - عبدالله . هاني : المصدر السابق ، ص ٧٧ - ٨٦ .
- ٣٧ - ريان . آشير : المصدر السابق ، ص ٢٨ .
- ٣٨ - جبور . سمير : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .
- ٣٩ - عبدالله . هاني : المصدر السابق ، ص ٨٧ .
- ٤٠ - لاكوير . زئيف : المصدر السابق ، ص ٣٨١ .
- ٤١ - نفس المصدر ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ .
- ٤٢ - جريس . صبري : تاريخ الصهيونية ، الجزء الثاني . ص ٣٣٥ ، ٣٤٥ .
- ٤٣ - عبدالله . هاني : المصدر السابق ، ص ٨٧ .
- ٤٤ - جبور . سمير : المصدر السابق ، ص ١٠٠ - ١٠١ .
- ٤٥ - عبدالله . هاني : المصدر السابق ، ص ٨٧ - ٨٨ .
- ٤٦ - جبور . سمير : المصدر السابق ، ص ١٠١ .
- ٤٧ - نشأت كتلة الشباب عمليا في أوائل الستينيات ، وتألفت في غالبيتها من شبيبة الحزب التي ترعرعت وتخرجت في المدارس الدينية الرسمية أو «اليشيفوت» وأعضاء حركة «بني عقيبا» ، معظمهم إسرائيليو المولد ومن الطبقة المتوسطة ، وهي التي حملت فيما بعد لواء الفكر الديني القومي المتطرف .
- ٤٨ - شادي . عبدالعزيز : الأحزاب الدينية والانتخابات القادمة (يونيو ١٩٩٢) ، دراسة استشرافية نشرة «رؤية» ، العدد (١٠ - ١١) مايو ١٩٩٢ ، مركز الفالوجا للدراسات والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٩٥ - ٩٧ .
- ٤٩ - عبدالله . هاني : المصدر السابق ، ص ٨٨ - ٩٢ .
- ٥٠ - هل . جرشوم : «لن تقام وحدة حزبية دينية» (لوتاقوم أحداتوت مفلجتيت داتيت) ، صحيفة «هبرقر» ١١/٣٠/١٩٦٤ .

- ٥١ - الشامي . رشاد : صراع القوى والانتخابات الإسرائيلية القادمة ، مجلة «السياسة الدولية» ، العدد ١٦ ، أبريل ١٩٦٩ ، ص ٤٦ .
- ٥٢ - عبدالله . هاني : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
- ٥٣ - يديعوت أحرونوت ٢٩/٣/١٩٧٧ .
- ٥٤ - يديعوت أحرونوت ٤/٤/١٩٧٧ .
- ٥٥ - يديعوت أحرونوت ٨/٤/١٩٧٧ .
- ٥٦ - أهاون أبرحسيرا : ولد عام ١٩٣٨ في المغرب . هاجر إلى فلسطين عام ١٩٤٩ . درس في مدرسة دينية ثم في دار للمعلمين ، والتحق بعد ذلك بجامعة بر إيلان . شغل منصب مدير بلدية الرملة منذ عام ١٩٧١ . انتخب عضوا في الكنيست الثامن (١٩٧٣) . بدأ يبرز على الصعيد السياسي الحزبي في أعقاب الاتفاق الذي تم بين كتلة الشباب بزعامة همر وجناح الشباب في كتلة «ليكودفيتمورا» التي كان يتزعمها وزير الأديان السابق يتسحاق روفائيل . يعتبر أبو حصيرا زعيما للطوائف الشرقية في حزب «المفدال» حيث تتمتع عائلته بمكانة دينية مرموقة . في أواخر عام ١٩٨٠ وجهت إليه تهمة التلاعب بالأموال العامة وتلقي الرشوة ، وحكم عليه بالسجن ٥١ شهرا مع إيقاف التنفيذ وتغريمه مبلغا ماليا .
- ٥٧ - يوسف بورج : من مواليد ألمانيا عام ١٩٠٩ وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٩ . دكتوراه في الفلسفة من جامعة برلين (١٩٢٨ - ١٩٣١) وحاخام معتمد . عضو كنيست منذ الكنيست الأول . شغل في السابق منصب نائب رئيس الكنيست (١٩٤٨ - ١٩٥١) ، ووزير الصحة (١٩٥١ - ١٩٥٢) ، ووزير البريد (١٩٥٢ - ١٩٥٨) ووزير الشؤون الاجتماعية (١٩٥٩ - ١٩٧٠) ، ووزير الداخلية والشرطة والشؤون الدينية . له مؤلفات سياسية وفلسفية وتاريخية . ترأس الوفد الإسرائيلي لمفاوضات الحكم الذاتي مع مصر . عضو المركز العالمي «للمفدال» .
- ٥٨ - زفلولون هامر : ولد في حيفا عام ١٩٣٦ . تخرج من جامعة بر إيلان قسم التربية والعلوم اليهودية . بدأ يلمع كزعيم لكتلة الشباب في حزب «المفدال» منذ الستينيات . عضو كنيست منذ الكنيست السابع . شغل منصب نائب وزير المعارف والثقافة ، عين في عام ١٩٧٥ وزيرا للشؤون الاجتماعية . يقود تيار الصقور في «المفدال» مدعوما بحركة «جوش إيمونيم» الدينية المتطرفة .
- ٥٩ - جبور . سمير : المصدر السابق ، ص ١٠٢ .
- ٦٠ - ها أرتس ١٦/٤/١٩٨٤ .
- ٦١ - Leibel. Ahron: "Elections : the Final Week", the Israeli Weekly Newreview, Vol. 11 V, No. 29, July 29, 1984, P.3.
- ٦٢ - راضي . أشرف : اليهود الشرقيون وانتخابات الكنيست الثاني عشر ، في كتاب «انتخابات الكنيست الثاني عشر في إسرائيل» ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، جامعة القاهرة ، ص ٧٣ .
- ٦٣ - خليفة . أحمد : الأحزاب الدينية - القوة الانتخابية والاعتبارات الائتلافية ، مجلة «شؤون فلسطينية» عدد رقم ١٠ ، ربيع ١٩٩٢ ، ص ٢٢٣ .
- ٦٤ - يهودا والسامرة : اسنان تورائتان للمناطق الواقعة جنوبي القدس وشمالها (على التوالي) . وهما تشتملان تاريخيا على أجزاء مهمة من إسرائيل ما قبل ١٩٦٧ ، ولكنهما لا تشتملان على وادي الأردن ومنطقة بنيامين (وكلاهما في الضفة الغربية) . ويفضل دعاه الضم في إسرائيل ألا يشير

والسامرة»، وذلك لأسباب سياسية على الرغم من الغموض الجغرافي الذي تنطوي عليه هذه التسمية.

- ٦٥ - ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ١٣٣ - ١٣٤ .
٦٦ - خليفة . أحمد : المصدر السابق، ص ٢٣٤ .
٦٧ - جبور . سمير : المصدر السابق، ص ١٠٣، ١٠٤، ١١١ .
٦٨ - انتخابات الكنيسة الثاني عشر في إسرائيل، مركز التنمية البشرية والمعلومات، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص ١٦٧، عن ملحق ها آرتس ١٩٨٨/١١/٦ .
٦٩ - جبور . سمير : المصدر السابق، ص ١٠٤ .
٧٠ - دافار ١٩٨٤/٤/٦ .
٧١ - يديعوت أحرونوت ١٩٨٤/٧/١١ .
٧٢ - نفس المصدر .
٧٣ - Leibel. Ahron: Will Success Sopoil Shinui?, the Israeli Weekly Newreview, Vol.5, No, 29, July, 24, 1984.
٧٤ - راضي . أشرف : اليهود الشرقيون وانتخابات الكنيسة الثاني عشر «ضمن أبحاث ندوة»: انتخابات الكنيسة الثاني عشر في إسرائيل، المرجع السابق، ص ٧٣ .
٧٥ - أرليخ . آريل : «مفاتيح الحكومة القادمة» (مفتيحات همشالاه هبا أه)، ها آرتس (الملحق الأسبوعي) ١٩٨٨/٥/١٣، ص ٣٩ .
٧٦ - راجع : تيروش . أفراهام : مقابلة مع الحاخام عميطل (رئايون عم هراف عميطل)، معارف (الملحق الأسبوعي)، ١٩٩٢/١٠/٢، ص ١٠-١١ .



مراجع وهوامش الباب الثالث

- ١ - راجع هذا الخصوص : الزرو . صلاح : المصدر السابق، ص ٥٢ - ١٥٨ .
- ٢ - سميث . غازي : «الصهيونية السياسية : انتقادات يهودية»، الصهيونية حركة عنصرية، أبحاث ندوة طرابلس حول الصهيونية والعنصرية، ٢٤ - ٢٨ تموز ١٩٧٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩، ص ٢١٧ - ٢٢٠ .
- ٣ - جارودي . روجيه : المصدر السابق، ٣٦٠، .
- ٤ - المصدر نفسه .
- ٥ - توينبي . أرنولد : المصدر السابق، ٣٣ - ٣٤ .
- ٦ - نوبيرس . جي : الفرق بين اليهودية والصهيونية، الصهيونية حركة عنصرية، المصدر السابق ١٩١ .
- ٧ - المسيري . عبد الوهاب : موسوعة المفاهيم، ص ٣٥٣ .
- ٨ - النوباني . حمدي : المشتاركن التلمود الأول، القدس ١٩٨٧، ص ٢٢٥ .
- ٩ - سعبان . كامل : اليهود تاريخاً وعقيدة، دار الهلال، القاهرة، ص ١٦٠ - ١٦١ .
- ١٠ - تلمي . أفرايم ومناحم : «المعجم الصهيوني» (لكسيكون تسيوني)، مكتبة معارف، تل أبيب الطبعة الرابعة، ١٩٧٨، ص ١٠ .
- ١١ - Encyclopaedia Judaica : Keter Publishing House, Jerusalem, 1991, Vol. 2, P 421 (Agudat Israel)
- ١٢ - Encyclopaedia Judaica Op. Cit, P. 424 .
- ١٣ - تلمي . مناخم وأفرايم : المصدر السابق، ص ١٠ .
- ١٤ - Encyclopaedia Judaica Op. Cit, P. 424 .
- ١٥ - تلمي . مناخم وأفرايم : المصدر السابق، ص ١٠ .
- ١٦ - عبدالله . هاني : المصدر السابق، ص ١٣١ - ١٣٢ .
- ١٧ - ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ١٣٤ .
- ١٨ - عبدالله . هاني : المصدر السابق، ص ١٣٤ .
- ١٩ - الحاخام سمحابونيم ألتر : يعتبر رئيس «مجلس كبار التوراة» منذ عام ١٩٧٧ بحكم كونه «أدمور» طائفة جور التي تمثل الطائفة المركزية في «أجودات إسرائيل» . ويصنف في القاموس الإسرائيلي ضمن معسكر الحماة لأنه دعا في عام ١٩٨٩ لإجراء محادثات سلام مباشرة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية وقد تجاوز العام التسعين من عمره، ولايغادر منزله منذ سنوات .
- ٢٠ - انسحب الحاخام شاخ في مجلس كبار علماء التوراة عام ١٩٧٣ وعاد إليه عام ١٩٧٧، ثم انسحب مرة أخرى عام ١٩٨٣ إلى غير رجعة، كما انسحب منه «أدمور» طائفة «بلغاز» الذي أيد حزب «ديجل هتوراه» بعد قيامه . مر بفترة عصيبة منذ عام ١٩٨٥ وتوفي في يونيو ١٩٩٢ .
- ٢١ - أشهر الأدمورائيم الذين تولوا أمر حسيدي جور قبل قيام دولة إسرائيل : الحاخام إسحاق مائير

- (توفي في ١٨٦٧)، الحاخام يهودا آريه، مؤلف كتاب «سفات ها إيميت» (توفي عام ١٩٠٥)، والحاخام أفراهام مردخاي (توفي في فلسطين عام ١٩٤٨). ويعتبر الحاخام يهودا آريه أول من ابتدع ما يسمى «طيش» (الوليمة الفاخرة التي تقام احتفالاً بالسبت والأعياد)، وقد أخذت بها كل الطوائف الحسيدية على أنها طقس كلاسيكي يعكس أفكاراً رئيسية في الفلسفة الحسيدية.
- ٢٢ - لنذاو . دافيد : «سيفتحون مرة أخرى مائدة لدى أدمور جور (شوف يفتحوا شولحان إيتسل ها أدمور ميجور)، معارف (الملحق الأسبوعي)، ١٧/٧/١٩٩٢، ص ١٦ - ١٧.
- ٢٣ - المصدر السابق، ص ١٣٤ - ١٣٦.
- ٢٤ - تسيدون . آشير : «مجلس النواب» (بيت هنفحاريم)، دار نشر «أحي أساف»، القدس، ١٩٦٩، ص ٣٢٢ - ٣٢٦.
- ٢٥ - عبدالله . هاني : المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.
- ٢٦ - جبور سمير : المصدر السابق، ص ١١١.
- ٢٧ - خليفة . أحمد : المصدر السابق، ص ٢٣١ - ٢٣٢.
- ٢٨ - الززو . صلاح : المصدر السابق ص ٣٥٠ - ٣٥٢.
- ٢٩ - تسيدون . آشير : المصدر السابق، ص ٣٢٢ - ٣٢٦.
- ٣٠ - صبري . إسماعيل : عرض كتاب «الرب برميل بارود . إسرائيل ومتطرفوها» للصحفي الإسرائيلي شالوم كوهين، الأهرام، ١٥/٤/١٩٩٠، ص ٥.
- ٣١ - ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ١٣٤ - ١٣٥.
- ٣٢ - الززو . صلاح : المصدر السابق، ص ٤٥٧ - ٤٥٨.
- ٣٣ - معارف ١٦/١٠/١٩٩٢.
- ٣٤ - ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ١٣٥.
- ٣٥ - صحيفة معارف، ٢١/٥/١٩٩١.
- ٣٦ - ليثور . جاد، روزليو . ميخائيل، وأفيري . أريه : «باروش : إذا استلزم الأمر، سأحضر مراقبين ليوم السبت تايلاندين «باروش : إم تساربخ، أبي بقاخي شبات تايلانديين»، ידיעות أchronot ٢١/٥/١٩٩١، ص ٢.
- ٣٧ - روزليو . ميخائيل : «الربام منع استعمال غير اليهود لفرض السبت» (الربام أوسير هفعالات جوييم لكفيات هشبات)، ידיעות أchronot ٢١/٥/١٩٩١، ص ٢.
- ٣٨ - ريط . مناحم : «بورج : حوالي ٢٢ ألفا يتهبون في جيش الدفاع الإسرائيلي» (بورج : ك - ٢٢ إيليف مشتمطم ميتسهال)، معارف ١٢/٣/١٩٩٢، ص ٣.
- ٣٩ - حزب شينوي : من أحزاب اليسار الصهيوني وقد شكل عام ١٩٧٧ تحت اسم «الحركة الديمقراطية للتغير (دش) بزعامة يغال يادين وضم نخبة من المثقفين اليساريين الرافضين لتوجهات حزب العمل الإسرائيلي، ودعا للقضاء على احتكار العمل السياسي والحزب وقصره على حزب العمل والليكوند . انضم إلى المابام ودش في انتخابات ١٩٩٢ تحت قائمة «ميرتس» (بزعامة شولاميت ألوني) وحصل على ١٢ مقعداً.
- ٤٠ - لافي . تسفي : «حرب ثقافية في الكنيسيت» (ملحيميت تربوت بكنيسيت)، معارف، ١٢/٣/٩٢ ص ٣.
- ٤١ - ريط . مناحم : «لماذا دمهم أكثر أحمرارا من دمنا» (مدواع دسام أدم ميدامينو)، معارف ١٢/٣/١٩٩٢، ص ٣.

- ٤٢ - الزرو . صلاح : المصدر السابق، ص ٢٤٧ - ٢٥٨ .
- ٤٣ - هبيي . أحمد : هل يحدث انقلاب عسكري في إسرائيل ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٧٤ - ٧٦ .
- ٤٤ - الزرو . صلاح : المصدر السابق، ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .
- ٤٥ - مجلة البيادر السياسي ، العدد ٢٨٠ ، ١٩٨٧ ص ٤٥ .
- ٤٦ - تلمي . مناحم وإفرايم : المصدر السابق، ص ٢٩٥ .
- ٤٧ - المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ .
- ٤٨ - Encyclopaedia Judaica Op. Cit, Vol 13, P. 655.
- ٤٩ - ربيع . حامد (دكتور) : النموذج الإسرائيلي للممارسة السياسية ، معهد الدراسات والبحوث العربية . القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢١٥ .
- ٥٠ - بدأ الحزبان محادثات للاندماج في عام ١٩٦٠ ، غير أن قرار حزب «بوعالي أجودات» بالانضمام لحكومة بن جوريون وضع حدا لها .
- ٥١ - Encyclopaedia Judaica Op. Cit, P. 655.
- ٥٢ - عبدالله . هاني : المصدر السابق، ص ١٥١ - ١٥٢ .
- ٥٣ - عبدالله . هاني : نفس المصدر ، وجبور . سمير : المصدر السابق، ص ١١١ .
- ٥٤ - الزرو . صلاح : المصدر السابق، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .
- ٥٥ - المرجع السابق، ص ٣٥٣ .
- ٥٦ - عبدالله . هاني : المصدر السابق، ص ١٥٦ - ١٦٠ .
- ٥٧ - خليفة . أحمد : المصدر السابق، ص ٢٣٥ .
- ٥٨ - الزرو . صلاح : المصدر السابق، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .
- ٥٩ - فريدمان . مناحم : المجتمع والدين - الأرثوذكسية غير الصهيونية في فلسطين ، القدس ، دار نشر بن تسفي ، ١٩٧٨ .
- ٦٠ - Jewish Enclopydia, Vol. 3, P232 - 234.
- ٦١ - سميث . موشيه : المصدر السابق، ص ٧٢ - ٧٦ .
- ٦٢ - ليفشيتس - موشيه : المصدر السابق، ص ١٣٥ .
- ٦٣ - ميكلسون . مناحم : «يا لها من حفلة دينية» (إيزو طايش زيه هايا)، الملحق الأسبوعي «يديعوت أحرונوت» ، ١٩٨٨ / ١١ / ١٨ .
- ٦٤ - Shapiro. Haim , The Politics of Religions Poletecs, Jerusalem Post (J.P) 14 No- vember, 1989.
- ٦٥ - Jerusalem Post, 1 November 1988.
- راجع : الزرو . صلاح : المصدر السابق، ص ٣٧٠ .
- ٦٦ - RABITS. ABRAHAM: "Toward. Real Peace" J. P, December 29, 1988.
- ٦٧ - ربيع . حامد (دكتور) : المصدر السابق، ص ١١١ - ١١٢ .
- ٦٨ - كوتلر . يائير : «العنف يزداد والاستقطاب يزداد عمقا» (هاليموت جوفيرت ، هاقيطوف معميق)، صحيفة معاريف ، ١٨ / ٢ / ١٩٨٣ .
- ٦٩ - ايزنشادت . ش . ن : المصدر السابق، ص ٤٣ - ٤٤ .
- ٧٠ - ليسك . موشيه : المصدر السابق، ص ١٠ .
- ٧١ - ترميجانو . شموئيل : إسرائيل الثانية - المشكلة السلفاردية ، مقال في كتاب «إسرائيل الثانية» المشكلة السلفاردية ، ترجمة فؤاد جديد . منشورات فلسطين المحتلة ، ١٩٨١ ، ص ١٧ - ١٨ .

- ٧٢- ربيع . حامد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٦٣ - ٨٤ .
- ٧٣- جينور . بني : «ثغرات اجتماعية واقتصادية في إسرائيل» (بغاريم حفرانيم فيكلكاليم بيسرائيل)، المكتبة الجامعية، دار نشر «عم عوفيد» تل أبيب ١٩٨٣، ص ٥٠ .
- ٧٤- ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ١٤٢ .
- ٧٥- الشامي . رشاد (دكتور) : الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩١ (الطبعة الثانية) ص ١٢٤ .
- ٧٦- اينشتادت . ش . ن : المصدر السابق، ص ٤٤ - ٤٥ .
- ٧٧- ليسك . موشيه : «الثقافة السياسية في إسرائيل» (هتربوت همدانيت بيسرائيل)، مجلة «سقيرا حودشيت» (العرض الشهري)، العدد ٨ - ٩، أغسطس ١٩٨٤، ص ٧٨ .
- ٧٨- المصدر السابق، ص ٧٨ .
- ٧٩- سموحا . سامي : المصدر السابق، ص ١٣ - ١٤ .
- ٨٠- ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق ص ١٤٢ .
- ٨١- راضي . أشرف : اليهود الشرقيون وانتخابات الكنيست الثاني عشر، مقال في كتاب «انتخابات الكنيست الثاني عشر في إسرائيل»، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص ٦٤ .
- ٨٢- ايليشار . إيلي : الانصهار والمشاركة، كتاب «إسرائيل الثانية - المشكلة السفاردية»، ترجمة فؤاد جديد، منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١، ص ١٩٤ .
- ٨٣- كوتلر . يانير : المصدر السابق .
- ٨٤- ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ١٤٣ .
- ٨٥- تافور . أيلي : «لماذا يزداد الشباب تطرفا إلى اليمين؟»، «يديعوت أحرونوت» (ملحق السبت)، ١٠/٨/١٩٨٤ .
- ٨٦- حديث أجرته معه عليزا فيليخ «دافار»، ٢٧/٧/١٩٨٤ .
- ٨٧- أفنيري . أوري : «هعولام هزيه»، ٢٣/٩/١٩٨٤ .
- ٨٨- ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ١٤٤ .
- ٨٩- راجع : جبور . سمير : المصدر السابق، ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .
- ٩٠- الزرو . صلاح : المصدر السابق، ص ٣٥٦ .
- ٩١- ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ١٣٥ .
- ٩٢- جبور . سمير : المصدر السابق، ص ١٠٨ - ١٠٩ .
- ٩٣- ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ١٣٥ .
- ٩٤- عنبري . بنحاس : الحل الفلسطيني بين دي الخاحامات، اليبادر العسكري، عدد ٣٢٥ تشرين الثاني، ١٩٨٨، ص ٣٩ .
- ٩٦- اليبادر السياسي، عدد ٣٢٥، ١٩٨٨، ص ٣٩ .
- ٩٧- Jerusalem Post Supplement, October 31, 1988, P.8 .
- ٩٨- الزرو . صلاح : المصدر السابق، ص ٣٦٤ .
- ٩٩- شادي . عبدالعزيز : الأحزاب الدينية والانتخابات القادمة - دراسة استشرافية، نشرة «رؤية» العدد ١٠، ١١، ص ٩٩ .
- ١٠٠- هوروفيتس . موشيه : «الخاخام شاخ بيده المفتاح» (هراف شاخ شيباده همفتاح)، كيتز، القدس، ١٩٨٩، ص ١٤٢، ١٤٣ .

- ١٠١ - ידיעות أحرونوت، ١٩/٤/١٩٨٩ .
- ١٠٢ - ידיעות أحرونوت، ١٤/١١/١٩٨٨ .
- ١٠٣ - في عام ١٩٩٠ كان تعداد «بني براك» نحو من مئة وعشرين ألفا نسمة كلهم «حريديم» بينهم ٤٠ ألف طفل يدرسون في مدارس الأطفال الدينية (تلمود تورا)، وأكثر من عشرة آلاف طالب في «الشيغا» (المعهد التلمودي)، والكوليل (الدروس المخصصة للرجال المتزوجين).
- ١٠٤ - كييل . جيل : يوم الله - الحركات الأصولية المعاصرة في الأديان الثلاثة، ترجمة نصير مروة، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، قبرص، ١٩٩٢، ص ١٩٢ - ١٩٤ .
- ١٠٥ - صحيفة «حداشوت»، ٢٥/١١/١٩٨٨ .
- ١٠٦ - هاآرتس ٣٠/٤/١٩٩٢ .
- ١٠٧ - إدمون . تلمي . «الحاخام بيرتس . سقط مع الليكود» (هاراف بيرتس، نفل عم هليكود) معارف ١١/٧/١٩٩٢ (الملحق الأسبوعي)، ص ١٦ - ١٧ .
- ١٠٨ - خليفة . أحمد : المصدر السابق، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .
- ١٠٩ - أفراوفيتس . إمنون : «إسرائيل في انتظار معركة الانتخابات» (يسرائيل ميحكا ليمعر نختت هيحيروت)، معارف (الملحق الأسبوعي)، ٢٢/٥/١٩٩٢، ص ٣ .
- ١١٠ - بيندر . أوري : «رئيس هيئة الأركان البدوي لشاس» (هرما طكل هيبدوي شل شاس)، معارف (الملحق الأسبوعي)، ١٩/٦/١٩٩٢، ص ١٧ .
- ١١١ - ريهط . مناحم : «الحاخام شاخ أرغم حاخامات شاس على تأييده علنا» (هاراف شاخ إلتيس إيت حاخامي شاس لتموخ بو بومييت) معارف، ١٩/٦/١٩٩٢، ص ٤ .
- ١١٢ - معارف ٢٦/٦/١٩٩٢، ص ٥ .
- ١١٣ - عندما أقيم حزب شاس عام ١٩٨٣ كان درعي في السادسة والعشرين من عمره، ولم يكن هذا السن يشجع على تكليفه بقيادة الحزب . وبعد نجاح شاس في انتخابات ١٩٨٤، وتولى بيرتس وزارة الداخلية أصبح درعي مستشارا له، إضافة إلى وظيفته الأصلية كسكرتير «مجلس حكماء التوراة» . وفي عام ١٩٨٦ أصبح مديرا عاما لوزارة الداخلية، الأمر الذي مكّنه من بسط هيئته على حركة شاس، وعلى تجمعات البدو في النقب ولما استقال بيرتس من منصبه كوزير للداخلية احتجاجا على قضية «شوشناميلر» ظل درعي في منصبه، وأصبح الشخصية الرئيسية في الوزار . وبعد انتخابات عام ١٩٨٨ عين وزيرا للداخلية ممثلا لحزب شاس في الحكومة . وهو صاحب نفوذ كبير في الحزب، بحكم صداقته الخاصة لعائلة الحاخام عوفاديا، وقربه من الحاخام نفسه حيث يعد تلميذه ومستشاره الخاص وأمين سره . وقد كان لموقعه في التحلل من الاتفاق الذي أبرمه الحاخام عوفاديا مع شمعون بيرس دورا كبيرا في إجبار حكومة العمل على قبول تشكيل حكومة من رئيسين مع الليكود . (راجع الززو . صلاح : المتدينون في المجتمع الإسرائيلي م . س . ذ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥) .
- ١١٤ - معارف ١٠/٧/١٩٩٢، ص ٢ .
- ١١٥ - ريهط . مناحم ومانور . هاداس : «زلزال في العالم الحريدي» (رعيدت أداما باعولام هحريدي)، معارف، ١٠/٧/١٩٩٢، ص ١ - ٢ .
- ١١٦ - ريهط . مناحم : «العالم الحريدي الاشكنازي يلهب الحرب ضد شاس» (ها عولام هحريدي ها إشكنازي محريف مهلحاما ييشاس) معارف، ١٧/٧/١٩٩٢، ص ٤ .
- ١١٧ - فورت . يهو شواغ : «ميرتس وتسوميت ، شركاء طبيعيين» ميرتس فيتسوميت ، شوتوفوت طبيعوت، معارف ٢٦/١٠/١٩٩٢، (الملحق الأسبوعي، ص ٢٢) .

- ١١٨ - الأهرام القاهرية، ١/٦/١٩٩٣، ص ١
- ١١٩ - رايخ . دودو ليفي : «هل شاس أصيبت؟ ماذا بعد؟» (شاس نفجعا؟ آتما؟)، مناظرة بين يهو شواخ بورات وشلومو بنزيري، «حداشوت» ٢٢/١٠/١٩٩٢، ص ٤.
- ١٢٠ - إيلان . شحر وبن ناحوم . أرنون : «شرط التسوية في قضية ألوني» (كتنائي لبشارا بباراشت ألوني)، ها أرتس ٢٦/١٠/١٩٩٢، ص ٥.
- ١٢١ - معاريف ٥/٢/١٩٩٣، ص ١، ٢.
- ١٢٢ - معاريف ١١/٥/١٩٩٣، ص ١، ٢.
- ١٢٣ - صحيفة الأهرام القاهرية ١/٦/١٩٩٣، ص ١.
- ١٢٤ - ليفي . إمنون : «هذا الحصان انتهى» (هسوس هذيه جامور)، صحيفة «حداشوت» ٣١/٧/١٩٩٢، ص ٦ - ٧.
- ١٢٥ - ربيع . حامد - (دكتور) : عملية صنع القرار السياسي في المجتمع الإسرائيلي، القاهرة، ١٩٧٣، ٣٨٠.
- ١٢٦ - نفس المصدر، ص ٢٥٤.
- ١٢٧ - نفس المصدر، ص ٣٨١.
- ١٢٨ - ربيع . حامد : النموذج الإسرائيلي، ص ٢٦٢.
- ١٢٩ - جريس . صبري : أربعون عاما من الاستقرار السياسي، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت فبراير ١٩٨٨، ص ٦٦.
- ١٣٠ - فايس . شيفخ : «ماحدث وماهو قائم» (ماشيهايا، ماشيش)، دار نشر سفريات هوبوعاليم، «هكييوتس ها أرتسي»، تل أبيب، إسرائيل، ١٩٨٠، الفصل الثامن، ص ١٤٦ - ١٤٧.
- ١٣١ - عبدالله . هاني : المصدر السابق، ص ٢١٤، ٢١٥.
- ١٣٢ - فايس . شيفخ : المصدر السابق، ص ١٤٩.
- ١٣٣ - يرد موشيه ليفشيتس في كتابه «نظام الحكم الديمقراطي في إسرائيل» على أصحاب الرأي القائل بأن حزب «دش» (الديمقراطية للتغيير) هو الذي حسم المعركة الانتخابية عام ١٩٧٧ لصالح الليكود، بقوله : إن أنصار هذا الرأي يتسرعون بإضافة الـ ١٥ مقعدا التي حصل عليها «دش» إلى الـ ٣٢ مقعدا التي حصل عليها «المعراخ»، وبذلك كان يمكن «للمعراخ» أن يحافظ على قوته . لكن هذا الزعم غير دقيق، لأن «دش» غير مسؤولة عن هزيمة حزب «العمل» . صحيح أن كثيرين من مؤيدي «ماباي» - «المعراخ» التقليديين انتقلوا هذه المرة إلى «دش» تعبيرا عن الاحتجاج والغضب من حزبهم الذي أصابه التقاعس . ولكن كثيرين أيضا من مؤيدي «الليكود» صوتوا لصالح «دش»، أي أن «دش» أضرت أيضا «بالليكود» . فالتصويت لصالح «دش» كان إذن، تعبيرا عن احتجاج أكثر منه عاملا في هزيمة حزب «العمل» . (ص ١٤١ - ١٤٢).
- ١٣٤ - فايس . شيفخ : المصدر السابق، ص ١٥٠.
- ١٣٥ - إرليخ . آيل : «مفاتيح الحكومة القادمة» (مفتيحتو هممشالا هبأه)، الملحق الأسبوعي لصحيفة ها أرتس ١٣/٥/١٩٨٨، ص ٦٠٦.
- ١٣٦ - شنيتسر . شموئيل : «الحرب حول الحقائق الوزارية» (مهلحها عل هتقيقم)، معاريف، ١٠/٧/١٩٩٢ الملحق الأسبوعي، ص ٢٢.

- ١٣٧ - هراري . حبيب : «الخاصام شاخ في إثر دافيد بن جوربون» (هراف شاخ بعقبوت دافيد بن جوربون) معاريف، ١٧/١/١٩٩٢، ص ١٢ .
- ١٣٨ - عبدالمجيد . وحيد : انتخابات الكنيست الثاني عشر والنظام الحزبي الإسرائيلي، انتخابات الكنيست الثاني عشر في إسرائيل، المرجع السابق، ص ١٤ - ١٥ .
- ١٣٩ - ارلينخ . آيل : المصدر السابق، ص ٣٨ .
- ١٤٠ - نفس المصدر .
- ١٤١ - نفس المصدر .
- ١٤٢ - نفس المصدر .
- ١٤٣ - صحيفة حداثوت، ١٧/١١/١٩٩٠، وصحيفة «يديعوت أحرونوت»، ١٨/١١/١٩٩٠ .
- ١٤٤ - ليفشيتس . موشيه : المرجع السابق، ص ٢٣٢ - ٣٣٣ .



مراجع وهوامش الباب الرابع

١ - كس . يعقوب : المصدر السابق، ص ٨٨ - ٩٠ .

٢ - المسيحية الزائفة :

هي الحركة الشبتائية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وتنسب إلى شخصية المسيح الكذاب شبتاي بن تسفي (١٦٢٦ - ١٦٧٦م) الذي خلف أكبر تأثير مسيحياني في تاريخ اليهود . وهي حركة صنعت من «القبالة» العملية (اللورانية) من ناحية، ومن الأحداث الدرامية الدامية التي وقعت ليهود أوكرانيا (بولندا) في عام ١٦٤٨م، والمعروفة باسم «أحكام تح» (الحرف تاء يساوي في حساب الجمل ٤٠٠ والحرف حاء يساوي ٨ ويكون المجموع ٤٠٨ يتم جمعها على عدد ثابت هو ١٢٤٠ لمعرفة التاريخ الميلادي (١٢٤٠ + ٤٠٨ = ١٦٤٨) على يد بوجدان حميلانسكي زعيم القوزاق والفلاحين في أوكرانيا، من ناحية أخرى . ويمكن تمييز تأثير الشبتائية في اتجاهين : الأول - لم تكن هناك طائفة يهودية من بين يهود الشتات لم تؤيد بحماس منقطع النظير شبتاي بن تسفي . من كوردرستان في الشرق وحتى لتوانيا وبولندا في الغرب، والثاني - انه ما أن شاع أمر إسلام «المسيح» لم تختف الحركة الشبتائية وأمن كثيرون بأن «المسيح» سيظهر من جديد .

وقد كان للشبتائية في بولندا بعدان رئيسان :

الأول - ظهور هو شلوع هيشل توريف، مؤسس طائفة الشبتائيم في بولندا، حيث اعتقد أنه المسيح بن يوسف وشبتاي بن تسفي المسيح الحقيقي، وكذلك ظهور ملاخ ويهودا حسيد اللذين تبعاً بدقة بزمن مجيء المسيح، وساهما بالكثير من أجل نشر الشبتائية .
والثاني - ظهور طائفة «الفرانكية» نسبة إلى يعقوب فرانك (١٧٢٦ - ١٧٩١م)، وكانت مبادئها عبارة عن مزيج غريب من الإيمان بتوراة موسى مع القبول ببعض المبادئ المسيحية، وانتهى أمرها باعتناق المسيحية مع إبداء احتجاجات ضد التلمود . وقد تعرضت هذه الطائفة للاضطهاد على يد حاخامات بولندا .

٣ - القبالة : علم التصوف اليهودي، وعلم المعرفة بالتأويلات الباطنية التي يعمل بها (همقوبالاليم) أو «القباليون» أي العارفون بالفيض الإلهي . وهم أفراد من «المتصوفة» يسعون لمعرفة جذور الوجود الكوني، ليس عن طريق الوسائل العقلية، بل عن طريق الاستعداد الداخلي والسمو بالنفس إلى المرتبة العليا . وتنقسم «القبالة» إلى : «القبالة» القديمة على النحو الذي تبلورت به في القرن الثالث عشر في كتاب «الزهر» (الضياء) الذي يحتوي على فلسفتها الرئيسية، و«القبالة» العملية، على النحو الذي تبلورت به في القرن السادس عشر في «القبالة» اللورانية نسبة إلى ربي يتسحاق لوريا (ها آري المقدس) . وتتميز «القبالة» القديمة بالطابع النظري، وتتناول موضوعات مختلفة كان لها صدى كبير في شريعة الحسيدية، مثل : مشكلة الإلهوية والخلق والأدوار العشرة التي هي معايير وقوى الشر (التي ليست إلا عجزاً عن استيعاب الفيض الإلهي الإيجابي)، والمنفى والخلاص، وعصر المسيح، وماهية الإنسان - وكل هذا عن طريق رموز مختلفة لا يعرف تفسيرها سوى «القباليين» . وقد أضافت «القبالة» اللورانية إلى هذا

جديدا صوفيا، بحديثها عن الوجود الإلهي السائد في «المنفى»، وأن شرارات الرب منتشرة في كل مكان، ولكنها مأسورة بواسطة قوى الشر («القشرة»)، وأن على الإنسان أن يجمعها عن طريق النشاط الذي يطلقون عليه «التصحيح» الذي سوف تتجلى نهايته في مجيء المسيح. وقد آمن اتباع «قبلاه» لوريا بأنه يمكن التعجيل بمجيء المسيح عن طريق عمليات التعذيب الجسدية، والصوم، واتباع الملائكة ومقاومة الشياطين وطرد الأرواح الشريرة من الأجساد والتعويذات والتعزيات. . وما شابه ذلك. وقد أكدت («القبالة») بكل تياراتها على قيمة الصلاة، وعلى الحب العميق والنية باعتبارها أهم طريقة للسمو الروحي، وعلى أن الصلاة قادرة على الوصول إلى أعلى مرتبة، للتأثير على إرادة الرب وإنزال الفيض الإلهي. ويرى كتاب «الزوهر» (الضياء) أن المصلي يمر بأربع مراحل: يصحح نفسه، ويصحح الدنيا، ويصحح العالم العلوي والاسم المقدس.

Sachar. Howard Morly: The Course of Modern Jewish History, Delta Books, New – ٤ yord, 1968, P.78.

٥ - إسرائيل بن اليعيزر:

ولد في بودوليا بجنوب بولندا عام ١٧٠٠م، وقضى فيها الجزء الأكبر من حياته ومات هناك عام ١٧٦٠. وكانت الصوفية العملية منتشرة وذات تأثير كبير في ولايته، وكانت ذات مغزى كبير في حياته، حيث آمن أول الأمر بمبادئها، ثم تخلى أخيرا عما نادى به من قهر الجسد لخلاص النفس. تزوج لأول مرة في سن الخامسة عشرة ثم ماتت زوجته بعد فترة قصيرة، وبعد زواجه الثاني ارتحل معها إلى جبال كرباتيان حيث كان يعيش من حفر الخنادق. وفي تلك الفترة مر بتجربة التأمل الداخلي الصوفي. وحل به الوحي وهو في السادسة والثلاثين، فهجر مكان إقامته واختلط بالناس وأعلن أن دعوته الحققة هي الشفاء بالإيمان، وأصبح «بعل شيم» طبيا شعبيا يعمل في الأحبة والتعاويد والتعزيات. وبعد ذلك اشتهر بلقب «بعل شيم طوف» (بعشط)، رمزا لزعامته الروحانية. وقد قام بجولات واسعة ثم اتخذ من ماجيبوش مقرا لإقامته الدائمة ومنها خرجت بشرى دعوته التي عرفت باسم «الحسيدية» وعرف أتباعها باسم «الحسديم» (الانقياء - الورعين).

٦ - بعل شيم :

انتشرت في بولندا طائفة من المحترفين الذين يعملون في التعاويد، وشفاء المرضى بواسطة الأحبة، طرد الأرواح. . إلخ. وقد عرفت هذه الطائفة باسم «بعل شيم» (الأطباء الشعبيين). وقد كانوا يطوفون القرى ويعدون بشفاء وطرد الأرواح الشريرة، عن طريق ذكر أسماء القديسين بتونيات مختلفة. وقد اشتهر بعضهم بإتيان المعجزات، وكان كثير منهم من تلاميذ «بعل شيم طوف». وقد كانت هذه الطوائف تتجمع في شكل جماعات لكل منها زعيم يدعى «هجميد» الذي كان بمثابة الزعيم الروحي للجماعة. وقد كان لهذه الجماعات تأثير واضح على الحسيدية في أربعة مجالات: الأول - تبنى الحسيدية للفلسفة القبلية التي كانوا مشبعين بها، والثاني - الاحتجاج المعادي للتلمود، والثالث - خلق إطار تنظيمي يتضمن مكانة «الزعيم الجماعة» وأعضاء الجماعة، والرابع - إبراز البعد المسيحاني والأشواق الهائلة لمجيء الخلاص المسيحاني.

Sachar. Howard Morely: Op. Cit, P. 77. - ٧

٨ - ليفشيتس . موشيه : تاريخ يهود الشرق والغرب في العصر الحديث (تولدوت يهودي همزراح أو معارف بزمان هيحاداش)، دار نشر «أورعם»، إسرائيل، ١٩٨٧، ص ٣٦ - ٣٧.

- ٩- المسيري . عبد الوهاب : اليهودية والصهيونية وإسرائيل ، ٥٢ .
 ١٠- Encyclopydia Judaica: Op. Cit, Vol. 7, P. 1401 .
 ١١- ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ٢١- ٢٢ .
 ١٢- نفس المصدر ، ص ١٩- ٢٠ .
 ١٣- نفس المصدر، ص ٣١- ٣٢ .
 ١٤- بن شاشون ج . هـ (محرر) : تاريخ شعب إسرائيل (تولدوت عم إسرائيل) ، دار نشر «دفير» ، تل أبيب ، ١٩٦٩ ، الجزء الثالث، ص ٥٦ .
 ١٥- ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ٣٢ .
 ١٦- ليفي . إمنون : «هريديم» (الحريديم)، مطبعة كير «القدس» الطبعة التاسعة، ١٩٨٩ ص ١٨- ١٩ .
 ١٧- Jermy. Danial and Martin. Bernard: A History of Judaism, Vol. 2, Europe and The New World, New York, 1974 P.189 .
 ١٨- ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ٣٥ .
 ١٩- الزرو . صلاح : المصدر السابق، ص ١٠٣ .
 ٢٠- Encyclopydia Judaica, Vol, 7,p 1014 .
 ٢١- ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق، ص ٢٨- ٣١ .
 ٢٢- Encyclopydia Judaica, Vol, 7,p 1399 .
 ٢٣- قديم . مناحم : تاريخ الصهيونية حتى ١٩١٤ (تولدوت هتسيونوت عد ١٩١٤)، دار نشر «أورعم» .
 ٢٤- الزرو . صلاح : المصدر السابق، ص ٣٧٨- ٣٧٩ .
 ٢٥- شامير . شلومو : «الرئيس السابع لحبد» (هاناسي هشيعي لحبد)، الملحق الأسبوعي لصحيفة «هاآرتس»، ١/١ / ١٩٧٧ ، ص ٢٢ .
 ٢٦- الزرو . صلاح : المصدر السابق، ص ٣٧٧- ٣٧٨ .
 ٢٧- Jerusalem Post, February 2, 1990 .
 ٢٨- يديعوت أحرونوت . ١١/١١ / ١٩٨٨ .
 ٢٩- يمز قبالي . صادق : «باري جراري يعرف شيئاً عن الراي من ليوفافيتش» (باري جراري يوديع ماشيهو عل هراف ميليوفافيتش) «يديعوت أحرونوت» (العدد الأسبوعي) ١٩٨٨/١١/٢٥ .
 ٣٠- Shapiro . Haim: Is The Rabbi Kidnapping The Aguda, J.p, October 28, 1988 .
 ٣١- برنوفر . يرمياهو ، ونوفيه . أفراهام : «بعين القلب» (بعين هليف)، إسرائيل ، ١٩٨٩ ، ص ٨٥ .
 ٣٢- نفس المصدر، ص ٨٥ .
 ٣٣- J.P, February 2, 1990 .
 ٣٤- شاي . إيلي : «خريطة التيارات الدينية اليهودية» (مبيوي هزراميم هداثيم باهدوت) عرض لكتاب أبيعيز رافينسكي : «النهاية المكشوفة ودولة اليهود - المسيحانية الصهيونية والرايكية الدينية في إسرائيل» . صحيفة «معاريف» الملحق الأدبي ٢٥/٢ / ١٩٩٣ ، ص ١ .
 ٣٥- جريدة القدس ١٧/١١ / ١٩٨٨ .

- ٣٦- برنوفر . يرمياهو ، ونوفيه . أفراهام : المصدر السابق، ص ٨٨ .
- ٣٧- نفس المصدر ، ص ٨٨ .
- ٣٨- يديعوت أحرونوت : ١٩٨٨ / ١٢ / ٤ .
- ٣٩- برنوفر . يرمياهو : المصدر السابق، ص ١١٤ - ١١٥ .
- ٤٠- ليفي . إمنون : المصدر السابق، ص ٤١ .
- ٤١- دولب . أهارون «المسيح لم يأت، والرأي يجلس في نيويورك» (هما شياخ لوبا، فيها رأي يوشيف بنيويورك)، معاريف ١٦ / ١٢ / ١٩٩٠ .
- ٤٢- صحيفة «كول هاعير» ٢٨ / ١٠ / ١٩٨٨ .
- ٤٣- Shapiro. Haim : "Habadd dance of Joy" J.P, December 2, 1988.
- ٤٤- ليفي . إمنون : المصدر السابق، ص ٢٨٨ .
- ٤٥- شامير . شلومو : المصدر السابق .
- ٤٦- صحيفة الفجر ٢٤ / ١٠ / ١٩٨٩ .
- ٤٧- شامير . شلومو : المصدر السابق .
- ٤٨- ليفي . إمنون : المصدر السابق، ص ١٨٥ .
- ٤٩- يديعوت أحرونون، ٣ / ١ / ١٩٩٠ .
- ٥٠- هوروفيتش . موشيه : «الحاخام شاخ بيده المفتاح» (هراف شاخ شيبادو همفتياح)، مطبعة كيتز، القدس، ١٩٨٩، ص ٩٠ - ٩٢ .
- ٥١- نفس المصدر ، ص ٩٤ .
- ٥٢- نفس المصدر ، ص ٩٦ .
- ٥٣- يديعوت أحرونوت ٩ / ١١ / ١٩٨٩ (الملحق الأسبوعي)
- ٥٤- هوروفيتش . موشيه : المصدر السابق، ص ١٤٥ .
- ٥٥- نفس المصدر ، ص ٩٠ .
- ٥٦- نفس المصدر ، ص ٩٠ .
- ٥٧- ليفي . إمنون : المصدر السابق، ص ١١ .
- ٥٨- برنوفر . يرمياهو ، ونوفيه . أفراهام : المرجع السابق، ص ١١ .
- ٥٩- الربي والراف والحاخام . ألقاب دينية تطلق على رجال الدين اليهود، ولا يوجد تمييز بين الراف والحاخام عند اليهود السفارديم . أما الأشكنازيم فيميزون بينهما، حيث يعتبر الراف أو الربي عندهم أعلى مرتبة من الحاخام .
- ٦٠- نفس المصدر ، ص ٤٢ - ٤٦ .
- ٦١- يمز قياي . صادوق : المصدر السابق .
- ٦٢- برنوفر . يرمياهو : المصدر السابق ص ٤٤ - ٤٦ .
- ٦٣- يمز قياي . صادوق : المصدر السابق .
- ٦٤- برنوفر . يرمياهو : المصدر السابق، ص ٥٠ - ٥٤ .
- ٦٥- كراوس . نفتالي : «مليوفافيتش : فقط الرأي يستطيع» (مليوفافيتش : رق هراي ياخول) معاريف ٤ / ١١ / ١٩٨٨ .
- ٦٦- برنوفر . يرمياهو : المصدر السابق، ص ٥٠ - ٥٤ .
- ٦٧- هوروفيتش . موشيه : «الربي شاخ بيده المفتاح» (هري شاخ شيبادو همفتياح)، القدس، ١٩٨٩، ص ٩١ .

- ٦٨ - مجزئالي . صادوق : المصدر السابق .
- ٦٩ - نفس المصدر .
- ٧٠ - كراوس . نفتالي : المصدر السابق .
- ٧١ - برنوفر . يرمياهو : المصدر السابق ، ص ١٩٧٠ .
- ٧٢ - كيسليف . ران : «الراف من ليوفافيتش يكره الحاخام شاخ كراهية عمياء» صحيفة الشعب ، ١٩٨٨/١١/٩ .
- ٧٣ - برنوفر . يرمياهو : المصدر السابق ، ص ٧٥ .
- ٧٤ - شامير . شلومو : المصدر السابق .
- ٧٥ - برنوفر . يرمياهو : المصدر السابق ص ٧٥ .
- ٧٦ - الشامي . رشاد (دكتور) : إمبراطورية اسمها «حبد» ، صحيفة «المساء» القاهرية ١٩٧٧/١٢/٧ .
- ٧٧ - برنوفر . يرمياهو ، وتوفيه أفراهام : المصدر السابق ، ص ٩٦ .
- ٧٨ - شامير . شلومو : «شامير على جهاز التسديد» (شامير على هكفينيت) ، ها آرتس ، الملحق الأسبوعي ، ١٩٩٢/٢/٢٨ ، ص ٢ .
- ٧٩ - شامير . شلومو : الرئيس السابع لحبد ، المصدر السابق .
- ٨٠ - مصير الحكم في إسرائيل يقرره حاخام عجوز في حي بروكلن بنيويورك ، صحيفة «الأهرام» ، ١٩٩٠/٤/١٣ ، ص ١
- ٨١ - شامير . شلومو : المصدر السابق .
- ٨٢ - شامير . شلومو : المصدر السابق .
- ٨٣ - الزرو . صلاح : المصدر السابق ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .
- ٨٤ - دولي . أهارون : «المسيح لم يأت ، والربي يجلس في نيويورك» (ماشياح لوبا فيهرابي يوشيف بنيويورك) ، معارف ١٩٩٠/٢/١٦ .
- ٨٥ - راجع أودنهايمر . ميخا : «أيام مسيح حبد» (بيموت ماشياح حبد) ، «ها آرتس» ، ١٩٩٢/٢/٢٨ .
- ٨٦ - ليفاف . عاموس : «المسيح على لافتة بيضاء» (ماشياح عل فولبو لافان) ، صحيفة «معاريف» ١٩٩٢/٣/٦ ، ص ٦ .
- ٨٧ - شنيتر . شموئيل : «أتباع حبد يوقعون على عرائض ، واللثوانيون يتدحرجون من الضحك» (هجد يكيم بحميم على عتسموت ، هاليطايم متجلجلين متسحق) صحيفة «معاريف» ، ١٩٩٢/٣/٦ ، ص ٧ .
- ٨٩ - نفس المصدر .
- ٩٠ - ريهط . مناحم : «حبد» الربي سقط بلا حياة (حبد ، هري نفل ليلو حيم) ، معارف ١٩٩٢/٨/٧ ، ص ٢ .
- ٩١ - ليفشيتس . موشيه : المصدر السابق ، ص ٢٢ .
- ٩٢ - Encyclopydia Judaica, Vol 7,p. 1392 .
- ٩٣ - Encyclopydia Judaica, Vol 7,p. 1399 .
- ٩٤ - ليفي . إمنون : الحريد ، ص ١٤٣ .
- ٩٥ - نفس المصدر ، ص ١٥٥ .

- ٩٦ - نفس المصدر ، ص ١٣٩ .
 ٩٧ - نفس المصدر ، ص ١٤٠ .
 ٩٨ - نفس المصدر ، ص ١٤١ .
 ٩٩ - نفس المصدر ، ص ١٥٠ - ١٥١ .
 ١٠٠ - نفس المصدر ، ص ١٥٢ - ١٥٤ .
 ١٠١ - نفس المصدر ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .
 ١٠٢ - نفس المصدر ، ص ١٦٠ .
 ١٠٣ - نفس المصدر ، ص ١٦١ .
 ١٠٤ - نفس المصدر ، ص ١٥٣ .
 ١٠٥ - نفس المصدر ، ص ١٥٥ - ١٥٧ .
 ١٠٦ - نفس المصدر ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٥٧ .
 ١٠٧ - نفس المصدر ، ص ١٣٩ .
 ١٠٨ - صبري ، إسماعيل : عرض لكتاب «الرب برمبل بارود، إسرائيل ومظرفوها» ، المصدر السابق .

- ١٠٩ ليفي . إمنون : المرجع السابق، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .
 ١١٠ - نفس المصدر، ص ٢٠٨ .
 ١١١ - نفس المصدر ، ص ٢٠٥ .
 ١١٢ - نفس المصدر ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .
 ١١٣ - نفس المصدر ، ص ٢١١ .
 ١١٤ - نفس المصدر ، ص ٢١٢ .
 ١١٥ - نفس المصدر ، ص ٢١٣ .
 ١١٦ - نفس المصدر ، ص ٢٠٩ .
 ١١٧ - بيثر . حليم : «من ذكريات كتب جدية بالازدراء» (ميز خورنوتها شل تولاعت سفاريم)، صحيفة «دافار»، الملحق الأسبوعي (دافار هشافوع)، ١٣/٩/١٩٩١، ص ١٠ .
 ١١٨ - عوز . عاموس : «في أرض إسرائيل»، عرض وتلخيص : ضياء الحاجري، مجلة «المصور» القاهرية ٢٠/١/١٩٨٤ (العدد ٣٠٩٣)، ص ٣٧ - ٣٩ .
 ١١٩ - بيثر . حليم : المصدر السابق، ص ١٠ .
 ١٢٠ - البابا سالا :

هو الربي إسرائيل أبوحصيرة المعروف باباسلا . ولد عام ١٨٩٠ في رساني في تيفيلات بالمغرب، وأصبح حاجباً أمفود الأكبر منذ حقبة الانتداب الفرنسي واشتهر بالمعجزات مثل الشفاء من الأمراض . هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٦٤ . ويحكى أنه وهو على ظهر السفينة كان البحر هائجا ويهدد بغرق السفينة ولكنه لم يشعر بشيء ثم تناول كأساً وملاء خرا ومنحه بركته وطلب إلى معاونه أن يصعد لجسر المركب ويسكب الخمر في البحر على ثلاث دفعات ويباركه وتحققت المعجزة وسكن البحر . استقر في عام ١٩٧٠ في مدينة «تيفوت» (إحدى مدن التنمية) التي كانت مركزاً لليهود المغاربة وذاعت شهرته في إتيان المعجزات مما حول مقر إقامته لمزار يحج إليه اليهود وكبار الحاخامات الأشكنازيم . وعلى الرغم من احتفاظه بالملابس المغربية التقليدية فإن أتباعه من اليهود المغاربة كانوا يقلدون رجال الدين الأشكناز من ذوي الأصل اللتواني ويرتدون البدلة

- السوداء والقبعة السوداء ذات الحواف، وإن كان هذا لم يمنحهم موقفاً متساوياً مع الأشكناز ذوي الأصل البولندي، حتى ولو كانوا من المتميزين في دراسة التوراة.
- ١٢١ - راماج هدرى . يونا : «دولة مصابة بانفصام الشخصية» (مدينا يجوعت شسيعت)، «يديعوت أحرنون» (الملحق الأسبوعي) ز ١/١١/١٩٩١، ص ٢٢.
- ١٢٢ - سانيه . موشيه : «الدينون والمؤمنون في أعقاب حرب الأيام الستة، «هداتيمم فيها مأمينم بيقبوت ملحيتم شيشيت هياميم)، صحيفة «لامر حافش، ١٩٦٨/٩/٢٢، ص ٢٠.
- ١٢٣ - يحزقياى . صادوق : «بارى جرارى يعرف شيئاً ما عن الحاخام ميلوفوفيتش» (بارى جرارى يوديع ماشيهو على هراف ميلوفوفيتش)، «يديعوت أحرنون» ١٩٨٨/١١/٢٥.
- ١٢٤ - كسيت . بن : المصدر السابق.
- ١٢٥ - يديعوت أحرنون ١٩٨٩/١٢/٥.
- ١٢٦ - جريس . صبرى : المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٣٠٥.
- ١٢٧ - ليفي . إمتون : المصدر السابق، ص ١٩٤ - ١٩٥.
- ١٢٨ - نفس المصدر ، ص ١٩١ - ١٩٢.
- ١٢٩ - صحيفة الشعب ، ١٩٨٩/١/٢٨.
- ١٣٠ - يديعوت أحرنون ، ١٩٨٩/٥/٢٤.
- ١٣١ - ليفي . إمتون : المصدر السابق، ص ١٩١.
- ١٣٢ - سيخف . توم : الإسرائيليون الأوائل ١٩٤٩، ترجمة خاند عابد وآخرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.
- ١٣٣ - ليفي . إمتون : المصدر السابق، ص ٢٠١.
- ١٣٤ - نفس المصدر ، ص ١٩٣.
- ١٣٥ - سفارتس . ميخال : «الصراع الدينى في إسرائيل يبرز تأثير الصهيونية على المتدينين» صحيفة «طريق الشراة»، ١٩٨٧/١٠/٣٠.
- ١٣٦ - رزوق . أسعد : الدولة والدين في إسرائيل مركز الأبحاث (منظمة التحرير الفلسطينية)، دراسات فلسطينية (٣٧) بيروت، ١٩٦٨، ص ٦٨.
- ١٣٧ - ليفي . إمتون : المصدر السابق، ص ١٩٣.
- ١٣٨ - نفس المصدر ، ص ١٩٦.
- ١٣٩ - نفس المصدر ، ص ١٩٧.
- ١٤٠ - صحيفة «حداشوت» ١٩٨٩/١/٣.
- ١٤١ - معاريف ١٩٨٩/٦/٢٢.
- ١٤٢ - ليفي . إمتون : المصدر السابق. ص ١٩٧.
- ١٤٣ - سفارتس . ميخال : المصدر السابق.
- ١٤٤ - صحيفة الشعب ١٩٩٠/٢/٥.
- ١٤٥ - ليفي . إمتون : المصدر السابق، ص ١٩٨ - ١٩٩.
- ١٤٦ - نفس المصدر ، ص ١٩٩.
- ١٤٧ - نفس المصدر ، ص ٢٠٠.
- ١٤٨ - نفس المصدر ، ص ١٩٢ - ١٩٤.
- ١٤٩ - صحيفة الشعب ١٩٨٩/١/٢٨.

- ١٥٠ - يذيعوت أحرونوت ١٩٨٩/٥/٢٤ .
١٥١ - حداثوت ١٩٨٨/١٢/٤ .
١٥٢ - شقارتس . ميخال : المصدر السابق .
١٥٣ - المصدر السابق .
١٥٤ - رزوق . أسعد : المصدر السابق، ص ٥٥ .
Leslie. S. Clement: The Rift in Israel, Rout Iedge& Kegan Paul, London, 1971, - ١٥٥
p.145, 146,.



د. رشاد عبدالله الشامي

أستاذ ورئيس قسم اللغة العبرية وآدابها بكلية الآداب - جامعة عين شمس .

صدرت له المؤلفات التالية :

- ١ - إنشاء وتطوير سلاح الطيران الإسرائيلي (١٩٧٢).
- ٢ - جولة في الدين والتقاليد اليهودية (١٩٧٨).
- ٣ - قواعد اللغة العبرية للمبتدئين (١٩٧٩).
- ٤ - لمحات من الأدب العبري الحديث (١٩٧٩).
- ٥ - تاريخ وتطور اللغة العبرية (١٩٧٩).
- ٦ - الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية (١٩٨٦).
- ٧ - الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب



آلاف السنين من الطاقة

تأليف :

فلاديمير كارتسيف

بيوتر خازانوفسكي

ترجمة :

م. محمد غياث الزيات

الإسرائيلي (١٩٨٨).

٨ - عجز النصر - الأدب

الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧

(١٩٩٠).

٩ - الشخصية اليهودية في

أدب إحسان عبدالقدوس

(١٩٩٢).

١٠ - الوصايا العشر في

اليهودية - دراسة مقارنة في

المسيحية والإسلام

(١٩٩٣).

صدر عن هذه السلسلة

- ١- الحضارة تأليف : د / حسين مؤنس يناير ١٩٧٨
- ٢- اتجاهات الشعر العربي المعاصر تأليف : د/ إحسان عباس فبراير ١٩٧٨
- ٣- التفكير العلمي تأليف : د/ فؤاد زكريا مارس ١٩٧٨
- ٤- الولايات المتحدة والمشرق العربي تأليف : / أحمد عبد الرحيم مصطفى أبريل ١٩٧٨
- ٥- العلم ومشكلات الإنسان المعاصر تأليف : د/ زهير الكرمي مايو ١٩٧٨
- ٦- الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها تأليف : د/ عزت حجازي يونيو ١٩٧٨
- ٧- الأتحاف والتكتلات في السياسة العالمية تأليف : / محمد عزيز شكري يوليو ١٩٧٨
- ٨- تراث الإسلام (الجزء الأول) ترجمة : د/ زهير السهموري أغسطس ١٩٧٨
تحقيق وتعليق : د/ شاكر مصطفى
مراجعة : د/ فؤاد زكريا
- ٩- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة تأليف : د/ نايف خرما سبتمبر ١٩٧٨
- ١٠- جمحا العربي تأليف : د/ محمد رجب النجار أكتوبر ١٩٧٨
- ١١- تراث الإسلام (الجزء الثاني) ترجمة : د/ حسين مؤنس | د/ إحسان العمدة نوفمبر ١٩٧٨
مراجعة : د/ فؤاد زكريا
- ١٢- تراث الإسلام (الجزء الثالث) ترجمة : د. حسين مؤنس | د/ إحسان العمدة ديسمبر ١٩٧٨
مراجعة : د/ فؤاد زكريا
- ١٣- الملاحة وعلوم البحار عند العرب تأليف : د/ أنور عبد العليم يناير ١٩٧٩
- ١٤- جمالية الفن العربي تأليف : د/ عفيف بهنسي فبراير ١٩٧٩
- ١٥- الإنسان الحائر بين العلم والخرافة تأليف : د/ عبد المحسن صالح مارس ١٩٧٩
- ١٦- النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية تأليف : د/ محمود عبد الفضيل أبريل ١٩٧٩
- ١٧- الكون والثقوب السوداء إعداد : رؤوف وصفي مايو ١٩٧٩
مراجعة : زهير الكرمي
- ١٨- الكوميديا والتراجيديا ترجمة : د/ علي أحمد محمود يونيو ١٩٧٩
مراجعة : د/ شوقي السكري | د/ علي الراعي
- ١٩- المخرج في المسرح المعاصر تأليف : / سعد أردش يوليو ١٩٧٩

- ٢٠- التفكير المستقيم والتفكير الأعوج
ترجمة حسن سعيد الكرمني
مراجعة : صدقي حطاب
أغسطس ١٩٧٩
- ٢١- مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي
تأليف : د / محمد علي الفراء
سبتمبر ١٩٧٩
- ٢٢- البيئة ومشكلاتها
تأليف : | رشيد الحمد
د / محمد سعيد صباريني
أكتوبر ١٩٧٩
- ٢٣- الرق
تأليف : د/ عبدالسلام الترماني
نوفمبر ١٩٧٩
- ٢٤- الإبداع في الفن والعلم
تأليف : د / حسن أحمد عيسى
ديسمبر ١٩٧٩
- ٢٥- المسرح في الوطن العربي
تأليف : د / علي الراعي
يناير ١٩٨٠
- ٢٦- مصر وفلسطين
تأليف : د / عواطف عبدالرحمن
فبراير ١٩٨٠
- ٢٧- العلاج النفسي الحديث
تأليف : د / عبدالستار ابراهيم
مارس ١٩٨٠
- ٢٨- أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي
ترجمة : شوقي جلال
أبريل ١٩٨٠
- ٢٩- العرب والتحدي
تأليف : د / محمد عمارة
مايو ١٩٨٠
- ٣٠- العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة
تأليف : د / عزت قرني
يونيو ١٩٨٠
- ٣١- الموشحات الأندلسية
تأليف : د / محمد زكريا عناني
يوليو ١٩٨٠
- ٣٢- تكنولوجيا السلوك الإنساني
ترجمة : د / عبدالقادر يوسف
أغسطس ١٩٨٠
- مراجعة : د / رجا الدريني
- ٣٣- الإنسان والثروات المعدنية
تأليف : د / محمد فتحي عوض الله
سبتمبر ١٩٨٠
- ٣٤- قضايا أفريقية
تأليف : د / محمد عبدالغني سعودي
أكتوبر ١٩٨٠
- ٣٥- تحولات الفكر والسياسة
تأليف : د / محمد جابر الأنصاري
نوفمبر ١٩٨٠
- في الشرق العربي (١٩٣٠- ١٩٧٠)
- ٣٦- الحب في التراث العربي
تأليف : د / محمد حسن عبدالله
ديسمبر ١٩٨٠
- ٣٧- المساجد
تأليف : د / حسين مؤنس
يناير ١٩٨١
- ٣٨- تكنولوجيا الطاقة البديلة
تأليف : د / سعود يوسف عياش
فبراير ١٩٨١
- ٣٩- ارتقاء الإنسان
ترجمة : د / موفق شخاشيرو
مارس ١٩٨١
- مراجعة : زهير الكرمني
- ٤٠- الرواية الروسية في القرن التاسع عشر
تأليف : د / مكارم الغمري
أبريل ١٩٨١
- ٤١- الشعر في السودان
تأليف : د / عبده بدوي
مايو ١٩٨١
- ٤٢- دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية
تأليف : د / علي خليفة الكواري
يونيو ١٩٨١
- ٤٣- الإسلام في الصين
تأليف : فهمي هويدي
يوليو ١٩٨١
- ٤٤- اتجاهات نظرية في علم الاجتماع
تأليف : د / عبدالباسط عبدالمعطي
أغسطس ١٩٨١

- ٤٥- حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي
٤٦- دعوة إلى الموسيقى
٤٧- فكرة القانون
- ٤٨- التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان
٤٩- صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي
٥٠- التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية
- ٥١- السينا في الوطن العربي
٥٢- النفط والعلاقات الدولية
٥٣- البدائية
٥٤- الحشرات الناقلة للأمراض
٥٥- العالم بعد مائتي عام
٥٦- الإدمان
٥٧- البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية
٥٨- الوجودية
٥٩- العرب أمام تحديات التكنولوجيا
٦٠- الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الأول)
٦١- الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الثاني)
٦٢- حكمه الغرب
٦٣- الإسلام والاقتصاد
٦٤- صناعة الجوع (خرافة الندرة)
٦٥- مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية
٦٦- الإسلام والشعر
٦٧- بنو الإنسان
٦٨- الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية
٦٩- ظاهرة العلم الحديث
٧٠- نظريات التعلم (دراسة مقارنة)
القسم الأول
٧١- الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي
٧٢- حكمه الغرب (الجزء الثاني)
- تأليف : د / محمد رجب النجار
تأليف : د / يوسف السبيسي
ترجمة : سليم الصويص
مراجعة : سليم بيسسو
- تأليف : د / عبدالمحسن صالح
تأليف : صلاح الدين حافظ
تأليف : د / محمد عبدالسلام
تأليف : جان ألكسان
تأليف : د / محمد الريمحي
ترجمة : د / محمد عصفور
تأليف : د / جليل أبو الحب
ترجمة : شوقي جلال
تأليف : د / عادل الدمرداش
تأليف : د / أسامة عبدالرحمن
ترجمة : د / إمام عبدالفتاح
تأليف : د / انطونيوس كرم
تأليف : د / عبدالوهاب المسيري
تأليف : د / عبدالوهاب المسيري
ترجمة : د / فؤاد زكريا
تأليف : د / عبدالهادي علي النجار
ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد
تأليف : عبدالعزيز بن عبد الجليل
تأليف : د / سامي مكي العاني
ترجمة : زهير الكرمي
تأليف : د / محمد موفافكو
تأليف : د / عبدالله العمر
ترجمة : د / علي حسين حججاج
مراجعة : د / عطيه محمود هنا
تأليف : د / عبدالمالك خلف التميمي
ترجمة : د / فؤاد زكريا
- سبتمبر ١٩٨١
أكتوبر ١٩٨١
نوفمبر ١٩٨١
ديسمبر ١٩٨١
يناير ١٩٨٢
فبراير ١٩٨٢
مارس ١٩٨٢
أبريل ١٩٨٢
مايو ١٩٨٢
يونيو ١٩٨٢
يوليو ١٩٨٢
أغسطس ١٩٨٢
سبتمبر ١٩٨٢
أكتوبر ١٩٨٢
نوفمبر ١٩٨٢
ديسمبر ١٩٨٢
يناير ١٩٨٣
فبراير ١٩٨٣
مارس ١٩٨٣
إبريل ١٩٨٣
مايو ١٩٨٣
يونيو ١٩٨٣
يوليو ١٩٨٣
أغسطس ١٩٨٣
سبتمبر ١٩٨٣
أكتوبر ١٩٨٣
نوفمبر ١٩٨٣
ديسمبر ١٩٨٣

- ٧٣- التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي تأليف : د / مجيد مسعود يناير ١٩٨٤
- ٧٤- مشاريع الاستيطان اليهودي تأليف : أمين عبدالله محمود فبراير ١٩٨٤
- ٧٥- التصوير والحياة تأليف : د / محمد نيهان سويلم مارس ١٩٨٤
- ٧٦- الموت في الفكر الغربي ترجمة : كامل يوسف حسين أبريل ١٩٨٤
- مراجعة : د / إمام عبدالفتاح
- ٧٧- الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا تأليف : د / أحمد عتبان مايو ١٩٨٤
- ٧٨- قضايا التبعية الإعلامية والثقافية تأليف : د / عواطف عبدالرحمن يونيو ١٩٨٤
- ٧٩- مفاهيم قرآنية تأليف : د / محمد أحمد خلف الله يوليو ١٩٨٤
- ٨٠- الزواج عند العرب (في الجاهلية والإسلام) تأليف : د / عبدالسلام الترمانيي أغسطس ١٩٨٤
- ٨١ - الأدب اليوغسلافي المعاصر تأليف : د / جمال الدين سيد محمد سبتمبر ١٩٨٤
- ٨٢- تشكيل العقل الحديث ترجمة : شوقي جلال أكتوبر ١٩٨٤
- مراجعة : صدقي حطاب
- ٨٣- البيولوجيا ومصير الإنسان تأليف : د / سعيد الحفار نوفمبر ١٩٨٤
- ٨٤- المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية تأليف : د / رمزي زكي ديسمبر ١٩٨٤
- ٨٥- دول مجلس التعاون الخليجي تأليف : د / بدرية العوضي يناير ١٩٨٥
- ومستويات العمل الدولية
- ٨٦- الإنسان وعلم النفس تأليف : د / عبدالستار إبراهيم فبراير ١٩٨٥
- ٨٧- في تراثنا العربي الإسلامي تأليف : د / توفيق الطويل مارس ١٩٨٥
- ٨٨- الميكروبات والإنسان ترجمة : د / عزت شعلان أبريل ١٩٨٥
- د / عبدالرزاق العدواني
مراجعة : د / سمير رضوان
- ٨٩- الإسلام وحقوق الإنسان تأليف : د / محمد عماره مايو ١٩٨٥
- ٩٠- الغرب والعالم (القسم الأول) تأليف : كافين رايلي يونيو ١٩٨٥
- ترجمة : د / عبدالوهاب المسيري
د / هدى حجازي
- مراجعة : د / فؤاد زكريا
- ٩١- تربية اليسر وتحلف التنمية تأليف : د / عبدالعزيز الجلال يوليو ١٩٨٥
- ٩٢- عقول المستقبل ترجمة : د / لطفي فطيم أغسطس ١٩٨٥
- ٩٣- لغة الكيمياء عند الكائنات الحية تأليف : د / أحمد مدحت إسلام سبتمبر ١٩٨٥
- ٩٤- النظام الإعلامي الجديد تأليف : د / مصطفى المصمودي أكتوبر ١٩٨٥

٩٥ - تغير العالم	تأليف : د / أنور عبد الملك	نوفمبر ١٩٨٥
٩٦ - الصهيونية غير اليهودية	تأليف : ريمينا الشريف	ديسمبر ١٩٨٥
	ترجمة : أحمد عبدالله العزيز	
٩٧ - الغرب والعالم (القسم الثاني)	تأليف : كافين رايلي	يناير ١٩٨٦
	ترجمة : د / عبد الوهاب المسيري	
	د / هدى حجازي	
	مراجعة : د / فؤاد زكريا	
٩٨ - قصة الأنثروبولوجيا	تأليف : د / حسين فهيم	فبراير ١٩٨٦
٩٩ - الأطفال مرآة المجتمع	تأليف : د / محمد عماد الدين إسمايل	مارس ١٩٨٦
١٠٠ - الوراثة والإنسان	تأليف : د / محمد علي الربيعي	أبريل ١٩٨٦
١٠١ - الأدب في البرازيل	تأليف : د / شاكر مصطفى	مايو ١٩٨٦
١٠٢ - الشخصية اليهودية الإسرائيلية	تأليف : د / رشاد الشامي	يونيو ١٩٨٦
	والروح العدوانية	
١٠٣ - التنمية في دول مجلس التعاون	تأليف د / محمد توفيق صادق	يوليو ١٩٨٦
١٠٤ - العالم الثالث وتحديات البقاء	تأليف جاك لوب	أغسطس ١٩٨٦
	ترجمة : أحمد فؤاد بلبع	
١٠٥ - المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي	تأليف : د / إبراهيم عبد الله غلوم	سبتمبر ١٩٨٦
١٠٦ - « المتلاعبون بالعقول »	تأليف : هربرت . أ . شيللر	أكتوبر ١٩٨٦
	ترجمة : عبدالسلام رضوان	
١٠٧ - الشركات عابرة القومية	تأليف : د / محمد السيد سعيد	نوفمبر ١٩٨٦
١٠٨ - نظريات التعلم (دراسة مقارنة)	ترجمة : د / علي حسين حجاج	ديسمبر ١٩٨٦
(الجزء الثاني)	مراجعة : د / عطية محمود هنا	
١٠٩ - العملية الإبداعية في فن التصوير	تأليف : د / شاكر عبد الحميد	يناير ١٩٨٧
١١٠ - مفاهيم نقدية	ترجمة : د / محمد عصفور	فبراير ١٩٨٧
١١١ - قلق الموت	تأليف : د / أحمد محمد عبد الخالق	مارس ١٩٨٧
١١٢ - العلم والمستغلون بالبحث العلمي	تأليف : د / جون . ب . ديكنسون	أبريل ١٩٨٧
في المجتمع الحديث	ترجمة : شعبة الترجمة باليونسكو	
١١٣ - الفكر التربوي العربي الحديث	تأليف : د / سعيد إسمايل علي	مايو ١٩٨٧
١١٤ - الرياضيات في حياتنا	ترجمة : د / فاطمة عبد القادر الما	يونيو ١٩٨٧

١١٥ - معالم على طريق تحديث الفكر العربي

١١٦ - أدب أميركا اللاتينية

قضايا ومشكلات (القسم الأول)

١١٧ - الأحزاب السياسية في العالم الثالث

١١٨ - التاريخ النقدي للتخلف

١١٩ - قصيدة وصورة

١٢٠ - سيكولوجية اللعب

١٢١ - الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم

١٢٢ - أدب أميركا اللاتينية (القسم الثاني)

١٢٣ - ثقافة الأطفال

١٢٤ - مرض القلق

١٢٥ - طبيعة الحياة

١٢٦ - اللغات الأجنبية (تعليمها وتعلمها)

١٢٧ - اقتصاديات الإسكان

١٢٨ - المدينة الإسلامية

١٢٩ - الموسيقى الأندلسية المغربية

١٣٠ - التنبؤ الوراثي

تأليف : د / معن زيادة يوليو ١٩٨٧

تنسيق وتقديم : سيزار فرناندث مورينو أغسطس ١٩٨٧

ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد

مراجعة : د / شاكر مصطفى

تأليف : د / أسامة الغزالي حرب سبتمبر ١٩٨٧

تأليف : د / رمزي زكي أكتوبر ١٩٨٧

تأليف : د / عبدالغفار مكاي نوفمبر ١٩٨٧

تأليف : د / سوزانا ميلر ديسمبر ١٩٨٧

ترجمة : د / حسن عيسى

مراجعة : د / محمد عماد الدين إسماعيل

تأليف : د / رياض رمضان العلمي يناير ١٩٨٨

تنسيق وتقديم : سيزار فرناندث مورينو فبراير ١٩٨٨

ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد

مراجعة : د / شاكر مصطفى

تأليف : د / هادي نعمان الهيتي مارس ١٩٨٨

تأليف : د / دافيد . ف . شيهان أبريل ١٩٨٨

ترجمة : د / عزت شعلان

مراجعة : د / أحمد عبدالعزيز سلامة

تأليف : فرانسيس كريك مايو ١٩٨٨

ترجمة : د / أحمد مستجير

مراجعة : د / عبد الحافظ حلمي

تأليف : د / نايف خرما يونيو ١٩٨٨

د / علي حجاج

تأليف : د / إسماعيل إبراهيم درة يوليو ١٩٨٨

تأليف : د / محمد عبدالستار عثمان أغسطس ١٩٨٨

تأليف : عبدالعزيز بن عبدالجليل سبتمبر ١٩٨٨

تأليف : د / زولت هارسيناي أكتوبر ١٩٨٨

ريتشارد هتون

ترجمة : د / مصطفى إبراهيم فهمي

مراجعة : د / مختار الظواهري

١٣١ - مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الاسلام

١٣٢ - أوروبا والتخلف في أفريقيا

١٣٣ - العالم المعاصر والصراعات الدولية

١٣٤ - العلم في منظوره الجديد

١٣٥ - العرب واليونسكو

١٣٦ - اليابانيون

١٣٧ - الاتجاهات التعصبية

١٣٨ - أدب الرحلات

١٣٩ - المسلمون والاستعمار الاوروي لأفريقيا

١٤٠ - الانسان بين الجوهر والمظهر

(تتملك أو نكون)

١٤١ - الأدب اللاتيني (ودوره الحضاري)

١٤٢ - مستقبلنا المشترك

١٤٣ - الريف في الرواية العربية

١٤٤ - الإبداع العام والخاص

١٤٥ - سيكولوجية اللغة والمرض العقلي

١٤٦ - حياة الوعي الفني

(دراسات في تاريخ الصورة الفنية)

١٤٧ - الرأسمالية تجدد نفسها

تأليف : د / أحمد سليم سعيدان

تأليف : د / والتر رودني

ترجمة : د / أحمد القصير

مراجعة : د / إبراهيم عثمان

تأليف : د / عبدالحق عبد الله

تأليف : روبرت م . اغروس

تأليف : جورج ن . ستانسيو

ترجمة : د / كمال خلالي

تأليف : د / حسن نافعة

تأليف : إدوين رايشاور

ترجمة : ليلى الجبالي

مراجعة : شوقي جلال

تأليف : د / معتز سيد عبد الله

تأليف : د / حسين فهم

تأليف : عبد الله عبدالرزاق ابراهيم

تأليف : إريك فروم

ترجمة : سعد زهران

مراجعة : د / لطفي فطيم

تأليف : د / أحمد عثمان

إعداد : اللجنة العالمية للبيئة والتنمية

ترجمة : محمد كامل عارف

مراجعة : علي حسين حجاج

تأليف : د / محمد حسن عبد الله

تأليف : الكسندرو روشكا

ترجمة : د / غسان عبدالحق أبو فخر

تأليف : د / جمعة سيد يوسف

تأليف : غيورغي غانشف

ترجمة : د / نوفل نيوف

مراجعة : د / سعد مصلوح

تأليف : د / فؤاد مُرمي

نوفمبر ١٩٨٨

ديسمبر ١٩٨٨

يناير ١٩٨٩

فبراير ١٩٨٩

مارس ١٩٨٩

أبريل ١٩٨٩

مايو ١٩٨٩

يونيو ١٩٨٩

يوليو ١٩٨٩

أغسطس ١٩٨٩

سبتمبر ١٩٨٩

أكتوبر ١٩٨٩

نوفمبر ١٩٨٩

ديسمبر ١٩٨٩

يناير ١٩٩٠

فبراير ١٩٩٠

مارس ١٩٩٠

- ١٤٨ - علم الأحياء والأبديولوجيا والطبيعة البشرية
تأليف : ستيفن روز وآخرين
ترجمة : د / مصطفى إبراهيم فهمي
مراجعة : د / محمد عصفور
أبـرـيل ١٩٩٠
- ١٤٩ - ماهية الحروب الصليبية
تأليف : د / قاسم عبده قاسم
مايو ١٩٩٠
- ١٥٠ - حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي
«الجوانب البيئية والتكنولوجية والسياسية»
ترجمة : عبد السلام رضوان
يونيو ١٩٩٠
- ١٥١ - تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية
تأليف : د / شوقي عبد القوي عثمان
يوليو ١٩٨٩
- ١٥٢ - التلوث مشكلة العصر
تأليف : د / أحمد مدحت إسلام
أغسطس ١٩٩٠
- (ظهر هذا العدد في أغسطس ١٩٩٠ ، وانقطعت السلسلة بسبب
العدوان الغاشم ، ثم استؤنفت في شهر سبتمبر ١٩٩١ بالعدد ١٥٣)
- ١٥٣ - الكويت والتنمية الثقافية العربية
تأليف : د / محمد حسن عبدالله
سبتمبر ١٩٩١
- ١٥٤ - النقطة المتحولة : أربعون عاما في
استكشاف المسرح
تأليف : بيتر بروك
أكتوبر ١٩٩١
- ١٥٥ - مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي
تأليف : د / مكارم الغمري
نوفمبر ١٩٩١
- ١٥٦ - الفصامي : كيف نفهمه ونساعده ،
دليل للأسرة والأصدقاء
تأليف : سيلفانو آرتي
ديسمبر ١٩٩١
- ١٥٧ - الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي
تأليف : د / زينات البيطار
يناير ١٩٩٢
- ١٥٨ - مستقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج
تأليف : د / محمد السيد سعيد
فبراير ١٩٩٢
- ١٥٩ - فكرة الزمان عبر التاريخ
ترجمة : فؤاد كامل عبدالعزيز
مارس ١٩٩٢
- مراجعة : شوقي جلال
- ١٦٠ - ارتقاء القيم (دراسة نفسية)
تأليف : د / عبداللطيف محمد خليفة
أبريل ١٩٩٢
- ١٦١ - أمراض الفقر
تأليف : د / فيليب عطية
مايو ١٩٩٢
- (المشكلات الصحية في العالم الثالث)
- ١٦٢ - القومية في موسيقا القرن العشرين
تأليف : د / سمحة الخولي
يونيو ١٩٩٢
- ١٦٣ - أسرار النوم
تأليف : الكسندر بوربلي
يوليو ١٩٩٢
- ترجمة : د / أحمد عبدالعزيز سلامة
- ١٦٤ - بلاغة الخطاب وعلم النص
تأليف : د / صلاح فضل
أغسطس ١٩٩٢
- ١٦٥ - الفلسفة المعاصرة في أوروبا
تأليف : إ. م. بوشنسكي
سبتمبر ١٩٩٢
- ترجمة : د / عزت قرني

- ١٦٦ - الأمومة : نمو العلاقات بين الطفل والأم
 ١٦٧ - تاريخ الدراسات العربية في فرنسا
 ١٦٨ - بنية الثورات العلمية
- ١٦٩ - تاريخ الكتاب (القسم الاول)
 ١٧٠ - تاريخ الكتاب (القسم الثاني)
- ١٧١ - الأدب الأفريقي
 ١٧٢ - الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله
- ١٧٣ - المعتقدات الدينية لدى الشعوب
- ١٧٤ - الهندسة الوراثية والأخلاق
 ١٧٥ - سيكولوجية السعادة
- ١٧٦ - العبقرية والإبداع والقيادة
- ١٧٧ - المذاهب الأدبية والنقدية
 عند العرب والغربيين
- ١٧٨ - الكون
- ١٧٩ - الصداقة (من منظور علم النفس)
 ١٨٠ - العلاج السلوكي للطفل
 أساليبه ونماذج من حالاته
- تأليف : د/ فايز قطار
 تأليف د/ محمود المقداد
 تأليف : توماس كون
 ترجمة : شوقي جلال
- تأليف : د/ الكسندر ستيفشيتش
 ترجمة : د/ محمد م . الأرنؤوط
- تأليف : د/ الكسندر ستيفشيتش
 ترجمة : د/ محمد م . الأرنؤوط
- تأليف : د/ علي شلش
 تأليف : آلان بوني
- ترجمة : د/ علي صبري فرغلي
- أشرف على التحرير جفري بارندر
 ترجمة : د/ إمام عبدالفتاح إمام
 مراجعة : د/ عبدالغفار مكاوي
- تأليف : ناهدة البقصمي
 تأليف : مايكل أرجايل
- ترجمة : د/ فيصل عبدالقادر يونس
 مراجعة : شوقي جلال
- تأليف : دين كيث سايمتن
 ترجمة : د/ شاكر عبدالحميد
 مراجعة : د/ محمد عصفور
- تأليف : د/ شكري محمد عياد
- تأليف : د/ كارل ساغان
 ترجمة : نافع أيوب لبّس
 مراجعة : محمد كامل عارف
- تأليف : د/ أسامة سعد أبو سريع
 د/ عبد الستار إبراهيم
 تأليف : د/ عبدالعزيز الدخيل
 د/ رضوى إبراهيم
- أكتوبر ١٩٩٢
 نوفمبر ١٩٩٢
 ديسمبر ١٩٩٢
 يناير ١٩٩٣
 فبراير ١٩٩٣
 مارس ١٩٩٣
 أبريل ١٩٩٣
 مايو ١٩٩٣
 يونيو ١٩٩٣
 يوليو ١٩٩٣
 أغسطس ١٩٩٣
 سبتمبر ١٩٩٣
 أكتوبر ١٩٩٣
 نوفمبر ١٩٩٣
 ديسمبر ١٩٩٣

- ١٨١- الأدب الألماني في نصف قرن
١٨٢- الشفاهية والكتابية
- تأليف : د/ عبدالرحمن بدوي
تأليف : والتر ج. أونج
ترجمة : د. حسن البنا عز الدين
مراجعة : د. محمد عصفور
- ١٨٣- الطاغية
١٨٤- العرب وعصر المعلومات
١٨٥- عندما تغير العالم
- يناير ١٩٩٤
فبراير ١٩٩٤
مارس ١٩٩٤
أبريل ١٩٩٤
مايو ١٩٩٤
- تأليف : د. نبيل علي
تأليف : جيمس بيرك
ترجمة : ليلى الجبالي
مراجعة : شوقي جلال



سلسلة عالم المعرفة

عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت - وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير عام ١٩٧٨ .

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة ، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة . ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفاً وترجمة :

١ - الدراسات الإنسانية : تاريخ - فلسفة - أدب الرحلات - الدراسات الحضارية - تاريخ الأفكار .

٢ - العلوم الاجتماعية : اجتماع - اقتصاد - سياسة - علم نفس - جغرافيا - تخطيط - دراسات استراتيجية - مستقبلات .

٣ - الدراسات الأدبية واللغوية : الأدب العربي - الآداب العالمية - علم اللغة .

٤ - الدراسات الفنية : علم الجمال وفلسفة الفن - المسرح - الموسيقى - الفنون التشكيلية والفنون الشعبية .

٥ - الدراسات العلمية : تاريخ العلم وفلسفته ، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء ، كيمياء ، علم الحياة ، فلك) - الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم) والدراسات التكنولوجية . أما بالنسبة لنشر الأعمال الإبداعية - المترجمة أو المؤلفة - من شعر وقصة ومسرحية ، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر

غير وارد في الوقت الحالي .
وتحرص سلسلة عالم المعرفة على ان تكون الأعمال المترجمة حديثة
النشر.

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من
المتخصصين ، على أن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب
وموضوعاته وأهميته ومدى جدته ، وفي حالة الترجمة ترسل صفحة
الغلاف والمحتويات ، كما ترفق مذكرة بالفكرة العامة للكتاب . وفي جميع
الحالات ينبغي إرفاق سيرة ذاتية لمقترح الكتاب تتضمن البيانات الرئيسية
عن نشاطه العلمي السابق .

وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع - المؤلف أو المترجم - تصرف
مكافأة للمؤلف مقدارها ألف دينار كويتي ، وللمترجم مكافأة بمعدل
خمس عشرة فلساً عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي أو تسعمائة دينار
أيهما أكثر (وبحد أقصى مقداره ألف ومائتا دينار كويتي) ، بالإضافة
إلى مائة وخمسين ديناراً كويتياً مقابل تقديم المخطوطة - المؤلف و المترجم
- من نسختين مطبوعتين على الآلة الكاتبة .



الاشتراك السنوي : وهو مقصور على الفئات التالية :

- المؤسسات والهيئات داخل الكويت ١٠ دنانير كويتية
- المؤسسات والهيئات في الوطن العربي ١٢ ديناراً كويتياً
- المؤسسات والهيئات خارج الوطن العربي ٨٠ دولاراً أمريكياً
- الأفراد خارج الوطن العربي ٤٠ دولاراً أمريكياً

الاشتراكات :

ترسل باسم الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص . ب : ٢٣٩٩٦ الصفاة/ الكويت - 13100

برقيا : ثقف - تلكس : ٤٤٥٥٤ TLX. NO. 44554 NCCAL

فاكسميلي : ٤٨٧٣٦٩٤

طبع من هذا الكتاب أربعون ألف نسخة

مطابع السياسة - الكويت